

مذكرات محمد الرئيس

من الصخيرات إلى تازمامارت

تذكرة نهاب وإياب إلى المحبم



ترجمة

عبد الحميد جماهري



مذكرات

محمد الرايس

ذهاب وإياب الى الجحيم

ترجمة :

عبد الحميد جهازي

تأليف: محمد الرايس
ترجمة: عبد الحميد جماهري
الأبداغ القانوني والنزلي : 2000/1672
الطبعة: الأولى - نونبر 2000
مطبعة: دار النشر المغربية
تصميم الغلاف: عبد الطيف الراوي
منشورات: الاتحاد الاشتراكي.
حقوق الطبع محفوظة

تقديم

«لمرت اليوم، بعد تفكير طويل أن أكتب هذه الشهادات الحقيقية، بهذه العبارة يبدأ محمد الرايس الذي كان ضمن الانقلابيين في حادثة الصخيرات قبل أن يصبح من الأشباح الحية لمعتقل تازمامارت، وهو يبدأ في الواقع من قبل هذه العبارة، أي منذ السبعينات باعتباره احد الشهود الأحياء على ما فعله طلبة مدرسة الهرموسو (رباط الخير حاليا)، ذات يوم من يوليوز 71 الساخن، إن السيد محمد الرايس يريد حسب ما كتب في مقبلة مذكراته - أن يروي الوقائع كما حدثت وكما نوات حولها وامام عينيه، ولا يريد، أن يفتح السجل، حول ما قيل وكتب عن هذه الوقائع، إن الهدف من وراء كل ما كتبه، وربما الهدف من نشره ايضا، تسليط الضوء على كل النقاط التي ظلت تلغها العتمة الى يومنا هذا.

إن الرايس يتساءل - هل عليّ أن احكي فعلا كل شيء، ويوجب، إن عدم فعل تلك يعني عدم الوفاء بالوعد الذي قطعته على نفسي قبل خروجي، وخيانة ضميري ولاسيما خيانة رفاقي في المعتقل - السجن الذين مانوا في ظروف وحشية بعد أن عانوا بشكل فظيع ومضى على انقضاء عقوبتهم زمن طويل، ويضيف السيد محمد الرايس، إنني اريد ان اتخلص من هذا الكابوس الذي يستكنني والصرخات الحادة لرفاقي الذين جنوا بفعل العزلة والظلمة، وربما نقول من جهتنا إن الطابع العلاجي للشهادة على المستوى الفردي يمكن ان يسحب على الذات الجماعية على المستوى العام.

بمعنى آخر إن الجسد الاجتماعي المترامي لبلاننا لايمكنه ان يعيش

مثل اشباحه حياة سليمة، إن منطلق الفرد قد يصدق أيضا على الجماعة في مثل هذه الحالات، لا بد من الحسم بقول التحليل النفسي ولاند من الحسم أيضا بقول المنطق التاريخي، تلكه لأن من لم يحسم مع ماضيه قد يضطر إلى اعادته، إن كابوس كل رفائله في المعتقل، كان نابوسا عاما والعقل الباطن لكل من نخل إلى تازمامارت، لهذا الفعل أو ذاك الرأي، يظل العقل الظاهر للسياسة إذا ما تعدد اصحابها ان بضربوا صفحا عن مكر المغيب كما قد يكون العقل الباطني للجماعة إذا ما ظلت كل العناصر التي تشكل الوعي العام مخيبة في اسرار الدولة والمجتمع.

إن وفاء الرئيس لم عاشوا معه محنة تازمامارت كان وراء قراره في الكتابة ولاشك، لكنه أراد أيضا ان يحرر عقله الباطني والواعي أيضا من «الذين المحنضرين العاجزين امام الموت الحتمي ومن صرخات كل الذين طالبوا بالانصاف قبل وفاتهم».

من اجل العدالة أيضا جاء هذا الكتاب، بقول محمد الرئيس، ذلك لانه في معتقل الموت، لم يتم خرق القوانين لفظ بل إن الإنسانية جمعاء اهينت ومرغت في التراب».

لا بد من الشجاعة للقول كل الالم الذي تراكم وللقول بعض التفاصيل والتفاصيل نفسها ناطقة بما فيها ولقد سرىها كاملة في (١٨) صفحة فيما يخص انقلاب الصحيرات وما يزيد عن (١٨١) صفحة فيما يتعلق بتازمامارت، إنها شهادة لا بد من ان يحيى المرء صاحبها، لاعتمائها مكتوبة اولا، وذلك ما لا يخله ساستنا جميعا ومعتقلونا السابقون، للأسف، ولانه رسم فيها صور الشخصيات بدقة تنم بالفعل إلى انتباه خاص ربما شحنته الظلمة والعزلة في سرايب الموت، هنا حيث لا يتم الاكتفاء بالتعذيب بل يتم القتل ببطء، ولهذا السبب أيضا قرر الرئيس حسب ما كتبه في مقدمة الكتاب وصف التفاصيل الدقيقة لهذه المساة بكل الاسما وبؤسها ولحباطاتها ورعبها، «لقد حررت هذه الشهادة بإخلاص وبدقة - يقول محمد الرئيس - مست الأحداث والمشاهد التي عشناها سواء في الصحيرات أو تازمامارت ولله وحده شاهد على ما افعل في هذا المخطوطه وقد اهدى كتابه إلى رفائله (١2). الذين ماتوا في المعتقل)، وكل الزوجات والأمهات والى «امي التي قضت حياتها كلها في الانتظار، في البعد انتظرت المرحوم والدي الذي كان سجيناً لدى النازيين ولم يعد أبداً، ثم ابنها الوحيد الذي ظلت منذ انخطفتي

وكفيني، تنظر رغم اليأس عويتي الى آخر رمق من حياتها وولعها
سنة 1989، وإلى زوجتي خديجة الشاوي التي استطاعت بفضل
شجاعتها وثباتها ان تربي ابنائي الستة رغم للة ذات اليد وصعوبة
العيش من جهة، وناضلت بصلاية وسمود رغم جمع المخزن ضد
ترجيلى غير القانوني، من جهة ثانية، وإلى ابنتي إلهام التي بذلت كل
ما فى وسعها، دفاعا عن اطلاق سرلحي قبل ان تكشف فيما بعد عن
وجود معتقل الموت بتازمامارت الذي كتم سره المسؤولون وظل بشكل
-طابو- لدى البعض وانكره البعض الأخر ..

ولكل اولئك ولغيرهم من ضحايا تازمامارت يهدي الرئيس كتابه
وهو يعلم بأنه قد يعاني بسبب شهادته وربما يجد من ينهيه بالنسب
والغضب والكتب والمساس بأمن الدولة وغير ذلك من الاتهامات.

لكن نعتقد ان لغة المعاناة قد عيشت، ولعل من حسن المرحلة ان
الناس يتحدثون ويعيرون ويقولون اخطاهم علانية وربما من ذلك
ايضا عناصر لتأسيس الزمن القادم.

اعبايو يلمح للمجد

اهرمومو. هو الاسم المتواضع عليه الذي اطلق تعسفيا علي قرية
 .العدين، من طرف لبطان فرنسي مكلف بالشؤون الاهلية خلال بداية
 الغزو .(حرب الهند)، واهرمومو الواقعة في قلب الاطلس المتوسط علي
 بعد 7١ كلم جنوب شرق مدينة فاس علي علو ١.١4٠ متر. بطل علي وادي
 زلول والنواحي، التي تعبر منطقة امازيغية للقبائل بني وراين الذين
 هاتلوا بضراوة قوات الاحتلال وكالحووا ببسالة من اجل حريتهم، وسعيا
 الي فرض سلطتها علي هذه المجموعات المقاومة زرعت فرنسا وحداتها
 في كل النقط الحساسة للرد كل الاحتمالات. وقد جنبت فيما بعد سكان
 هذه القبائل المتعمدة من خلال تجنيد اكبر عدد ممكن من الرجال لتكوين
 ميليشيات الكوم، من اجل محاربة الالمان ثم الهند الصينيين. وقد
 استطاع هؤلاء المحاربون، بفضل شجاعتهم العالية وصمودهم ان يقدموا
 خدمات كبرى لفرنسا. وفي سنة 1953 وضع الجنرال لبيوم المقيم العام
 بالمغرب الحجر الاساس لبناء ثانوية عسكرية مماثلة لثانوية لالفيش
 (السهوم) بفرنسا، هذه المدرسة التي لم تكن قد استكملت بعد بنائها بحذاء
 استقلال المغرب سنة 1956، اصبحت المدرسة العسكرية للضباط وهنا
 تطلبت تكويني العسكري تحت إدارة ضباط فرنسيين لامعين وضباط
 صف طباكين شاركوا في الحرب الكلاسيكية منها والتمرية... لقد كان
 التكوين فاسيا، لكنه مفيد لتعلم فنون الحربية... في سنة 1958 اصبحت
 اسم المدرسة «المدرسة العسكرية الملكية، بقيادة ابريس بن عمر (الذي
 تقاعد برتبة جنرال نوبيلزيون). وقد خلفه ضباط سامون اخرون الي
 حدود شهر ماي 1968 عندها اسندت الإدارة المدرسية الي واحد من
 اصغر القادة العسكريين في القوات الملكية، الا وهو امحمد عيايو، عمره
 ٢١ سنة من اصل ريفي، ولد ببويريد، دائرة اكنول منطقة تازة. كان فاتح
 البشارة، اشرفها، صغير القامة، عصبي المزاج صوته حاد ونفاذ، حيويًا،
 سلطويًا إن لم يكن فاسيا، واسع الخيال والمبادرة وجد طموح. بمجرد
 وصوله غير كليا البنية التحتية للمدرسة علي كل المستويات، سواء علي
 المستوى الهندسي او المادي او بتغيير البرامج ومضاغة العدد من اطر
 وطلبة، وفي ظرف اربعة اشهر نجح في اعطاء المدرسة طابعا جديدا،
 بالهدم والتعديل والبناء. لقد كان عيايو حاصلا علي دبلوم مدرسة

العبادة العامة بباريس (اليطامارجو) بميزة حسن، وبمجرد عوبته عين من بين الاستراتيجيين المكلفين للمناورات الكبرى للجيش وإدارتها. كان استفاءه بلقبونه «نابليون الصغير» بسبب قامته وهياته التي كانت تشبه قليلا هياة الامبراطور، وخاصة بسبب طريقته في إدخال يده بين اصداق بطلته. وقد قاد وحدات اخرى قبل ان يعين علي راس المدرسة. لقد كان يدير رجاله ب «العصاة» وهو نفس المسلك الذي سلكه في الهرموسو ايضا حيث اخضع رجاله لسلطوته. لقد كان موضع خوف وحب معا من طرف الجميع ومحترما حتى من طرف رؤسائه. غير ان سياسيه كانوا يكرهونه، وبما انه كان يتمتع بشعبية كبرى في اوساط الجيش بفضل نكاته وشخصيته وحزمه فقد خلق له لاشعوريا، العبد من الاعاء على المستوى العالي.

لقد بنيت المدرسة على اطراف سفح حاد لسهل شاسع، وتعطي البنائتان الكبيرتان المشيدتان بالاجور الاحمر، الانطباع بانهما باخرتان عارقتان وسط الطبيعة، والمدرسة موضع مثالي للتدريب على القتال بفضل تنوع التضاريس والغطاء النباتي والاشجار التي تغطي الضفة الجنوبية لواد زالو، كما ان المناظر المتنوعة والجميلة لمنطقة جبل بوييلان الذي تغطيه الثلوج حتى في الصيف تلثير الانتباه مجبرة كل عابر على الوقوف من اجل التعملي بالجمال المتوحش للطبيعة، ومن سوء الحظ ان الأرض الال خصوبة من المناطق المحيطة بها والتجارة الال رواجها مما فرض على السكان المحليين حياة متخلفة والانتحاق بالجنس.

لقد قضيت هناك سنين طويلة دون ان تصدر عني اني شكوي من فساوة المناخ او انعدام الترفيه، بل كنت اجد المكان رائقا ولم افكر في الذهاب الي مكان اخر لانني كنت اجد راحة كبرى في الهدوء والطمأنينة السائدين في حين ان اعبابو لم يكن يحب اطلاقا البقاء في الهرموسو، كان يمشي كثيرا لهذا كان يرتاد فاس كثيرا، ومكتسب ايضا من اجل الترفيه والبحث عن ملذات الحياة الجميلة، ورغم انه كان متزوجا واما لاربعة اطفال فقد كانت له اربع عشيقات رسميات كن ياتين بالتناوب للترفيه عنه ومناعبته وقضاء الليل معه عندما يكون مجبرا علي ملازمة المدرسة. لم يكن هذا ليعنعه، مع ذلك من الاستيقاظ باكرا والاشراف نفسه على الاعمال الجارية او مراقبة برنامج التدريب.

كان ليليا في عمله لايرفث وجد صارم في ما يخص الرطوبة ومن

انصار الطريقة الصلبة حتى انه كان أحيانا ينتهك اللوائح العسكرية . لقد كان يبعث على الخوف بسبب عدم تسامحه وغي الاحترام بفعل كفايته. وسرعان ما داع صيته في اوساط الجيش وقد كان الجميع يتحدث عن التغيير الذي يمكنه له رؤسائه، وكثيرا ما كان الجنرال ما جور يعطى به المثل ويشجعه بتسهيل ما يورثه، وقد منحه كل الوسائل الضرورية (المادية والبشرية) لمساعدته علي إنجاز مهمته. لقد كان اعبابو دائما راضيا اكثر من الآخرين على تلبية حاجياته. وفي الواقع لقد بلله الجنرال ماجور للوفات المسلحة الملكية كثيرا، لقد طبق قائدا احدى المفولات التي تحت على مايلي: «اعملوا اولا، صححوا فيما بعد ولا تظنلوا مكتوفي اليدي في انتظار الكمال». لقد قام في البداية بالعمل بتعميل كل شيء حتى يظهر لرؤسائه قدرته على مستوى الابتكار. وبما انه حصل على الوسائل الضرورية والمرضية عمد بعضها على مستوى التصحيح بالتمهيد التدريجي لعمله، وهكذا لم يكف طيلة ١ سنوات على إتقان عمله اكثر فاكتر بالرجوع إلى ما رآه أو تعلمه في الخارج. فقام فاعات، متاحف، وفاعات للتكوين وساحات لتصويب اللبلي مستوحاة من فرنسا. واما ايضا مسالك وعرة واخرى شبيهة بالتي يتدرب عليها المارينز و.الراجرز، ومكتب للتصويب باهداف متحركة مستوحاة من امريكا . وبمجرد عودته من سفر تكوييني بالخارج طبق علينا جدول حصص امريكية محضا وفرض علينا تلقين الطلبة الضباط طريقة تسديد كندية وعلما الاسنحراض على الطريقة الإيرانية. وبما انه كان من انصار الابتكار فقد كان انشغاله الدائم هو عصمنة وتحديث وحدته كي تصبح نخبة الجيش. وإذا كان اعبابو قائدا كلوما واستراتيجيا (لانه كان الذي بهيء وبدير بمعية الكومندان البرنيسي . العمليات الكبرى للجيش في بيررامرام بمنطقة مراکش) ، فإنه كان ايضا ،نذلا، حليفا بما في الكلمة من معنى، لكل الوسائل في نظره صالحة ما دامت توصله إلى هدفه، وفي هذا السياق، وبما أن القروض المنوحة من طرف الدفاع الوطني لتغطية حاجيات المدرسة كانت غير كافية لتحقيق طموحاته العالية وسد ثغرات نفاقاته التيزيرية لقد لجأ إلى الطريقة العنيفة (سيستم دي SYSTM I) للقيام بهذه العملية غير الشريفة شكل فريفا مكونا من جنود القوياء وضباط متحمسين يقوهم ،علة، بمساعدة لاجودان فرخانس (وكلامهما خريج الجيش الفرنسي، الاول سنة 195٠ وللثاني 19٠5) للقيام بعمليات ليلية (اي سرقات ليلية) كانوا يركبون

السيارات ويتسلحون بالرصاصة غير القاتل (A.H.I.A.N.C) لترهيب حراس الليل او الفضوليين ثم يعيدون لسادا في المنطقة بسرقة عتاد الدولة مثل مواد البناء من لبن الاشغال العمومية واعدد الهواتف ليريد والخشب من المياه والغابات. بل تجرأوا ذات يوم سرقة آلة خلاطة وآلة حفر من اجل استعمالهما في إقامة مسجدا لأن الأرض كانت صخرية كما كانوا يسرفون الأجور والرمل من عند الخواص وأشياء أخرى إذا احتاجوها.

ولم اعبأو ايضا. ضدا على إدارة السكا نالمحليين بتغيير مجرى ماء عين حيوية وجد مهمة بالنسبة للمنطقة للفائدة المدرسة. وقد ذهب العديد من الشكاوي سدى لأن اعبأو كان له وزنه وسلطته حيث نال تعاطف الجنرالات بدعوتهم عنده وإحياء حفلات ساهرة بالمشوي والشيخات. وهكذا فتحت امامه كل الأبواب ولبيت كل طلباته. و اعبأو الذي كان صاحب فراسة وصبورا صبر القط كانت له الفطنة والطريقة النبطانية والفنية لإرشاء اي كان والفساد. ولقد كان بإمكانه إرشاء الشيطان نفسه. وبهذا بدأ يطلق لنفسه اعداء. لاسيما بين رفاق فوجه. هذا الضابط الشاب المنحصر من عائلة متوسطة والكثيرة الأعداد كان ابوه الشيخ مسعود رئيس قرية بوير بالريف المنطقة الفقيرة والمصدرة التي فصلتها الطائرات وهاجمته الثيابات وسحلقتها عشر كتيبات من الجيش سنة 1959 إبان تمرد أحمد بالقوة وهو عالم ينصه اعبأو ابدا. لقد تابع دروسه الابتدائية بتأزفة بإحدى المدارس الفرنسية قبل أن يلتحق بالدار البيضاء (مكتاس) لتابعة الدراسات الثانوية. وفي 1956 انخرط في الجيش كطالب ضابط وبعد تدريب (سطاج) دام سنة عين سوليوتات SOUS - LIEUTENANT

لقد امتاز في بداية حياته المهنية بالحيوية والتبصر والارادة والتكاتف لكن توالى الأيام وتأثير المحيط ورفاق السوء والحياة البانحة كل هذا بدا، شيئا فشيئا يلطخ سمعته والمس بنزاهته ولا شعوريا بدا يفقد ميزاته لما نسي الفضيلة ولطخ يده بالرشوة والفساد والتخدير والنفقات المجانية والتزوير الإداري والغش. ما لم يتغير فيه كان ذلك الطموح الغامر والمثهب الذي كان يتخز دائما روحه. ولما وصل بسرعة إلى البوائر العليا كان هذا الطموح هو تقريبا بسبب وجوده لقد كان نابليون الصغير. مثل بونايرت يرى إلى البعيد. أكثر تخبياته واحترنا لتفلاته المبالغ فيها إلى الرباط.

وفوجئنا أيضا بإهماله للأنشطة اليومية لوحده وبعد ان كان معروفًا بملاحظاته وبقته واهتمامه بأبني التفاصيل أصبح فجأة غير مبال ولا يعبر أبني الاهتمام للعمل. لقد بدأ مشغولا بشيء اهم من التكوين. وقد راجت الشائعات وقتها. بعضها يقول بأنه يستعد لإحتياز النخول إلى المدرسة الحربية العليا والبعض الآخر ضمن بأنه سيعين من طرف الملك إما عاملا على تازة أو مديرا عاما للأمن الوطني. وقد صدقت شخصيا تلك لأنني طلبت انتقالني إلى الرباط فطلب مني الانتظار قليلا لأنه كان ينوي اصطحابي معه بمجرد ان يحصل على منصبه الجديد. وعلى كل . كان الجميع. ولاسيما المتهاونين ينتظرون رحيله. لكنه ظل هناك.

هيمه حفل عيد العرش (١ مارس ١٩7١) بطريقة هائلة في المدرسة وجرى في اجواء الفرحة والصدالة. لقد نصبت خيام كبيرة وزينت كل اركان المدرسة بالاعلام والمصابيح الملونة. وشارك اعبابو وكل اطره إلى جانب المتبرين. نظمت ألعاب ومسابقات رياضية وعمت الاغاني الطلورية والرقصات الامازيغية. كما اقيمت مائدة كبيرة للجميع..

حضر اعبابو احتفال تكري عيد العرش لسنة ١٩7١. كان رائق المزاج. بداعي الضباط الشبان ويطلب النكت. كان مرحا لأنه كان قد حصل على رتبة ليونان كولونيل في تلك اليوم وعمره ائذاك ١٦ سنة.

ورغم انه ريفي ينحدر من عائلة تنتمي إلى القبائل التي قمعت وسحقت من طرف المخزن ابان التمرد القروي لسنة ١٩5٩. فقد كان سعيد التعلق بالملكية. هذا على الأقل ما كنا نعتقد من خلال كلامه وموقفه. والحال ان المظاهر غالبا ما تكون خداعة. لقد كان يعطي الانطباع بأنه ملكي اكثر من الملك. وهذا الظاهر المخادع غالبا ما ضلنا. لقد كان قائدنا معللا بارعا. يحسن تمثيل دوره لأخفاء احساسيه الحفيلية. عندما رقي إلى رتبة اعلى. نظم اعبابو حفلا باشا في المدرسة. وجاء بشيخات يجن الرقص والغناء بالامازيغية والعربية معا. لأن اغلب الاطر والطلبة كانوا من الامازيغ. وامر بنبح 5٠ خروفا اضافة إلى مئات التجاجات وعدد مهم من الطواجين من مختلف الانواع. والمشروبات الكحولية والعصير والمونادا والفواكه والحلويات. بعد مرور اسبوع نظم الضباط حفلا بمطعم الجنود واستدعوا البوتنان كولونيل احمد اعبابو واهنوه نياشين ولبعة ذهبية (١K قراطا) انشرح سنسبا لهذه الهدية وخطب في الحاضرين شاكرا وختم كلمته بالمعبارات

الثالثة: لقد اهبطتموني هدية ذهبية، و انعمي لكم صانعا، مسار مهديا ذهبيا ولاسعا مثل الهدية، وانعمي ايضا ان تتحلق اماميكم حتى تنكل مجهوداتنا، في يوم من الايام، بالنجاح والمجد.

في صفرو ايضا نظم مركز التثريب الملحق بالمدرسة حفلا صغيرا على سرف اعيابو الذي القى خطبة وعد فيها الحاضرين ،بمستقبل زاهر. هذه العبارة اثار حيرة السرجان ،عربية، فقص مجموعة من الملازم النيجان لاستطلاع رايهم حول المعنى الحقيقي لهذا ،المستقبل الزاهر، فليل له بانها عبارة اطلقت على عواهنها ونصحوه بعدم ايلاء اهمية للخطب في مخصص المدرسة التي تكاد تشبه كلام البيارات. لما لاحظ الملازم سعودي بان الضابط لم يفتنع بهذا الكلام ساه.

بما انك غير ملتفت لى لنا رايك

انا ايها الملازم، لدي تفكير اخر. لان الكولونيل بعث برسالة ،خطيرة في كلامه... وعلق الملازم ،عزمي، الذي فضل الممازحة ساخرا: «تلمة زاهر تشبه في معناها كثر على بابا، وعليه سنصبح جميعا الغنفاء. لا اقلن شخصا، بانه يلعب ربعا الى انقلاب...»

سخر الجميع من الكلام، بل وهزاهو لانه فكر في شيء لا يصدق ولا ينظر على بال. احس السرجان بانه عرضة للسخرية فاعتذر وانسحب. اما انا فقد خطر على بالي ما وقع قبل ذلك التاريخ بسنة عندما باح لى القبطان سعيد اللقب بالعنبري بما يلي: «اسمع الرايس، قريبا سنفترق ايها الصديق العزيز، وقد طلبت نقلي الى مكان اخر، قلت له: لكن ايها القبطان انت تعرف بان قائدنا لا يحب ان يطلب رؤوسه الانتفال لان ذلك اهانة وسبه له.

ليكن الفضل الذهاب الى الصحراء عوض الانتعار بامرة شخص من هذه الطينة.

لماذا الست راضيا عن هذا المكان؟

لا يا عزيزي الرايس، اعيابو شخص خطير مع انسان طموح لايد من نوقع كل شيء، ولا سيما الاشياء الطبيعية. هل تبقي هنا في حين ان حياتك عرضة للخطر باستمرار، ان العمل مع اعيابو يشبه لعبة «بوكو، فاما الصعود الى القمة واما السقوط في الهاوية.

والحال انني لا اود المخاطرة ولا اريد ان الحاجا لهذا قررت الرحيل، شخصيا كنت متفقا معه والفرق الوحيد بيننا انني كنت احب المخاطرة والمفاجاة. وهكذا نقل الكومندان سعيد الى الرشيدية اما انا فقد الميرت

بعد ١ سنوات على بعد (٨) كلم منه في معتقل سري.

ابتداء من شهر مارس، سرخ اعبابو من وثيرة برنامج التدريب حتى ينتهي التدريب قبل مئة شهر ماي. وهنا اذكر تفصيل لم نعرفه اجتماعا في حينها. فقد اخبرنا في اليوم الثاني لشهر ماي بان المدرسة ستشارك في المناورات المنظمة على صعيد القوات المسلحة الملكية في مدينة الحاجب بمناسبة ذكرى انشاء القوات المسلحة (١٤ ماي ١٩٥٦) وخطابنا اعبابو بالقول: بما ان المدرسة لا يمكنها ان تتوقف عن التدريب لتتعمرن وحداتها طيلة شهرين في الاماكن المخصصة، فقد طلبت بان يكون دورها محجدا وجزليا. ان سيكون دورنا دورا ثانويا والمهم هو المشاركة كما هو الحال بالضبط في الالعاب الاولمبية.

مع ذلك لا بد من الاستعداد الجدي للعمليات القادمة لاعطاء انطباع جيد. ولاجل ذلك سنترب هنا في عين المكان في انتظار اللحظة المقررة. ومباشرة بعد ذلك بدأت تمارين القتال والانسداد. فوزع علينا (البرنامج) الموضوع العام والموضوع الخاص للمناورة الكبرى واستدعاني اعبابو الى مكتبه ليسند الي مهمة خاصة وخطابني بقوله: انت فنان ماهر وقديم وانا اعول على تجربتك للحصن واخباري بعمل صغير اود استاذه اليك (اخذ روكيت. كانت موضوعة فوق مكتبه).

لقد توصلت ب (٨) روكيت لاتحمل اية اشارة او اي تعريف لهذا سلاح رهن اشارتك (١) روكيتات حتى تجرب فنيقتها، شريطة ان تكون وحيدا ويتم ذلك في مكان اخر غير حقل الرماية. ثم ستعد لي تقريرا مفصلا حول فعاليتها وطبيعتها ونقط ضعفها اذا وجدت. في اليوم الموالي التقيته مجددا لتقديم التقرير وقد اشرت الي انها لذائف روكيت امريكية الصنع مجهزة براسين صاروخيين شبيهة بالنظام المنفعي 7٤ ملم ٨٨ وان شوكتها الل حجما من شوكة اللذائف الفرنسية 7٤ ملم. واخبرته ايضا بان رؤوس اللذائف على شكل «ناطوس» وليست معشرة مما يجعل الرماية بها صعبة اذا كانت زاوية القذف تامة، طرحت عليه سؤالا ثالثا:

تولونيل سنطلقها على نباتات قديمة او على «كركوك» (ركام من الحجارة)؟

فاجابني غير مبال: «سأخبرك فيما بعد من سنرمي وماذا. في الوقت الحالي تدربوا اذا تكرر الخطأ في اصابة الهدف سألغيها تماما واعوضها باشيء اخرى».

يوم 11 ماي تشكلت فرقة الكوماننو وكان عددها 15 كوسوندا يضم كل واحد منها 4.3 شخصا مجهزين بأسلحة فردية. برمج انتقالهم الى عين الشكاف، للقيام بمهمة تقرير أخبارهم بها في عين المكان. كما تكون فريق آخر (بلاستون) يضم سيارات جيب عديدة جهزت بأسلحة ثقيلة (رناشاتات 12.7 ملم و 7.62 ملم و AA52). وقد كان هذا الفريق مكونا فقط من الضباط وضباط الصف المدربين على الرماية.

في الرابع عشر من ماي كان الجميع مستعدا للانطلاق في الساعة الثانية صباحا. فبدأ نخل القبطان بالكبير. مدير التدريب الى مصف الضباط للاعلان عن إلغاء العملية المبرمجة في عين شكاف ونهاب فرقة (بلاستون) الى الحاجب مع تعديل طفيف للكوماننوهات: اذ عوض التوجه الى عين شكاف، تقرر التوجه الى صطرو من اجل التمرس على ميدان يختلف عن لهرمومو والعودة في نفس اليوم للحصول على عطلة. وقال ان الكولونيل يود مكالماتكم على مجهوداتكم وليسمح لكم بالراحة. والان التحقوا بالمبيت وناموا الى الصباح. الرحلة ستكون في الساعة السادسة. وكذلك كان فتمنعنا في الغد ب 3 ايام عطلة واستعادت المدرسة بعد كل الصخب والحركة والعمل ليل نهار هبوطها وطمانينتها، وكان ذلك مؤلما طبيعا. بعد هذه الهدنة والاستراحة المستحقة عانت الامور الى مجاريها وسقط كل شيء في النسيان.

وفي الواقع كان نسيانا لم ينسه الكولونيل اعبايو الذي كانت روحه مستكونة به. لم تعد نتذكر تلك العملية اللغاة في الساعة الثانية صباحا والحال انه كان وراء الاكحة ما وراها. فلقد كنا على وشك القيام بانقلاب عسكري دون مراية ودون امني شك في مصداقية المفعال قائدنا الذي كان ميلا من طرف المخزن والجنرالات. ولم نكتشف الحيلة الا بعد مضي وقت طويل اثناء مداوات الحكمة العسكرية في القنيطرة. وباله من بفين حزين واحباط مر. اذ ليس هناك ما هو القطع من التلاعب باحاسيس الاخرين. ان الخداع بالتحايل على ثقة المرؤوسين والشطط في استعمال السلطة للوصول الى الاهداف الخاصة كان بالفعل وضيفا ومدلا. لقد كان الامر بالفعل مؤامرة خطط لها الجنرال منبوح رئيس الاركان ورجل ثقة الملك وقائدنا الذي يتمتع بالثقة والتقدير الملكي. بغضى ينصب كمين للموكب الملكي على طريق فاس / الحاجب مرورا بعين شكاف. كما كان مثالي للقيام بالعملية. اختاره الاخوان اعبايو نظرا لوفعه التكتيكي. اما فرقة المشاحنات (بلاستون) فقد كانت مهمتها هي

محاصرة المنصة الرسمية بالحاجب والقضاء على أية مقاومة محتملة. والحال أن تغيرا طارئا في اللحظة الأخيرة اجبر المتآمريين على تعديل الخطة. فهذا التعديل المفاجئ في البروتوكول- الاسيما ما يتعلق منه باسم الموكب دفع المتآمريين الى إلغاء العملية.

عموما كان الجنرال (مذبوح) هو الذي ينظم ويسهر على الاستعدادات الامنية وهو الوحيد الذي كان يتكلف به كلما كانت هناك زيارة ما. لكن هذه المرة طلب جلالة الملك من المذبوح بإلحاح بإرسال طائرتين مروحيتين في مقدمة الموكب لرصد أي تحرك غير عاد على طول مسار الموكب، والى أيضا على مراقبة الطريق وجنباؤها على الاخص. خضع المذبوح للأمر الملكي، وما من شك انه حدث نفسه بالقول: «تبا، الى المرة القادمة فالفرص موجودة».

هكذا هانف اعبابو لإلغاء العملية، فبعد هذا الأخير، حتى لا يثير شكوكنا ويعطينا الفرصة للتفكير في الأمر المضاد قبل الانطلاق، ارسلنا الى صفرو، للتدريبات ام للتلهية“ لقد كان اعبابو يملك القوة والسلطة ليفعل ما يحلو له. اما نحن فقد كان واجبنا هو التنفيذ بون مرد او همس، والويل لمن تجرأ وابدى ملاحظة ما او اتخذ المبادرة سنى ولو كانت مبادرة جيدة. إذ ينحطم امره ومساره المهني.

وكما يقال من يقول «السبع لعد خانزه»

على كل، بعد هذه العملية الفاشلة ارندى اعبابو بذلة الاستعراض والنحى بالحاجب ليشارك على رأس الفرقة الممثلة للمدرسة في الاستعراض الذي القيم لاختتام المناورات. مرت الوحدات الاستعراضية امام جلالة الملك ولما وصل امام لواء المدرسة العسكرية الملكية ارندى اعبابو التحية ورد جلالته التحية تصحبها ابتسامة الرضى والتقدير لهذا الضابط الشاب واللامع والمخلص للعملية، ايها الإنسان من ذا الذي يخترع افكاره البغيضة:

الاستعداد لانتداب الضفائر

بعد فشل المحاولة الأولى وجد اعجابيو، الحالم بالمصير الزاهر لتفدية
الاهداف البيعية، نفسه امام مشكلة اخرى: الجمود.

كان لزاما عليه شغل مرؤوسيه باي ثمن، والحال ان التدريب انتهى قبل
اجله العادي. وكان المدربون في عطلة واصبح من الضروري إيجاد حل
لشغل الانهان. اذاعة فكر في حفلة الليلة التي تنظم سنويا في شهر يوليو
مزمنة مع عيد الضفائر. والحال ان اعجابيو كان قد الفى مشاركة المدرسة
بفعل كثرة مواد البرنامج. ومع ذلك فقد كانت تلك وسيلة لتجزية الوقت.
وهكذا اعطى اوامره للاطر حتى تنظم فقرات متنوعة حرص عليها شخصيا
قبل ان يوافق على الشروع في التدريب. شارك الجميع، وكانت الأنشطة
مكثفة ليل - نهار ودامت الولاية شهر ونصف بدون فائتة.

مرت الايام عادية مليئة بالأحلام وقد عمرنا التفكير في العطلة الكبيرة
(الصيفية)، كل واحد منا كان يخلق في خياله مشاريعه القادمة، مستغلا هذا
الترخيص (المرتقب) إلى الصبي حد.

يوم الجمعة تاسع يوليو رجحت اخبار تفيد بإجراء مناورة عسكرية لمدة
48 ساعة بين سليمان. وفي منتصف النهار، وزعت لوائح المشاركين فيها. في
الساعة الثانية زوالا، بدأ تشكيل 25 كوماننو والحصيلة الولاية (الحصيلة
المقدمة)، والتي سميت «الفرة الخاصة» بعدها تم توزيع العتاد والمؤونة
(اكلات جاهزة لمدة يومين). في الساعة السادسة مساء كانت كل السيارات
جاهزة في ساحة السلاح في صف بنيع. كما اصطفت الكوماننوهات من
أجل المراقبة. وقد نطبت الأمر زوال ذلك اليوم كله مما يقتضيه ذلك من صعب
واستعدادات للوصول إلى هذا الاصطفاك النهائي والهدوء المصاحب له.
هذه الحمى غير المعتادة اثار حيرة الليونتان فورانس الطبيب الفرنسي
الذي توجه والمسفرة بلدية على ابتسامته إلى القبطان غول متسائلا:

« كل لي ايها القبطان لدي انتطباع بانكم تهيلون انقلابا.

« لا لا رد القبطان، بلاننا هانئة ومستقرة.

في الساعة السادسة والنصف وصل الكولونيل اعجابيو قائما من فاس

برافقه شقيقه الأكبر الليوتنان كولونيل محمد اعبابو مرتديا لباسه المدني. ثم استعرض الوحدات امامه. بعد ان ثالث رضاه طلب القيام بعملية ركوب الشاحنات امامه. بعد هذا التمرين عقد اجتماعا بالقاعة الشرقية. بحضور شقيقه الأكبر. ضم كل الضباط السامعين. وبعد ان هدانا على مجهوداتنا واطرى على سلوكنا وجيبتنا في العمل تناولنا بالحديث موضوع المناورة وبدا خطابه المهيبا بعكر على الشكل التالي: «انتم تعرفون الاحترام الذي اكنه لكم جميعا والثقة التي احملها لكل واحد منكم. لا يمكنني ان اتجاهل الاحترام والتقدير اللذين تكونونهما لسخصي. سنتظم مناورة من 4 ساعات بين سليمان. عادة تقوم كتيبة (بريفاد) بهذا التمرين. لكنني صارت كتيبرا لكي تتكلف المدرسة بالعملية.

لقد التفتهم بان مدرستنا هي افضل من يقوم بهذه المهمة. ولهذا اعول عليكم حتى تنجح المناورة. المعنى ان يكون الجميع على استعداد. واذا ما وجد بينكم من هو على مرض او عاجز على القيام بالمهمة فما عليه سوى الجهر بذلك وساعديه بدون ضغينة. هل لديكم اسئلة».

خيم صمت عميق عمد خلاله قائدنا الى مراقبتنا بدقة وتعلمني الاحساس وقتها بانه يستطلع اعمالنا او يقرأ تفكيرنا. ولغضت ابصار كثيرة ممن تقابلت عيونهم مع عينيه. لم يجرؤ اي احد على السؤال او الاستفسار. واكثفى العبيدون مثل المؤمن بالنظر إليه دون تفكير. لقد سمعوا تقريبا في اماكنهم فجأة رفعت اصبعي. راني فسألني ضاحكا:

«ماذا هناك الرابض. هل تود طلب شيء ما»

نعم. كولونيل وقد ولت ولغة التحية. اريد الاطلاع بدقة على المهمة من وراء هذه المناورة واعطائنا موضوعها إذا امكن ذلك. وسيكون من الافضل ان نطلع على المهمة والوضعية قبل الشروع فيها. اجابني بدون تردد:

«لا علم لي ولست اعلم اكثر منك وانا نفسي اجعل الامر. لان المسألة بيد الجنرالات. من هنا الى الرباط ستتم الرحلة بدون تاكيتك وبطريقة فوضوية. وهي الرباط ستجدون قيادة (إيطاماجور) متقدمة ستكتف لكم مهمتكم. وانطلاقا من هذه اللحظة سنبدا العملية. على التزوجين إخبار زوجاتهم بانهم سوف يتغيبون لمدة يومين. ثم التفت ناحية مدير التدريب الذي كان يشغل أيضا ضابط الأمن وخطابه بالقول: «ارسل إلي ضابط المتخصصة لأرخص له بإعطائكم حصص غذائية إضافية: ايها

الساعة سنطلق في الساعة الثانية صباحا. انسحبوا.

غابرتنا القاعة وتركناه وحيدا. وقد أثارنا جميعا حضور شقيقه الأكبر اجتماعنا. كان والفا امام الكرة القباب ويتابع باهتمام خطبة شقيقه الاصفر. وعند خروجنا كان يبتسم لنا وهو يصافحنا الواحد تلو الآخر. لم يكن يعرف احدا سواي. عندما راني مد إلي يده مرحبا وقال.
« اه. انت هنا دائما. انا سعيد برؤيتك. اجبتك. بعد التحية الرسمية . واما كذلك ابها الكولونيل. بعدها تكلم علي الضباط باستلثهم حول من يكون هذا الشخص» اخبرتهم بسرته.

فالكولونيل محمد اعجابو يكبر اخاء ياربع سنوات تابع هو ايضا دراسته الابتدائية بالمدرسة الفرنسية بتازة. ثم السلك الثانوي والمرحلة التمهيدية قبل ان يلتحق كطالب ضابط بالمدرسة العسكرية - الدار البيضاء. بمكتسب حصل علي رتبة سوليوتنان سنة 1948. وهو اكثر معرفة ونقاء من اخيه امحمد اعجابو ولكنه لا يتوفر علي الحيوية وروح المبادرة والطموح. وخلالنا لشقيقه الاصفر كان محمد اعجابو نزيها ومستقيما ويعيش حياة عادية وطالما خلفت له نزاهته وروحه النظيفة مشاكل مع رؤسائه. وقد عملت تحت امرته سنة 1950. شارك في احداث الكونغو سنة 1960 قبل ان يعين قائدا ممتازا في قبيلته لتهنئة الاوضاع وضبط الامن بعد الفتح الريف.

بعدها التحق بالمدرسة العسكرية العليا (البيطاماجور) بالقييطرة ونقل بها كعرب إلى حدود 1971.

بعد ان اعطى اعجابو مدير المدرسة اخر تعليماته عاد إلى مكتسب صحبته شقيقه. وقد امر عامل الهاتف - سرا - عدم ربط اية مكالمة او الجواب عنها الي نهار يوم الغد. اما في مقصف الضباط فقد بدأت التمايلق في وقت العشاء. بدأ «ليونتان» فقال منذ بداية النقاش بحسب تحليلي وانطلاقا من بعض عناصر التحليل التي تنطعمني إلى الاعتقاد فإن كل الدلائل تشير بما فيها خطبة الكولونيل باننا سنقوم بحدا مانقلاب عسكري. ضحك كل رفاقه معتقدين بانه مجرد مزاح. والحال انه لم يكن يمزح وكان كلامه جديا. وانا الول هذا عن تربية. نك انه جاضي ساعتين قبل العشاء لحظة توزيع الملونة في المطبخ واخبرني بانه يريد التحدث إلي راسا لراس. عندما اصبحنا في سناى عن الفضوليين قال

لي
- الرئيس انت التدمنا ولاشك انك تعرف اشياء اجهلها. قل لي

بحراحة هل عشت طوال مسارك المهني احداثا مشابهة لما عشتاه اليوم؟
- سألته، إلى أين تريد الوصول؟

- قل من فضلك ماهي الظروف وبأي عند شاركت.

- لقد شاركت في احداث طرفاية (1957) ثم في عملية المسح ضد لحسن

النوسي وجماعته في بداية 1958 في ضواحي صفر و بعد ثلاثة اشهر
من العملية الاولى. وقد كانت ضد متحمدي تاهلة بقيادة ابرشان محمد
بن حبو. وقد سلمونا الذخيرة الحية لاستعمالها.

- قل لي هل يجب بالفعل استعمال رصاص حي في مناورة لمدة 18
ساعة؟

- لا لان المناورة تتطلب اسابيع من الاستعداد على «ماكيت» (نموذج
مصغرا) واكياس رملية وخرائط وصور جوية الخ.. واحيانا تتطلب
مدربين في الميدان لكن بخصوص هذه العملية، لانك ان الامر يتعلق
بتمرين شكلي، نزها الى بن سليمان، جولة لا اقل ولا اكثر.

- وهل لتصور مناورة بنخيرة حية يقوم بها تلاميذ السنة الاولى
تدريب لا تجربة لهم؟ إنها الكارثة.

- لانك في ذلك في أنها عملية مسح.

- قل لي بالنسبة للعمليات التي شاركت فيها، هل كان المتعمرون
سناهضون للكعبة؟

- لا ابدأ، بالنسبة لطرفاية كان التمرد ضد الاسبان وفي المرة الثانية
ضد حزب الاستقلال الذي احتكر كل المناصب المهمة لفائدة الفاسيين.

ما يحيرني هو الغموض في خطبة الكولونيل. لقد اثار شكوكي، انا
انق فيه، لكن ارتياحي، منذ الطفولة، يخلق لي إحراجا، اشترك والمفر لي
فضولي.

احمد النفائس في المصنف ورد احد الضباط، لا اعتقد بأنه انقلاب، بل
هي بالاحرى عملية عسكرية موجهة ضد نقابيين او معارضين من انصار
العرف، واخذ اخر الكلمة، انتم تعرفون بان محاكمة مراكش ضد الاتحاد
الوطني للقوات الشعبية تدور حاليا ونظريا لانزالقات او اعمال
لامسروعة يستعمل الخزن وسائل تهريب، وهذا ما سنقوم به غدا،
سنحبر المدن الكبرى بموكب منجج بالسلاح لترهيب السكان، رفض
الكنبرون هذه الفرضيات غير الموضوعية معتقدين بان المسألة فعلا
مسألة مناورة بين سليمان وبما أن الكولونيل قالها فلانك انه الحق.
يوم السبت 11 يوليوز 1971، في الساعة الرابعة صباحا، غارت

عائلة الشاحنات الهرمومو صوب الرباط تحت قيادة القبطان شلاط الذي عاد من عطلة بطلب من الكولونيل اعيابو والتحق بالهرمومو للمشاركة في المناورة. لقد كان هذا القبطان قد انتهى حديثا تدريبه بمدرسة القيادة العامة بالقطيطة، كان متفكر المزاج تلك الصباح، بسبب التأخير الحاصل لأن ساعة الانطلاق المقررة هي الثانية صباحا في حين ان آخر شاحنة غادرت المدرسة فعلت ذلك في الساعة الرابعة.

في ظل حر الصيف والصحى الليالي للباية الذي يكسره من حين لآخر عواء الذباب البعيد وصياح الديكة معلنة قدوم الفجر. كانت العائلة المكونة من اربعين شاحنة تسير بسرعة منخفضة، وتزق سيف الظلام باضواؤها مواصلة سيرها بصمت عبر الفن حتى لا تثير اذى شبهة حول مهمتها الحقيقية. عندما طلع النهار، كنا قد غادرنا فاس، سلكت الشاحنات الطريق الرئيسية الأولى نظرا لقصر المسافة وقلة التفتلات.

عندما عبرنا مصر مزاحوظاء، كانت الشمس فوق رؤوسنا قد زادت حرارتها، شخصيا بدأت اتصبب عرقا بفعل الحرارة الخائفة، بعد ان مررنا بمحاذاة الضفة الغربية للقطيطة، وصلت العائلة إلى بوقنانل، وتوقفت غير بعيد من المحطة الأمريكية للاتصالات اللاسلكية على بعد 15 كلم شمال الرباط، وجدنا في انتظارنا الكولونيل مرتبيا لميضا صيفيا مزينا بالورود وسروال رمانيا (باطليطان (Panties d'éléphants)، برافله اخوه الاكبر والقيادة العامة المتقدمة (كلهم بلباس مدني) مكونة من الكولونيل عبد الله القابري (عضو برلماني حائبا وعضو مهم في الحزب الوطني الديمقراطي)، والكومندان البريفي لنور - مليس ومالطي وفنوحى (ضابط شرطة)، حضر معهم ايضا الشقيق الاصغر لقائنا السارجان شاف عبد العزيز اعيابو المحاسب بالقيادة العامة واهد القاربه الذي كان يقود سيارة دي إي 21، للكولونيل اعيابو، والضابط مزيرك صهر الجنرال منبوح وابن القائد مزيرك قائد اجنير، امرونا بالتزول للاسفراحة وتناول الوجبة. بعدها تم استدعاء قادة الفرق من طرف الكولونيل نفسه الذي دعا ايضا اطر الفرقة الخاصة.

خان امحمد اعيابو وحيدا في مقعد الركبة وسط مجموعة اشجار، على بعد بضعة امتار وقف شقيقة الاكبر وبعيدا عنهما اجتمع ضباط بوقنانل السامون جنبا الى جنب (ما سعى بالقيادة العامة). بعد ان طلبوا منا تكوين نصف دائرة والالتراب منه بدأ خطبته بصوت هادئ ومطمئن وبيروية دم لالسا: إن المهمة الموكولة إليكم تدعوكم الى

محاصرة منشأتين بالصخور، احتلتها عناصر انقلابية، ليد من الملاقاة المنافذ وإخراج الأجانب من الصلوة ثم اركبهم في الشاحنات. لاندعوا احدا بفلت واطلقوا النار على الفارين، تولى لهيبة ثم اخذ فضيا كان بيد الضابط مبطل ثم رسم على الرمل رسما مستطيلين ثم سرح لنا مواصلا بخريشاته، المسالك والمنافذ، هنا توجد المنشأتان، سانولى قيادة المجموعة الأولى التي ستعبر من الجهة الجنوبية (جهة البيضاء) ويتولى أخي الكولونيل محمد المجموعة الثانية التي ستدخل من الجهة الشمالية (جهة الرباط)، انكرم بان وحدات أخرى من القوات المسلحة تتدخل في نفس الوقت في أماكن مختلفة، انتم ضباط والفروض فيكم ان تعرفوا، إن عروا شاحناتكم وامروا رجالكم بتهدئ سحانات الرشاشات (الشارجور) وحاملي الأسلحة الثقيلة بتهدئ اللغمات (الباند)، أيها السادة استمعوا للحرب انصرفوا التحفنا بعناصرنا بخطوات رياضية لإصدار الأوامر بالاستعداد والسهر على شحن الأسلحة. بامر من الكولونيل قام لاجودان شاف ابو المفلول (صهر اعبابو) بتوزيع البذلات الحربية على كل واحد من الضباط السامين (القيادة الوهمية)، وكانت تضم قميصا وسروالا وقبعة (ك.إ.ف) ورشاشا فرسسيا من نوع بي.إم ماط 49، وشحانان. مباشرة بعد ذلك سارت القافلة بانحاء الصخور، ركب الكولونيل محمد اعبابو في السيارة الأولى للمجموعة الثانية، لبس مدير مدرسة الهرمومو بذلته الحربية ووضع نياشينه الذهبية وتولى القيادة بعد ان تأكد من ركوب الضباط السامين.

في الحقيقة اعتقدت بان هؤلاء الضباط يشككون فعلا قيادة عامة منظمة، والحال انه قد تبين فيما بعد وثناء الاستنطاق بانهم احضروا بالخدعة والتحايل من طرف اعبابو الذي خدعهم بكلام كاذب.

بعد ان غادرنا في اليوم المنصرم، توجه الى مكاني لقضاء الليل هناك والسهر على استعدادات سفر زوجته خديجة بتونة المعلمة سابقا التي كانت ستسافر صباح يوم 11 يوليوز 71 إلى فرنسا لإجراء عملية جراحية خاصة بالكلية، وقد كلف اخاه عبد العزيز بمرافقتها الى مطار الرباط/سلا والإلتحاق به في بوفانل. يوم السبت توجه الى الرباط لتسوية بعض الأمور في القيادة العامة وهناك زار هؤلاء الضباط السامين واخبرهم بنجاحه في عقد صفقة خارقة يمكنه من شراء ضيعة جميلة ورائعة بثمن بخس، غير بعيد عن بوفانل، وعرض عليهم مرافقته

لزيارتها فقبلوا دعوته وكانت تلك هي لغظتهم لما وصلوا الى بوفالو ووربحا لوقت عرض عليهم «خبايا» وبما ان القافلة تاخرت كثيرا، اضطر اعبابو الى الإسراع في تنفيذ خطته هكذا دعا ضيوفه الى مرافقته وبمجرد ان نخل الضاية تولف عند حرش من الأعراش وطلب منهم التزجل عن سياراتهم، وأخبرهم بالحقيقة المرة فنهلوا لهذا، خاطبهم بقوله: «اسمحوا لي ايها الأصقاء» لأنني كتبت عليكم لكنني اجبرت على فعل ذلك لأنها الوسيلة الوحيدة لالتيانكم الى هنا، اليوم هو عيد ميلاد الملك وكل الشخصيات المهمة مدعوة للحضور في قصر الصخيرات، ولهذا السبب، واستغفالا لصدمة المفاجأة قررت انا والجنرال مندوح القيام بالانقلاب» انا انتظر وصول رجالي بين اللحظة والأخرى» على متن (1) شاحنة تقل ازيد من الف مقاتل مدربين جيدا ومجهزين بالسلاح، لقد هبات كل شيء مع الجنرال والقضية مضمونة» قاطعه الكولونيل الفابري قائلا: «اتن انك تمزح .. الانقلاب مسألة تتطلب استعدادا فهو يختلف عن جولة صيد وكيف ما كان الحال لست متفقا معك انهب وقم بالقلابك انا سامكت هناك ودرعا لرفض جماعي، شهر اعبابو مسيسه وصاح بقوله: «ستصبحونني جميعا الى القصر عنوة والويل لمن رفض»» سأل احدهم: «لماذا لجأت إلينا ولم تختر آخرين»، اجاب المتأمر: «لقد فكرت فيكم لأنكم مبعوثون ومستثنون من كل مسؤولية» لقد اردت منحكم فرصة، للاسف خيبتكم ظني» وجدوا انفسهم بين المطرقة والسندان، لاحول لهم ولا قوة لمواجهة شخص عازم على المضي في خطته الى النهاية ولاشيء يولفه، فاضطروا الى مجاراته لأنها الوسيلة الوحيدة للبقاء على قيد الحياة.

لما وصل الموكب، لفت العدد والقوة نظره لما سمعوا «خطبة» اعبابو وحيوية رجاله استسلموا وهم يعلمون ان الجنرال مندوح المتأمر رقم 1، كل هذا طمأنهم قبل ان تفشل المهمة، اتخذوا اماكنهم في السيارات «الجيب» باستثناء الكولونيل (الفابري) الذي ظل يقود سيارته المرسيبس وراء سيارة اعبابو، عبرنا وسط الرباط امام انظار الجميع وكانت الساعة الواحدة والنصف زوالا تحت شمس قاتلة تخنق الانفاس وتجعل الجسم يتصبب عرقا، كانت الشاحنات المصطفة الواحدة خلف الأخرى تسير بسرعة منخفضة بسبب حركة السير الكثيفة و المارة ينظرون باندهاش الى هذا الموكب الطويل وهم يتسائلون: «لا محالة» عن وجهة هؤلاء الجنود بنظراتهم وبسماكتهم المتجهمة، واضعين الأسلحة فوق ركبهم وهذه الأسلحة الثقيلة الضخمة الجاهزة لإطلاق النار.

بمجرد ما غادرنا الرباط التفتت القاذبة العسكرية طريقا جانبية وزابت من سرعتها للوصول بسرعة الى وجهتها، وفي ملتقى الطرق فوق جسر وادي التفليخ كانت مجموعة من رجال الدرك مكونة من الأفراس تسهر على سلامة المرور موجهة العديد من السيارات نحو اتجاه آخر، بل اوقفوا حركة السير حتى يتسنى لنا العبور بسهولة هكذا تحرك موكبنا، وحيدا على طريق ملتهب يطؤه السراب بعيدا، فيما كانت العجلات تنسك انوارها على الزفت اللزج بفعل الشمس الحارقة والرشاشات تلمع بفعل نور الشمس وتللا لأن يراها من بعيد، كنت اتساءل لماذا يتم كشفنا ورصد حركاتنا رغم انه على جانبي الطريق اصطفت فيلات فاخرة بنوافذ عريضة، وبانظوات، وخيام ومارة بلباس الاستحمام ومصطافون اجانب إضافة الى متزهين بمنظارات يتعلمون المناظر، هل هي الامعالات أم اللاوعي؟

على كل لقد سررنا دون ان نشير الانتباه، فجاهد لاح امامنا قصر الصخيرات، دخلت المجموعة الأولى من الباب الجنوبي كما كان مخططا لها، وعبرت ملعب الغولف والتفت الطريق المؤدية مباشرة الى الباب الرئيسي للقصر. عندما وصلت المجموعة الثانية قبالة الباب الشمالي في نخرج على اليمين، اوقفها الحراس ومنعوها من المخول، امر الكولونيل محمد سائق الشاحنة الأولى بالضغط على مفود السرعة حتى يخترق السلسلة الحديدية ويفتح طريق المرور للموكب كان الحرس مكونا من احد المراد الحرس الملكي بينلته البيضاء ومظلي بينلته الفهود، وبركي بينلته الرمانية وجزمنه العالية ورجل امن ورجل امن سري وموطار، وشاغت لماذا لم يستعمل الحراس اسلحتهم علما بانهم كانوا كلهم مسلحين وعوض الصراخ والتهديد بإطلاق النار، كان عليهم القيام بواجبهم في الدفاع عن القصر ماداموا هناك لهذا الغرض.

لو كنت مكانهم لغمت بالواجب الذي نترنسي لهولة للقيام به عوض التهديدات غير المجدية التي لم يلفت إليها احد على كل حال.

عبر موكبنا ايضا للملعب العشوشب المترامي الأطراف الى ان وصل البنغالوا، لم تولف جانبا على مرعى شاطئ جميل برمال تكاد تكون بيضاء لامعة مثل كريستال وعندما راوا المجموعتين كل واحدة تقرب من جانب لمحاورة القصر مثل كمانشة، سارع المدعوون الأكثر نكاه او احترازا الى الفرار قبل الحلاق الدائرة بدا الهروب، البعض مرتدبا لباس الاستحمام والاخر مرتدبا سراويل لكن الدمامه حاجبية، الكل كان يجري

مرتبكا لا يدري اي وجهة يتجه. المهم هو الابتعاد قدر المستطاع. مقابل هذا كان الآخرون ينظرون الى المشهد مستفربين. وقد تملكهم العجب او استمد بهم الرعب فلبوا مثل المصنطين. كان منهم ايضا من شذَّه ولم يجر تفسيرا لما يحدث. ومنهم من لم ينتبه وواصل لعب الغولف بشغفه منحكما وهو يرتشف شرابا منعشا او تأس شاي بالنعناع. توقفت المجموعة الثانية من الشاحنات في نهاية المر في ساحة رملية انتشرت فيها شجيرات صغيرة هنا وهناك. وقتها انتبه لاعبو الغولف الساهون الى الخطر وهربوا. بعضهم اتجه راسا الى البحر لعله يصل الى احد السواحل المجاورة. اعتقادا منهم انها الوسيلة الوحيدة للإفلات بحلولهم والبعض الآخر اتجه نحو الطريق فكان نك سببا في هلاكهم. بعضهم رفض الهروب وكان من بينهم اللدام عبد القادر لوباريس الذي رفض الفرار ومنعته شجاعته وانفته من ذلك فظل واقفا في مكانه. وعندما ترجل محمد اعيايو عن سيارته «الجيب» توجه الكولونيل لوباريس نحوه وهو يصرخ فيه «ارغى وازيد» ثم بدا يحثه: «اعيايو ماذا تفعل. هل تعلم اين انت. دير علك وترزق والعن الشيطان. عد الى رسك وع ما تفعل هذا ان يفوتك إلا الى الضياع».

اجابه اعيايو مهيدا اياه برشاشه:

«ابتعد عن طريقى وإلا قتلتك حذار، انا لا امزح».

تقدم اللدام لوباريس الكولونيل قائد المظليين بضعة امتار بحذر وقد فرد ذراعيه على شكل صليب احسست بانه اراد من وراء عمله هذا ان يحس القصر بجسده. بل بكل كيانه. وقد كان قائرا على ذلك كرجل حازم كان ينتظر اول فرصة وانهاها ليطلق على المتأمر وينزع سلاحه. بدا انه على وشك القيام بذلك. صرخ بكل قواه بصوته الغالذ الذي زاد الاجواء كابة:

«دير علك اعيايو .. نحن نعرف بعضنا جيدا، فكر جيدا فيما تفعل. فما تريد ان يوصلك لشيء ..» اولفه مخاطبه الذي تجاوزته الأحداث.

«ابتعد عني وعن طريقى إذا كنت تريد ان نظل على قيد الحياة» اجابه لوباريس: «تهديداتك لا تخيفني» واصل تقدمه بنفس الحيلة والحذر حتى يمتع اعيايو من التلقم. غضب اعيايو من عناد هذا الشخص. هذا الطائر الذي سيضيع لاحالة المهمة التي كان اعيايو يستعجل القيام بها. فضغط على الزناد موجها سلاحه الى الجزء السفلي للجسد. نوت رسفات الرشاش وسقط الكولونيل لوباريس ارضا وقد احترقه

الرصاص، بعضها مباشرة اعطى الرامي (من الرماية) الأمر بالفرجول عن الشاحنات واطلاق الرصاص، كانت تلك هي البداية التي جعلت تلامذة الضباط يتحولون الى «انقلابيين» بدون ارادتهم، فنفطوا من الشاحنات وبدأوا في اطلاق الرصاص كييطعنا التلق نون حتى ان يعرفوا لماذا يفعلون ذلك.

قتل العديبون او جرحوا بالرصاص الطلائش الذي اطلقه مجنونون شبان في سنتهم الاولى . تداريبه شبان غير مجربين بل حتى اولئك الطلبة الضباط الذين بلغوا السنة الثالثة اصابهم الرعب والارتباك من جراء كثافة النار ومن جراء هذه المفاجأة التي لم يكونوا يتوقعونها. فنفوا السيطرة على حركاتهم، لقد اعتقد تلاميذ اهرمومو بانهم فعلا يقومون بتعريف على القتال، فبدأوا اطلاق الرصاص على الهاربين وعلى كل النقط المشتبه فيها، ساد الهرج والمرج ولم يعوخوا يسمعون حتى اوامر رؤسائهم الذين كانوا يصرخون بوقلـ اطلاق الرصاصـ ورجائنا الذين هالهم الرصاص المتواصل وانفجار القنابل من كل جهة والرشاشات التي كانت ترمي بالنيران مثل التنين، لم يجسوا فقط صعوبة في وقف اطلاق النار، بل رفض بعضهم ذلك متظاهرين بانهم لايفهمون كان منهم ايضا من سارع، بمجرد بداية اطلاق النار، الى الازتواء تحت الشاحنات وظلوا مختبئين في مناي عن الرصاصات الطائشة، خلافا لذلك كان العبيد من زملائهم يطالبون الهاربين للقبض عليهم وطرحهم ارضا قبل تقديم تقرير، بعضهم كان يشعر الهاربين قبل اطلاق الرصاص واخرون لم يفعلوا، كانت الاغلبية الكبرى منهم، إن لم يكونوا جميعهم، يجهلون المكان الذي كانوا فيه و المهمة التي جاؤوا من اجلها. بداء ومنضبطين: كذلك كان اولئك الانقلابيون الذين يتنفون بدون تفكير.

كنت اصرخ مله صوتي لنخ الطلبة الضباط من اطلاق النار، واطلب منهم ان يسوا المنافذ والمخارج والقبض على الهاربين وطرح الجميع ارضا فجأة، رايت على بعد مسافة قليلة مني ثلاثة طلبة ضباط، وقد تنطلقوا اسلحتهم ينظرون باندهاش الى البحر، التزبت منهم فلاحظت انهم كانوا ساهين إن لم نقل منهولين، سألتهم عن سبب هذا الموقف فكان جوابهم:

«مون ليتونو، اسمح لنا هذه اول مرة نشوفوا فيها لبحر .. وقد اعجبنا للرجة نسينا مهمتنا، لم انصرفوا للإنشاق بزملائهم، بعض

الضيوف لم يتركوا ما بطع واعتقدوا أنها مزحة لإزاعهم فوقفوا
بينرجون في الجزيرة التي طالت اصقاعهم ولم يشرعوا في الهروب إلا
بعد ان راوا الدم ارتبكوا فبدأوا الركض في كل اتجاه بحثا عن ملجأ.
توقفت المجموعة الأولى أمام الباب الرئيسي للقصر. ويامر من احمد
اعبابو. مدير المدرسة. نزل الطلبة الضباط من شاحنتهم وبدأوا في
اطلاق النار عشوائيا. في كل الاتجاهات. عم الارتباك والرعب وسط
ضيوف جلالة الملك وبدات الفوضى في صفوف هؤلاء المتطلعين الذين
جاؤوا لتكبير اجواء الحفل .. لقد فكر الجميع في كل الاحتمالات إلا في
كون ما يجري انقلابا عسكريا.

تقدم احمد اعبابو نحو المدخل الرئيسي للقصر شاهرا مسنبا في
يده. وامر رجاله بتجريد رجال الدرك من سلاحهم وطرح الناس ارضا.
وسرعان ما وقف في وجهه سوليوتنو دركي قائد المجموعة وقال له .مون
كولونيل. ممنوع الدخول بدون رخصة. فكان جواب اعبابو .الحرب عن
وجهي وإلا فتلك مثل كلب. استل الدركي سلاحه وهو يخاطب اعبابو
.لا كولونيل. ما غامض نخليك تدخل. ثم سيد مسدسه واطلق النار
فاصاب الكولونيل اعبابو في راعه الأيمن. فرد هذا الأخير بدقة الكبر
فقلعه برصاصة عن قرب. هذه المبارزة غير المتولعة اشعلت شرارة تبادل
اطلاق النار. وبدأ اطلاق الرصاص على كل من وما يتحرك. ولم تنج حتى
السيارات الواظفة التي صب عليها الضباط الطلبة جام غضبهم.

انت خانن .. وانت ايضا

امر امحمد اعيابو الذي كان في الجهة الجنوبية من القصر رجاله بالدخول وطلب شقيقه الاكبر محمد من الجنود محاصرة مناظر القصر و منع الفارين من الخروج، كانت الاوامر قد صدرت في بوقنايل بتصفية كل من سولت له نفسه الهروب. لقد كان المتأمران مصممين العزم ولم يتراجعا امام اي عراقلة فهذا امحمد قتل ضابط الدرك وهذا اخوه محمد اصاب الكولونيل لوباريس إصابة بليغة.

يوماً كانت الشمس حارقة وكانت التجمعات شظايا الزجاج الاسمي للسيارات الفضة تعمي ابصار المجندين ولتزيد من ارتباكهم وتوترهم. امام اعينهم انتصبت اماكن الشواء وخيام دخلها المدعوون للانعاش والدرشة وتناول المرطبات، بعض الطلبة من اوساط محافظة او تقليدية ربما، قنعوا الغيام بالقنايل معتبرين انها منسفاً فجرح العديد من الضيوف وبعضهم غامر المكان وهم يتوسلون للمهاجمين والمعتدين الذين نخل بعضهم الى المصنف المتحرك الموضوع على سكة حديدية واخرجوا من فيه ضرباً باعقاب الاسلحة والركل غضب الكولونيل خرابة، الذي كان مرتدياً بذلة عسكرية من هذه المعاملة وثارت ثائره لسلكه، البزء (BLEU) فصاح بلهجة الامر: «لاتمسوني فانا الكولونيل خرابة، فكان ان انتهالت على ظهره الضربات لإجباره على الصمت ووقع عنوة واطيح به ارضا الى جانب الآخرين.

اعطيت الاوامر بوضع الاجانب في الشاحنات والكل حطاً من بينهم اسيدت معاملتهم واجلسوا على ركبهم رافعين ايديهم او طرحوا ارضا مثل الآخرين، مولزة مع ذلك رمى لاعبو الغولف انوات اللعب بمجرد ما سمعوا رشقات الرصاص واوروا باتجاه البحر، في حين قفز المتعلقون حول المائدة، منهم من اختبأ اسفل الطاولة ومنهم من فر الى الحمام بمجرد ان انفجرت القنايل تحت اقدامهم، وقد بلغت كثافة النيران درجة استحالته معها الحركة، واصابت الرصاصات كل من غامر او ارتبك. شخصياً اسنات وحزنت عندما رايت السيد بويري سفير بلجيكا يخر صريعاً تحت رصاص اشخاص لايعرفونه ومتأكد من أنهم ما كانوا يوبون قتله.

حولاء الفتنة بالرغم من انفسهم كانوا يقتلون لانهم اسروا بذلك لقد اصيب الامير مولاي عبد الله، شقيق الملك (رحمهما الله) برصاص جنود كانوا يطلقون الرصاص عشوائيا، وسقط مغشيا عليه ولا احد انتبه الي انه مصاب والدم ينزف منه. في ذلك اليوم كان الكل في هم واحد ولم يكن هناك تمييز لا في المرتبة ولا في القرابة ولا في المنصب يوما كان كل واحد يفكر في نفسه ولا احد يفهم جازم، وكان السفراء يكتشفون عن هوياتهم للنجاة من المجزرة وكانوا يركزون على نكر اسماء بلدانهم لعلهم يحفظون بتعاطف الانقلابيين والحال ان هؤلاء لم تكن لهم اية سبوات ولا نزوعات فلم يكونوا مناصرين لا للروس ولا للامريكان وللصينيين كما لم يكونوا ناصريين او كاسبريين او قذافيين. والانكى من هذا ان هؤلاء المنصريين لم يكونوا، لامن انصار الجمهورية ولا ضد الملكية، وكان عملهم قضية عطف محضة لاغير. وباستثناء الرؤوس الثلاثة المدبرة والمناصرين الرئيسيين الذين كانوا على علم بالهدف والمبتغى، كان الكل يساير الموجة على امل ان يجد في اللحظة المناسبة منفذا للهروب، لقد كانت الصخيرات يوما مثل قطار يسير بسرعة جنونية، يقف كل راكب منه قرب مصعد الباب في انتظار اول منعطف للقفز، وحدها نقط القفز كانت تختلف من واحد الى اخر.

اما الضباط السامون فقد غضبوا لمعاملتهم على قدم المساواة مع الاخرين، فقد دفعوا دفعا وضربوا ضربا واهينوا من طرف اشخاص وجدها فرصة للانتقام من المرافعة، لم يحترموا الجنود. كنت واقفا وسط الجبلت والجرحى المستقيمين، بعضهم كان يئن والبعض الاخر بنوسل الرحمة من جنود صم فلدوا السمع او بالاحرى لم يربوا سماع نوسلاتهم، لقد كان الجنود يركضون في كل اتجاه وهم يصرخون ويهدون ويشتمون ويلعنون بعد ان نالوا ولم يحبروا معرفة ذلك لان الاوضاع تجاوزت مستوى ابرائهم وقدراتهم على التحليل، بعضهم زرع في نفسى الرعب بفعل عنوانيتهم ومواقفهم العدائية، كانوا ينفنون اوامر امحمد اعيايو فقط الذي استغل المناسبة وشحنهم عنفا وزأهم اسفرازا.

وسط هذا الصخب المرعب والفوضى العارمة، لاح شخص كما لو كان خارجا من وسط الضباب، توجه للقاء امحمد اعيايو، غاضبا، وسأله بلهجة الامر: «ماذا تفعل اعيايو؟ انت لم تحترم اتفاقنا».

اجابه اعيايو: «لاباس يا جنرال، وعلى كل لقد اتعمت المرحلة الاولى و عليك الان الانتقال الى المرحلة الثانية» كانت لهجة اعيايو نسي

بالاحترام والهدوء، لكن مخاطبه حافظ على نبرته الغاضبة.

● اوقف هذه الفنانطازيا، لقد سبق وامرتك بالا تطلق اية رصاصه
مهما حدث.

■ نهاز كبير هذا، ورجالي ناشطين ومتوترين، اليس اليوم يوم عيد،
مون جنرال؟

فرد الجنرال في الحال:

● هذا حمام دم، لقد لطخت يدي

نوتر اعبابو وسأل بلهجة غاضبة.

■ اللي كان، كان، ودابا عين هو؟

● إنه في مكان آمن ويريد رؤيتك للحديث معك.

رد اعبابو: «هل تنازل، يا جنرال».

رد مخاطبه بشكل الي:

نعم وننازله في جيبي، والان لنذهب للقاءه.

تردد اعبابو أوكل أن انه لاحتار فسأل:

لكن إذا كان قد استسلم لماذا سانهب لرؤيته؟ من الأفضل الانتقال
الى المرحلة الثالثة.

الح مخاطبه على اللقاء وان يتم بينهما راسا لراس فكان رد اعبابو
«سانهب بمعبة رجالي» هنا رد الجنرال «اطلانا! سيبجلي رجالك في
الخارج».

تظاهر اعبابو بالمواقفة وتقدم خطوات نحو الداخل، ثم لعزنا وأشار
بحركة من راسه ان اتبعوني، نخلنا القصر، وهنا اصبت بالخيبة، إذ
خلانا لما يحكيه الناس لم نجد لا اعمدة من ذهب ولا سلعا منحوتة
وارضية من رخام اسود لامع ولاثيريا من الماس ولا اشياء يعمي بريقها
الابصار.

لم يكن قصر الصخيرات يحتوي على اي شيء خارق، بل كان يشبه
اية إقامة في ملكية برجوازي متوسط، كان بناؤه المستطيل بهنسة شبه
عائدية وارضية مزينة بموزاييك ابيض واسود. وفي الجهة الغربية
انتصبت اركان زجاجية عائية يظهر من ورائها المدى البحري على
الجانب الشرقي اصطلت الغرف والحمامات والمطبخ وبعض المخازن،
في الوسط انتصبت قبة زرقاء رائعة، حين استشرت جهة الجنوب، نهلت
للعدد الضخيم من الجثث الممددة ارضا بجانبها بعض الجرحى بالكاد
يرفعون ايمانهم طلبا للإغاثة، احصت بالانتمنازل والغنيان امام هذا
المشهد المرعب ولم اصنق او انصور مثل هذه الجزيرة في فترة وجيزة

من الزمن، وما من شك أن دراسة الإنسان لا تقارن، ذلك لأن الوحوش نفسها لن تتركب مثل هذه البشاعة، أما توحش الإنسان فلا حدود له. كنا نمنى إلى جانب اسعد اعيايو الذي كان يعشى وراء الجنرال، ولجاء استدار هذا الأخير نحونا مباشرة وأمرنا «ابحثوا في كل مكان واخرجوا الجميع ولا تدعوا أحدا في الداخل» ثم التفت جهة اسعد اعيايو وقال له: «لأنك أنه في الداخل (المقصود المغفور له الحسن الثاني) وسجدته سي نعزم، شحوب وجه اسعد اعيايو لأن سلوك الجنرال صار يتغير سلوكه أكثر فأكثر، فرد عليه في الحال، لكن، مون جنرال، حسب فهمي لم ندم بتفبيده، لقد وعظمتي بانني ساجده مولوقا .. إن هذه المرحلة لم تكتمل وقد خفتني ..»

رد الجنرال: «لقد خفتني أنت أيضا، لأنك المسيت خطتي بتغيير الأوامر. كان عليك ألا تعطي الأمر بإطلاق الرصاص .. لقد كنت أريد انقلبا ابيض .. وليس حمام دم.»

ولوضع حد للمناقشة العادة، انصرف الجنرال بعد ان اصدر اوامره للطلبة الضباط بتنظيم وضع السجناء، اما اعيايو الذي احس بالخيانة فقد امر كلا من د. و. ب. بقتل الجنرال.

نقد الضابطان الأمر بدون تردد أو تفكير، إذ ضلعا في نفس اللحظة على الزناد فانطلقت رشقات طويلة وقاتلة من الرشاشات واخرقت جسد الجنرال الذي خر صريعا في الحال، في تلك اللحظة ظهر الدكتور بنعيش موجد الموت في انتظاره أيضا.

لقد سلف الجنرال منبوح رجل ثقة الملك بعد ان خانته كما فعل والده الذي «باع» الزعيم والبطل التاريخي محمد بن عبد الكريم الخطابي للعوات الاستعمارية، لقد كان من عادة الجنرال الخيانة، وربما كان ذلك جزءا من كيانه، إذ سبق له في 1961 أن «افشى» في آخر لحظة سر المنامرين، الذي كان واحدا منهم، من أجل نيل تقدير وثقة الملك والإرتقاء السريع، ولما وصل إلى قمة السلم سقط منه ليس لأنه خان بل لأنه هو نفسه قد خانته مرؤوسه الذي استهان به لصفه سنة وانعدام تجربته، ورغم انهما كان ينحدران من نفس القبيلة «مزناية»، وكانا شبيه «صعيق» فإن طباعهما كانت تختلف وما كان يربطهما يومئذ هو التامر وحده، لقد كان اعيايو يعلم أن المنبوح خائن خطير لن يتردد في نسخيره والنضحية به، لكنه (اعيايو) كان في حاجة إلى مظلة رسمية لينتقل في سلام من المرصوم إلى الصخيرات وإلى شخص نافذ

للسيطرة على الجيش في حال طرا طارئ ما، اما المنبوح فقد كان في حاجة الى القوة والى منفذ لمنوح ومقدام وقد وجد مبتغاه لدى اعيابو وبالرغم من انه كان يعرف ان هذا الضابط السامي الشاب اناني جدا ولا صغير له وماكر ومشاعبه لقد جعله شريكه في هذه المهمة.

وهي الواقع لم يخلق الرجلان ليتفاهما، فالجنرال كان رجلا نزيها ومستقيما وصاحب مبادئ افضالة الى ان عمله في وزارة البريد وكعامل اقليم ووظيفته في القصر الملكي جعلوا منه رجل سياسة وإدارة وحوار. في حين ان شريكه كان شخصا غير نزيه، ينتهك القانون وجشعا يجب المال اي، مثلا، بكل ما في الكلمة من معنى سواء على المستوى المادي او المعنوي.

فبعد ان وصل الى الصغيرات، تولى القيادة بعد ان الغى رئيسه وغير مجرى العملية وغير اوامر المنبوح الذي تبين انه كان مجرد نزيعة للوصول الى الهدف، اما هذا الأخير فقد كان ينتظر محاصرة القصر ووضع رجاله في امكانهم والقوة في متناوله، ثم يستغنى عن خدمات اعيابو بعد ان يدعو للخول معه الى القصر ويصفيه جسديا عندما يحتلي به، لقد كان كل واحد منهما يبحث عن الوسيلة للتخلص من الآخر. فعندما اراد المنبوح التخلص من شريكه لفي حنقه، اما اعيابو فقد زاد من حدة الوضع بقتل صاحبه.

شخصيا كنت متاكدا ان احمد اعيابو قد فقد الامل، ومع ذلك .. انزب منه الضابط (ASTRE:184) احمد مزيرقي، صهر المنبوح وهمس في اذنه، مون كولونيل لقد حنرتك من هذا الخائن، فهو صهري ولم ارتح له ابدا، إنه نعلب. الى اعيابو نظرة اخيرة على شخصيته وهو يقول: نيا له، لقد استحق ما ناله، طيب الآن تقموا، تبع كل الحاضرين اعيابو الذي امرنا بوضع الرهائن كلهم في طابور ثلاثي الصفوف، ثم بدا يمشي النظر فيهم، ويتفحص وجوههم، عندما رآه الليونتان كولونيل احمد الخياري خرج من الصف ليحكي صديق طفولته في الفوج اعيابو ولعلقت اساسا من غضب الجنود الذين كانوا ينطقون السجناء من العذاب لإهانتهم، وبعد ان صالح صديقه عائلته، سيد اعيابو مسسه الى على الخياري ثم ضغط على الزناد مطلقا رصاصة واحدة اربته قتيلًا.

لم يكن لهذه الحركة الخسيسة والقاتلة سوى تفسير واحد وهو ان اعيابو فقد الثقة في الجميع، ذلك ان خيانة المنبوح الذي ينتمي الى مبيدته نفسه ما جعلته يرثاب ويحناط خاصة وان الخياري كان ابن

سابق الجنرال بولغرين الخياري الحاضر في عين المكان لقد كان بإمكان
خمين الأخيرين أن يغيروا مجرى الأوضاع التي أصبحت كارثية في وجه
المناصر رفد. كان كل الرهائن والفقير وقد رفعوا أيديهم أمام الكولونيل
اعبابو الذي كان ينظر إليهم نظرات شذراء مثل حيوان مفترس باحث
عن طريدة، وكلما طال بحله ازداد ثوتره وحنقه وعوانيته. كان من
بين الحاضرين سفراء معتمدون في الرباط وزراء نواب برلمانيون
رغماء احزاب سياسية ونقابيون موظفون سامون جنرالات رجال
اعمال ضيوف اجانب فنانون كلهم وقفوا جنباً الى جنب مع السنافين
والطباخين والمدرسين ... إلخ، كما في يوم الحساب وقد وقف اعبابو كامر
بامر نفسه بيده حياة الناس ومعانهم: كان العرق يتصبب منهم بفعل
الحرارة الغارطة وبفعل الخوف من التصفية الجماعية أيضاً. احد
المدعويين اخرجه الجنود من خيمة الإسراحة وهم ينهالون عليه
بالضرب باعقاب البنادق فخطبهم بقوله: «عم تبخلون هنا، فنشوا
بالحرى في داخل القصر. هناك لديكم فرصة كبيرة للعتور عليه
او المقتود المغفور له الحسن الثاني» اعتلقوا بانه بصبر إليهم اوامر.
صرخوا فيه بغصة واحدة تقدم ايها البرجوازي الخطير. اليوم لم يعد
لك الحق في الكلام. لقد سلطنا تجارا مثلك بمنصون معنا - وقد كنت
لاخفك منذ البداية حقد الجنود على الاثرياء. فالثراء اثار حنقهم ولهذا
بخالبوا بعوانية كبيرة على كل الأشخاص الذين كانوا يحملون اشياء
سعيدة. فعمدوا الى الاستيلاء عنوة على العهود. والسلاسل اليدوية
والساعات الذهبية والخواتم ويسطوتها من اصحابها ويرمون بها في
الساحنات! واصل امحمد اعبابو جولته وكان العديد من الرهائن
حبيونه ويبدون علامات التعاطف وبعضهم لم يشورخ عن تشجيعه
وباميد. بل كان منهم من اراد إثارة انتباهه استمررا لرحمته او طمعا
في امتياز! بعضهم نجح في الحصول على ما اراد ذلك ان اعبابو امره
سفلهم الى الظل وسفلهم ماء يشربونه هؤلاء المحظوظون الذين نالوا
الحماية من الشمس والرماس وربما القتل الجماعي كانوا من
الحاشية وغيروا ولاهم مثل الحبراء وابوا استعدادهم لخيمة اعبابو
للعلامات بجلونهم. لقد كثر التاريخ نفسه الم يكن هناك من خدموا
لويس السادس عشر. لكنهم تحولوا فيما بعد إلى لوار واولئك الذين
خدموا نابليون قبل ان يحنوا رؤوسهم لمن جاء بعده بعد رحيله هؤلاء
الناس لا يستحقون الاحترام اي احترام. لانهم يغيرون مبادئهم مثل ما

بغير اخرون منابيلهم، كانوا ينتظرون إشارة من اعبابو، لكن هذا الأخير كان مشغولا باشياء اخرى مواصلا بحثه وتنظييه، بسمات منجهمه ونظرة حاقدة ونافذة وقد ثنى نراعه لولف نزيف الجرح امسك باليد الأخرى مسدسه الفاتشم، فجاءة تولف وابتمسم ابتسامه شامته وتوجه الى الكولونيل بولحيمص قائد الدرك الملكي وامره بلهجة متعالية بالخروج عن الصفه ترصد هذا الأخير قبل ان يستجيب للامر مفرا لانك ما كان ينتظرك، واخيرا ايها الكولونيل جيت فذامي، شحال سننتيت هذا النهار .. العالم صغير كولونيل اليس كذلك».

كان الكولونيل يعرف انه سيموت، لكنه حاول مع ذلك ان يثني اعبابو عن قراره، فتوصل إليه وترجاء منتحيا، لم ألحظ على سلامح نابليون الصغير في اية لحظة من اللحظات اى علامة على الزهو او الافتخار، بل خان على العكس جامد القسماات وقد احبطه سلوك عدوه إن لم يثر ضجره نوعا ما، لقد اراد منه المحافظة على انفة الضابط وان يموت كذلك، لقد تعنى ان يقلته هو شخصيا، لكن هذه الرغبة انتفقت ليحل محلها إحساس بالخيبة والمرارة، شخصيا كنت المفضل ان اراه يموت واقفا، بانفة وعزة حتى لا يبلطخ سمعته كضابط هارم ترعد له فرائص مرؤوسيه.

امر امحمد اعبابو احد الطلبة الضباط بقلته، فاطلق هذا الأخير النار بلا تردد، فخر بولحيمص صريعا، تقدم اعبابو دون التفات، لكن جنيا اخر اخبره بانته لم يموت وانه جريح فقط عاد القهقري ولاحظ بان الجريح لم يلفظ انفاسه، فوضع قدمه فوق راسه واتشار بمقنعة جزمته (برونكان) الى الصدغ وقال جندي، اضرب هنا، وضع هذا الأخير ماسورة بنظيفته من نوع غاران 7.24م في المكان المشار إليه وضغط على الزناد وقد كانت الطلقة عنيفة الى درجة ان جسد الجريح كله انتفض قبل ان يهدم نهائيا.

واصل اعبابو تفقد الصفوف نهابا وإيابا، وفي لحظة ما خاطبه المرحوم غلال الفاسي، الزعيم الوطني وزعيم حزب الاستقلال، واحد ابطل تحرير المغرب، اعترف اعبابو بليل للزعيم غلال الفاسي الذي اراد النحدث إليه وقال: «من بعد اسني غلال، لحادي نشوف من بعد .. كان المرحوم غلال الفاسي مجروح اليد بفعل شظية قنبلة تطايرت، وكان رحمه الله ينزف وفي حاجة لعلاج لولف النزيف، لكن لا احد اهتم للامر، كما هو الشنان مع الجنرال الصفريوي الذي جرح في رجله ولم يقدم له

أحد المساعدة في الحال، أما المحجوبي أحرضان زعيم الحركة الشعبية، فقد استيئت معاملته من طرف الطلبة الضباط الذين تظاهروا بانهم لم ينصرفوا عليه، وقد أسروه بخلع حدائه لفعل ولكنه ثار وازيد عندما طلبوا منه خلع ملابسه وصاح فيهم «او هو، إلا هذه، انا مائتي فرد، وسرعان ما وضع تدخل سرجان من نفس منطقة أحرضان حدا لهذه الحكاية.

في الجهة الجنوبية كان حشد كبير من الحاضرين معدا أرضا بحرسه الحراس حراسة مشددة، إضافة الى فيض العدوانية نجاء هؤلاء المدنيين العنيديين والبايعين بكبريائهم والذين ينفنون الأوامر ربحا عنهم بغضب واضح، كان شخصان الثنا، ببذلتها المدنية، يشعلان الاستثناء الوحيد للأوامر الصارمة المعطاة، هما الجنرال بولغرين خياري والجنرال حمو امحزون، كانا والذين باحترام لايمسهما أحد بمن في تلك ضباطنا الغاضبون والعدوانيون، القربت من الأول وسالته حرفيا: «سلامي ايها الجنرال، قل لي من فضلك ما الذي يحدث هنا؟ كان من المفروض ان نقوم بمناورة في بنسليمان وإذا بنا في الصخيرات .. اجابني بلب وهود: «اعتقد ان من الأفضل ان تسأل في ذلك فأنكم سوف تخبركم لاحالة بالوضعية، اما الثاني - الجنرال حمو - فقد كان هو الذي يابري بالكلام قائلا: «أريد الخروج من هذه الفوضى، هل يمكنك ان تاتيني بسيارتك التي حبسها ضباطكم، اجيبته: «انا اسف مون جنرال، لايمكنني مغادرة مكاني، وعلى كل حال انا لا اتقن السياقة، (وتلك كذبة معضوذة وثريعة غير قائمة)، الآن انا نادم وساخط على نفسي لانه كان بإمكانني ان انقذ هذا الجندي الكبير الذي ذاع صيته في الجيش الفرنسي، وان اخرجه من هذه الكهانة حتى يذهب بعيدا عن الصخيرات، كان ذلك سيمكته من الإفلات من المحكمة العسكرية.

ظل الإثنين مسمرين في مكانهما، بلا حراك ولا قوة واعزلين، بنفرجان ساخطين على الجزرة.

في البداية اعتقد العديد من المشاركين بان الأمر مجرد مناورة حتى وإن راوا الموتى والجرحى مفترضين ان مرد ذلك الى الإهمال؛ بعضهم ظل يعتقد بانها عملية عسكرية ضد عناصر انقلابية (!) لاسيما عندما كانوا يسمعون اعجابوا، كل مرة، يصيح «عاش الملك القيصوا على الخونة واقتلوا الجبناء» عاش الملك تقدموا، كان هذا تحافيا لشحن عواطف رجاله ودفعمهم الى ارتكاب الفظائع وكثيريون تلقوا اوامر اعجابوا

معتادين انهم يخدمون الملك.

عاد الهنود بعد ان تولف اطلاق الرصاص بشكل فجائي يتسببه انقطاع مطر منهمر، وقرر اعيابو الدخول مرة ثانية الى القصر من اجل عفتيش جديد، وزع المهام على رجاله وتجول شخصيا يتفحص وجوه الموتى، استغل الطلبة المناسبة لبدأوا يسلبونهم نفائسهم واموالهم، في الداخل كانت الموائد والاكالات البانخة قد تطايرت وتناثرت فوق الارض وقد داسها الجنود بجزماتهم الموحلة. شخصيا ولقت مشيها امام المانيات الغنية ولزمني شخص اخر حتى يشرح لي الفرق بين الخامير والصومون والانفوست، لم يكن الضباط مخدرين او مسجونين ابيولوجيا في اعتقادي، ذلك انهم كانوا يجهلون المهمة التي جاؤوا من اجلها وربما انارتهم النعمة والاناقة لدى الحاضرين، فهم من اوساط قروية او مدن الصليح عاشوا حياة تلتف قوت لئبهم خلفا دعيا وموارثا ضد البرجوازيين الذين اغتنوا على ظهورهم، وفي هذا اليوم انتقم بعضهم من «البجاج لبيض، المتعالي والمتكبر ورفضوا وقف اطلاق النار الذي اصدر امره رؤسائهم، لقد انفجر البركان داخلهم يوما بسبب النظام الجهنمي الذي اخضعهم له ضباطهم و- سبب الضغط الذي عاشه اهلهم وعاشوه هم ايضا والممارس من طرف رؤسائهم نوي الافكار المغامرة .. لم استطع تفسير سلوكهم، فبلى حدود صباح ذلك النهار كانوا تلامذة مؤيدين هائلين منصاعين وفجأة تحولوا الى حيوانات بعيون جاحظة والسمات ابيضت بياضا مرعبا والهواء مزبدة ونظرات تائهة مثل المخدرين، وما كانوا كذلك واعتقد انهم نابهون- وسط هذه الاجواء توجه السارجان شاك سرور وهو شخص عبر متعلم قضى 15 سنة في صفوف الجيش الفرنسي الى قائد الكوماندو والذي ينتمي إليه وهو سوليوتنان متعلم وعلى علم ودار بينهما الحوار التالي:

● مون ليوتنان اش كال ليكم الكولونيل اعيابو؟

■ شخصنا نحاصروا المانيات في الصخورات فين كايين انقلابيين ونضربوا بالرصاص.

● لا، احنا غادي نغيرو انقلاب.

■ وانت احمق؟ اعيابو ملكي وعائيش مزيان ..

ولما تبين له ان سرؤوسه كان على حق بدأ يبحث عن ابيه وسط الرهائن ثم ركب سيارته وغادر القصر، فيما بعد حكم عليه بعشر

سنوات سجنا وقضى عشرين سنة في تزاممات قبل ان يغامر السجن من 1941 وقد تقوس ظهره، واصبح مثل احدب روما، اما السارجان ساف فقد قضى 18 شهرا في السجن المركزي بالفيطيرة وعاد الى الحياة لحيا حياة مدنية بعد ان رأت المحكمة بأنه كان يبحث عن ابيه لانه سخط عليه وعن امه.

ومن جهته سأل السرجان عبد الصافي الملقب «مانولو» وهو جندي سابق في الجيش الاسباني، الليونتان حيلي قائلا: «مون ليونتان قل لي ماذا يقع من فضلك»، فاجابه هذا الأخير: «الحمار». ما عرض بن هذا انقلاب خضت تكون حمار باش ما تفهمش، ويبدو ان مانولو كان فعلا كذلك، لانه ردد العبارة حرفيا امام المحكمة للانتقام من الضابط الذي احاقه، فحكم عليه بـ 5 سنوات سجنا ومات في تزاممات سنة 1987 من جراء نزيف في الدماغ، اما الضابط فقد توفي بدوره في تزاممات يوم 10 أكتوبر 1981 بعد ان مضى زمن طويل على جنونه.

اذا كان بعض الجنود قد لقبوا الموائد والطاولات فإن البعض منهم قد استغل اللحظة للره البطن، وقد وجدت شخصيا ضابطي صف مختلين في احدى الغرف بلبثهما الكسكس، المخضر بالدجاج، عندما نبهتهما الى فعلتهما اجاباني بانها فرصتهما لاكل الكسكس الملكي، اجبتهما بعظفة، «عائلة تكونوا عارفين اش كابتسناكم، غادي يكون عندكم الوقت الثاني ماش نهضوا».

طابت راسيها واجابا بفترة اسفة: «نحن مجرد منفذين حولنا فابتنا الى وحوش بفرض الطاعة علينا» وكان كذلك لان ضباط الصف لم يحضروا خطاب الجمعة في قاعة الشرف ولا خطبة بوقنابل، مثلهم في ذلك مثل الطلبة الضباط الذين التهبوا الى المجزرة مثل القطيع، وقد اخرج عنهما بعد قضاء عقوبة 18 شهرا في السجن المركزي بالفيطيرة لتوبتهما كانا ثاني قائد الكومانتو ولربما كانا سيفضيان 6 سنوات سجنا لو ان المدعي العام علم بانهما كانا داخل قصر الصخيرات، اما مما ينص الكسكس فكان من الممكن ان تشدد العقوبة، ومن حسن الحظ «سي لست من الذين يطنبون في الحديث عن هذا الامرا» في مكان اخر فاجت ضابطا شابا يدعى «بييزانو» امام ثلاثة بسلب ما فيها، فرعنه قائلا: «بييزانو كتكل في هاذ الحالة وش ما كتعرض باننا في مصيبة»، اجابني بهموه وهو يعد لي صحنًا به فراولة وقنينة حليب، «البارحة طلعت من اعبابو يقول لنا الهدف من هذه المهمة، لكنه رفض يدعوى انه

لا يعلم سرها وقد ركز بانها قضية جنرالات، خلعهم بيدروا سفلهم انا
مانس شغلي، لانا ولا انت بغينا نجيو القصر الصخيرات اسي
الرايس، كل هاذ العزير راء زوين واشرب الحليب الباراد برا كتاب
الصهبة، اخذت مما عرض علي ثم اضاف هو قائلا: «خلينا نرتاحوا في
الظل شوية، اه لو كنت تعرف يا بيبيرانو، العزير الحرارة الجهنمية
التي كانت ننظرونا والظل الذي لبعنا فيه حتى اصبحنا ربيعا لما اكلت
نك الفاكة التي كانت بالنسبة لنا مثل فاكحة ام».

لما خرجت من القصر صالفت لاجودان خرخاش بجمع انبوا
مطاطيا طويلا لسلي العشب في ملعب الغولف ليضعه في الجيب
1977 ولما راني قائما نحوه خاطبني بقوله: «شوف شون ليوتنان هاد
التنو مزيان خاصنا ناخنوه باش نسلموا الجردة في المدرسة، قلت
له: «حط العام الي فات سترت الآلة سماع السلك بيال الضو في قصر
فاس ودابا جا نور قصر الصخيرات» وجم خرخاش واصغر من الهلع،
فسألته: «علاش تخلعت ملي كنت قا تخرج في الليل تسرق بيال الدولة
خاخ ما كنت تخاف» فاجابني بعد ان رمى بالانبوب: «صراحة ما بليت
فاهم والو، البارحة كالمو لينا مانوفر (مناورة)، هاذ اصباح ولات قضية
عناصر مخربة، مهمنا نزلت من الكاميو ما عرفتش فين انا، ولما شفت
الدم في الغازون (العشب) بحسابلي وزين (معمل) بيال مطيشة، عاود
شفت تزان في السكة كلت شومينو دايرين اضراب، وها انت دابا كتقول
لي راحنا في القصر اش جينا نديرو هنا» شرحت له كل شيء لم يصدق
المسكين ما راي وسمع فاجابني بنبرة المحيط المنهار: «بعد 25 عام في
خدمة الجيش الفرنسي خدعت مثل واحد جديد، ثم اطلق مليا واجاب:
«الخطا ليس خطي لقد شاركت في الحرب العالمية الثانية ثم حرب
الهند الصينية وقد علمونا الهجوم والحصار والفراسة ونصب الكمائن
والمصارعة، لكنهم لم يعلمونا ابداء، والقول لك ابداء، كيف نقوم بانقلاب
» انفجرت ضاحكا وقلت له «في فرنسا لايقام انقلاب».

حول الباب الكبير للقصر كان الرهائن ممدعين ارضا، بعضهم بلباس
عاد واخرون بلباس الاستحمام، وكانت من بينهم امرأتان شجاعتان
وهي كامل وعيها وقفها وقلة الند للند في وجه الجنود الذين كانوا
بفغونهما بغما حتى تخلصن الصلف وكاتنا مثل بجاجتين نحضنان
صفيريهما وتدايعان عنهم بمنقارهما بكل ما فيهما من قوة حتى
لايسهما الخطر المحقق، لقد بذلنا كل ما في وسعهما حتى لايبس

صغيريهما هؤلاء الأشخاص المنتظمون بسجنائهم العصيبة والمتعصبة، كنت متأكدًا أن هاتين السيدتين لن تخليا عن ما في حضنيهما حتى ولو دفعنا الثمن من حياتهما، لقد صارعنا وارتعنا وازدبنا ورفضنا رفضًا باتًا التخلي عن الصغيرين اللذين كانا في حضنيهما، ومن حسن الحظ أن أحد الملازمين تدخل ووضع حدا لهذه الواقعة ومنع سوء معاملة السيدتين الفاضلتين بعد أن عاد الهدوء شرح أحد الخدم للمتمردين بأن السيدتين الأوربيتين هما عربيتا ولي العهد الأمير سيدي محمد (٨ سنوات) والأمير مولاي رشيد (سنة واحدة)، ولما سمعوا ذلك خجلوا من فعلتهم وطاطاوا رؤوسهم علامة على الندم واعتذر الملازم للعربيتين الشجاعتين ثم أمر اثنين من تلامذتنا بمراقبة المربيتين والأميرين إلى مكان ظليل بعيدا عن الخطر، هذا الضابط حتم عليه في ما بعد بـ ٩ سنوات سجنا نالذا وعانى هو أيضا من محنة تازمامارت، ويعيش اليوم عيشة منية، وعاطلا عن العمل، أما الطالبان بعد براتهما المحكمة، احدهما يعمل الآن في اسلاك الدولة والثاني يعمل في القطاع الخاص ويعيشان كمواطنين صالحين، وقد سألني الملازم ذات يوم ونحن في تازمامارت أن أشرح له معنى «سعية سيدي» التي سمعها مرارا في القصر وأجبتة أنه اللقب الإميري لولي العهد، فعلق على ذلك «ها انت ترى انني لم اكن انتبه لشيء» في الصغيرات كنت مثل التائه والآن في تازمامارت اشبه إنسانا ضالا في مناهة الشك والبس بون ان اعرف مجرد المعرفة لماذا انا هنا» عندما كان امحمد اعجابو يقوم بحولته اياها، كان الطلبة الضباط قد اخرجوا من القصر مجموعة من المدعومين وكان من بينهم الجنرال الغرباوي قائد وحدة المدرعات، وهي الوحدة الأشد قوة وبأسا في القوات المسلحة الملكية وقتها، اخرجته اعجابو من الصف وحدته بلطف لعله يلقنه بالانضمام إلى الانقلاب لأنه كان ورقة رابحة بالنسبة له وكانت وحدته ولاشك حاجزا لايفلهر.

لم يابه الجنرال الغرباوي لعرض الانقلابي الذي كان يحاول تخفيه عن رابه ماي ثمن، وكان اعجابو طوال الحديث شامرا مستسه . مصوبيا اياه نجاء محخته الذي بدا انه يحاول ربيع الوقت، وفي لحظة ما، استدار اعجابو . لاعتقاده ربما انه ممسك بفريسته ليصدر الأوامر لرجاله، واستغل الجنرال الغرباوي تلك اللحظة الوجيزة وطلب من أحد الطلبة الضباط وقف بينه وبين اعجابو أن يلقي إليه برشاشه ليصفي الانقلابي السرس المستعد للمرور على جثث الاف الناس للوصول إلى هدفه، اعتقد

الطالب انه من غير اللائق والمهذب ان يرمي السلاح الى الجنرال فخطا خطوة باتجاهه ليستلمها له من سوء الحظ ان اعبابو اسنادر هي تلك اللحظة ليواصل حديثه مع الجنرال لما تبين من الخبائث، المزبوجة وراء ظهره اطلق النار على الطالب الضابط اولا فاصابه في ركبته، ثم المرح رصاصاته العديدة في جسم الجنرال الغريباوي الذي خر ميتا دون ان يصفق عمله الشجاع والجدير برجل شرف وثقة. ولقد اعبابو يتامل جثة الجنرال الذي رفض التامر معه حتى لا يخون ولي نعمته، ورفض ايضا ان يجسوا امامه ويتوسل اليه الا يقتله لهد مات ميتة كريمة مدافعا عن روحه وشرفه وعلمه. لقد كان موت الغريباوي مثل موت الشهيد، اي ظل على حاله دون شكوى، ولا منازعة في انه كان محبوبا يكن له الجميع الاحترام بسبب طبيعته وعقله واحاسيسه الإنسانية وكذلك سيظل حتى بعد موته. لقد كان الغريباوي وفيما وفاء الجنرال كاسبرون لباوليون بونابارت وبنفس شجاعة واطلاص الفارس بليار لفرانسوا الاول. ولم يكن يطاوله احد في الجيش او يعرضه.

اما زين الخير، تلك الطالب الشجاع الذي تجرا على تحدي قائده لانفاذه الجنرال فإن هذا الأخير لم يتوجه اليه صدف، بل لانه كان يعرفه، وقد سنحت لي الفرصة مساء ذلك اليوم لاق اسأل الضابط الجريح عن السبب الذي دفعه الى القيام بما قام به.

وقد اجابني بان امه كانت خائفة في القصر بالرباط وان المرحوم الغريباوي اسدى لها ايادي بيضاء عميقة للتحسين وضعها، وانه هو الذي ضمنه الى الجيش وارسله دون مباراة ليطفي نديبه كطالب ضابط في الهرموو وفي ختام حديثه سألني: كيف يمكنني الا اريد الجميل لمن احسن إلي؟

قَتَلْتُ القِبْطَانَ بِوَجْهَةٍ

واصل امحمد اعيايو طريق الخطأ، يجر خلفه سجلا عمليا حافلا وركاما من الجثث. كنت لتسأل يوما هل هي الصلابة البحتة التي جعلت كل الذين قتلهم اعيايو شططيا من ابناء القيايد السابقين اي «اولاد الخيام الكبيرة» (البرجوازية القروية) وكلهم شلوح باستثناء المنبوح الذي كان ريفيا مثل امحمد. ولد هاجم مرة اخرى إضالية ابناء الخيام الكبيرة الامازيغية ونخبة الضباط الذين خدموا الجيش الفرنسي بـتلق، فأخرج من الصف الجنرالات التالية أسماءهم: حمو امحزون وهو جندي مثالي من خيرة جنود الهند - الصينية وحفيد موها وحمو الزياتي بطل معركة لهري بخنيرت واماهاش مصطفى وهو إداري لامع وصاحب فكرة عالية على التنظيم، محمد حبيبي خريج المدرسة الحربية العليا بباريس، كلاهما من الحاجبه منزوج بفرنسية وبوغرين الخياري ابن قائد قبيلة ناهلة الحاربة التي تنتمي الي «بني وارين». بعدها اطلعهم على الأمر وعرض عليهم التباعد ومساندته في الانقلاب. مد يده، لكن الجنرال حمو رفض مصالحته واشاح بوجهه عن اعيايو. ثم اشعل سيجاره الضخم وخاطبه قائلا: «كلا يا اعيايو ما تقوله لا معنى له - بل هذا خطير للغاية. انا غير متفق معك وصراحة هذا لعب الدراري». كظم اعيايو غيظه واجابه بهيوء وثقة في النفس ظاهرين. ليس فقط لأن جواب الجنرال حمو قد خيب فنه بل لأن الصمت المطبق للجنرالات الثلاثة الآخرين زاد من غضبه. والواقع أن هذا الصمت كان جوابا قاطعا لكن الجنرالات لم يعبروا عن رفضهم لولا حتى لا يلقوا حتفهم لأن اعيايو لا يجب من يعارضه.

خاطبهم هذا الأخير بقوله: «أؤكد لكم أن الانقلاب نجح بل كان مريوحا منذ البداية. والمنبوح مات من جراء رصاصة طائشة بعد أن انزعق ننازل الملك بالقوة. سنرحل قريبا الي الرباط من أجل تشكيل مجلس الثورة وستشكلون عصبه الحي. هل أنتم راضون الآن؟». لم يلقى أي جواب. الح عليهم «قولوا لي رايبكم على الأقل». أعاد حمو علي مسامحة نفس الأتوال قريبا وساند الآخرون القول زميلهم. تبدلت لهجة امحمد اعيايو وأمرهم بركوب الجيب لانتزاع، وقد كانت سيارة إسعاف من المستشفى العسكري

بالرباط سرعان ما تحولت الي سجن متحرك. وقد وضع بنفسه الحراس
وامرهم بتجهيز السلاح بالأسنة. ثم توجه إلي قائلا:
«لا ندع أحدا ينزل. من الآن فصاعدا هم سجنائي. مكنت هناك والفا
الي حين عويته وطوال الوقت كان الجنرالات الرهائن شاربين وواجمين
عارقين في التفكير في مآلهم.

منذ سجينته الي الصخبيرات الي حين رحيله الي الرباط ما فتىء
اعبابو يصرخ في الجنود «عاش الملكة نُضَيِّبُوا علي الخونة» او بضيف
«دافعوا عن ملككم فلتوا اللي بُغَاو يفتلوا»

وكان الجميع تقريبا يتسائل إن كان قد اصابه مس من الجنون نظرا
للتناقض الحاصل بين الواقع والعاله وما يفصلهما من الكنايب. وهناك
من ذهب به الحال الي التساؤل بعد رحيله إن كان ضد الملكية ام معها
عميمون من بين المدعويين كانوا يطلبون من اعبابو ان يحميهم من
عموانية الطلبة الضباط وكان يجيبهم بابتسامة او هزة من راسه ثم
بعض الجنود مشجعا علي مواصلة سائبتهم.

احتج السفير المصري السيد فهمي عبد المجيد علي سوء معاملة
بعض الجنود له. الي جانبه كان يوجد سينمائي كبير مصحوبا بالعتلة
والغنية شادية بدا يشرح للانقلابيين: «ان السيد السفير وشادية وانا من
جمهورية مصر العربية. نحن اشقاؤكم عرب ومسلمون مثلكم، فاجابه
اشبعهم غلظة: «انا لا اعرف بلكم. لم اسمع ابدا بهذا الاسم» وتساؤل
طالب ضابط ثاني. اكثر اطلاعا علي احوال العالم: «اه طيب انا اعرف
بلكم. ماشي انتوما الي غلبناكم ب 3 لصفير في الكرة هاذ العام في
الصفائيات الالعب الأولمبية». اجابوا بصوت واحد «نعم صحيح. لقد
سحقنونا ب 3 لصفير». وكان ان سفوهم ماء وانتحوا بهم في مكان
ظليل.

عاد اعبابو ليري إن كان الجنرالات الأربعة قد غيروا رأيهم لكنهم
نلوا علي موقفهم الرافض. فامرهم بالترجل عن لانغروفير واركبهم في
ساحنة صغيرة من نوع 4X4 رونو. واعطى نفس الاوامر. بعد ان امر
«سرجان» بمرالبتهم طلب مني ان اتبعه. دخلنا للمرة الثالثة الي القصر
الذي كان خاليا. فقد كان المدعويون جميعا في الخارج وكل الاثاث عانوا
فيه فسادا. عندما مر اعبابو بالقرب من السمات قال للجنود: «انظروا
الي ابن نذهب الضرائب التي يلفحها الالباء الفقراء إنهم يعضون نماء
المساكين» ويتردون الشحمة في الحلايف البورجوازيين الذين يعضون

دمحم. لقد كان يخلق مثل هذا الخطاب حتى يجيش المشاعر ويحرك السواكن. والحال ان اعبابو لم يكن يطبق هذه «البنائز» لانه كان يسرق الجميع من النبوة والطلبه الى المنينين ويسلب المولعين. لقد كان جشعا لا يراجع في الحصول على هدفه غير ان خطابه الصغير اعطى لماره يوما

فما إن اتم كلامه حتى اطلق احد الطلبة رشقات طويلة من رشاشه على حلوى العيد: شخصيا المراني نهر الشوكلاطة والكريم بفانيليا الذي كان يسيل فوق فواكه البحر وقد سحقها الجنود باعقاب البنادق. لقد نطلب خلق القمصان السود والشبيبة الهكتيرية مذات الخطب وزمنا طويلا، لكن اعبابو استطاع بكلمة واحدة ان يصيب قلوب الطلبة الانقلابيين وعمق روحهم ويفجر هذا الحقد الدفين حتى لدى اهلهم ضد «المورجوازية الفاسية». وقد بدأوا في التقلب والتفتيش بطريقة جنونية ومتوحشة فبلرت الازنك وقلب الاثاث وعات الجند لسادا في محتويات القبة. في تلك اللحظة كان الجنود مستعدين لنبح اي كان يهكي ان يشير اعبابو باصبعه.

كان اوج المسألة بالنسبة لي هو السلوظ في الفخ الذي نصبه امحمد اعبابو لكل اولئك الذين كانوا الي جانبه قبلي. لقد اخرج لبطاننا مسنا من المساعدين الاربين للامير مولاي عبد الله كان والفا ضمن الرهائن، راعيا بيده ساعات طويلة تحت انظار الطلبة الضباط الغاضبين. امره بالنحى جانبا وانتظاره بمعية الضابط «غلة» الضخم الجثة، اجري عدة محادثات مع الجنرالات الاربعة ثم عاد للنحدث الي اللبطان بوجمعة.

لم انصت الي بداية محادثتهما بسبب هدير الأمواج، غير ان امحمد اعبابو دعاني الي جانبه وواصل حديثه «انت تدعي انك لا تعرف اين سجن هؤلاء الخونة جلالة الملكة إنن انت شريكهم.

■ الاسم بالله، «مون كولونيل، بانه لا علم لي

□ إن خونة الشعب قد قتلوا جلالة الملك ربعا وشقيقه. وانت المساعد الاغرب ننتظاهر بانك لا تعرف شيئا. قل لي ماذا فعلوا بالملك إذا كنت تريد ان نظل حيا، هل قتلوه؟ هل سجنوه لفظا

كرر اللبطان ما قاله من قبل فاستشاط الكولونيل اعبابو غضبا وزامت حسنه وفقد السيطرة علي اعصابه فصرخ فيه: «كلكم جنناء، وخونة سافلتكم جميعا». ثم استدار نحو ي ومسنسه متهوب الي صفري ثم اصدر الي الامر التالي: «الرئيس القتل هذا الضائن The ce traire

تريدت، حسبت انني احلم، وانها مجرد تهيؤات لا اقل ولا اكثر. لكن اعيايو كثر الأمر بلهجة تهديد وقد صوب الماسورة نحوي، والتفتت في عيبي شرارة حلقه ورعيه كان ينتظر رفضي لبريبيتي قتيلا بون شغلة او رحمة. نظرت اليه نظرة المنسول الذي ينتظر صدقة وكانت صدفتي التي انتظرها من هذا الإنسان المشبع والمنعم الضمير هي تراجعه عن فراره الفاسي والحال انه اصبر بالحاج وهديني بالقول، حذار لا تدفعني لكي امكك ايضا، هذا الإنذار هز كياني وارنعت له فرائصي لظفا على السطح جفني الذي طالما اخفته انفتحت الزائلة واحساسني الانساني المزعوم استولى على جين رهيب والهاهر وتاهت نفسي في سراديب الخوف من الموت في عز شبابي، اهتز جسدي كله وانا الفكر بانني سائق انسانا لانتك انه بريء واعزل علي الخصوص. لم يكن امامي اختيار فاذا ما انا عرضت تنفيذ هذا الأمر الوضيع سيفلتني اعيايو لا محالة وبقتل الشيطان ايضا، وإذا فلتته ستظل الجريمة عالقة بي الي الابد، حتى لو كانت لفتني غير ارامية وإجبارية تحت تهديد اعيايو فستظل جريمة وعملا غير عادل ولا إنساني في حق شخص اتهمه العناصر الرهيب بانه خائن. كلما كنت الفكر في ما ساقدم عليه اختلطت علي الفكري ونشوت ذاكرتي مع تسارع الاحداث ورعب اللحظة. لم استطع ان اناوم طويلا احساسني الانساني الذي منعني من القيام بما امرت به وانتصر الجانب المنس في دفعني الي الضغط على الزناد. حتى ان ذوي الطلقة فاجاني.

خر الشيطان صريعا وسقط معه، ليس فقط كل ماضي الذي كان مصر عزمي والمخاري تاركنا وراءه احساسا بالعار. بل سقط معه ايضا سنقيلي. اصبحت إنسانا محطما، لأن احمد اعيايو نزع عني في رمشة عين اعز مالدي شرقي، مكثت مسعرا في مكاني شارد الذهن، انظر في الفراغ الذي اكتسح حياتي منذ.

احسنت كما لو ان الموج ياخذني بعيدا، بعيدا عن هذه الجثة المنددة امامي وبعيدا عن احمد الذي لم يهتم لما يدور حوله وواصل إصدار الاوامر. فرحت لما سمعته يتلبيني مرة أخرى وكنت اتعنى الهروب والانتحار بالنسيان.

اسمع الرايس انت من الناس القليلين الذين ما زالوا محل لفتي، اعلم ان الملك قد اعتقلته عناصر مخربة تريد به سوما، إن واجبنا هو ابتغاه حتى ولو معنا من اجل ذلك. إن مهمتك هي ان تجده. خذ معك

عشرين طالبا وفتش عنه جيدا في كل الأماكن التي قد يكون فيها.
في الواقع، كان التفتيش وجيزا وشكليا لأن الجميع اكتشف المهمة
الحقيقية لأعبابو، الذي تجاوزته الأحداث فتاهت به السبل. لقد سمر
الرجل لأنه احس فجأة بأنه وحيد، في لحظة من اللحظات لاحظت انه
سارد واجم الوجه، تناقصت التفاعلات نظرانه وإن احتفظت برعبيها. بدء
المصافحة متنية، والأخرى ممسكة بالمسند، نظر إلى صفوف الرهائن
الطويلة الموجودة تحت رحمته، ولأنك انه تصور في تلك اللحظة بأنه
مرعون. الأمر بامر نفسه الوحيد الذي له الحق في حسم مصير هؤلاء
الناس الذين كان يُنمهم الوحيد يومها هو انهم كانوا ضيوف الملك.
ليست هذه فرضية او تخمين بل كان غارقا في المفارقة الكئيبة ويفتر في
الطريقة التي سيتخلص بها من سجنائه.

جاء من يخبره بوصول قافلة من القوات المساعدة فاجاب بانهم الي
جانبا وبعبءا اخبروه بوصول عشرات السيارات من سيارات الشرطة.
فاجاب بنفس الشيء، هل هو التفاوض المبالغ فيه، ام تراء جنون العظمة
ام هي الأوهام الضائعة لقطعة فجأة تذكر بان اخاء محمد موجود في
القصر ايضا لاستدعاء علي الفور. وقد كان الكولونيل محمد اعجابو،
بعد ان اطلق النار علي الكولونيل لوباريس، قد قضى حاله في التجول
ومراقبة سير العمليات. لم يكن باستطاعته إصدار الأوامر لأن لا احد كان
يعرفه سواي.

والإنكى من كل هذا ان رؤساء الكوماندوهات انفسهم لم يكونوا
يعرفون مرؤوسيههم. فقد شاء مكر الصلابة وسخرية القمر ان تكون
المجموعات من عناصر مختلطة من الشبان وغير الشبان.

في الواقع في هذا الانقلاب لم يكن احد يعرف احدا، فهل هي حيلة من
امحمد اعجابو حتى يزرع الفوضى و حتى لا يسيطر الضباط علي
جمودهم بحزم واحكام، ام هو العمل، وقد تساطت يومها كيف ان لاندنا
مستريا تخرج من مدرسة القيادة العامة بباريس بنتائج عالية نسي
وضع وسائل الاتصال بينه وبين مرؤوسه وكيف ان استراتيجيا مثله
خطط مرارا لتجاوزات كبرى يرتكب مثل هذا الخطأ، وقد شرح لي اخوه
محمد فيما بعد بان السبب في هذا التهاون كان ناجما عن الاطمئنان
علي النجاح الذي ضمنه له المنبوح. وقد قال له إن مهمتك تقضي فقط
بمحصرة القصر وسد كل الممرات وأنا سأتكفل بالبياتي. والقضية
مضمونة.

لم يتوقع اسعد اعيايو الطوارىء والانزلاقات، اما المنبوح الذي اخبره بان القضية مضمونة، فقد كان هو الذي ضمن، وموته. وللأسف والحسرة بلغنا نحن المرؤوسين الثمن الغالي لاختطابهما وجنون العظمة لبيهما.

عندما التحق محمد بشقيقه اسعد كان شاحب الوجه، مرعوبا في القصر نوتره. تحدثنا امامي بالريفية ولم أفهم من كل منهما سوى كلمتين، المنبوح، و، اللقيط. ولما احتد النقاش بينهما بدا يتكلمان بلغة بلزلة، لانهما درسا معا بالفرنسية، ابتداء من الفصل التحضيري.

سال محمد شقيقه الاصغر: ماذا ستفعل بالرهائن؟

اجابه اسعد بهدوء وهو ينظر نظرة رموية إلى ضحاياهم القاصين: ساطلق سراح كل الاجانب واعدم الآخرين.

● هل انت احمق، هل نسيت الراي العام الدولي، هل تريد ان تخلق هنا كونغو جديد؟

● لا انا اريد ان اصفي كل الخونة، واريد ان اسحق كل الاحزاب السياسية، وساتوس عليهم بالنبابات إذا اقتضى الامر.

كان محمد يعرف شقيقه معرفة جيدة، ولكي يمنعه من تنفيذ نواياه الفرح عليه الاقتراح التالي.

.. اسمع يا اسعد، انا اخوك، فانصت إلى نصالحي. انس الموضوع الآن وستناقش غدا في مصير الرهائن. الآن دعهم تحت حراسة رجالك وانهب إلى الرباط لتسوية الأمور.

● سالفيل الاقتراح، شريطة ان تبقي هنا للإشراف على العملية والاستعداد لكل الطوارىء. اتفلقنا.

.. اتفلقنا، اجاب محمد رغما عنه، ساصطحب معي الجنرات الاربعة السجناء، وإذا ما اصروا على رفضهم ساصفيهم.

● لا يا اسعد، فباستثناء الجنرال حبيبي فكلهم اصفاؤك، لا تعمد احدا وتأكد بانهم سيلتحقون في الأخير.

هكذا اعطى اسعد اعيايو الأمر بركوب الشاحنات. وقد نفس الجميع الصعداء، لأن هذا المشهد الكئيب دام طويلا، وكان كل الجمع ينتظر بصبر فارغ هذا الأمر للتخلص من هذا الجو الجنائزي الذي ظل ارواحنا وضمايرنا. كان الطلبة لا ينتظرون سوى اللحظة المناسبة للاستسلام، لانهم وعوا بانهم خدعوا. وحنقوا اساسا على ضباطهم الذين كان العديد منهم لا يعلمون، حقيقة الأمر فهم لم يستمعوا إلى

خطية، يوقنائل ويلهموا منها العملية. وقد كان الضباط المتبصرون منهم ينتظرون منذ الوهلة الأولى، على أحر من الجمر وصول عناصر التخيل لتكسير هذا الانقلاب. وكان بعض الضباط غير راض على إخماد إخبارهم، بالعملية، وهكذا ظلوا غير مباليين إلى حين رحيلهم، وقد كانوا على حق في قولهم، إن اعيابو لا حق له في استعمالهم، بون مشورتهم، لاسيما في قضية حساسة وخطيرة مثل هذه. وقد كانوا على حق في القبول والرفض، هكذا فر القبطانان نالبا اعيابو، بل كبير وللول بعد نصف ساعة من بداية الانقلاب. وقد ظلا مختبئين وسط الشجيرات ينتظران التنجية، بعد رحيلنا استنقلا القطار في محطة الصخيرات باتجاه فاس حيث سيعتقلهما الدرك الملكي.

واكثر من نفس الصعداء هم الرهائن الذين ظلوا والظن منذ الساعة الثانية و ٨ دقائق رافعين ايديهم معرضين لإهانات واستفزازات الطلبة الجنود. ولعل الذي أحس بالجرح في روحه أكثر هو الجنرال امريس بن عمر العظمي الذي كان الماجور العام السابق للقوات المسلحة الملكية ووزير البريد، والذي نفع وأهين من طرف بعض الطلبة الضباط الذين طرحوه أرضا إلى جانب السائقين، وسرعان ما تعرف عليه شخص سدى (ع). وكان وقتها في السنة الثالثة، فتعمد المشي على ظهره، وهو يتحدث ساخرا إلى زملائه. وتكرر مرارا هذه الحركة السادية حتى ينير غضب بطل حاسي بيضا، والذي تحمل بكبرياء هذه الإهانة.

وقد جاء في اليوم الموالي يبحث بنفسه عن هذا الطالب وسط الانقلابيين المسجونين في إحدى الكنفات، وهو البحث الذي ذهب سدى، لأن المعنى بالامر احتيا في المرحاض؛ وقد فهم الجنرال شخصيا بنفسه كل الوجوه السمراء لعله يعثر عليه، لأن الجنرال لم يهضم أن يعنى أي شخص كان ظهره. أم لم كان يعلم بان هذا المسمى (ع) كان فعل انضمامه إلى الجيش مجرد مجرم، ووسيط، داعر معروف في مدينة مكناس.

ويا للمشهد الكئيب الذي تهيئه لنا الحياة أحيانا... فهذا الشخص الذي أهين في حياته وحط من قيمته أراد يومها أن يثار فبدا يعطي الأوامر ويسبب للوزراء و المشي، على ظهر جنرال ودفع السفراء وهدد الإعيان. لقد كان ينتقم بجنون ونذالة من مجتمع اعتقد انه يحتقره. كيف يقبل المجتمع بعقل هؤلاء الأشخاص. لقد كان (ع) ندلا وسيظل كذلك. انطلقت سيارة «جيب» التي كان يركبها اسعد اعيابو، لتبعها صف

العاقلة الطويل باتجاه الرباط

قبل ان اركب الشاحنة، التفت ورائي والقيت نظرة اخيرة فنهلث للمسهد الفظيع خلفنا الذي يهز كيانه وعضب كل واحد باستثناء عبايو. مسهد استمر الرعب بحكمته حتى بعد ان رحل الرهيب اعبايو الذي خلف وراه حمام دم.

من بين مائة جندي خلفوا في عين المكان لحراسة الرهائن، فر العديد منهم او التحق بالقافلة، ولم يبق في القصر سوى 18 جنديا عفا عنهم جلالة الملك. وقد اضاع لاجودان خرخاش وقت الرحيل، فالتحق بالطريق الوطنية وحجز شاحنة مدنية واجبر السائق على العودة للوصول إلى الرباط في الوقت المناسب.

وعد احتج السائق الغاضب لكنه ظل رهينة حتى حدود العاشرة ليلا. وقد كانت العودة إلى الرباط كارثية عمت فيها الفوضى والهرج. وبنون مسالمة عشنا فانطازيا ميكانيكية. لقد زاد السائقون من السرعة، كما لو كانوا يهربون من القمامة او انفجار وشيك.

جنب الطريق الوطنية وقبالة القصر كانت إحدى الاسيرات الاسيرة للا ملىة شقيقة الرحموم الحسن الثاني، والفة جنب سيارتها الكابيك البيضاء وهي تبكي معتقدة ان شقيقها قد مسه سوء. فأسرع ضابطان بصحبتهما رجالهما نحوها وطلبوا منها الابتعاد ابعد ما يمكن لأن اعبايو إذا رآها يمكن ان يلتفتها بكل سهولة.

في الساعة الثالثة والرربع دخلت الحافلة الأولى الطريق الوطنية وحاتت شاحنتي اخر القافلة واخر شاحنة غابرت المكان. فقد كنت واقفا انظر بحزن إلى هذه الجزيرة التي راح ضحيتها 100 شخصاً بون نكر عدد الجرحى الذين كانوا ينتظرون العلاج.

فعل ان تنطلق شاحنتي، القيت نظرة اخيرة على جسد الكولونيل لوباريس بالقرب مني. وقد التفت حول نفسه ومن حسن الحظ انه انقذ وعاش. وغير بعيد عنه كانت جفتان ملطختان بالدم قتل صاحبها بون ان يعرفا لماذا، الأولى للجنرال انميشي والثانية للجنرال عبد الحي الذي مات وهو اعزب وقد كان بدوره ينحدر من عائلة اطلسية كبيرة. يومها كان الأطلس المتوسط في حداد وزاد حداده صبيحة يوم 11 يوليوز عندما اعدم من ابنائه بسبب جنون اعبايو.

بنت الطريق من الصخيرات إلى الرباط طويلة وصارت الأربعة ظمتمرا الفاصلة بينهما مسالمة لا نهائية. طوال هذه المدة فكرت في

مضيرنا ومصيري انا بالضبط كنت اعلم ان امحمد اعيايو فشل وان
 حلاله الملك سليم ومعافى، كنت وقتها قد تنبأت بمغلي ومن حسن الحظ
 اضي في المغرب، وعليه ان يرعى بي الي التماسيح او اوضع في قفص
 الاسود، ولكن سامل امام المحكمة وادان حسب القانون الجنائي غير
 ان ما كان يحز في نفسي هو مصير امي وزوجتي وابنائي السنة الذين
 سيعوضون، بنوني، في مستنقع البؤس والخوف واليأس. وبهذا
 الخصوص ايضا لم اخطئ، هزلني نوبة عصبية فاجهشت بالنحيب
 وطلب الصلح من عائلتي الصغيرة التي ستعذب مدة 1 سنة بسبب
 الخائن اعيايو الذي خرب جنون العظمة لديه مئات العائلات الامنة
 والمرتبة، واساتي ناثي بايات بيئات من القران الكريم وامثال وحكم
 من المكتوب والقر، وخلف عني يومها، وكان هو نفسه الذي قدم شهادة
 ضدي للإفلات بجلده وجاء في شهادته، انني همدته واجبرته على
 الدخول الي القصر بمحاولة وضع لقبلة قابلة للاستعمال في جيبه. في
 الواقع، كان زوال تلك اليوم في الصحيرات وقتنا للاكنايب والسامية
 والفعل والحقد والانتقام.

طوال المدة التي دامتها الرحلة او لنقل الانزلاق، تنكرت هزيمة
 الجيش البونابارتي والانسحاب المخزي لهتلر من موسكو. عاد اعيايو
 المهزوم الي العاصمة لكنه رفض وضع سلاحه. لم يقل كلمته الاخيرة
 بعد. حسب رايه، وما كان ليقل ان يكون المستسلم. فهو مثل «اتيلا» لم
 يش يحب المفاوضات، فيما الكل او لاشيء.

دخل اعيايو العاصمة ومستسه في يده وعصابته وراعه كما كان
 «اتيلا» سابقا، سيفه في يده وخلفه «الهانس» نخل لينتصر او يموت.
 ربعا هي مقارنة مبالغ فيها لكن الشبه قائم بينهما، لان اعيايو كان
 صاحب طموح كبير لا يتراجع لأي سبب، لا يثق في اي كان وانطواني
 نوعا ما حتى مع عائلته، كان لا يؤمن بأي شيء، مادي حتى النخاع.
 وكان يجتف احيانا كثيرا، وانكر حائلة وقعت قبل شهر من انقلاب
 الصحيرات، فقد انقذه الحارس الليلي ومساعداه واخبروه انهم راوا
 «قبلة المقابر» (القبلة السرسارة) تدخل بيته. وقد اكثروا له بانهم
 ساهدوا نجر سلسلة طويلة مشدودة إلى قائمتها الاخيرة. انفجر
 اعيايو ضاحكا وسلامه «هل كانت بيضاء ام سوداء»، اجابه المرعوبون
 اللانة بانها بيضاء فقال لهم «لا يهم، في المرة القادمة اقلوها في
 الاسطبل لنقل المؤونة، ايها الانجبياء لا يوجد شياطين او جن. إن

شيطانكم هو انا في المرة القادمة، ساودعكم السجن كلكم. اجابه اشجعهم، لكن، مون كولونيل، هذا فال شيء لك. كلنا تحت رحمة الله ونحن بشر ضعفاء.. وكان رد اعابابو، انتوما يمكن، لكني انا الأ لا اومن ماي شيء إلا انا. وقبل تلك التاريخ، مرت جنازة امام الكنيسة في صفرو. ماتت نحونا اعابابو وسال القبطان شلاًط: اتسائل لماذا ناتي إلى الحياة إذا كنا سنموت؟ فاجابه شلاًط، هذه سنة الحياة وقد شاءها الله على هذه الحال. والحياة فوق الأرض عابرة، لأن الحياة الحقيقية هي الحياة الآخرة. وبعد الصراط هناك من يدخل الجنة وهناك من يدخل النار...

فرد اعابابو: في رأيي لا حياة بعد الموت. هناك العدم والانهائي. لأن عالمنا هو الجحيم للبؤساء والجنة للأغنياء. وعندما نموت يكون ذلك إلى الأبد. ثم التفت نحوني مبتسماً وسألني: ما هو رأيك الرئيس، عندما يصبح جسمك تراباً، هل تعتقد انك ستحيا من جديد؟ اجبت: بطبيعة الحال. لأن هناك البعث والنشر. فعلق قائلاً: اتخني الا اموت.. ولا اعتقد اني ساموت لأنني انوي البقاء على قيد الحياة لمدة طويلة وسنوي. طوال الرحلة إلى الرباط كنت افكر واعيد التفكير في الأحداث العموية التي مرت امام عيني. وفكرت في هؤلاء الجنود البلاء الذين كانوا يسلطون الناس ويسرقون اشيائهم الثمينة، في حين كان الأولي ان يبدوا بفائتهم اسعد اعابابو الذي كان يضع نباتين من نهب وسلسلة من نهب وساعة «بباجي» من نهب، كانت شمس يوليوز الحارقة تزيد من التماعاتها، وهو ما دفع السارجان اولعربي إلى تخلص فائده من الاشياء اللماعة حتى يكون في منأى من طلاقات العناصر المخزية. هذا السرجان الوفي والصانق نزع كل هذه الاشياء ووضعها في جيب الكولونيل وقال له: «مون كولونيل ما بقيناش نخسروك. انت غالي علينا وانت بحال الوالد بيلنا، اه لو كان اولعربي يعرف نوع الاب الذي عنده، اب يضع اللحم العشري مثل العلك.

مازالت امام عيني صور الوجوه المرعوبة ينظرانها الناهة، وجوه نبحي وتنوسل وتتضرع للجنود الحالدين مثل حيوانات مسعورة تكتم كل ما يعترض طريقها لتطفيء الحقد الدفين في قلبها. فتاعت الصخيرات وراعنا وبدا لي انني احلم لأن كل شيء كان هائلاً. المارة غير ابهين ينظرون إلى القافلة، كما لو ان شيئاً لم يحدث. احسست بانني اخلو إلى ان توقفت القافلة. فامر اعابابو القبطان شلاًط بإرسال

كومانانوا لتدمير محطات البث التلفزيونية، ولح الاختيار على السوليونتان مجاهد محمد للقيام بهذه المهمة الوسطة، واصلت القافلة طريقها إلى ان وصلت إلى البناية المتفخاة وبخل الكومانانوا إلى الداخل وأمر مجاهد رجاله بأخذ مواقعهم في الداخل بون تكسير الأبواب أو الأجهزة وتخریبها. اتصل بالمسؤولين بمحطة البث ووضعهم في الصورة وأخبرهم بطبيعة مهمته، أخذ المباشرة وخاطبهم: «من الكسر أي شيء، لأن الاضرار ستبلغ من ظهر الشعب. ولكن لابد لي من القيام بمهمتي ولهذا اقترح عليكم هذا الحل: لا تشغلوا اجهزكم هذه الليلة. وهكذا يحصل كل واحد على ما يريد، وعدم العاطلون بذلك وعرضوا على الكومانانوا، القسام، كاس شاي، معهم، بعدها أمر مجاهد رجاله بالركوب ثم توجه عائدا نحو الهرمومو. عندما قطع نصف المسافة قيل له بان القافلة ما زالت في الرباط لكنه فضل مواصلة السير. وقد امين بـ 4 سنوات سجنا فيما بعد وامضى ليال كابوسية في معتقل تازمامارت لمدة عشرين. سمي مجاهد، نسبة إلى جده الذي كالفح إلى جانب المجاهدين بقيادة بن عبد الكريم الخطابي وقتل في معركة قرب زهون. وقد لقبه اناس القرية بالمجاهد: كما استشهد ابوه أيضا في مقاومة الاحتلال الفرنسي. وعاش هو يتيمًا منذ ان بلغ سن السابعة، وبعد حصوله على البكالوريا التحق بالأكاديمية العسكرية ليصبح ضابطا. ولد خسر مهنته وبخر شبابه، إلى ان رأى النور في أكتوبر 1981.

دخلت قائلتنا شارع النصر ثم لت مقر القيادة العامة من الخلف ووقفت قبالة وزارة الصحة، نزل اعبابو من السيارة ثم استدعى الليونتان حبيبي عبد السلام وسوليونتان البيقظي محجوب وامرهما باحتلال وزارة الداخلية على بعد حوالي (40) متر، فقاد كل واحد منهما كومانانوه وتوجه للقيام بالمهمة.

مقر القيادة العامة للجيش

دعاني اعبابو وامرني باحتلال مقر القيادة العامة للقوات المسلحة الملكية وان ارفق بمعوية الكوماندو، الكولونيلين الشلواطي وبويري اللذين صحبناه من الصخيرات. وكانت الغاية من مرافقتي لهما حمايتهما من الفراد القوات المسلحة في القيادة العامة. وكانت مهمة الشلواطي هي احتلال مركز البث والاتصال (ترانسميسيون) والمركز الهاتفي. اما مهمة بويري فقد كانت تقضي بالاستيلاء على مخزن العتاد والذخيرة ومنع الفراد القيادة العامة استغلال مخزونه وبعد ان يتم ضمان استقرارهما في مراكزهما بدون مكروه كان علي ان اوزع رجالي في كل النقاط الحساسة التي حددتها اعبابو. وبعد ان نفذ هذا الخطر من المهمة عدت إليه لالتم تكريرا عن العملية فوجيته في حديث مع الماريشال مزيان. وقد كان اول مارشال مغربي واحد كبار الجنرالات للجيش الإسباني واحد رفاق فرانكو في السلاح. وينحدر مزيان من الحصيمة لرجل هذا الأخير عن سيارته من نوع (بي- إي 21) وقد لبس لباسا سفنيا انيقا.. توجه إلى اعبابو بالسؤال: «ما الذي يحدث» فاجابه اعبابو: «إننا نقضي على أعداء الشعب. فاجابه الماريشال العجوز: «طيب يا اولادي حسنا فعلتم الله يعاونكم التمني ان جلالة الملك لم يَحنَبَ بانتي اليس كذلك» وضع اعبابو يده على نزع الماريشال وهو يقوده بلطف وعناية نحو سيارته حتى يركبها وقال له: لا لا ايها الماريشال. لم يصب جلالة الملك بسوء انهب لتفراح إتك متعب. بمجرد ما رحل الماريشال اعطى اعبابو الأمر بالاستيلاء على القيادة العامة بالهجوم عبر الباب الكبير (الشمال) وسرعان ما لعلع الرصاص وانطلقت المواجهة بين المتأمرين والمدافعين عن النظام. دام تبادل إطلاق النار بضعة دقائق فقط.

كسرت اعضاء الكوماندوهات الباب بعضهم نط من فوق الجدران وغزوا القيادة العامة من كل جانب وبدأوا في اعتقال الهاربين. وكان العيبون قد وضعوا اسلحتهم وانحوا جانبا. وكان الجنرالات الأربعة مازلوا رهن الاعتقال تحت الحراسة المشددة في الشاحنة. تمكن الفرع الفراد الجيش للوجوبين داخل مقر القيادة العامة بسبب هذا السخول

المسرحي المخبر لاسمجد اعجابو، وخلفه عصابته بنظرات اعضائها الغاضبة والسحنة الحازمة والمعادية. هالهم منظر عفة العملاق بانفه المعقوف مثل عقاب وقد حمل رشاش ٨٨٤٤ الذي كان حزام رصاصه يصل الأرض، فيما وضع منطلقين من الرصاص حول كتفيه وصدره على الطريقة المكسيكية. لقد عشور وعماروش لكنهما كانا قصيري القامة. كان الجميع يضع يده على الزناد لا ينتظر سوى إشارة اسمحمد . زباطو يومئذ: لم تكن هناك مجزرة لأن الموجودين داخل القيادة العامة استسلموا في النهاية ولم تبق هناك اية مقاومة.

تم الاستيلاء على مقر القيادة العامة ومركز البث والاتصال والمركز الهاتفي واخذ طلبتنا الضباط زمام الأمور في القيادة العامة. وقد كان اعجابو قد استدل في هذه المهمة. وبعد الاستيلاء على مخزن العتاد أصبحت الأمور تحت سيطرتنا. بعدها مباشرة تم عقد اجتماع في المكتب الثالث سرد فيها لاسمجد اعجابو كل التفاصيل لشركائه الجدد واطلعهم على الوضعية. ولم يكن حاضرا. من بين الضباط الذين شهدوا لقاء بوفانيل، سوى الكومندان الماطي الذي ظل الى جانب اعجابو حتى النهاية. فقد اعتقل الكولونيل البريكي من طرف المظلمين منذ بداية الهجوم في الصخيرات. ظل الكومندان منور يتابع تطور الأوضاع عن بعد.

حضر اللقاء إلى جانب اعجابو كل من الشلواطي وبويري والكومندان الماطي وآخرون لم اتعرف عليهم. بعد هذا الاجتماع الوجيز، عابوا جميعا إلى بناية القيادة العامة. في تلك اللحظة بالضبط وصل اعجابو اسمحمد (الاخ الأكبر) بعد ان غامر قصر الصخيرات والتحق بالقيادة العامة. وما إن وضع قدمه على الأرض حتى سارع إلى مواجهة اخيه بالفرنسية.

.. ما هذه الفوضى وما هذا الهرج

. إذا كانت هناك فوضى فانت سببها والمسؤول عنها. لماذا غادرت

الصخيرات؟ كان عليك أن تظل هناك.

لقد تركت هناك احد، السرجانات، بعمية خمسين طالبا ضابطا.

طبيب، لابس. اولا سنتصل هاتفيا بزيميك وخريج فوجك الليونتان

كولونيل سعد القبالي ونطلب منه الانضمام إلينا بوضع فيلق الفرعات

رهن إشارتنا. ثانيا ارسل برقيات إلى كل وحدات القوات المسلحة الملكية

واطلب منهم الانضباط والطاعة من الآن فصاعدا لأوامر مجلس الثورة

برئاسة الكولونيل الشلواطي، اسرع اعيابو محمد بالتنفيذ، فالتصل بسعد الفيالي واطلعه على امر احمد شقيقه. وكتب على محبته عندما اجابه عن سؤاله الخاص بالمكان الذي يتصل منه، بأنه يتحدث من بريد الرباط. رد عليه ضابط المترعات بغضب شديد: «إن اوامر مثل هذه لا تعطى من مركز بريدي. حذار اعيابو إذا وجدت في طريقك ساسحلك مثل ضفدعة».

في الواقع كان محمد اعيابو نفسه منذ البداية غير حاسم وسلبيًا وبلا إرادة حرة، وقد كان هو بدوره ينتظر النهاية حتى يتحقق من الجهة التي وضعه قدمه فيها. وقد عولب على عمله بـ 21 سنة سجنا ونهاية مساوية.

وصل المراد اللواء الخفيف للامن الذين ارسلوا لحماية القيادة العامة ورايضوا على طول الجدار الفاصل بين مركز القيادة ومقصف الضباط وبعد انتظار معين بداوا الهجوم. وكانت تلك اللحظة هي بداية الفشل بالنسبة لاعيابو. فقد جمع هذا الأخير كل العناصر الموجودة في القيادة العامة. ثم طرح عليهم السؤال التالي: هل تعرفونني؟ اجابوه بعبء واحد: «نعم أنت الكولونيل احمد اعيابو قائد المدرسة العسكرية الملكية بهرمومو». وسألهم مرة ثانية: هل تعرفون باننا قضينا على كل الخونة في الصفحات

. نعم نحن على علم بذلك.

. طيب، الآن انصتوا إلي، ما معنا به هو لصالح ابنانكم ولصالح بلدكم. من الآن فصاعدا ستحصلون على كل حقوقكم المخصصة. لن يبقى هناك ظلم او فساد او زبونية. من الآن فصاعدا لن يبقى للعنصريين (...) نفوذ. لن يحكموكم وسيصبح بلدكم حرا، واعكم بانني سألضي على كل الخونة. قولوا معي «عاش الوطن، عاش الشعب». فرددوا معه كل شعار كان يرفعه باصوات مرتفعة. ومنهم من صاح بحماسة «عاش الكولونيل اعيابو».

استأنف حديثه قائلا: «انصتوا جيدا، يجب ان نقل القوات المسلحة قوية ومنضامنة، والآن انضموا إلى جانب مدرسة الهرمومو ولنتكلم جميعا من أجل عزة الوطن، عاش المغرب المغاربية، وفي هذه اللحظة، اشهر بعض الحاضرين اسلحتهم ورفعوها في الهواء، بعضهم صاح بقوة «يسقط الخونة، وعاش المغرب».

اعطى الشلواطي اوامره بتعطيم العناد والتخيرة وتوزيعهما على

الجميع. وتم إعطاء العلاجات الأولية لبعض الجرحى من الطلبة الضباط تم كل هذا في غياب الكومندان (ش) قائد القيادة العامة، الذي وصل ليبل، الخطبة. حاول أن يظل بعيدا ولا يراء اعجابو. ومن سوء حظه لحظ هذا الأخير حضوره فدعا إليه تقدم (ش) وادى التحية. طلب منه اعجابو الاقتراب أكثر «أريد أن أتحدث إليك. سأل هذا الأخير: «فل لي. أنت مع من؟ هل أنت معنا أم ضدينا». اجاب مخاطبه بحزن: «مؤن كولونيل، أنا لست ضدكم، لكن أرجوكم أن تعطيني من هذه المهمة، لاني، كما تعلم، اجهل في امور الدولة وقراراتها نتجاوز قرانتي».

انتبه اعجابو الى حيلة مخاطبه. صوب مسدسه نحوه وطلب منه الجنو - الجلوس على ركعته. لانه كان طويل القامة وكان امحمد يبدو امامه مثل القزم. ايقن الجميع ان ساعته قد ازمت. وقد يقين هو ايضا من ذلك، فعدا يتوسل إلى الانقلابي الفطيع، «رجاء، مؤن كولونيل، ترفق بي فاننا رب اسرة من عدة اطفال. أنا لست ضدكم لكنني لا ادر على عملية مثل هذه. امسك اعجابو سلاحه وبدأ يضرب على راس القائد العسكري بعقب المسدس وهو يقول سهيدا وسهينا: «ايها المنافيق أنت ثمره الاستعمار، لا كرامة لك، كيف وصلت إلى هذا المنصب». تدخل الكولونيل الشواطلي لصالح القائد شجاع محاولا تهدئة غضب شريكه وإفناعه بالعمول عن قراره وقال: «الآن ان شجاع لن يضرنا مثلما نعتقد. أنا متأكد انه ليس ضدينا وهو مستعد للتعاون، كل ما نحتاجه هو بعض الوقت، وهو إنسان منضبط لكن سنه لا يسمح له بعمل هذه الامور. اتركه على قيد الحياة ولاتأكد انه سيفيدنا». امره اعجابو بالوقوف ثم قال له: «أنت محظوظ جدا. كان علي أن اقتلك قبل تدخل الكولونيل الشواطلي».

زاد عمر الرجل بعشر سنوات وعينها وقلبه استعمار انقلابه مثل محكوم بالإعدام أنزل من على المقصلة ومرر يده على عنقه. وسرعان ما توجه إلى مرؤوسيه وامرهم بتهييء ثلاثة آلاف وجبة من اللحم والأرز للجميع ووضع انفسهم رهن إشارة الكولونيل الشواطلي.

بعد ان سويت قضية القيادة العامة وتم إرسال البرقيات واحتلال جميع الابواب وتطبيق الأوامر، احضر اعجابو الجنرالات الأربعة وتحدث إليهم وطلب من الجنرال حمو اسحزون الانتحاق بالقبضرة التي كان قائد منطقتها العسكرية من أجل استيلاء زمام الامور ووضع وحداتها تحت قيادة مجلس الثورة. طلب الجنرال حمو من الليونتان

قروي سيارته 4113 وتوجه إلى القنيطرة. وبمجرد وصوله اطلع الكولونيل امقران محمد، قائد القاعدة الجوية الثالثة على الوضعية وطلب منه نصف الرياب قائلا: «إن اعبابو رجل مجنون، لقد قتل الناس في الصخيرات، وهو يحتل الآن القيادة العامة والداخلية وينوي الاستيلاء على الإزاعة والتكلمة، ولابد من نصف وحداته لوقف تقدمه وحتى لا يقوم بارتكاب جرائم أخرى». اجاب امقران: لقد كنت انا ايضا في الصخيرات وقد نجحت في الفرار قبيل الهجوم بمعية الكولونيل الاساري بواسطة بلوطوسطوب، وقد وصلت للتو، لكن اسف لا يمكنني ان اتخذ فرارا مثل هذا. لابد لي من فرار من الحرس الملكي موقع من طرف الجنرال مندوح او الجنرال تيمش (قائد القوات الجوية).

رد الجنرال حمو: «كلاهما قتل في الصخيرات ولا يمكننا ان ندع اعبابو يقتل الناس. لم اعد الفهمه لقد اصبح مجنونا وخطيرا».

لقد كان الموقف غامضا من جهة الكولونيل امقران والاساري نظرا للبطء في التنفيذ. وعلى كل، لم تكن الامور كذلك بالنسبة لي، ذلك لانه عندما اخبر بوصول اللواء الخفيف للامن (B.L.S)، اجاب اعبابو بكل ثقة: «لا تخشوا شيئا إنهم معنا» وهذا تأكيد عيني حضرته شخصا، كما كنت الشاهد على التأكيدات السابقة. لقد التفت محمد اعبابو نحو الكولونيل الشلواطي وسأله منهضما: «ماذا يفعل الاساري كان من المفروض ان يكون هنا، لماذا ينتظر». ورد عليه الشلواطي: «على كل حال في انتظار انضمامه سنستعمل الكلية الاحتياطية المستعدة لذلك، ومازلت لحد الساعة اجهل عن اية كلية كان يتحدث».

استندار الشلواطي إلى جهتي وطلب مني ان اضع رهن إشارة كوماندوها، فاستدعيت كوماننو السوليوتنان مرزاق الذي كان فوق سطوح البناية، اما الكولونيل امقران فقد ترك طائرته المطارة (إف 5) في مخاضها في انتظار امر مكتوب لم يُخض ابدا لأن المنبوح كان قد لقي حتفه. ورغم انه لم يكن يملك القوة، فإن صلاحياته القيادية كانت عبيدة. تلك المساء لم يكن بإمكان اعبابو ان يتوصل باي دعم بدون امر من المنبوح، جوكير، اللعية.

عندما قتل اعبابو جنراله قتل نفسه دون ان يعلم بذلك لكنه واصل مهامته بدون توقف. بعد ان اعطي اوامره، تقدم اعبابو قافلة الجند وتوجه وسط المدينة للاستيلاء على إدارة الامن الوطني. كانت تلك هي نبته الاولى، لكنه لم ير رايه في منتصف الطريق. لما وصل قبالة مسجد

السنة. انعطف يسارا وسار في شارع مولاي الحسن ثم توقف امام
بنابة رسمية. نزل وكان على وشك إعطاء اوامر بنزول الآخرين. غير ان
لاجودان شاف عمر رجائي الملقب «بالكزنائي» المنحدر من قبيلة اعيابو
سيه إلى ان البنابة مغلقة قائلا:

«مؤن كولونيل، اننا يوم سبت والبنابة مغلقة.

ايها البليد، الاتري بان الإذاعة والتلفزة تشتغل باستمرار. وكل

يوم»

رد مخاطبه منتهشا:

«لكن مؤن كولونيل هاندي ماشي الإذاعة. هذا لوفيس ... نبال

الفوسفاط اما الإذاعة فهي في الجهة الأخرى على بعد 100 متر.

اجاب اعيابو: «غريب. معطرة على هذا الخطا الفادح، ولاسيما اخطاء

اليوم. طيب نكفي على الطريق الصحيح.

رد عليه لاجودان شاف بيك الجيلاي المشرف على المراب وسائق

سيارة جيب يومها: «انا بنوري اعرف الطريق وساقولك إلى المكان

المطلوب».

في الواقع، كان الجميع يعرف موقع الإذاعة والتلفزيون باستثناء

الناصر رقم 2. صدق او لا تصدق، لكنه الواقع.

غيرت القافلة وجهتها وبخلت زقانا بغضبي مباشرة إلى الإذاعة

والتلفزة التي كان يحرسها المراد من قوات الامن وقوات التدخل السريع.

ومفت الشاحنات ونزل اعيابو من سيارة الجيب محاطا بعصابته من

ضباط وضباط صف وبعض الطلبة الضباط بمجرد وصوله. تقدم نحوه

اللبيوتان محمد الطايف رئيس الفرقة المكلفة بحماية الإذاعة والتلفزة.

وهو يمشي بهندوء وقد علت وجهه ابتسامة سمحاء. ادى التحية

العسكرية ثم خاطبه بالقول: «احتراماتي مؤن كولونيل. لقد تلقيت اوامر

صارمة بالنفخ عن الإذاعة. ومنع من دخولها. اسف كولونيل لكن

الأوامر هي الأوامر».

امتنع لؤن اعيابو وزاد غضبه، خصوصا وان نراعه المجروحة تؤلمه

والتوتر ماقتنه يترزايد وينصاعد. وها هو «هاذ لفضولي، يلف في وجهه

مبتسما؛ وجهه هو: اسمح اعيابو الذي قطع (N) كلم لهاجمة القصر

ومر فوق العديد من الجثث غير متردد في قتل كل من عارضه ولو كان من

بين اصديقاته ها هو شخص ما يلف في وجهه لئنه من دخول الإذاعة

والتلفزة. لو ان اللبيوتان الطايف تجشم عناء النظر نقيطا إلى قسمات

وجبه لعلم بأنه امام وحش كاسر مصمم العزم على الذهاب حتى النهاية، وان عليه ان يطلق الرصاص عوض الحوار غير المجدي.
رد اعبابو: «حيث من طريقي وإلا فلتلك مثل قلب». امر الضابط على رفضه: «أبدأ لن نمر». استدأر اعبابو نحو القبطان شلاط وأمره قائلاً: «افلتها». جهز القبطان رشاشه لم ترمد وقال «اسمع لي مون كولونيل. الطايف صاحبتي شرتكت معاه الطعام شحال من مرة مع العائلة. اطلب مني اللي بغيت نديرو. لكن ما يمكنش نقلل صاحبتي». فهم اعبابو وقام بالعمل شخصياً، حيث استغل مسعسه واطلق الرصاص على الطايف الذي سقط ميتاً على بعد متر واحد من قائله:

وبمجرد ما نوت الطلقة، شرع المراد التدخل السريع في إطلاق الرصاص وكانت تلك بداية تبادل عنيف وقوي لإطلاق النار دام حوالي عشر دقائق شاركت فيه رشاشات 88.52، من جهتنا ورشاشات 1.8.1. البلجيكية الصنع التي استعملها الآخرون الكامنون وراء النوافذ وفي السطوح فوق الإذاعة والتلفزة. بعدها انتقلنا إلى حرب الشوارع وعملية الحصار وسد المنافذ كلها والقيام بعملية المسح الشامل لأعتقال المدافعين وتجريدهم من السلاح، والوصول أخيراً إلى الاستيلاء على الهدف. تم القضاء على المقاومة وقد كان لرشاش 88.52 الذي كان في يد العملاق «عفا»، ورشاش 49 PM MAT في يد شلاط دور كبير في ذلك. رجال الشرطة ترشقوا مع الضباط الطلبة الذين نجحوا في الأخير في تكسير باب الإذاعة وفسح المجال لاعبابو الذي دخل منفوش الرش مثل الديك. وضع كل سارجان رجاله أمام كل باب وكل نافذة واعطيت لهم الأوامر بإطلاق الرصاص. دون إشعار، على كل من حاول الاقتراب أو الهجوم. اتخذنا مكان قوات التدخل السريع وقد قررنا عدم التراجع. وكانت تلك المرة الأولى التي لم يستسلم فيها جنودنا لغرازهم السابية، فلم يسيثوا معاملة أي حد أو يهينوه وطلبوا انسحابهم بكل هدوء.

بخلنا الإذاعة، أراد اعبابو التحدث إلى المسؤولين فجاءه بالسيد بنمدوش الجدولي وأخبرينه أمرهم بوقف بث البرامج وتحويلها بالموسيقى العسكرية، فأمروا بنورهم الفنيين بالامتثال للأوامر فجاءوا بالشريط رقم 4، وضعه شخص طويل القامة اسمر اللون ونحيل في جهاز الإرسال وضغط على الأزرار فصعدت الموسيقى العسكرية المشهورة «لاماليت»، LA GALITTE على أمواج الإذاعة انتقلنا إلى قاعة أخرى جمع فيها الطلبة الضباط كل الفنانين من مغنيين

وموسيقيين وملحنين ومذيعات ومذيعين .. بعد نظرة خاطفة لحظ اعيابو وجود ملحن مغربي شهير، جالس فوق كرسي يستمع ويتابع الأحداث دون ان يراها نظرا لانه اعمى، امر بالقيامه الى استوديو البث ووضعه امام الميكروفون لم يطلب منه بصوت مسموع : «اسي عيد السلام بعينك تعاود معي حرفيا شي اللي لحادي نكوك وبير حتى انت شي بركة» توافقت الموسيقى العسكرية وبدأ الملحن البصير في ترديد الإعلان الذي لم يكتب ولا نشر: «لقد طلعت شمس جديدة وتخلصنا من اللعنة. مرحى بالجمهورية، السلطة الآن في يد الجيش، إن مجلس الثورة يطلب منك الحيلة والهدوء ... إلخ». اعيد بث هذا الإعلان مرات عديدة، في تناوب مع الشريط رقم ١٩، الى حدود العاشرة ليلا.

نصب اعيابو «زابطاء» القبطان شلاط نالبا عنه وطلب من مسلحيه ان يتبعوه، بعد ان ترك الطلبة الضباط في حراسة الإذاعة والتلفزيون التي اصبحت محطة «ثورية»، أو «انقلابية» حسب زاوية النظر. وهذا ما كان «البعرض» ينظر الحسم فيه هؤلاء «المنافلون» كانوا مستعدين لتغيير ولائهم في اي لحظة والانتصار لمن انتصر «الله يتصر من صبح» كما يقول المثل، المهم هو الذي لا يضيع امتيازاتهم ومصالحهم. ولطالما تساطت مع نفسي والى حدود الآن ما زلت اتساءل: لماذا لم يحاول اي واحد منهم ان يستل مسدسه ويقتل اعيابو؟ والحال ان تلامذة مدرسة الهرمومو جمعوا نقالين (برويط) من الاسلحة (مستنسات 7.57 ملم واخرى من طراز ١٩ ملم ورشاشات قابلة للذخني من صنع كوبي ... إلخ)، من الرهائن ومنهم من كان يخدم الدولة وكان من المفروض والواجب ان يعوت دفاعا عن رئيس الدولة وللأسف لم يجرؤ احد من هؤلاء المنافقين على ذلك.

في الرباط وضع المراد القيادة العامة سلاحهم بدعوى انهم حيدلو التلغيح ضد الكوليرا، والآنكى من هذا ان الوحدات التي ارسلت للدفاع عن هذه البناية ومنعنا من الدخول لم تقم بشي، كما هو حال وحدات المدرعات التي اخذت امكانها قبل احتلال الإذاعة على طول شارع مولاي الحسن اي المسافة الفاصلة بين المكتب الشريف للفوسفاط و«مارشي النوار» فقد ظلوا يراقبوننا في انتظار الأوامر ..

بعد رحيل اعيابو تولى شلاط قيادة وحدة الإذاعة والتلفزة، امر بلف جنمان العقيد الطايف بغطاء.

إن الشخصين الصالحين والوفيين يومها اللذين لاما بواجبهما على

احسن وجه، لا لانهما كانا يتقاضيان راتباً بل لصحوة ضميرهما، كانا معدين ارضاً وقد سال منهما وهما: السولويوتنان التركي وزميلنا الطاييف الذي كان زميلنا كنا. ينحصر الطاييف من نفس القرية التي ولد فيها اعيابو وهو ريفي مثله من قبائل كزناية، التحق بالاكاديمية العسكرية في سنة 1964 ورقي الي رتبة سولويوتنان سنة 1966 ونقل الي الهرمومو في السنة الموالية، ثم الي الحاجب حيث عمل تحت امره اعيابو. ثم عاد الي الهرمومو سنة 1968 عندما اصبح اعيابو مدير مدرستها قبل ان يغادرها سنة 1970 بعد طلاقه، وقد اُختير لمواجهة قائده السابق وبعض اصداقه ولهذا ربما كان باسم الوجه أثناء اللقاءه باعيابو.

كانت الإذاعة تبث على راس كل ربيع ساعة البلاغ المشار إليه الي جانب الدعوة الي الهدوء و«المارش، العسكري، حوالي الساعة الخامسة جاء القبطان قائد وحدة المدرعات مشياً على القدمين من اجل التفاوض، طلب من القبطان شلاط اخلاء المكان لانه كان ينوي تدمير الإذاعة والتفكزة حتى يتوقف بث البلاغ، جرده السولويوتنان سعودي من مسدسه وامر شلاط باعتقاله داخل مبنى الإذاعة، لم يلق جنود المدرعات اي رد فعل وظلوا ينتظروا ساعة الحسم القادمة.

كان الرهائن داخل الإذاعة يخضعون للحراسة المشددة، لاحظت بينهم المطرب المصري الكبير عبد الحلیم حافظ والقفا ورافعا تراعيه وقد نال منه العياء وانهكه الرعب القربت من اثنين من الطلبة الضباط المكلفين بالحراسة وسألتهما:

- واث عرفتو شكون هذا؟

« اجاباني: لا».

طرحت عليهما سؤالاً اخر: «واث انتوما من المدينة»، فكان جوابهم بالنفي وانهما من البادية فقلت «ماعليهش خلبوا هاذ السيد راه مريض بزاف وما تخلبوا حتى شي حد يمساوا».

القيت التحية على هذا المطرب الكبير ورجونه بالجلوس وسألته عن سبب سجيئته، فرد بانّه جاء من اجل تسجيل اغنية، بعض الطلبة الضباط انفعلوا خارج المبنى وشرعوا في اعتقال المارة، وقد كان من ضمنهم المذيع الصديق معتينو فلانارت سحننه فضول لاجودان خرخاش الذي سألته بفرنسية ركبيكة:

طوا، كومينيسيت: TOI, COMMUNISTE

اصبر الضابط على رايه: سي، سي، طوا كومينيست SISI TOI COMMUNISTE.

ثم توجه الى الحراس وامرهم بالعربية الدارجة، احضيوه مزيان وديروه وخدمه، ثم اصل بفرنسيته الركيكة «وي، موا كوني كومينيست عبربوكو تشاو - تشاو... MOI CONNAIS COMMUNISTE... FAIRE BEAUCOUP TCHOU - TCHOU» واعتقل رجائنا سانفي الطاكسيات ايضا، وقد انتهت لما رايت اثنين منهما يفتادان شخصين احدهما يرتدي جلبابا ابيض وطربوشا احمر والثاني لباس السائق، فلما للميوتنان «منصت، على اساس انهما شخصين مشتبه بهما تنوهدا وهما يحومان حول مبنى الإذاعة والتلفزة، اصبر الضابط امره باعتقالهما وضمعهما الى الرهائن. تدخلت فوراً وسالت «منصت، وانش عرفت شكور هذا» فاجابني بالنفي فقلت له: «هذا السي الحاج باحنيبي، وزير الدفاع الوطني واحد القم الوزراء في البلاد».

تدخل المعني، ويدها دائما مرفوعتان وقد انفرت في اضلاعه حربة السلاح: «نعم، انا وزير الدفاع الوطني، جئت لآخبر زوجة اخي بان هذا الاخير قتل في الصخيرات، وهي تظن وراء هذه العمارة ولسوء الحظ اعتقلني رجالكم».

ساله منصت «اين هي وثائق الإلبيات وستنال معاملة تليق بك» رد عليه: «اللاسف ليست معي» فامر منصت رجاله «ديروهم مع الآخرين». هكذا تعذر على الحاج باحنيبي اخبار زوجة اخيه بخبر وفاة زوجها الاستاذ با حنيبي الوزير الأول السابق والعضو دائم العضوية في المجلس الأعلى للقضاء والذي توفي في الصخيرات، لقد كان من الأعمى جدا فعدان اخ شقيق لكن اللحظة لم تكن لحظة عزاء، لاسيما عندما يكون المرء وزيرا للدفاع، في تلك اللحظة كان من المفروض ان يكون في مكتبه للإشراف والسهر على عمليات القضاء على التمرد وضرب عملية اغصابو. والحال ان الوزير جاء للقيام بمهمة عائلية، قيل له: «لقد كنت ان تقوم بالمهمة، لكن قضية الدولة فوق كل الاعتبارات وكان عليك ان تضحي بالكل من اجل انقاذ الدولة» لقد قضى السيد الوزير نصف الليل ممددا ارضا بين الرهائن، ولعل من حسن حظ انه لم يصاف اغصابو والا كان فنته لامحالة.

الاستيلاء على الداخلية

مر الاستيلاء على الداخلية بدون حادث يذكر، فقد ترجل الكومندوران اللذان كانا يقودهما كل من الليوتنانت حيفي عبد السلام والسوليوتنانت البيليفي، واجتاح الفرانكها مقر الوزارة قبل أن يتسنى للقوات المساعدة الدفاع عنه فوجدوا بسرعة العملية مما أجبرهم على وضع أسلحتهم، وأوقفهم الجنود على طول الجدار بعد أن جربوهم من ملابسهم ماعدا التبان، لم تسلم النساء من هذا الإجراء المخل بالحياء وهو ما تكرره أثناء المحاكمة والحنن عليه، أسيلت معاملة موظفي الداخلية لأن الطلبة الضباط اعتبروا أن سلوكهم كان نوما متعاليا، فأنهالوا عليهم بأعقاب البنادق ليكسروا شوكتهم

أصبح مركز البث والاتصال ومركز الهاتف تحت سيطرة الضابطتين اللتين بادرا بإرسال برقيات إلى الإقليم وركب الليوتنانت حيفي سيرته وتوجه مباشرة إلى السفارة المصرية لإخبارها بنها الانقلاب ثم ذهب إلى مقر القيادة العامة لتقديم تقريره لأعبابو.

كان الشخص الأخرى أطورا يومها هو الكوماندان (ل) من «الدوزيام بيرو» الذي شاهد القاذبة تمر «ببياب الحد» دون أن يحرك ساكنا أو يخبر رؤسائه على الأقل بهذا الموكب وجنوده المسلحين يتوجهون نحو الصخيرات وهو نفسه الذي جاء إلى مقر وزارة الداخلية ورأى كصنفرج على العمليات دون تدخل وقد أمضى وقته ينتقل من القيادة العامة إلى الداخلية في انتظار الذي يأتي ولا يأتي، وقد أشرف هو ذاته على الاستئطاق وطلب من حيفي أن يروي له كل نشاطاته خلال العملية فاجابه هذا الأخير بكل هدوء «اعتقد ياكومندان، أنك على علم بها لأنك كنت معي في وزارة الداخلية» فوجئ (ل) بالجواب فهده قائلا: «لا تنكر اسمي على لسانك وإنس أنك رأيتني إذا كنت ترغب في الإفلات من جحيم العذاب، وهكذا نجح هذا الكومندان الذي لم يجزئ في أية لحظة من اللحظات على الكشف عن ولائه لهذا المعسكر أو ذاته نجح في الإفلات

بجلده دون ان يبرر ذلك اما الضابطان الانقلابيان فقد ادينا ب ال سنة
سجنا فالذا ولقيا حتفهما في تازمامارت بعد ان فقد حيفي صوابه
وعاش الثاني من تزيف معدي اودي بحياته.

ما إن عاد اعبابو الى مبنى الإذاعة والتلفزة حتى توجه الى المكتب
الثالث واجتمع للمرة الثانية مع اعضاء مجلس الثورة، الذي شارك في
اجتماعه ضباط آخرون، عنوة او بمحض ارادتهم، وباستثناء اعبابو
وسفيطة محمد والشلواطي وبوبري والمالطي وحبيبي وبوغربن
وامهارش مصطفى واجمعوان والفنيري وعمي، لم اكن اعرف كل
الحاضرين، والاساري كان في كل مكان منتظرا.

اسند اعبابو إلى الجنرال حبيبي مهمة العودة الى قصر الصخيرات
للإفراج عن الأجانب والسفراء منهم على الخصوص، واعفاء اعضاء
الحكومة من مهامهم وتنحية زعماء الاحزاب السياسية وبعض
التنظيمات المدنية والعسكرية وكل من ورد اسمه في لائحة طويلة
سلمها إليه اعبابو وكان الجنرال المنبوح هو الذي هيأها وسطرها،
وكانت مهمته تقتضي أيضا محاصرة القصر الملكي ومواصلة البحث
عن عاهل البلاد والجنرال اوفقيير والكولونيل التليسي مدير الأمن
الوطني آنذاك، وقد وضع اعبابو رهن اشارته الليونتان لغزو محمد
لمساعدته والسرطان انيس لسبالة سيارة الرينو 4 و 3 شاحنات مليئة
بالضباط الطلبة المتجنين بالسلاح لخدمته، كان الجنرال معروفا
بسلطوته، إن لم نقل شرارته ولهذا لم يكن يحب الاقتراب من رؤوسه،
بعض الإشاعات شبه المؤكدة كانت تتحدث عن تعاطيه للاميون، كانت
العبرة الوحيدة التي فاء بها الجنرال المتكتم والمنطو، طوال الطريق
هي لقد انضمت وحدات الجيش واعتقد الآن ان الأمور ستنجح، ويبدو
ان هذا اليقين هو الذي دفع به الى المشاركة، غير انه فوجئ لتبدل
الوضع، فقد تغيرت المعطيات وانقلبت الأتوار واكاد اجزم انه ندم لحظة
وصوله على مشارفته، فقد وجد جلاله الملك سليمان معالي، محاطا بكل
من كانوا رهائن، كان الجميع بحميمه ويقبل يده ويهنئه ويتلو سورة
الفتاحة معه، وبالرغم من أن الرهائن كانوا لايزالون تحت تأثير
الصدمة، منهكين من التعب متالزين وجدائيا لتلك المشاهد التي
عاشوها ككوابيس، فقد بدوا باسمين منشرجح لتجاتهم من منبحة
محطلة.

نظاهر حبيبي كان شيئا لم يقع وتقدم حبيبي نحو جلاله الملك وقبل

بيده متمنيا له طول العمر. ولعل المفطور له امره بالإلتحاق الفوري بمراكش التي كان قائد منطلقها العسكرية وبعد أن قطع (40) كلم في عز الليل اعتقل في بيته من طرف الكولونيل بنحدو ومرافقه قبطان من الترك الملكي. أراه الأمر بالاعتقال ثم أمر بركيبتين كانا يرافقه بوضع الإصفاة في بيته والعصاية على عينيه وقطعوا به نفس الطريق في الاتجاه المعاكس ليطلق حمله. أما الليونتان لفلو فقد عاد على اعقابيه بعد علمه بفشل المحاولة الانقلابية ووصول المظلمين الذين حضروا للفضاع عن القصر. لكنه سرعان ما سيسقط في يد عناصر للتدخل السريع التي بدأت عملها في التدخل. امين بعد ذلك بـ 15 سنة سجننا وقضى 18 سنة في نازمامارت في الظروف الإنسانية المعروفة وقد قضى 11 سنة نائما على جنبه الأيسر قبل أن يموت.

كانت مهمة الجنرال بوعربين تقضي بالنجاحه هو ايضا بالمنطقة العسكرية بمكناس، لكنه اعتقل في اللحظة التي هم فيها بالركوب الهليكوبتر. اما الجنرال امهارش مصطفى فقد مكث في مقر القيادة العامة إلى جانب المجلس، وفي المكتب الثالث وضع امحمد اعبابو اللوحة النهائية لاعضاء المجلس الثورة، وقد الح اعبابو محمد (الاخ الأكبر) على إضارة اسماء الكولونيل بوعمامة الطيب والكولونيل عبروق محمد. كما اضيف اسم الكولونيل التيجاني مفتش القوات المساعدة. وعندما تم الإتصال به هاتفيا ليلتحق بـ المجلس، كان غائبا. وفي الوقت الذي كان فيه هؤلاء السادة يعقدون جلسة عملهم المظلمة وقعت امور كثيرة في الصحيرات دون علمهم.

بعد رحيل اعبابو والظلمة عم الهدوء من جديد وإن شابه صمت مطبق وتلفاتي ككل صمت يعقب الصخب الجهنمي، وغامر محمد اعبابو المكان بدوره وقد ترك وراءه شبح الموت يسكن الأبنية والإنهان والمشاهد الجنازية التي انهدت الابصار، اما الرهائن الذين ظلوا والظلم لساعات طويلة بلا حراك فقد كانوا اشبه مايكون بالتماثيل بعض المعبدن ارضا تظاهروا بالموت لعلمهم بظلمون بذلك الحراس لو قروا تصفيتهم. كان الحراس تحت قيادة السرجان (ك) الذي اختلى بنفسه لقضاء حاجته فاضاع بذلك توليت الرحيل فاجبر بذلك على البقاء مع التلامذة ضباط الصف. كان بإمكانه تدبر امره كما فعل خرخاش الذي احتجز شاحنة مدنية على الطريق الوطنية والنحو بالرباط لكن كونه، عمرا، منعه من اخذ مثل هذه المبادرة.

ظهر جلالة الملك وتعرف عليه بعض التلامذة ضباط الصف وأنا في الحديقة عاجز عن وصف كل ما حدث بعد ذلك لأنني لم أكن في عين المكان وقد اختلفت الروايات حول الأمر حسب اختلاف الرواة، الشيء المؤكد الوحيد هو أن بعض التلامذة تعرفوا عليه وسلموه اسلحتهم وطرح عليهم رحمه الله بعض الأسئلة، أجابوا عليها بصنق ونزاهة، أي أنهم لم يكونوا على علم بالإنقلاب وأن رؤسائهم خدعوهم. تم استدعاء السرجان كنوش الذي كان الأكثر رتبة من بين التلامذة، ليكن يد جلالة الملك مثل الآخرين، وقد أملت السرجان (ك) الذي يحتل الآن منصبا مهما في الترك الملكي وحضر محاكمتنا كشاهد من شهود الإغناء العام وأمين زملاءه بـ 18 شهرا سجنا.

أمر جلالة الملك بالإفراج عن الرهائن كلهم فطار هؤلاء فرحا وجاؤوا للسلام على عاهل البلاد، كانت لحظة مؤثرة للغاية أرا خلالها جلالتنا فرادى الفاتحة حمدا لله وترحم على كل من قتلوا، وانبرى الأطباء الحاضرون لمساعدة الجرحى، ونظرا لقلّة سيارات الإسعاف نقل الدكتور هادي مسواد الجرحى في سيارات خصوصية وهكذا استطاع العديد من الجرحى، بفضلهم وبفضل بعض الأطباء الفرنسيين الإملات من الموت وكان من بينهم الكولونيل لوباريس.

كانت لحظة حزينة تلك اللحظة التي اصطف فيها الحاضرون وراء جلالة الملك يترحمون على كل ميت أو يواسون الجرحى، كانت هذه الأجواء الكئيبة التي زانها تحبيب بعض الحاضرين لقامة شبيهة بالأجواء التي تعقب القيامة، ذلك لأن يوم الصغيرات كان يوما شبيها.

«كوبوي» في الرباط

كان من الأشخاص الذين جاؤوا لتحية جلالة الملك الجنرال دوبيغريزون البشير البوهالي الماجور العام للقوات المسلحة الملكية. وقد أمره المرحوم الحسن الثاني قائلا: «ماذا تنتظر للقمع هذا التمرد؟ كسر شوكة هذا الانقلاب». سارع الماجور العام إلى تنفيذ الأمر الملكي في

الحال. توجه الى بن سليمان من اجل إحضار قوات الدعم الضرورية والتوجه إلى العاصمة للقيام بالمهمة التي كلفه بها جلالة الملك. وبالرغم من أن كل الكاميرات قد صودرت فقد غامر بعض المصورين في التقاط صور عن العملية قبل اخفاء الات التصوير الصغيرة في السراويل. والآن يخرجون هذه الصور ليقوموا بواجبهم المقدس في الاخبار. وهكذا بعد صور الرعب جاء صور الفرح العارم والامل.

انتقل جلالة الملك إلى العمل الميداني، فبدأ بإصدار أوامره الى من كانوا معه في مكانه المجهول الجنرال اوسفير وزير الداخلية والتولونيل احمد التليهي المدير العام للامن الوطني والسيد احمد العراقي الوزير الأول والجنرال صلاحي حفيظ العلوي ووزير الدولة احمد العلوي. أمر جلالته أيضا بنقل الجرحى وإخلاء المكان من الموتى.

وصل مظليو الرباط الذين اخببرهم السوليووتخان بينبين، الذي غامر القصر على متن طيحاته، إلى الصخيرات ووضعوا الضباط 48 الذين كانوا هناك خارج دائرة العمليات بعد ان جردوهم من السلاح واليدوهم. بعد ان كانت بركة، جلالة الملك قد حولتهم الى ناس خاضعين ومستسلمين بعد قراعتهم للفتحة.

تقدم الليوتنانت عبد السلام س، في الحال ولقد تم تقريره الى جلالة الملك عن إنهاء حركة الضباط وعين في الحال قبطانا، وبما انه لم يجد النبانين الثلاثة المطلوبة كرتبته الجديدة فقد نزع نيشن الكتف الأيسر ووضعها على الكتف الأيمن. وبعدها وضع الطلبة الضباط الثمانية والأربعين في الشاحنات، يساعده في ذلك السرجان كنوش لنظهم الى النكتة...

في الرباط مقر وزارة الداخلية مازال تحت سيطرة الانفلايين بإمرة الليوتنانت حيفي والسوليووتخان البليطفي. وكان القبطان سلاط يشرف على عمليات الإذاعة والتلفزة، في حين واصلت الإذاعة الجهوية بطنجة بث برامجها العادية والمعتادة.

في مقر القيادة العامة وزعت الأتوار بين الحاضرين. وهكذا كلف الليوتنانت كولونيل اجعوان رئيس المكتب الثالث بإرسال برقيات الى كل وحدات الجيش لوضعها في حالة تأهب دائمة الى اشعار آخر صادر عن

مجلس الثورة. وقد نفذ هذا الضابط السامي الأوامر في الحال، وقام فيما بعد بإلغائها كلها. لقد اجبر مثل العبيدين على القيام بما لم يرضه من جهته اتصل اعجابو محمد (الشقيق الأكبر) بالعبيد من قادة الوحدات طلبا لدعمهم، أما شقيقه احمد فقد انهكه التعب والم الجرح في نراعه، فاستدعى إليه الليوتنانت كولونيل الطبيب مولاي ليستخرج الرصاصة من نراعه الذي اصابه الشغل. بعد هذه العملية الجراحية الوجيهة جلس في احد الأبراج ثم فكر مليا قبل أن يطلب من السوليتان أن ينور احضار الضباط كلهم حتى يخطب فيهم. وقال اعجابو للضابط أن نور: الذهب وادع جميع الضباط الى هنا. اريد أن اتحدث إليهم لانني بصراحة اسف على توريث وحدثي في هذه العملية للثورة. توجه أن نور لدعوة زملائه. لكن احمد اعجابو لم يعد امامه وقت للتحدث الى الضباط لأن التلاميذة ضباط الصف جاؤوا اليه واخبروه بوصول الجنرال البشير البوهالي مصحوبا بالفراد وحدة التدخل السريع، وأنه بباب مقر القيادة العامة. ذهب احمد اعجابو للقائه يرافقه في ذلك العملاق عفة والضابط عشور وعمروش والكوري ومزيرك وشفيقاه الليوتنانت كولونيل محمد والسرجان شاف اعجابو عبد العزيز، دخل الجنرال ماجور للطوات المسلحة الملكية الى حرم القيادة العامة يرافقه بلعجوب والكومندان اوعيا عبد القادر قائد وحدات التدخل السريع لابن سليمان والكولونيل سجاج والليوتنانت كولونيل اساري وضباط وضباط صف وجنود آخرون، امر الجنرال البوهالي لكل من الكولونيل اساري واوعيا التوجه الى الإذاعة والتلفزة للسمع الانقلابيين واخراجهم من هناك ثم اعتقالهم في ثكنات الوحدات الفرعة للقوات. واحتفظ بالمقابل، بالآخرين لمواجهة احد أعدائه اللدودين. وما من شك أن كل واحد منهما كان يفذي في أعماله حفا وكراهية كبيرة للآخر. فقد كان كل منهما يكره الآخر، وكانت تلك اللحظة هي المناسبة المنتظرة لحسم هذا الخلاف الدائم. توجه كل واحد من جانبه باتجاه الآخر والقي الخطوات حازم النظرات. وقد كشف الموقف العدائي لكل طرف الغل البغين الذي كنه كل واحد في انتظار ساعة الانقلاب، التي وصلت في موعدها كما هو حال البؤس. تقدم كل واحد باتجاه الآخر، والشرر يتطاير من الأعين والسلاح مشهور في اليد. خطوات صامتة لا يسم عنها صوت، شبيهة بخطوات هنود الأباش. وقد كانت مبارزتهما حقا قمينة بعيلم ويسترن، تلك انهما ولما عن التقدم في نفس اللحظة، وقد باعدا رجلاهما في ولغة ابطال الوبستين ووضعما

اليد على الزناد، من راسها اعتقد انهما من «كوبوي» الفارويست، فكلاهما كان اضطر وعيناه صاهيتين تلمعان من شدة الضوء، اللهم ان الجنرال كان طويل القامة وقويا على عكس الكولونيل اعبابو.

كان الجنرال البوهالي البائد بالحديث:

«ماذا تفعل هنا ايها الحظير، اخرج من القيادة العامة.

اجابه امحمد اعبابو بكلام ناب:

«انا في مكاني، انت من عليه الخروج ايها الفجي.

فرد عليه الجنرال

«لقد خسرت استسلم ايها الحظير.»

لجا اعبابو إلى «النييلوماسية» وقال:

«اريد التحدث إليك ولاتك اننا سنصل الى حل مناسب.»

رفض الجنرال البوهالي رفضا قاطعا عرض اعبابو وخاطبه قائلا:

«استسلم اولا واعط اوامرك لرجالك بوضع اسلحتهم والاستسلام

ايضا إذا كنتم تربيون البقاء على قيد الحياة. ما من شك في ان هذين

العمويين كانا بجهلان بانهما يشتركان في نفس الشيء، الحقد والإشراف

(النيبلجياتي) او قراة الأفكار. هذه الأخيرة تشتغل بشكل عمريين. ولهذا

احس كل واحد منهما بالخطر، نفس الخطر وقرا كل واحد ما يفكر فيه

الأخر. فاصغر الجنرال والكولونيل الامر بإطلاق النار. ولتلع الرصاص

في ذات اللحظة وتلفيات الأسلحة ما فيها من جحيم، اخترق الرصاص

جسم الجنرال فعات في الحال واصيب امحمد اعبابو إصابات بليغة

فخر جريحا، رفع راسه بصعوبة نحو ذراعه الأيمن الوفي «علة» وطلب

منه ان يقله ، لانه لم يكن يرغب في السقوط بين «أيديهم» تردد علة في

قلبه فائده الذي كان يكن له احتراما كبيرا، استجمع اعبابو كل ما بقى

لديه من قوة وصاح فيه: القتلى علة، انا مزلوك فيلكه القتلني هذا اخر امر

(اورمر) نعطيه لك تيربها ماتخممش. الآخرين انتقامهم لحادي يكون

الحسي من الموت». فاطلق علة رشقات طويلة على فائده واردة فتبلا.

تولفت المواجهة بين الطرفين فجاءه لم تكن الحصيلة كبيرة من الضحايا:

قتيلان وبعض الجرحى الذين اصيبوا عشوائيا في هذه المبارزة الثانية

بين عمويين.

كان لموت الرجلين طعم النهائية، ولولا هذا الموت لتفاخمت الأوضاع

ربما، وزاد عدد القتلى والجرحى. وهكذا لم تتم «جمهورية» اعبابو سوى

بضع ساعات اما «مجلس الثورة» الوهمي فقد انحل بعيد تشكيله حيث

فر كل عضو للإفلات بجلده بعد أن انتشر الخبر ببقاء جلالة الملك على عهد الحياة.

لقد بدأ اعيابوا سلسلة الفشل بتصفية نجل احد القواد وانما باحد ابناء القواد، المشير البوهالي ابن قائد بني ملال، تلقى تكوينه في «الدار البيضاء» بمكناس قبل اوقشير وانريس بن عمر. بعد ان تخرج برتبة سوليوتنان التحق في الخيالة، شارك في الحرب العالمية الثانية ضمن قوات المبرعات. وقد كانت وحدته ضمن القوات الفرنسية في احداث وادي رم. وقد كان احد المسؤولين عن هذه الاحداث. وينكر ان احدث وادي رم ذات احداثا مؤلمة تعرضت خلالها ساكنة هذه المدينة إلا سجزرة رهيبة بعد اعلان رفضها لنفي المطور له محمد الخامس، الملك الصرعي للملاد.

وإذ سبق أن عين كطائد «السهول» باعتباره ليطاناً، بعد الاستقلال طرد من الجيش بعد احتجاجات قوية من حزب الاستقلال. وبعد سنوات اعيد إلى صفوف الجيش برتبة كولونيل وعين ملحفا عسكريا في باريس، ثم عاد من جديد إلى الدفاع الوطني قبل ان يعين جنرالاً و نائب الماجور انريس بن عمر. في سنة 1969 رقي إلى رتبة جنرال توبيفيزيون وعين الماجور العام مكان رئيسه الذي اصبح وزيراً للبريد. قبل مجيء الجنرال المشير كان اعيابو احمد أحد الضباط الذين يظلم انريس بن عمر نقله. وكان أيضا احد القادة المحظوظين في الجيش، يحصل على كل ما يريد ويقدم الهدايا الثمينة لرؤسائه المباشرين. وبمعنى آخر كان «بنهن السير» لكل من يزعموه، وكان يقدم «الإطرفة» لهم وخصوصا منهم «» الذي اشتهر بلعب البوكر والخمران فيه. ولم يكن لينتبه إلى أن المال حال الجيش. وقد كان اعيابو يرشي أيضا المرابين والمفتشين والمسؤولين عن المال العام. لقد كان يسرق القولة أيضا سواء من حيث استنفاد القروض الممنوحة للمدرسة او عبر تزوير الفانوات او تحويل العتاد وبتجويد الطلبة الضباط ويقول المثل الدارج «جوع كلك بتبعك»... وقد تبع النلامذة ضباط الصف اعيابو حتى... الصخيرات.

بعد تولي المشير البوهالي القيادة لجأ على الفور إلى تغيير في البنية التحتية فعوض كل مساعدي انريس بن عمر ببعض «اصحابه» لكنه لم ينجح في التخلص من اعيابو الذي كان فوق القرار. وقد طلب مرارا تغييره، لكن المنبوح كان عراب المايجوزي. لقد كان على اطلاع واسع على عيوب الضباط الشاب لكنه غض الطرف. لأن اعيابو كان يتولف على خاصيتين ربما احتاجهما المنبوح ذات يوم، الطموح والشجاعة. ولم يعلم

المنبوح ان هذا الطموح هو الذي دفع، تلميذه، الى خيائته. اما الشجاعة فقد نهب اعيابو الى الصبي التهور والصبي ما يمكن، لطلب تصفيته من قبل مرؤوسه غلة.

بعد مقتل اعيابو انفض الجمع. ونهب الثلاثة الضباط في كل اتجاه مثل قطع بلا راس ففروا في كل صوب وجنب. فاختبأ، غلة، في المطبخ حيث كانوا يهيئون الاف وجبة توجه اعيابو الى القنيطرة ليركب سيارته ويقل زوجته وابنته والفرار الى تطوان. في منتصف الليل وصل منزل المينة فمشاهد حاجز تفتيش للدرك الملكي فنزل من السيارة وتوجه الى الغابة وحيدا. بعد مرور يومين اعتقله، المخازنية، (القوات المساعدة) ونقل الى العاصمة.

اما عشور وعماروش ومانولو فقد توجهوا نحو فاس واعتقلهم رجال الدرك. السوليووتان الكوري نقي على باب العميد المعتاز ابريس البصري وطلب فضاء الليل عنده حتى الصباح، لكن العميد وضعه في الحال رهن الاعتقال في يد الشرطة.

كان الغروب ايدانا بانتهاء عملية اعيابو وتغير الالوار راسا على عقب. فبدأ رجال القيادة العامة والتدخل السريع يبحثون عن الانقلابيين ويعنفونهم وسجنهم. لم يجدوا اية مقاومة لان العميد منهم استسلم ورفع يده عاليا. والبعض الآخر فر في انتظار ان تهدا العاصفة.

وسط هذا الهرج والمرج جمع ليوتنان من قوات التدخل السريع مجموعة صغيرة من الضباط السجناء من بين الانقلابيين ووضعهم في الحائط قائلا: «ما تستحقون تكونوا ضباط لانكم خنتوا شعاركم الله، الوطن، الملك، غادي نعيمكم قدام الناس، للأسف ساديين الكالونات، ديالكم كنت غادي ندير غرايكم قبل ما نقتلكم، واستدعى مجموعة من رجاله وطلب منهم الاستعداد وانتظار الامر باطلاق الرصاص. وفي اللحظة التي كان على وشك الامر باطلاق النار تدخل الكومندو، لويبي، لوقف القارئة.

اوقف هذه المجزرة، ماذا تفعل

اريد اعدامهم - مون كوماندان - هؤلاء ضباط اهرموسو خونة الوطن.

صرخ الكومندان لويبي من فوج محمد الخامس في وجه فرقة الاعدام، «الغريوا عني. الا تعرفون انه يمنع منعا كليا اعدام الناس بون محاكمة»، ثم توجه الى الليوتنان، «باي حق تريد اعدامهم، صراحة انت غير واع

بعملك الذي تعاقب عليه امام المحكمة العسكرية. بر خدمتك وحناءا،
 طلب الضباط من السجناء الصبر وراعه ثم اتركهم في شاحنة في
 انتظار نقلهم الى الكفّة - السجن. لقد كان رجال التدخل السريع عنيفين
 وقاسيين. نزعوا من التلامذة الضباط ما كان بحوزتهم (او ما سلبوه
 للآخرين). في الكفّة تم نزع ملابسهم الا من الثياب والبيدات ارجلهم
 الحافية ومددوا لرضاء، نالوا حظهم من الامانة والتهديد. بعد ان ظلت
 قوات التدخل منذ الساعة الرابعة تنتظر هذه اللحظة.
 وحصل ان «الليونتان» منعت، القصير النظر منذ الولادة طلب ان
 تعاد له نظارته، فاجابه اللبطن شطوي من قوات التدخل السريع: «من
 الآن لمساعدنا ان يحتاج الى نظار لو حياة، ومع ذلك فلفسي» منعت، 20
 سنة في نازمامارت بعد دابنته ب 10 سنوات ومازال يضع نظارته
 ومازال على قيد الحياة

أخر الطلقات

في مبنى الإذاعة عرفت الأحداث مجرى مختلفا. ويمكن القول إن
 الوضع كان قاسيا شهد عدة ممارسات عنيفة تجاه التلامذة ضباط
 الصف. وقد طلب الكومندان اوعيا من رئيسه المباشر الليونتان كولونيل
 اساري تركه ينفذ العملية شخصيا بدون حوادث. ولبيله في ذلك أنه
 يجيد الحديث الى الانقلابيين المختطفين من اجل إقناعهم بالخروج دون
 اشتباك. فبدأ حديثه «اسمعوني كلتم انا الكومندان اوعيا محمد عبد
 القادر. كلتم تعرفونني. لانني كنت الى حدود السنة الماضية مديركم في
 الداربيد. اريد الآن التحدث الى الضباط بعد ما مباشرة خرج الضباط
 وضباط الصف واستسلموا زلزالا وضلوا وضعوا اسلحتهم بدون
 مقاومة. تدخل الاساري وطلب من الضباط إصدار اوامره الى مرؤوسهم
 ليقتلوا بهم ويسلموا انفسهم، وهو ما تم على الفور. وفي اللحظة التي
 كانت عناصر التدخل السريع وهم ما يجمعون السلاح ويلقون
 السجناء الى الشاحنات تحت أضواء الأعمدة الكهربائية في الأزقة بعد

إن خيم الظلام في تلك اللحظة، اعمت الإبصار فجأة الأضواء الكاشفة
الموضوعة على الجانب الآخر من شارع مولاي الحسن وبدات الرشاشات
والمرعات في إطلاق النار على التلامذة ضباط الصف. وقد كانوا واقفين
وسط شارع زينة البريهي، مصطفين في طوابير ثلاثية، فسقطوا أرضاً،
وأصيب بعض العناصر قوات حفظ الأمن لأن الرصاص كان يستهدف
كل الواقفين بدون تمييز. كانت الرشاشات من طراز 12.7 مم تطلق
البيزبان مثل تينينات غاضبة. وكانت أضواؤها وسط الليل تزرع الرعب.
اعتمد المراد قوات التدخل السريع أن النار تأتي من جهة القواعد
الخلفية للطلبة الضباط فربوا بعنف فكانت الفوضى. فر التلاميذ
الضباط للإفلات يجلبهم أو اختبأوا طمعا في النجاة من الرصاص.
وكان المراد التدخل يطلقون النار لمنعهم من الهرب. ورد التلاميذ الذين
لم يعضوا سلاحهم على الجنود.

ولم تتوقف العجبات عن إطلاق النار على كل مواقع مشتبه فيه، وربما
حان ذلك بسبب الفوضى العارمة وما تلاها من قبل أمام مبنى الإذاعة.
سما خلق عددا كبيرا من القتلى يفوق عدد الصخيرات. ففي عصر
الصخيرات أطلق الانقلابيون النار على المدنيين العزل فقتلوا 131 فردا
منهم شخصيات سامية.

وأمام مبنى الإذاعة والتلفزة أطلقت النار على التلاميذ الضباط
المتعربين بعد تجريدهم من السلاح. وقد كانوا في طريقهم إلى السجن
القائمين فمات منهم 111 شخصا.

المول رابي الشخصي في أن القانون كان يجب أن يطبق على كل ما
انتهكه بالفشل العموديون وجه حق. هناك فرق بين الانقلابيين الذين
حاولوا المس بمؤسسات الدولة والآخرين الذين قاموا بواجبهم في
الدفاع عنها، لكن كان لزاما احترام المعايير والأعراف، والخلاف هنا غير
عائم بين من أطلق النار على المدعويين وبين من أطلقها على العزل، ألم
تكن هناك محكمة للمعاقبة والقانون للاحترام، يومها كان الجنود يطلقون
مسؤوليهم ما كان ذلك الليونتان سيقوم به هو ما قام به رئيسه عند ما
كان العامل العسكري على مكث في أحداث 19/67. من حسن الحظ أن
المعفور له محمد الخامس تدخل بكل قوة لوضع حد لهذه الفعلة غير
الإنسانية بأن أعفى المسؤول من مهامه ونقله إلى المدرسة العسكرية
لاهرموسو.

وما حدث ذلك اليوم في الصخيرات والإذاعة كان للمرة مرة لبيزبان

سجنه. لقد كان الجنود ينفذون الأوامر غير واعين بلغلتهم غير الشرعية معطينين انهم مجرد منفذين لاأقل ولا أكثر. في الواقع لقد ضل جنونا ولعنوا معرفة خاطئة بالطاعة، ومن كثرة ما رددوا على مسامعهم الطاعة العمياء نون تريد اصبحوا لساة لليلطي القلب.

هكذا اصبح جنونا مجرد الات (روبوات) غير واعية يعتبرون انفسهم مجرد بيانق للتفنيذ. لقد كان قادة وحداتهم يسيئون معاملتهم ويفرضون عليهم انضباطا حديديا. لقد قال اعيايو ذات يوم ،يجب ان نكون غنيا لغرض إرمانك، فالثروة تجعلك قويا ومتميزا ويمكنك الحصول على ما تريد شريطة ان تكون غنيا. ويكفي لاستمالة الجميع ونرويض غير الفاسدين ان تعرف نقط الضعف، لقد كان رئيسه قد سجنه وبيع به الي الأعلى. ولد كان هو نفسه ،سخيا، وكما قال لإخيه الأكبر ذات يوم إن الاطرفة تفتح لي الطريق. ولد اشماز هذا الأخير من سلوك أخيه الوضيع. فقد كان يرى ان النزاهة الفضل بكثير من المال. اما اعيايو امحمد فقد كان يسمح لنفسه باي شيء ويستعمل كل الوسائل للوصول الي هدف حتى ولو كانت شيطانية. وحتى الشيطان لم يسعه بعد ماجاء الموت ومات ونياشينه الذهبية في جيبه.

تم تمنيت ان يجدها أحد الجنود حتى تعوضه عن حياته البئيسة. ولعل الافلات من البؤس مساء تلك اليوم امام الإذاعة كان هو الافلات من الموت المساعد من النيات والرشاشات. ولهذا لجأ التلاميذ ضباط الصف الي العمارات المجاورة كلما اسقطهم الحط بذلك لأن الطرق كلها كانت محاصرة والمنازل مغلقة من طرف قوات التدخل.

بعد ثلاث ساعات من الترقب تواصلت مواجهاة الشوارع واخلي الطلبة الضباط ميني الإذاعة بعد وصول قوات الأمن، وتواصلت مطاربتهم طوال الليلة لتقوم اسبوعا كاملا، لأن العديد منهم استغل الظلمة وفر الي مسقط راسه.

نمت نعبنة كل قوات الأمن في مدن المملكة، وإقامة نقط التفنيز بإشراف البرك الملكي، في كل الطرق، وتم تحريبر وزارة الداخلية واعتقال الكومنتوهان. من جهتي الختمت فرصة هذه الفوضى للافلات من ضربات اعقاب البنانق وركبت سيارة اسعاف في حوزتنا وطلبت من السائق الانطلاق، واستغللت الفرصة ايضا وركبت معي المررضين والطلبة الثلاثة المصابين إصابات خفيفة في الأرجل. جانب سيارة الاسعاف ازمة الرباط نون ان يتم توليفها اوتفنيشها حتى نجحنا في

مغامرة الرباط للالتحاق باهرموسو. وكنت انوي اخذ المال والخرائط الطوبوغرافية للتسلل سرىا الى ملبية المحقة لانني كنت اعرف اى منقلب سانقلب بعد القبض علي. ولما وصلت الي تبطلت ترجلت وتوجهت الي مطهى شعبي للاستماع الي الاخبار.

فوجدت بوجود الال بنويا يسمعون إذاعة لبببا التي كانت تبث الاكانيين نلو الاكانيين. لما تحارت المطهى جاء الي شرطبان لنحيتي معتقدين بانني لم اكن ضمن الانقلابيين. واخبراني بان جلالة الملك فوض كل سلطاته المدنية والعسكرية للجنرال اولفير. فقررت العودة على اعطابي والتوجه الي الرباط عندما وصلنا الي العاصمة حوالي الساعة الحادية عشرة ليلا وجدنا ازلتها خالية باستثناء قوات الامن والقوات المسلحة الملكية. اضطرتت الي الخروج مرة اخرى من الرباط كانت سيارة الاسعاف تنهب الطريق الوطنية رقم 1. مدة ثلاث ساعات بون ان نصابك سيارة اخرى. قبل ثلاثة كلم من فاس وجدنا حاجزا مزوجا للدرك الملكي والشرطة كنت ان الطع الحاجز لو لم يتحرف علي احد معارفي. اعتقد ان الكنف عن هويثي سيجعل رجال الدرك ينسأهلون معه بخصوص عدم تولفه علي البطاقة الوطنية. اقتيد الجميع الي كتبية فاس للاعتقال وهناك وجدت القبطانين بلكبير ولغول وضباط الصف الثلاثة عشور وعماروش وسانتولو. وقد كان القبطانان قد سرا من الصخيرات وتخلصا من البئلة العسكرية وارثبما ملابس مبنية. حتى لا يتم التعرف عليهما. غير انهما اعتقلا في محطة المطار بفاس من طرف القبطان بولمز الذي اتناهما مباشرة الي عامل الإقليم بن شمسي.

وقد استقبلهما هذا الأخير في مكتبه بمعبة الكولونيل الشرفاوي والعميد الممتاز وقائد الدرك بفاس. امرهما العامل بالجلوس ارضا لكن الكولونيل الشرفاوي تدخل قائلا: «اجلسا على الأريكة فما زلنما ضابطين الي ان يثبت العكس. رد عليه بنشمسي «بالنسبة لي لم يصبحا ضابطين لانهما خاننا جلالة الملك. فكانت جواب الكولونيل «لم يجردهما احد من بيانينهما. اما بخصوص الخيانة فالمحكمة هي التي ستحكم. وانا ملكي لكن واجبي هو الدفاع عن ضباطي».

بعد هذه الحادثة شرع العامل في الاستنطاق الذي اجاب خلاله القبطانان بكل صراحة. كان يريد ان يعرف ما وقع في الصخيرات لكنهما يدورهما كانا بجهلان ما وقع. لم ينيس الشرفاوي بيئت شقة واكتفى بمراقبتهمما بنظرة مشفقة لانه كان يعلم ما ينتظرهما. حتم بنشمسي

كلامه كإداري متمكن: «إذ أثبت أنكما هربتما من الصخيرات فستتمتعان
بظروف التخفيف، غير أن الكولونيل كان يفكر بشكل مخالف تكبير
الجندي الذي يعرف أن على الضابط ألا يفر ويؤذي واجبه ويتحمل
مسؤوليته. ويتلخص اعتقلا وسجنا في طر الترك وهناك حكيث لهما
ما وقع بالتفصيل أحداث ما بعد قصر الصخيرات. وأخبرتةما أن اسعد
اعبابو سأل عنهما مرارا وأن طالبين أخبراء بهروبهما وتسطيمهما
الرسائيات فكان رد فعله ان استشاط غضبا وقال: «الجيناء سافتلهما
بيدي، قال بلتكبير وهو شارده الذهن حزير اللسمات، أنا اتسائل ماذا
يمكن ان اعمل في مثل هذه الظروف» الهروب ام البقاء على كل حال
إننا محتومون بالإعدام سواء من طرف اعبابو او من طرف البولة. كان
عاضور قد خلق تشبه حتى لا يتم التعرف عليه، ولو لمدة ايام فقط.

قبيل الفجر، قامني تركيان الى غرفة كان بها القبطان بولعز
واللبونتان الدكالي والسوليوتتان غزال، وقبل ان يطرح علي مستجوبي
السؤال الأول غرز ماسورة بنقلته في بطني وقال: «من مصلحتك تكول
الحفيضة. وإلا فستتكت مثل كلب». بدأت اروي روايتي للاحداث
والحاضرون الثلاثة ينعصون في صمت وما إن انتهيت حديثي، حتى
نظر الى مستجوبي مليا وقال: «انت كتكتب «بوماج» انا مضطر نخسر
لك زينك، ثم اسمعني تسجيلا لخطاب جلالة الملك وقال: هل عرفت هذا
الصوت»، حركت راسي بالإيجاب فواصل كلامه: «مازال جلالته حيا
سندفعون جميعا لمن خطلكم».

يوم الأحد في الساعة الثانية بعد الزوال نلقوني بمعية زملائي الى
السجن المدني، عين قابوس، بغاس، اودعونا الحي، الفرنسي، في
انتظار السجانين. كانت زمراتي طويلة اكثر منها عريضة، ذات إضاءة
جيدة، تتوفر على سرير وغطاين والمرحاض طبعاً الى جانب صنوبر
الماء والتكهرباء. كان الغذاء جيداً على العموم وإن كنت اضطر كل مرة
الى التمسك حصتي من الخبز مع ٤ لترات ضخمة كانت تنظ من
المرحاض طلباً لغذائها. كنت حافي القدمين بدون دماغ لهذا اجبرت على
الاستجابة لطلباتها المتكررة.

يوم الاثنين ١٢ يوليوز كان يوم حداد، تم خلاله إقامة جنازة وطنية
بحضور جلالة الملك وكل الشخصيات السامية، لكل ضحايا الصخيرات،
في حين تواصلت مطاردة الهاربين، واعتقل كل المشتبه فيهم
والمناططين، مع الانقلابيين، واعتقل أيضاً الجنرالات الأربعة، جيء

بالجنرال حمو الى ساحة السلاح بوحدة المدرعات على متن طائرة هليكوبتر ملقيد اليدين بحبل. واتشهد شهادة شخصية انه ظل يرفض التواطؤ مع اعداؤو رغم التهديد. وقد شاهده كل الحاضرين وهناك من بعنه بالخائن. وكان اولغير هو المشرف على عمليات التطهير. ووقع شخصيا اوامر اعتقال اصنفائه في إيطاليا والحرب الهند الصينية. حمو امهارش بولجرين وحبيبي. واعتقل كل الاخرين: الشلواطي، نوبري، عمي، الفغيري، بلصير، والمناوزي. واعتقل ايضا اعضاء القيادة العامة، المزورة ببولفانيل، واعتقل ايضا اجعوان وامقران والاساري وسعد الجبالي وكل من كانت له علاقة من قريب او بعيد بالعملية.

في فاس بدا صباح الاثنين الاستنطاق، المتشدد، مع المرضين وسائق سيارة الاسعاف. وجهت الى الاولين تهمة وضع المخدرات في القهوة الموزعة على الثلاثة الضباط بامر من اعداؤو. اما الثاني فقد اتهم بانه خالف الاوامر بالنوجه الى الصخيرات عوض بن سليمان. ومساء ذلك اليوم جاء نوري، وقد جاء بركبان الى زنزانتي القناداشي الى جناح خال لنعديبي حتى اعترف وابوح. كان هناك بركيون مستعمون لكل شيء معي، كانوا يعملون كطريق ويمارسون طريقة خاصة تشبه الكوريدا. بدا البركيون الثلاثة الشبان بالضرب وتسييد اللكمات وهم يسألونني و.نهامت، الاسئلة والضربات دون ان اجد الوقت للكافي للرد. جاء نوري مع السرجان شاك الذي طرح علي اسئلة محددة والكسفي بالصفعات او ضرب راسي مع الطاولة. بعد الامتحان العسير لرجال الكوريدا الثلاثة وصل قائد الكوريدا، او المطاور، وهو شخص كان يعمل سرجان شاك قدم خصيصا من تازة من اجل هذا العمل. كان طويل العامة، نحيفا مثل زانة وعنق طويل بشير الانتباه. ووجنتاه بارزتان، لغير ان ما اثار فرعي هو عيناه الجاحظتان ونظراته الملقرة الخطيرة. وما إن رايته حتى تيلقت يانتي امام إنسان لا يرحم. نظر إلي نظرة ذات معنى قبل ان يضيف، لقد جدت خصيصا من تازة من اجلك ومن اجل بلتكبير والحول. وصنكتني سانبك للكلام عنوة اللهم إذا كنت تحبذ الموت محتفظا بسرك.

لقد كان هذا الدركي مختلفا عن زملائه، حيث لم يكن يحب طرح الاسئلة وينتظر الاجوبة نظرا لطفته في أسلوبه، بدأ بتقليد معصمي بواسطة حزام جلدي ثم ربط رجلي بحزام ثان ثم ضغط على ظهري الى ان اجبرني على الانحناء الى حد أن مس راسي قاعتي ودخل صغري بين

مخدي. ثم انخل فضيبا جديدا تحت ركبتي اليمنى ثم مرره تحت نراعي
وصدري. وكنت اشبه بخروف مهيا للشواء.

رفعني تركبان لأجد نفسي معلقا في الهواء، صدري الى الأسفل
وراسي الى الخلف. جاء سجانني بملو مليء بالماء وبأل فيه، وقبل ان
يضع اسفنجة (شيفلون) منسخة على منطاري ولمس قبال لي: «سانتريك
بولي وهو لذيذ، لأنني شربت الجعة كثيرا» ثم ملا قرافة بالماء المخلوط
بالبول وصب الحمولة في منطاري. احسست بأخفاف في صدري
وصعب تنفسي، وكلما زاد من الخليط زابت الامي. ظننت بان رنني
سنفجيران، ما كان بإمكانني ان اصرخ او اصيح او اتحدث... كان
السجان يترك اللحظة التي يجب ان يتوقف عندها، فكان يرفع الاسفنجة
ويعيد السؤال: «هل انت مستعد للاعتراف... احسست بالماء في انفي
ورنني وحنجرتي. بللت نفسي بالبول لأنني بلت على نفسي رغما عني.
كنت عاجزا عن الجواب لأن الإغماء اعتراني. ولسوء حظي ان تلك
الاسلوب كان اول القطر فقط بإضافة الى «العلاقة» التي تعرضت لها
كانت هناك «الطيارة» و«البيضاء» و«الأرجوحة» لانتزاع الاعترافات الكاذبة
في الغالب.

ولبما انا اغالب الإغماء سمعتهم يقولون: إنه يدعي إصابته بالالتهاب
الجيني (سبنوزيت) وقد يموت». وسمعت السجان النحيف يقول: إذا
رفض الاعتراف ساجلسه على لفينة جيبور.

ولما سمعت هذا الكلام فزعت وأنا التصور مؤخرتي معزقة قلت: «إلا
هذه» وقررت ان القول لهم اشياء لا تصدق. وهكذا صرحت بان الانقلاب
خط في السر من طرف اعيابو وعلال الفاسي واحرضان اللتين كانوا
يجتمعون باستمرار في بيت قائلنا. وقد صدقوني رغم ان الاسماء
الثلاثة كانت على طرف التقيض من بعضها البعض ويستحيل ان
نتعاهم فيما بينها. ثم رفن تصريحاتي على الالة الكاتبة واحيلت على
الرؤساء. غير ان ما هز كبائي فعلا كانت هي القوال تركي شاب وجميل
الخلق. لقد الشعر بدني وأنا أسمعه يقول: «لماذا نضيع الوقت
والوسائل ونلضي الليالي البيضاء» في رفن تقارير لانهاية. بل لماذا
إضاعة كل الذخيرة لإعدامهم، لماذا ما قد خانوا شعارهم، فإن احسن
وسيلة للتخلص منهم بسرعة هي إلقائهم في مسيح مملوء بالاسيد. ولا
من راي ولا من سمع. حتى حصاروا اللبور سنوفر عليهم مشقة عملهم.
للاسف إنني لا املك السلطة لتنفيذ فكرتي» كنت مطمئنا ان هذا التركي

الوسيم كان أشد قسوة من التركي النحيف صاحب الوجنتين البارزتين.

صباح يوم الثلاثاء، في الساعة السابعة أرسلت الي الرباط على متن سيارة لانزوفور تابعة للقوات المساعدة يرافقتها مركبتان وفردان من القوات المساعدة. وضع لاجودان شاك القيد في رجلي ويدي قال لي ساخرا: «مون كومندان لن اضع عصاية على عينيك حتى لا احرك من التملني لآخر مرة بالمناظر الجميلة في هذا العالم. واتمنى ان تحتفظ لنفسك بذكرى حنين او اسف عميق على هذه الحياة التي خربتها عن قصد. لا داعي للحزن والكتابة لقد تلمرت وخسرت «اجبتة» او لا است كومندان... فقاطعتني قائلا: «اعرف ذلك جيدا، ما انت سوى مجرد ضابط مرشح لكن شهادات واعترافات بعض الغلاميد الضباط الماتنا بان اعيابو سلمك نياشين الكومندان التي وضعنها في جيبك في انتظار الوقت المناسب لوضعها».

اجبتة «است مرتزقا لكي اخطر بحياتي من اجل نياشين كومندان».

واصلنا الطريق وسط صمت مطبق. وعندما وصلنا الصحيرات ترجل التركيان للراحة وتناول الغذاء، فسألني احد من افراد القوات المساعدة اكبرهم سنا: «هل انت امازيغي». قلت نعم حتى انال تعاطفه: «فاجابني، للاسف لقد خيبتكم ظني... (...)، التزمت الصمت لانني كنت اعرف افراد القوات المساعدة، لكنه كان اكثر رافة بي. وقد التفتي لي الرجل العجوز سجاثر ومنحني زميله الاكل وكأس قهوة بالحليب. وصلنا الي المكتب الثاني (توزيام بيرو) في الساعة العاشرة صباحا. مكثت لحظة في البهو وانا موثوق بالاصفاة الي احد التركيين.

خرج كل الموظفين من مكاتبهم لمشاهدتي والتفرج علي مثل شيء غريب مثل عينة من عينات الخيانة. فكرت في بعضهم الذي كان يصيح يوم السبت احتفاء بخطاب اعيابو ومنهم من نزع قبعته ورماعا عاليا!! كانوا يشيرون الي الاصابع ويهمسون في اذان بعضهم. بعضهم سخر. جاء لبطان من الاستخبارات يرافقه ضابطان في يديهما الحبال والعصابات، توجه اللبطان الي كومندان اشقر ويدين قائلا: «مون كومندان السلام عليك الاق» رقم 22
"mon commandant je vous presente le 22eme salopard".

نزعوا اصفايدي ولطوا عيني بعصاية حمراء (لانه كانت هناك عصابات زرقاء وبيضاء حسب اهمية كل الاق). ربطوا قلبي ثم رجلي ثم لغوني

بالحيال من الكتفين حتى القدمين مثل حبة ثنائقي، ثم حملوني على كتفهم الى الطابق الثاني. اجلسوني ارضا، لم اكن اتبين ما حولي، لكن صوتا بلا وجه طرح علي عدة أسئلة. وكانت اجوبتي على طرف النقبض من الاجوبة التي اجبت بها على الدرك الملكي. ويمكن القول ان رجال المكتب الثاني كانوا مستظلمين وان تعرضنا للصلع والضرب والكهرباء و.. الخلة.

يوم الثلاثاء 3 ا يوليوز تم إعدام الثورطين العشرة طبقا للمحكمة العسكرية التي ترأسها الجنرال اوفالير. يومها تم نقلهم في سيارات هالف. تراك، الى ساحة الاعدام، وجدوا في انتظارهم الـ 12 جنديا من كافة القوات.

كانوا مسمرين شاربين والخوف في اعينهم باستثناء الشلواطي الذي حافظ على سحنته وكبرياله. وقد حدث ان مر انهموء بالخيانة وصغعه احدهم فرد ردا غير ليق. وقال للوزير الاول احمد العراقي الذي واصل تربيعة: «لا تخف سيأتي يومك وتلتقي امام الله». تم تجريبهم من نيانسينهم من طرف الجنود. وفي الساعة الحادية عشرة وعشر دقائق وقفوا امام فرقة الاعدام كانوا كلهم صامتين باستثناء الجنرال جمو الذي صاح «عاش الملك». وإذا كان هناك خلاف في تفسير هذا الموقف، بين من راي فيها طمعا في العفو او المحافظة على امتياز، فابني شخصيا اري ان الجنرال جمو كان على صواب عندما صاح «عاش الملك، حتى وهو واقف في طابور الإعدام. وانا اومن بانه لم يكن ضد الملك حتى ولو حكمت المحكمة بذلك. وقد حضرت رفضه لاعجابو رغم النهيد.

في الساعة الحادية عشرة والرابع انتهى كل شيء. وتم دفن المدعومين والجنرال مذبح وامحمد اعجابو في قبر جماعي على اطراف ميدان الرماية ما بين الرباط وتمازة، دفنوا بدون طقوس. في نكات اللواء الخفيف للامن (HLS) والمرعات كان الإنقلابيون حفاة في القبية محاطين بالاسلاك الشائكة والرشاشات.

في المكتب الثاني كنا نظل مكتوفي الابد، معصبي العينين مطروحين ارضا مثل الطريدة في البهو تحت انظار الحراس من الدرك الملكي المسلحين. كنا نمضي، تباعا، الى الاستنطاق ويتلقى في كل مرة حصتنا من «الخلة». لم تكن نتلقى اكلا او ماء او نذهب الى المراض. اناء التحقيق كان القبطان البدين يطرح الاسئلة

ولاجودان زء يوزع اللكمات ولاجودان بب يركنا بالجزمة والسرجان ساف وراء ظهورنا يعاجلنا بـ «مسسه» الخاص بالشنحنات الكهربائية التي تعرق الضلوع الهشة او العنق والعمود الفقري. كنا نسمع ناستمرار الصراخ والائين والحشرجات والأصوات الرهيبة نهدننا ونطرح الاسئلة ونسمع جواب المناصبين الذي زرع لبنا الرعب والإحباط مع مرور الوقت نجحت في ازاحة العصابة عن عيني بفعل حركات معينة للجبهة والحاجبين. ولاحظت ان القاعة لم يكن فيها سوى آلة تسجيل بشريط مغناطيسي جيء به لإضغافنا وزرع الرعب فيها.

كانت أيام بوليوز طويلة وضاعطة وزابت مدتها واخفناؤها. في المكتب الثاني حيث كنا نتعرض للتعذيب ثلاث مرات في اليوم من طرف سجانين لا يظنون وإن كانوا ال لسوء من الدرك.

كان ما يشغل بال هؤلاء الضباط في تلك الخمس هو معرفة اسم شخص حضر الى بوفانيل مع ضباط القيادة العامة المنقمة. وقد كنت اعرفه لكنني تلكت في الجواب ربحا للوقت. وقد اكتفيت بإعطاء اوصافه التي كانت متميزة: «شيب كث. يميل الى الحمرة. عينان صافيتان تبتعها نقط بنية مثل عيني لعد شعر مجعد» وقد قضى الشيطان المكلف بالملفات الصباح كله يمرض علي مذات الصور. كان يعتقد ان البول بان الامر يتعلق بالضابط مزيرك احمد صهر المديوح. لكنني كنت اخشى ان انقل لورا الى ورشة التعذيب لانال الحصة اليومية. ومن حسن الصدف ان الصور انذاك لم تكن بالالوان.

زوال تلك اليوم انخلوني مكتبا شاسعا ونزعوا العصابة الحمراء عن عيني واجلسوني على اريكة مريحة وضعت قدمي المنسختين المقيمتين على سجاد احمر جميل. والثار انتباهي مكتب كبير عليه عدة هواتف واجهزة ارسال. نظرت فافرا فاهي الى مختلف الازرار العديدة واللونة التي تخطب الابواب انضبت الى وجود ا شخصيات هم الكولونيل ليوسي محفد رئيس المكتب الثاني وهو ابن قائد. والكولونيل احمد العلبي المدير العام للامن الوطني (ابن قائد ايضا) والليونتان كولونيل لوزاز حمو (ابن قائد ايضا). ولقت في نفسي إن هذا اسبوع اولاد الضيام لكبيرة. ولم ينته الامر بعد. طرحوا علي اسئلة عديدة وكانوا يرغبون اساسا في معرفة السبب الذي دفعني لا طرح على اعيابو الهدف من مهمتنا. قلت إنه الفضول لكنهم لم يصدقوني. سألني الكولونيل اليوسي:

بما أنك حصلت على النخيرة الحية كان عليك ان تعرف الهدف الحقيقي مع رحلتكم التي لاعلاقة لها بثمرين بلا قتال.

اجبته: «مون كولونيل، الذكر يناير 1959، عندما انطلقت مدرسة ارمومو الى منطقة صفرو وقتها وزعوا علينا النخيرة الحية دون ان نعلم بان مهمتنا تقتضي القيام بمسح شامل للقبض على عمك وزير الداخلية السابق لحسن اليوسي، وبعد شهر تقريبا قمنا برحلة اخرى في منطقة ناهلة دون ان نعلم ان الهدف كان مواجهة القائد ابرشان الذي ضرب الى الاعمال، فاطعني النليعي قائلا: لكن قضية الصخيرات تختلف، كان المفروض ان نتوجهوا الى بن سليمان فوجدتم انفسكم بالعصر الملكي، اجبته على الفور: لكن مون كولونيل إذا سمحت سالتير اسبابك باحترام بانني كنت تحت امرتك في الكتيبة 4- بـكولومين، خلال احداث طرفاية، وقد تلقينا الأوامر بالتوجه الى بويزكارن، لكننا تلقينا الامر في منتصف الطريق بالتوجه الى مير اللات.

خان ارزاز ملتزما الصمت وقد حضر اللقاء باعتباره قائد البرك خلفا لبولحيمص الذي قتل في الصخيرات. استأنف اليوسي حديثه وسألني: لماذا بقيت في خدمة اعبابو بعد وصولنا الى الصخيرات وانكشاف امر الانقلاب، فاجبته بتمكر: لكني لا اصل الى هذا الوضع الصعب الذي اوجد فيه الآن، وعلى كل فإن الهروب أو البقاء في مثل هذه الظروف سيان، لأن القبطانين والسوليوتنان بينيين الذين فروا من الصخيرات يوجدون حاليا معي في «التوزيام بيرو»، ويتكلمون نفس المعاملة.

انتهى اللقاء وعدت الى خانة الانطلاق. بعد بضع دقائق جاؤوا للبحث عني ولتقديمي للجنرال دوبيفيرزيون إبريس بن عمر العلمي الماجور العام للقوات المسلحة الملكية مؤلفنا، لأنه كان وقتها وزيرا للبريد. عندما سمعت صوته استبد بي الهلع واعتراضي الخوف، وفكرت في صراسته في احداث مكناس 1958 ومصير اللصوص الذين نهبوا المحلات بعد زلزال اكادير، وقد امر بقتلهم احياء في الرمل لاتظهر منهم سوى رؤوسهم على اساس ان يأتي شخصيا لإطلاق رصاص الرحمة.

ومن حسن الحظ انقذ جنرال سويدي بالتراجع عن فعلته هذه.

قلت في نفسي إن توري حان للخضوع لقانونه الخاص، اسره الجنرال إبريس بن عمر قائلا: «ارفعوا عنه العصا»، وعندما فتحت عيني وجدته امامي بلباسه الكباردين، وكل نياشينه على صدره، كان نصير القامة، وجهه المسن خطته التجاعيد، عينا واسعنان بنظرة

مرعبة صاخ في ،ام اعرف هذا الشخص لقد عمل تحت امرتي عندما كنت كومندان المدرسة العسكرية باهرمومو .

واجبته : نعم مون جنرال كنتم رئيسا من 1958 الى 1961 .
استأنف حديثه بعد ان وضع إبهامه على صدقته : إنني هو ذا الاخلاص الذي علمتكم ماذا فعلتم بكل دروس الاخلاق والتربية الوطنية . وقد اعتقدت بانني لفتنكم الحسى ما يمكن من الوفاء والاخلاص للعرش العلوي الشريف النسب ، وها انتم في رمشة عين تخليتم وتبعتم هاذ الخائن اعمبابو ، كان بودي ان القول له بعض الكلمات في وجهه لكني لاسف عيبت الشجاعة والجرأة للمخاطرة بحياتي امام هذا الرجل الصارم . لو انني كنت اكثر شجاعة واثق جينا لقلت له حرفيا : «مون جنرال انت المسؤول الاول عن هذه الكارثة التي املت بالبلاد واسمك معروف في ربوع البلاد ودخل كل العائلات بسبب سطوتك وصرامتك حتى انك اشهر من كوكا كولا في الجيش بخشاك الجنود وبهابوتك لكبريائك . لقد استطعت في ظرف 4 سنوات فقط ان تسحقنا وتجعلنا مجرد بيانيق ومنفذين بدون عقل . انت المسؤول عن بؤسنا لانك شكلت جيشا شبيه ،بالكوم ، منضبط انضباط الغداء بنظ بدون ان يفهم . لن احيل على المادة رقم واحد من القانون العسكري الذي تنص على الانضباط والتنفيذ بدون تردد وعلى ان الذي اعطى الاوامر هو المسؤول عنها . بل ساحيل على قاتوتك الخاص الذي علمته لنا : اذا طاح الشاف بياكم في البير طيحوا معاه وايلا رمى راسو في النار يبرو بحالو ولا تحاولوا الفهم تفتوا فقط الشاف بياكم هو الدماغ اللي كاي فكر هو يفكر وانتم تفتنوا . إتنا اليوم غير مطالبين بالتفكير ... لقد حدثني عن الاخلاق . هل هي الاخلاق التي تمنع التنبير والشيعات والبوكير بحال اعمبابو المسروق ؟

مون جنرال لقد طرحت علي السؤال واسمح لي بدوري ان اسالك كيف وصل اعمبابو الى قمة الهرم ؟ رغم وجود عشرات الضباط الشبان الحيويين والاكتفاء بقوانينه كفاط . ضباط مغاربة بالمعنى الحقيقي للكلمة تفخر بهم القوات المسلحة الملكية . ضباط نزهاء اصفياء واعون . وبصراحة الم تكونوا على علم بان اعمبابو لص ، يزور الحسابات ويزور الفواتير ويسرق عتاد التولية ويقوم اصحابه بالسرفه ليلاً ، لانا غضبتكم الطرف ؟ كل الجيش يعلم ذلك وانتم ايضا .
وبتلخيص لم تستعني شجاعتي وظل الجين لصيفا بي ، فيدات

انظر إليه بون كلام، لأنني فلتت شخصيتي و «تخلص كياني». وتحولت الى بيتي. يومها التزمت الصمت ملتصقا في خوفي ونفاسي وانعدام شخصيتي شاخصا النظرات خنوعا، كما يقول المثل المغربي «شكون بقول للصبح فمك خائز». فجاء خطابني بصوت اجش. «على كل إن مصير الانقلابيين في يدي الجنرال اوفغير. تدبروا امركم معه فهو الذي يملك السلطة مؤلفنا، وتدخل الكولونيل اليوسي قائلا: «اعتقد مون جنرال بان الجنرال اوفغير سيلتقيه هذا المساء».

بعد ذلك ولعت سيارة «دي.إس/إس/إس». سوداء اسفل البناية ونزل منها حارسان بلباس اسود وتوجها نحوي. وضع التركي العصاية على عيني وتولاني الحارسان واركباني السيارة، ولفنا امام باب منزل اوفغير. عبرنا حديقة معشوشبة وندبة لقت في نفسي. «لأنك ان الجو جميل هذا المساء». وبأله من احساس في تلك اللحظة التي كان فيها مصيري معلقا بخيط رهيفه طلبوا مني طائفة راسي ثم صعدت الانراج. واجلسوني على زبينة وبدا انتظاري الطويل الذي لم اسمع خلاله سوى همسات التركيين والعلقة اسلحتهم. والغريب الذي حدث لي تلك المساء هو أنني لم اتجشم عناء التفكير في اسلحة الجنرال ولا في الاجوبة التي اهيؤها عادة. بل فكرت في احداث تاريخية اخفى اتناها الناس في ظروف غامضة. وسرعان ما بدا جسمي يرتعش لفكرة سيطرت على ذهني سيطرة كاملة. لقد روي عن اوفغير انه كان يعذب ضحايا بنفسه وكان يمزق اجسادهم بالشفرات (الرازوار). وقيل ايضا انه كان يلقا الاعين لأنه كان مصابا بداء في عينيه فكان يتلذذ بتلك غير ان ما المزعني اكثر فاكثير هي الفكرة التي عنت لي عنه ومغابها انه خلال احداث الريف الدموية قام ببيع احد المتعربين اطلق النار على هيلي كويتز ولي العهد آنذاك. كنت سارحا في الفكري المؤلمة عندما تناهى الي سمعي الصوت الاجش للجنرال اوفغير مصحوبا باليوسي والديلمي ورازز. وتظهر من خلال صوته انه كان غاضبا ونوجه الي التركيين بالقول: «انزعوا العصاية عن عينيه وفتكوا ليدم. هما بيتي وليست الكوميسارية». رفعوا عني العصاية واليد ووقفوني. طلب مني الجنرال اوفغير ان اتبعه الي الصالون. كانت به اريكة سوداء ضخمة واخرى صفراء. طلب الجنرال من مرافقيه ان يمتنوا في غرفة الانتظار لأنه اراد مقابلتي راسا نخل ودعاني للجلوس امامه. كنت اواجه الخطر منتظرا انفجار غضبه في اية لحظة.

لم يكن قد سبق لي ان رايت الجنرال عن قرب. ولما دخل انتبهت الى مسببه وحيويتها محافظا بذلك على خصائصه السابقة كرجل حرب في الهند الصينية. كان طويل القامة نحيفا، شعره ابيض واسود، وجهه وجه عقاب ويضع نظارات سوداء تغطي عينيه الصغيرتين السوداوين مثل عين كوبرا. وقد استطعت رؤيتهما بعد ان رفع النظارات ليتمسح زجاجها بمنديل حريري. نظر إلي مليا قبل حديثنا. ولانك انه كان يقرأ ما يجول في خاطري قبل الشروع في الحوار، تحدث بهدوء وترو: «يا بُني ماذا فعلتم؟ عم كنتم تبحثون في الصحيرات؟ إن جلالة الملك ينتظر مني تقريرا مفصلا. لماذا سألوك صراحة لقد وضعتوني في وضع حرج. وانا الذي داهمت دائما عن الجيش لدى جلالة الملكة لك سحبتكم البساط من تحتي» اجبتة: «إن اعصابو، مون جنرال، هو الذي نامر ولسنا نحن، لقد امر بنا ولاننا معه» فاطمني اوغير: «لكن ليس إلى هذا الحد من العبادة. لقد تبعتموه مثل الخراف. كان عليكم ان تشلوا بماحكم، فانتم ضباط ولستم حميراء رددت عليه، لكن مون جنرال، لك سالته عن الهدف من مهمتنا، لكنه اجابني بانك كان يجهله هو ايضا» صاح الجنرال، هذا ما بوضح بالفعل انكم حمير، هل صانفت في حياتك قائدا لايعرف الهدف من المناورة على بعد 24 ساعة من الشروع فيها؟ الامر واضح وضوح الشمس ويتعلق بانقلاب عسكري» «لكن مون جنرال هل تريد ان اجيبك بصراحة وبموت تحفظ» «انت في بيتي ولست في «التوزيام بيرو» وقد دعوتك خصيصا لمعرفة الحقيقة لاتخشي شيئا وانا اعطيك ظمعة سرف الضباط والصحراوي» «لقد خضعتنا طيلة 15 سنة لانضباط حديدي وقد نحتوا في انهاننا الطاعة العمياء والخضوع كل لحظة بون سؤال او رفض» اضف الي ذلك ان اعصابو كان منذ 1948 محميا من طرف الجنرال بن عمر والمذبح، وكان يسمح لنفسه بخرق القانون ويسجن الضباط لمدة 4 اشهر ويصلع ويحلق رأس الضباط، لقد عشنا كل هذه السنوات تحت سطوة اعصابو الرهيب. لقد كان يسرق المولة بون مراتب او حسيب ويسلب الناس بون تربع».

الجنرال أوفير يستظفني في بيته

قاطعني الجنرال أوفير قائلا: «إنها الآن التاسعة ليلا وعشر دقائق، أريد منك أن تروي لي كل ما حدث من الفه إلى يائه وأمامنا الليل كله وأريدك أن تحكي التفاصيل كلها لأن الأمر مهم للغاية، أخذ سيجارة من علبة (إل إم) مصنوعة من القاعدة الإسرائيلية بالفيطرة ووضعها أمامي وعرض علي التدخين، وهو الأمر الذي لم أستجب له وقتها لإنعدام الرغبة.

هكذا بدأت روايتي الطويلة والجنرال ينصت إلي باهتمام وهو يدخن السيجارة تلك الأخرى. بدأت بوصف الحالة التي كانت سائدة في المدرسة مع المقارنة بين فترة الكولونيل النمناتي والكولونيل البوزيدي وبين فترة اسحمد اعجابو. «ما بين النمناتي واسحمد تزامت صحاري أخلاقية كان الأول فاضلا والثاني بلا ضمير، أما الفرق بين البوزيدي واعجابو، فهو أن الأول كان يحترم القانون والثاني ينتهكه، حدثته أيضا عن مناورة الحاجب التي تمت في شهر ماي وكيف تم إلغاء الرحلة إلى عين الشكاف في الساعة الثانية صباحا بواسطة مكالمة هاتفية من اعجابو. سألني الجنرال أوفير: ألم يخالفكم أبني شك حول تبديل البرنامج في آخر لحظة

لا مؤن جنرال لأنه لم يبلغ التصريح بل غير فقط المكان والتوقيت. مقابل ذلك هناك شيء معين أثار حيرتنا من مدة والأمر يتعلق بعدم مشاركة محمد في استعداداته المناورة الكبرى للجيش، وبما أننا نعرف بأنه كان من ضمن استراتيجيي القوات المسلحة في مناورة «بير رام رام» في مراكش سنة 1968 فقد تساطنا لماذا استغنت القيادة العامة عن قائدنا هذه المرة. وقد تبين فيما بعد بأنه كان على خلاف مع المجاور العام.

سألني الجنرال: قبل قضية الصخيرات: من هم الذين كانوا يزورونه أجبتني على الفور: «كانت شخصيات عديدة تزوره في بيته، لكننا لم تكن

مصائبهم لأن المدرسة تتوفر على ثلاثة أبواب: الباب الرئيسي المخصص لآعابيو وعائلته وضيوفه وعشيقاته الأربع (وهنا علق أوفغير ساخرا: كنت اعرف انه زير نساء، لكن ان تكون له أربع عشيقات فلنك معناه انه كازانوها). اما الباب الثاني، فقد كان مخصصا للعسكريين والثالث مخصصا لاسر المتزوجين أو صديقات الطلبة الضباط. علق الجنرال من جديد:

« بخصوص هذه النقطة، اعتقد ان آعابيو كان اثنانيا اقل من المعتاد! واصلت حديثي قائلا: بالنسبة للذين كانوا بزورونه بون ثورية فهم الجنرالات حصو. امهارش مصطفى، بوغرين والكولونيل البيوسي والليوتنانت كولونيل ابارودي والليوتنانت كولونيل خياري والكولونيل بوزيدي. وقد كان لثالثنا يهين لهم في كل لقاء المشوي والويسكي والشيشات.»

ازال الجنرال نظارته من جديد ورايت مرة اخرى عينيه اللامعتين رغم إصابتهما بالمرض. ورايت فيهما شرارة قوية. استبد بي الخوف من جديد وأنا جالس امام هذا الغول، الذي ابدى الي حدود الآن طيبة ولبالة تجاهي، ومن المؤكد ان اكلة لحوم البشر كانت لهم نفس «سمطات ومن المؤكد ايضا انه نفذ بنظرات الكوبرا الي اعماقي وقرأ الفكري لهذا قال لي: «لا تخف واحك لي كل شيء بتفصيل. لننتقل الآن الي استعدادات قضية الصخيرات (لم يكن يحبذ كلمة انقلاب). فحكيت له بكل دقة كل مجريات الامور بعناية اكبر، وكثيرا ما كان يقطعني لطرح سؤال محدد او يطلب مني إعادة نفس الجملة. وقد طلب مني مرارا ان اعيد على مسامعه «خطبة الجمعة مساء بقاعة الشرف وخطاب الجمعة في الساعة الواحدة ببوفنانل ثم طرح سؤالاً محددًا: قل لي يا بني (لم يخاطبني ابدا باسمي العائلي)، من نكر في الخطابين اسم الملك او المح الي النظام.»

اجبتة: «في قاعة الشرف تحدث عن مناورة بن سليمان والثقة المتبادلة بيننا وهي بوفنانل. تحدث عن عناصر مخترية في قصر الصخيرات وضرورة محاصرتها وإطلاق النار على الهاريين. وقد الح على ان وحدات اخرى من الجيش ستدخل بنورها وقد أنهى حديثه بالقول اسعدوا للحرب انتم ضباط عليكم ان تلهموا... هذا كل ما في الامر.»

«هكذا إن تبحتموه متقنين بدون محاولة الفهم. لقد علمونا ان ننفذ بدون فهم (وبما ان الجميع كان على علم بالصراع الخفي بين أوفغير والرئيس بن عمر لقد استغللت الفرصة

وفلتا) لاسيما منذ 1945، ولد سحطونا وحولونا الى معتوهين ومنصاعين. واصبح الجيش ملكية خاصة للقائد وزاع صيت الرئيس بن عمر وزايت شعبيته الي درجة انه صار اسطورة. وفي الواقع لقد اشتهر اسمه حتى نسينا ان القائد العام للقوات المسلحة الملكية هو جلالة الملك. هز الجنرال راسه واطلق تنهيدة طويلة ثم قال لي:

فل لي، الم يشك احد انهاء استعداداتنا بوليوز.

نعم مون جنرال، لقد قال لنا طبيب فرنسي يدعى «فورطاس» عندما رانا نستعد، من خلال الاستعدادات يخال لي بانكم تهينون انقلابا عسكريا. وسألني ايضا ليونتان مغربي عندما كنا نهين المرونة هل يمكن تصور مناورة بها تهيبه بواسطة النخيرة الحية ويقوم بها تلاميذ غير مجربين. اجبته بالثقي «باستثناء العمليات السريعة والسرية. لكن بعد خطاب قاعة الشرف» بعضنا طرح الاسئلة عن الهدف من المهمة. لكن الامور ظلت غامضة ومضيقية. في الواقع كنا نثق في قائدنا الذي كنا نعتبره ملكيا.

وما بعد بوقناهل؟

بعدها فهمنا بان الامر ليس مناورة واختلفت اراؤنا حسب فهم كل

واحد منا.

منا.

طيب مون جنرال. كان هناك من صدق هجومنا مضادا للقضاء على العناصر الانقلابية وآخرون الخرضوا بانه انقلاب على مستوى الجيش برمته وان المدرسة ماضي الاجزاء صغير.. ورغم كل تلك نال الشك سيد الموقف.

وانت ماذا كان رأيك؟

وبما انني كنت انتظر هذا السؤال فقد اجبت على الفور: عند بوقناهل وبماغي يشتغل وتنت في الكباري وضمتها. لم اعد اميز الحق من الباطل وكنت كمن نعمله المياه المنطقة او يجنبه المغناطيس. لقد كنت امشي بدون تفكير. وبعد ان وصلت الي عين الملكان كنت اعرف بانه القصر الملكي بالصخيرات. وقد كان اعجابوا قد فرض علينا الامر الواقع. لم يكن بوسعنا التراجع او الهروب. فلذا ما مكثت الي جانبه فبان الحكم بالإعدام هو مصيري وإذا هربت سيكون الإعدام ايضا لو نجح اعجابوا.

حتى لما علمت بانك في القصر ولست في مكان يحتله المخربون

واصلت تنفيذ الأوامر؟

. نعم، مون جنرال، مادام انه لم يكن هناك امر مضاد.

. لكن المدعويين كانوا كلهم عرّاقاً

. استسمحك مون جنرال، لأن العميديين كانوا مسلحين، وقد جمع

بلامنتنا الذين جربوهم ما يكفي لملء الجزء الخلفي للجيب - ويليس،

وعد خانت هناك رشاشات كوبية ومستنسات من طراز⁽¹⁾ علم.

وكان بعض المدنيين مسلحاً الى جانب الحراس الخاصين لجلالة

الملك والترك الملكي المصاحب له عادة والشرطة والحرس الملكي وتجنيد

المظليين الذين كان بحوزتهم 4⁽²⁾ 34/347 وبنائيق ماس 4⁽³⁾، وماس⁽⁴⁾.

وإما اتساع لماذا ظل كل هؤلاء بلا حراك، كان عليهم جميعاً التراجع عن

جلالة الملك وعن انفسهم، ولا أحد قام يواجهه خصوصاً حراس القصر،

فلمادا يتكلمون علينا لأننا نلننا الأوامر⁽⁵⁾.

انصت إلي الجنرال أوفيسير وهو يهز رأسه بين الفينة والأخرى

وعجاءة سألني: «قل لي يا بني هل كان قائمكم يحمل لائحة أسماء في

يده، يبدو انه نادى على أسماء الأشخاص وقتلهم».

. لا مون جنرال هذا غلط وما يروي مختلف فقد كان اعبابو نفسه

يتجول بين الصفوف ويقتل هو نفسه من يشاء او يامر المرؤوسين بفعل

ذلك..

طلب مني أوفيسير ان اروي له طريقة مقتل بعض الشخصيات فرويت

له ما حدث للمنبوج والخيارى وبولجيمص والغرباوي وبوجمعة.

فطلب مني تفاصيل اكثر حول هذا الأخير (وهو الذي قتله الرئيس - م)

فاجبته بان القضية كانت قضية موت او حياة بالنسبة لي وحياتي

رهبة بها ولم يكن أمامي خيار مع تهديد اعبابو ولو اني رفضت

لعتلى وأنا رفضت توقيع شهادة موثي بيدي.

طرح على الجنرال سؤالاً اخر قال فيه:

. وباستثناء المنبوج وعبابو وشقيقه، من هم الجنرالات او الضباط

الذين لاحظت انهم نشطوا في الصخيرات او تعاطفوا مع الانقلابيين⁽⁶⁾.

. في الصخيرات لم الحظ شيئاً - مون جنرال - لكن في الرباط التحق

الكولونيل الشلواطي والكولونيل بوبري بالانقلابيين⁽⁷⁾.

. هل كان معكم جنرالات⁽⁸⁾

. نعم، لكنهم كانوا سجناء.

وقد حكيت له ما وقع بينهم وبين اعبابو وكيف ظفوا على رفضهم

ولم يستسلموا لضغوط اعبابو إلا بعد دخوله الإذاعة.. كان الجنرال

على علم بان بعض الضباط السامعين تصرفوا تصرفات مشبوهة يوم 11/1 بوليوز، لكنه كان يبحث عن تورط فعلا. سألني:
هل انت متأكد مما تقول؟

نعم، مون جنرال. وأنا واع بنصريحتي واتحمل مسؤوليتها وقد
صت شاهد عيان على ما القول، بل إنه كلفني بحراستهم قبل ان يطلب
مسي مراقبته.

وسرعان ما سألني الجنرال اولفير سؤالاً لم يكن في الحسبان:

لماذا انت شاحب الوجه؟ تبدو متعبا.

مون جنرال لم اتق الطعام منذ يوم الثلاثاء صباحا في الدوزيام
بيرو، كانوا يعنونونا بون إطعامنا او سفينا.

ضغط على زر لدخل علينا رجل ضخم الجثة، اسمر البشرة يرتدي
بنلة بيضاء فامر اولفير، امبارك جيب ليه قرعة نبال الماء، شربتها في
جرعة واحدة، ثم واصلنا الحديث عن الاستيلاء على القيادة العامة
وعلى الهجوم على الإذاعة والداخلية، والح على خطبة اعبابو في
القيادة العامة وريدته مرات عديدة على مسامحة ليتأكد ان قائدا لم
يلفظ كلمة «جمهورية» نظر الجنرال الى ساعته ثم قال لي: إنها
الواحدة صباحا 15، ببقية.. لتلخص منذ البداية في قاعة الشرف. قال
بانها قضية جنرالات وان المناورة ستتم في بن سليمان. وفي بوقائل
حدد مهمتكم في محاصرة العناصر الانقلابية في منشآت الصنخيرات
وابطلاق النار على الفارين وفي المكتب الثالث (طروازيام بيرو) تحدث
عن مجلس الثورة وفي القيادة العامة المح الى الفساد والرشوة
وابضاعة مستقبل الشعب والجيش على الخصوص بون ان يعس باسم
جلالة الملك وبن الحديث عن الجمهورية. هذا ما في الامر اليس كذلك؟
اجيبته بالإيجاب فوافق وكرر على سماعي ما قال في البداية: «ماذا
سأقول غدا لجلالة الملك» لقد مرغتم شرفي في الوحل انا دافعت يوما
عن الجيش. طبيب ساراي ما بوسعي عمله، لكن قبل ان اسمح لك
بالانسحاب اريد ان اعرف بالضبط عمق تفكيرك والدافع الاساسي الذي
يدفعكم الى ارتكاب هذه المجزرة ربما انكم لستم ضد جلالة الملك فعد من
تورم».

اجبته:

فيما يتعلق بي مون جنرال، انا يتيم منذ صغري، عشت في الفقر

والبؤس لهذا ثرت ضد الظلم الاجتماعي والمحسوبية وعموما ثرنا ضد البرجوازيين الإنانيين والانتهازيين الذين يستغلون الفقراء وكل الضباط والنظامية الضباط من عائلات فقيرة، لم يعلق أوفقيير على التوالي وفتح الباب بنفسه وبعا الكولونيالات الثلاثة الذين ظلوا ينظرونه منذ التاسعة مساء وعشر دقائق.

توجه أوفقيير بالحديث إلى الكولونيل اليوسي بلهجة «صارما»، لماذا فعلتم اسمي اليوسي، لماذا جف ريق كل سجنائكم، لماذا تحرمونهم من الأكل والشرب لمدة 4 أيام.. أريد أن يتناول السجناء عشاءهم الآن، ندمر امرك في تلكه ثم التفت نحو التليمي: احمد، ابتداء من الآن سينولي رجال الامن الاستنطاقات نول الامر شخصيا وسأفصل في التعليمات فيما بعد» في الأخير تحدث إلى أرياز بقولته: اطلب من رجالك ان يلتاموهم، اما انت الرئيس فمن المحتمل ان اراك فيما بعد.

بعد نهب الجنرال أوفقيير، تم تقييدي ووضع العصابة على عيني ثم رحلت، ومن الواضح ان التعليمات قد صدرت قبل وصولي إلى المكتب الثاني لهذا تم إيداعي بمكتب ولم اترك في المعسر القوسخ والتسير للاشمزاز.

أزال لأجودان زيو العصابة عن عيني وخلصني من كل الحبال التي كانت تلتصني ثم وضع امامي قطعة لحم (بيفتيك) وخبز وحبّة برنقال وكوكا كولا قانلا: كل صباح بالي الوقت ناكل» نعت في هتود بدون عصابة او حبل إلى حدود الساعة التاسعة صباحا، ولم لي التطور مكونا من هتود وحبّيب وخبز وزبدة ومريري، في منتصف النهار المتأوني جميعا إلى الإدارة العامة للأمن الوطني، ولد مكنت هناك من يوم الجمعة 16 يوليوز إلى يوم السبت 7 غشت، اخصخ لتحققات طويلة لانهاية لها، غير ان التعليمات الخاصة بالأكل والنظافة فقد احترمت حرفيا هكذا تضمنت وجباتنا سنويشبات بالدجاج واللحم والسمك والكبد والكفتة وناولونا كل صباح الشاي المنعنع و«الهاليات بالشوكولاتة» وكنا نستفيد من النوش مرة كل اسبوع وسيجارة بعد كل وجبة.

يوم السبت 17 يوليوز بنا التحقيق القضائي قام به عمداة ممتازون، وبوم 18 يوليوز استدعيت إلى المكتب، الأخصره للإدارة حيث كان التليمي في انتظاري صحبة (ثلاثة) اشخاص مهتمين بنوق راق، وفيما التليمي يطرح علي الاسئلة، كان الضيوف المغزون ينصتون

باهتمام، وقد عدت بعد بضعة أيام الي هذا المكتب، الأخضر، لسبب خاص، ذلك ان المرحوم مولاي عبد الله الذي جرح في التصغيرات جاء للتعرف علي من اعتدى عليه من بيننا. وقد عرضونا علي سموه واحد نلو الآخر بدون عصابات حتي يسهل عليه التعرف علينا، ولم يجد من بيننا من قام بالاعتداء.

فضيضا الاسابيع الثلاثة في الإدارة العامة معدين أرضا والعصابات علي الاعين والأيادي مصفحة وكان حراسنا رجال الشرطة مسلحين برشاشات يتناوبون علي رأس كل ٨ ساعات. لم نشاهد وجوههم ابدا ولم نكن نعرف اسمائهم، لأن كل فريق كان يختار اسمه وينادي المراده بعضهم البعض باسم، الحاج، او ضويا مايك. واللات للنظر لدى هؤلاء الشرطة هو لهجتهم ولغتهم غير البنيظة علي عكس الترك الملكي وعسكريينا ولعل مرد ذلك هو تعليمات أولفير.

حل ذلك اليوم الذي كان علي أن اتوجه فيه الي التحقيق في احد المكاتب المكتبية التي سبقتني إليها كثيرون لاحالة، ولما دخلت احسست بانني في مواجهة شخص يرمطني بشكل خاص. منذ مدة وأنا اعيش واكل واستحم في النظمة حتى انني تعويت نظف الاشياء ومعرفتها عبر السمع، او كانني اري بانني، وفي لحظة واحدة خلصني هذا الشخص منها واعمت بصري اضواء مصباح قوي الازارة. اجلسوني امام العميد الممتاز السيد الخيمي الذي عاجلني بالبتسامة هائلة وطلب مني إن كنت ابحر. اجبته بالإيجاب فأمر الشرطي المرافق له بإحضار علبتي دل إم. أ.

كان الرجل المكلف بالتحقيق معي متوسط القامة، مكتنزاً بوجه مستدير يخترقه جرح لطيف، وتشوه علي مستوى الفك يمنعه من نهجي الحروف بوضوح وهو تشوه ناتج عن حادثة سير. ورغم انه كان يتقن الفرنسية إتقاناً فإن نبرة نطقه الامازيغية، لانه وليد غرامة بالرائشيدية، كانت تجبرني علي أن اشرب بعنف حتى اتبع كلامه.

عاد الشرطي وسلمه العليتين، فأعطاني واحدة واحتفظ بالاخري وامره بمخاطرة المكان لينفرد بي، يارني بالحديث قائلاً: لننظر اولاً قبل الشروع في الكلام، فانت لست طريفة مهمة بل إنسانا ساكرا ايضا، بخنا في صمت وهو يرالقيني بإصعان لفظ والابتسامة لاتغار محياء، ذلك انه كان يعلم انني فهمت مراده لأن بصري كان مشهودا الي ملفين ضخمين فوق مكتبه، انه سيجارته وسلفي بنوع من اللامبالاة، اي

تعنيب تعرضت له من قبل الترك الملكي في فاس حتى تندعي بان علال الفاسي واحرضان كانا مورطين في الانقلاب».

اجبتنه: التعلق والطيارة، وكانوا مستعنين لغنيمة جيمور، انفجر عنيمي ضاحكا، ثم اضاف: هل خفت من جرح في المؤخرة؟
انن انك امازيغي من اي منطلة تنحدر؟

انا من الهرمومو ابها العميد... هكذا بدا حوار اكثر حميمية وطلاقة تحدثنا خلاله بالفرنسية والامازيغية، نظر إلي وسألني: ماهو التعنيب الذي مورس عليك من طرف اخوانك العسكريين حتى قلت بان الجيش كله كان متورطا وان بعض العناصر لفظ هي التي تراجعت في الاخير،
الخلقة والكهرباء.

يببو انك التقيت بالجنرال اولفير؟

نعم مسيو الكوميسير.

طيب انا المكلف خصيصا من طرف الجنرال لاستنطاقك وتكوين شهادتك لتبدا من البداية.

حكيت له مجريات الاحداث حسب تواليها الزمني وهو يسجل كل الوالي حرفيا دون تعليق، كان يدون بكل بقة ويوزن كل كلمة من كلماتي، احيانا كان يطلب مني ان نتوقف وننخذ ليل ان نواصل الحديث.

كان احد الاسئلة يتناول وعينا السياسي إذ سألني:

فل لي هل كان لك ولزملاك ضباط لهرمومو اهتمام بالسياسة؟
للغلا.

هل كان من بينكم من كانت له ميولات شيوعية؟

لا ابها العميد (ولد كذبت لوجود 5 منهم بيننا).

لاشك ان واحدا منكم علي الاقل كانت له نزوعات اشتراكية.

عموما، ابها العميد، يولد الامازيغي اشتراكية دون ان يقرأ الكتب او النظريات وهو يرفض الاشتراكية الماركسنتورية التي تجبره علي الانصياع للقواعد الابيولوجية المفروضة من طرف الاخرين، وهو ليس اشتراكية بالشحن الابيولوجي بل بالفعاله وعلاقاته الاجتماعية وروح الجماعة والتكافل وتعالبه علي البذخ والبهرجة والانانية ولهذا السبب افول لك ابها العميد انه لاعلاقة لنا باي حزب اشتراكي او شيوعي، او راسمالي.

انصت العميد دون ان ينبس بكلمة، ولاشك انه كان يتامل ما افول ويحاول فهم معناه، وسألني:

وعلى كل حال لقد فعت بانقلاب عسكري ولا اعتقد انكم فتمتم بكل هذه الجزرة من اجل التسوية

انقلاب ابها العميد إنه قضية المتأمرين الاتين ضد جلالة الملك، و نحر الحديث عن البورجوازية والتبذير والمسؤولية الجماعية وعن دور الجفرالات الأربعة وما حصل مع الحاج ابا حنيبي).

نحدث الي الغنيمي قائلا: لقد عقد البرلمان جلسة طارئة لمناقشة وضع الانقلابيين وقد صوت بالاجماع على قرار بإعدامكم من طرف محكمة عسكرية. ومن حسن حظكم ان الحاج با حنيبي وزير الدفاع عارض هذا القرار بشدة وقد كان لوقفه نور حاسم وستمثلون امام محكمة خاصة تنظر في قضيتكم حسب القوانين، ها انت ترى بان الاسناد باحنيبي انسان يدافع عن العدالة واضعا الحق قبل احساسه الشخصية رغم انكم فلكم شفيعه احمد باحنيبي الوزير الاول و اعتلنموه هو شخصيا واهتموه لساعات طوال. والظنه الراي والمكر الا ان في اشخاص آخرين مثل عمال الفاسي الذي صوت ضلنا لانه جرح او لانه كان مناهضا للزعمة العسكرية.

دام الاستنطاق ثلاثة ايام متتابعة لم الفكر فيها في مصري او مصير عائلتي. في الختام عاد لنيمي الي سؤال سابق، قل لي بما انه لم تكن لكم مبادئ للدفاع عنها، لماذا توجهتم الي الصخيرات، لقد كان لرؤسائكم حساباتهم الخاصة لكنكم ستدفعون الثمن.

لقد ذهبنا الي الصخيرات لاننا امرنا بذلك فنحن جنود قبل كل شيء، نعلمنا الانعاز وتنفيذ الاوامر.

لقد نهضت ما فعله الطلبة الضباط لكن انتم الضباط لستم مسيحين، فلا انتم شيوعيون ولا رأسماليون ولا تملكون ادنى فكرة عن الانتراكية او الماوية او النيتاوية (تيتو) بل فتمتم ب «الصخيراتية».. وهذا مصطلح ساضيفه الي قاسوسي، وادعك الآن لمواجهة ففكر الخاص.

قضيت في إدارة الامن اياما وليال طويلة انتظر ما يفعله القمر بي الي ان حل يوم السبت 7 محشت 1971 فطلقت الي السجن المركزي بالفيطيرة، قضينا هناك شهرين في زنآن انفرادية. ذات ليلة زارنا الجنرال مولاي حفيظ العلوي زيارة مفاجئة كان الهدف منها رؤية المرتزقة السبعة الذين كنت احدهم (الكولونيل محمد اعجابو، سلاط الرايس - علة - حبيفي - مزيرك - عشور)، وكان الهدف من الزيارة هو

معرفة ما إذا كنا فعلا ذهبنا الى الصخيرات بنية القيام بانقلاب،
ومعرفة قضية منبوح ولماذا اصلنا تنفيذ الأوامر عن الصد وتصميم
رغم الجزرة ليلتها كان الجنرال رفقة العميد غنيمي وقد فوجئنا
بالاهمية التي اكتسبتها قضيتنا، وقد قيل لنا في ما بعد ان مصيرنا قد
نحدد تلك الليلة لأن الجنرال مولاي حفيظ قد اتصل هاتفيا بالصدر
الملكى من مكتب مدير السجن. وبعدها بيومين بدا التحقيق القضائي.

وفي منتصف شهر شتنبر مثلت امام الكونونيل رمضان بنعبادة
المدعي العام للاستماع لالوالي وقد كان صارم اللسمات، نحيف الوجه،
ضامر الوجنتين انفه انك نسر كاسر، عيناه تلوها نظارات سمكة
نحفي نظرات حادة وفاسية، اما شفتاه الرقيقتان والجلتان فقد كانتا
تصران السهام اللاتلة والكلمات السامة.

منذ الوهلة الاولى تبايننا الكراهية ولم يحدث ان تهاجمنا في اي
لحظة من اللحظات او اتلفنا علي نقطة من النقاط كان هو يتحدث عن
القانون الجنائي ساردا الفصول تلو الأخرى وكنت من جهتي انشبت
واحاجج بالنظام العسكري لاسيما الفصل الخاص بالانضباط العام.

كان الفرق بيننا واضحا، فقد جاء من عالم القضاء قبل ان ينال رتبة
ليوتنانت لم يسبق له ان قاد وحدة او اصدر الأوامر او احس بالمسؤولية
الملقاة علي عاتق القائد في الظروف الخطيرة.

بدا اول مابدا، بقراط صك الاتهام في حلي تتخلله الفصول وارقامها
التي توالت علي مسامعي مثلما تتوالي مقصورات قطار يسير بسرعة
امام عيني ظل مندهش، بعدما طرح علي السؤال المعتاد: ماهو قولك
في المنسوب إليك، هل تعترف. اجبته علي التو: لا، لانني كنت اعلم ان
ماهو معروض علي ليست تذكره سفير للاصطياف بل جبل مشنقة.

. كيف لا وانت منهم بالمشاركة في انقلاب عسكري والمس بامن
الدولة ومحاولة الخيال شخص جلالة الملك وعائلته وقتل ضابط ونشر
العوضى... ومع ذلك تنفي المنسوب إليك

انشبت بالنفي لانني جندي خاضع للانضباط العسكري ونظام صارم
لايسمح بمناقضة الأوامر..

. اوقف هذا الهراء فاننا اعرف ذلك، ولديك عندي شيء احسن هو
الفصل (1) من العمل العسكري الذي ينص علي ان كل رجل عسكري
مسؤول عن المعاله، في الجيش بلقنونا القانون الجنائي للقضاء
العسكري لاننا لا ننتكون من اجل التخرج كفضاء بل كجنود بحاربون.

وسرنت عليه بعض العفويات الخاصة بالإخلال بالطاعة.
• الا تدري بان هناك الاوامر غير القانونية التي لايجب تنفيذها
• ما دام قائدني لم يتح من منصبه فإن اوامره مطاعة.
طرح علي بتعيينه عدة اسئلة خاصة بخطبتي اعيابو ومقتل الشيطان
بوجمعة وقد اجبته بخصوص هذه القضية بما سبق وقلته عن التهديد
والنهاية الحتمية في حالة الرفض.

ولمعت علي التوالي واوبعت السجن من جديد، لكن ما فاجانا هو
سجريه أ. من عمداء الشرطة الي السجن بهدف طلب توقيعاتنا
بخصوص وثيقة خاصة بخطبة اعيابو في بولناتل لما عرضت علي
الورقة ببيضاء رفضت التوقيع. احد العمداء طويل القامة اضخمها، نظر
إلى نظرة شزراء وقال: نحن علي عجلة من امرنا، سنوقع الآن وسنرفق
عليها اقوالك فيما بعد، فاجبته بليلالة، لايمكنني التوقيع علي بياض،
فاجاب مهيدا، الا نثق فيها، قلت، لاء استنار نحو زمليه وقد رفع قبضة
يده قائلا: «بالحق نخسر وجه هذا الخائن» لكن احدهما تدخل قائلا:
«هون عليك من حقه الا يوقع علي بياض» التفت نحوي «يمكنك
الانصراف سنوقع فيما بعد» وقد تبين في القادم من الايام ان الغلب ما
صرحنا به بخصوص خطبتي اعيابو في بولناتل قد طاله التغيير.
انتهى التحقيق في شهر اكتوبر وتم تعويض رجال الشرطة الحراس
بحراس عسكريين يحرصون السجن عادة، اصبح النظام يدوره عابيا
واعطيت الاوامر بالسماح لنا بالخروج مرتين الي الساحة كان سجن
فنيطرة يضم وقتها عسكريين محكومين ب (14) يوما كعقوبة، واخرين
ينتظرون المنول امام المحكمة العسكرية لاسباب مختلفة وانقلابي
الصغيرات وبعض الضباط السابقين الذين اثار سلوكهم يوم (11) يوليوز
1971 الشبهات، وقد اخبرنا الحراس ذات جمعة انه قد اطلق سراحهم
بعد الصلاة وبعد ان اعلنوا التوبة امام جلالة الملك، في شهر رمضان
طلب اوفقيير رؤيته اعيابو محمد، شلاط بلكبير، غلول وبين بورو.. وقد
ارسل الكومندان بوعزة مدير السجن من القاهم الي منزل اوفقيير، وفي
اليوم التوالي اخبرنا زملائنا المعتقلون بما دار بيته وبينهم وصرخوا
لنا بان الجنرال قال لهم بانه سيصدر عفوا عاما بعد المحاكمة ونعود
الي مخائنا في القوات المسلحة الملكية. هذا الدنيا احبى الامل فينا وفرج
حربنا خصوصا وان الجنرال اوفقيير اصبح وزيراً للدفاع والمجاور
العام للقوات المسلحة الملكية.

المحاكمة

مع مطلع شهر يناير 1972 اخبرنا بالفتاح محاكمتنا وطلبوا منا اطلاق عائلتنا للبحث عن محامين للدفاع عنا. وقد كنت محفوظا لان الاستاذ عبد الرحمن بنعرو جاء بمحض ارائته للدفاع عني بالمجان .. يوم 11 يناير في الساعة التاسعة صباحا بدأت محاكمة المشركين في انقلاب الصنخيرات بالقيطرة من طرف محكمة العدل الخاصة برئاسة عبد النبي بوعشرين وعضوية كل من الجنرال الحاج عبد السلام والكولونيلين نعيمى والقاسى الفهري والليوتنانت كولونيل بلميلوي. بعد قراءة حكا الاتهام والتعرف على هوية المتهمين شرعت المحكمة في الاستماع الى المتهمين الذين تعاليموا على قس الاتهام للاجابة عن اسئلة رئيس المحكمة السيد بوعشرين. كان اول من مثل امامها هو الكولونيل محمد اعيايو، وقد نفى كل المنسوب اليه، وصرح بأنه امضى الوقت كله في محاولة نفي اخيه احمد والتماعه بالنخلي عن مشروعه الجهني. ونفى سلاط ايضا التهم الموجهة اليه، وصرح بأنه لم يكن في مشوروه التنبؤ بما سيقع، لانه ليس سلاطا. اما القبطانان بلكبير وغلول فقد صرحا بانهما لجا الى الفرار بمجرد اطلاعهما على حقيقة الامور، فكان ان نعتهما المدعي العام بن عبادة بـ «الجبناء» لانهما غائرا موقعهما وتكرا لوظيفتهما كضباط ومن جهته، صرح بنورو القبطان السابق في الترك الملكي بأنه لم يكتشف الحقيقة إلا بعد وصوله الى الرباط ولما سألته رئيس المحكمة عن اول رد فعل له بعد اكتشاف الخدعة اجاب بسماحة لاتصدق، مشيت لاول محل وشريت كونا كولا باريد، فاهتزت القاعة ضحكا، لم يسلم منه حتى المدعي العام الصارم.

جاء نور المراد، المقنعة، التي سميت بـ «الفرقة الخاصة»، لسبب غامض، تلاهم رؤساء الكومندوهات الخمسة والعشرون. وكل هؤلاء نفوا التهم الموجهة اليهم، وحمل ضباط الصف المسؤولية لضباطهم، في حين صرح التلامذة ضباط الصف بانهم مجرد منفذين. وجوابا عن احد اسئلة رئيس المحكمة متعلق بمعرفة ما إذا كانوا شاهدوا جنحا وموتى اجاب العديد من الطلبة الضباط بانهم راوا «العود» ممدا على العشب، فما كان منه إلا ان ارغى وازيد لهذا الجواب المتكرر وصاح: «بارك ما تكولوا العود العود، هل كان الضحية الوحيدة» كتعلموا على الحيوان وتساوا بانهم، قيل له بان «العود» هو احد التلامذة الضباط

وليس «الحصان» لافتر ثغره عن ابتسامة دالة على هذا الخلط وتبعته القاعة.

كما صرح مزيرك الذي كان يجهل القراءة والكتابة، بأنه سمع الحوار الذي دار بين المارشال مزيان والكولونيل اعبابو، وأنه - للاسف - لم يحتفظ سوى بكلمة واحدة من الحوار الذي دار بالفرنسية وان هذه الكلمة هي، «ساما جسطي»، فانفجر الحاضرون ضاحكين.

تخللت المحاكمة كذلك لحظات حزن ومثلة لاسيما عندما اجهش بعض المتهمين بالبكاء. وقد كان اولهم الكولونيل محمد اعبابو الذي فعل ذلك طلبا للصفح والعفو، وهو ما اثر في بعض رجاله وزملائه والمحامين ايضا. في الواحد والعشرين تقدم المدعي العام بمرافعته وطالب المحكمة بانزال المصى العلويات، 2١ حكما بالإعدام و 2٥ حكما بالمؤبد. وطوال مرافعته القاسية مارس دوره «تفرقاقي» كما يسميه المغاربة. وتساءل في معرض اتهامه: «كيف يمكن اطلاق النار على مسنين عزّل؟ وهل تتم المناورات العسكرية في القصر؟» حتى ولو كانت هناك «عناصر مخربة مزعومة»، هل يملك المتهمون الحق في اطلاق الرصاص كيف ما اتفق؟ لقد تساطت مع نفسي وكانني أحدث المدعي العام: «إن اتفاقيات جنيف تطبق على الجميع وان الذين اطلقوا النار في الصخيرات مجرد منفذين مثل الذين اطلقوا النار على الطلبة في 1٩٦٥. والحال ان المتهمين الرئيسيين كانوا غائبين فهم كل من شارك في اجتماع بوقنايل واجتماع المكتب الثالث وكل الذين لم يحركوا ساكنا في الصخيرات، كما في القيادة العامة وفي اللجان، ولعل الوحيد الذي ظل ولجأ لمبايئه ولنفسه الضابط المخلص لوباريس عبد القادر الذي قاوم بكل كيانه رغم انه كان اعزل.

ويبدو انه كان مستعدا للشهادة لفائدة من اعادى عليه. وقد لاحظت ان اسمه لم يرد حتى ضمن لائحة شهود الإدعاء العام. من جهة أخرى، راجحت اخبار كان مصدرها بعض المحامين ان المحاكمة كانت ستوقف في حال قبلت «الكتلة الوطنية» (الاستقلال-الاتحاد الوطني) مشروع تشكيل الحكومة ولما رفضت الكتلة استمرت المحاكمة.

جاء نور خرخاش الذي حول المحكمة الى قاعة عرض ضحكته منه المحكمة والبركيون والمتهمون وهم يسمعون الى شهادة هذا الجندي الذي شارك في الحرب العالمية الثانية والحرب الهند الصينية. بدا حديده بالقول إنه لم يدخل الجيش سوى من أجل «الحريرة والكامبلا»

واسهم علموه كيف يواجه مواجهة مباشرة في القنال ولم يلقونه البتة
كيف يفهم انقلابا عسكريا. وصرح ايضا انه اعتقد ان موقع المناورة كان
محملة قطار اضرب عمالها قبل ان يتصور انه معمل لتصبير الطماطم
لما راي بقع الدم الحمراء. و اضاف ان كل العناصر المخربة بالنسبة
اليه ، حمراء/شيوعية، لهذا اغفل احد الاسيويين، وبعد ان واجهته
المحكمة باتهامات وشهادات التلامذة الضباط اجاب بانكيا بانهم
يتخالبون ضده لانه كان قريبا معهم في التداريب، وكان يتكل بهم بامر
من اعيايو. وجوابا عن سؤال موجه من المدعي العام قال بان «اعيايو
كان يرسلني لاجمع «الماثريال» بيا الدولة ونجيبو للمدرسة باش نينبوا،
لان كل شيء بيبال الدولة واعيايو كيمخدم الدولة» واطلق خرخاش
رصاصه الرحمة علينا بقوله «ماكونتش عارف اش فرانس «لي زوفيسي»
اما ما عارفش ...» تقدم المائة وعشرون محاميا حاضرين بمرافعاتهم،
مستنديين في دفاعهم إلى الانضباط العسكري وتنفيذ الأوامر. ولحوا
إلى الفساد والظلم الاجتماعي والأزمة السياسية والاجتماعية التي يمر
بها المجتمع. واطن ان المحكمة فهمت بان المقصود بهذه التلميحات هي
محاكمة مراكش حول ماسمي بـ «المؤامرة» المخطط لها من طرف الاتحاد
الوطني للقوات الشعبية المعروفة بقضية «بمات» مسقط رأس لفييه
البصري المنفي في فرنسا والحكوم غيايبيا بالإعدام بسبب القضية. لم
قضية الصخيرات نفسها وقضية الفساد وتحويل المال العام من طرف
بعض الوزراء المقاتلين الذين حوكموا فيما بعد. بذل المحامون كل
جهدهم لإنقاذنا، لكن الأحكام صدرت ضدنا صابرين سنة سجننا نافذا
والإعدام. لما استدعي الشهود، كان شهود وزارة الداخلية هم الأكثر
تكالبا علينا. وقد ورطوا أكثر، كلا من حيفي والفيقظي اللذين اساءا
معاملاتهم على حد قولهم.

استمرت المرافعات طوال ليلة الجمعة والى الساعة الرابعة صباحا
قبل ان تستأنف في الساعة التاسعة من يوم السبت، قبل انتهاء
المحامين وجهوا نداء إلى المحكمة من اجل الفصل في المحاكمة بالعمل
والإنصاف. كما الحوا ايضا على تبيان ان اتهامات المدعي العام
لاستند إلى دليل قوي.

ووصف الدفاع اعيايو بـ «نابليون الهرموسو» الذي اطح بواسطة
دعائه المكيفيللي وقسوته الهرقلية. ان يفرض نفسه على تلامذته
وتحويلهم ومن معهم من الضباط إلى روبوات وكائنات اليه. وبعد ان

اصبحوا انوات في يده لم يتردد في استعمالهم بعد ان روضهم ايعا ترويض. صرح الدفاع كذلك بان مؤامرة تستند إلى 1,400 مشارك على بال كان بإمكانها ان تنجح. لكن المشاركة لغير الزاوية والطوعية لعناصرها هي التي انت إلى فشلها. وازداد المحامون ان مرتكبي الانقلاب وجرائم الصخيرات هم المنبوح وامحمد اعيايو والضباط السامون الذين لقوا مصيرهم.

لاشك ايها السادة المحامون ان المتهمين الذين مسوا بعؤسسات الدولة قد لقوا حتفهم. لكني مازلت ملتقنا بان اثنين منهما ما كانا لبلطيا نفس المصير. وهما الجنرال حبيبي الذي رفض اي امر من اعيايو. والثاني هو الكومندان المانوزي الذي لم يحضر لا في بولنايل ولا في الصخيرات ولا في القيادة العامة. بل كان في بيته. لاشك ان الكومندان كان حاضرا في اليوم الثاني بعناتته (بيجاما) في المكتب الثاني. لكن الحديقة الواضحة للعيان لم اطع عليها إلا بعد 21 سنة. اي بعد الافراج عني. وقد جاءتني على لسان زوجته مليكة التي حكّت لي. وهي تنتخب عن تفاصيل يومه واستعماله الزمني قبل اعدامه يوم الثلاثاء 13 يوليوز 1971. حكّت لي هذه السيدة الفاضلة بان زوجها قضى زوال تلك اليوم في قيلولته طويلة ثم ارتشف قهوته المعتادة. وادى صلاته ثم ظل إلى جانب زوجته الشابة. وفي المساء استحم قبل نغايه إلى النوم. كما هي عادته. غير ان طرقات قوية على الباب ايقظتهما في عز الليل. فوجئ المانوزي لإزعاجه في هذه الساعة المتأخرة من الليل بطريقة غير مألوفة. ففتح الباب فوجد امامه رجال الجيش مصحوبين بالدرع اللقي يطلبون منه مرافقتهم. لانهم. يحتاجونه لامر عاجل. اجابهم «طيب ساردي صلابسي واصحبكم» لكن المسؤول قاطعه: «لا ايها الكومندان لقد امرونا بالا نغاركك لبيد انقلة. احضح المانوزي: «تريديوني ان ارفعكم وأنا بالنامة». فكان رد مخاطبه: «كذلك الامراء» فاحضح المانوزي ثانية فخاطبه المسؤول بجفاء: «كومندان انت في حالة اعتقال عليك ان تاتي معنا فنحن في عجلة من امرنا».

نهل الكومندان المانوزي لهذا الموقف لكنه واسبى زوجته وطمانها بقوله: «لاشك ان خطأ ما قد وقع. سانهب لأرى واعود. اطمنني ليس في الامر ما يدعو إلى الخوف» ولم يعد الكومندان ابدا.

انار الدفاع ايضا قضية الشك وغياب الحجة والشكل المسطري. كلها عناصر تلجبت انتفاء المسؤولية لدى المتهمين. ولما استدعي الكولونيل

محمد اعبابو الى الملول الأخير امام المحكمة صرح مجددا بأنه «أخي هو الذي ورطني في العملية، وأن مصيري ومصير ابنائي بين أيديكم. وحرر المتهمون جميعا تشبثهم ببراعتهم. وقد طالب بن عيادة كما اسلفنا بالإعدام في حق 26 منها والحكم بالمؤبد في حق 25 آخرين، كما طالب ب 20 عاما سجنا نافذا في حق 25 آخرين. وفصل لضية 3 منهمين يوجدون في المستشفى واسقاط المتابعة في حق 85 منهما، لانهم ساهموا في قلب مجرى الأمور في الصغيرات. أما بخصوص 117 تلميذا ضابطا والسائقين وضباط الصف السائقين او الميكانيكيين فإنه أحال قضيتهم على المحكمة للنظر فيها.

يوم الثلاثاء 29 فبراير 1972 في الساعة التاسعة والنصف ليلا صدر الحكم بحضور القضاة العسكريين والصحافة الوطنية والنولية. لما سمعت زوجتي ضحيجة الحكم الصادر ضدي المعى عليها بعد ان صرخت بكل ما فيها من قوة، لا، لا هذا ظلم، رجائي بريء... تم إخراجها من القاعة ونقلها الحراس وبعض الأصدقاء الى الخارج. وواصل رئيس المحكمة تلاوة الأحكام. في يوم الغد الأربعاء فاتح مارس في الساعة الخامسة مساء بسجن القنيطرة جاء الكولونيل رمضان بن عيادة وكيل جلالة الملك مصحوبا بالليطان الليفالي كاتب الضبط والعبيد من المحامين وقرا الأحكام التالية بالتفصيل:

الإعدام: لاسميران محمد الرايس، المؤبد: شلاط عطف، عاشور - 20 سنة سجنا نافذا: الكولونيل اعبابو، حيلي، اليقظي 15 سنة سجنا، لغلو، مزيرك 2 سنة، الكوري 10 سنوات، بندورو، منصت، بينين، عماروش، ابو المفلول، بيك، اعبابو عبد العزيز، عبد الصافي 4 سنوات، بلكبير، سعودي مجاهد 3 سنوات، شيبيرق، صانلي بوتو، سنجان، 22 منها من بينهم 9 ضباط صف و 13 ضابطا 18 شهرا، 19 ضباط سنة سجنا، سوليوتنان العراقي ومرماش وعنتر علي.

انتهت المحاكمة إذن ب 74 إدانة (شملت الفرقة الخاصة، الضباط وضباط الصف، نواب قادة الكوماندوهات، وتمت تيرنة التلامذة ضباط الصف السائقين) وقد استدعي التلامذة والسائقون من طرف بن عيادة وأعلن فيهم البراءة فهللوا في حين، عاش الملكة فجأة انبرى شاب عمره 23 سنة لمحي البشرية، عيناء خضراوان وشعر متجعده اشقر، واخذ الكلمة بغيرة امازيغية من ميبلت، وخاطب بن عيادة قائلا: «سؤن كولونيل، اسمح لي انا لست سائقا، اعتقد ان هناك خطأ فطب بن

عبادة وسأله: «ما اسمك»، فأجابته الشاب: «أنا السرجان اولعربي نائب القائد الكومانو» فحص الكولونيل لألحة الاسماء وتنهى: «لقد برأتك المحكمة حتى انت» هل هو خطأ قضائي، سهواً اهمالاً، كيف ما كان الحال لقد جاءت ام السرجان كشيخ فيما بعد لزيارة ابنها وقد هدتها الياس والغضب وقالت له: «لقد بذلت كل ما في وسعي، واتصلت بمن هم فوق في كل الدوائر العليا، وقد اعطيت الأوامر امام عيني، ولسوء الحظ ان احد البلداء وضع ملك سرجان اخر مكان مملكته والآن مستحيل القيام بأي شيء نظراً لأن الحكم صبر» .. هكذا انقذ السرجان اولعربي بمعجزة رغم ان كل زملائه اتينوا بـ 18 شهراً ناهذا وسرحوا من القوات المسلحة الملكية. ويحضرنا هنا تفصيل لابد انه كان ذا اهمية وقتها، إذ خلال المحاكمة استنعي السارجان اولعربي الى فحص الاتهام وسأله رئيس المحكمة: «لبن المحامي نيالك» فأجابته السرجان «او، بما يشبه الثقة» «الله وحدو هو المحامي نيالي».

غادر السرجان السجن في اليوم الموالي بتعيين جديد. كما قسم السائقون على وحدات أخرى مثلهم في ذلك مثل الـ 85 تلميذا ضابطا مكثوا في قصر الصخيرات. اما المتهمون الآخرون وعندهم 917 فلم يحالفهم نفس الحظ رغم انهم برثوا فقد سرحوا من الجيش .. وبعد مرور 21 سنة على هذا التاريخ قدر لي ان التقي بتلميذتين سابقين بعملان كحارسين في السجن المركزي بالفيطيرة وتلميذ ثالث يدعى عواد بلضي 15 سنة سجنا بسبب قتله لرئيسه. سعد لرؤيتي وحكى لي عما وقع بعد خروجنا من الصخيرات وحكى لي ايضاً عن قصة الساعة المسروقة (...) وعن سبب قتله لرئيسه الذي يبدو انه اهانه وضربه امام زملائه فعمد إلى قتله برشاشة. بعد 4 اشهر من لقائنا تم اطلاق سراحه ولد هذه الزمن ونالت منه نواتره وشباب شعر راسه.

كنت اخر من نخل على المدعي العام في مكتب مدير السجن، لم اجد بن عبادة الذي حلق معي منذ 4 اشهر، ذلك المدعي العام الذي ينظر إلى شزوا وهو يوجه إلى اصعب الاتهام أثناء مراجعته، بل وجدت شخصاً غامباً، مؤثلقاً انهى عمله واتم واجبه نظر إلى بما يشبه الأسف وحدثنني بنبرة تكاد تكون ابوية: «الرايس انا اسف لأجلك اعرف انك اب لـ 11 اطفال، لكن اخطار المهنة لا ترحم .. اظن ان الاستاذ بنعمرو قد اخبرك» «وي مون كولونيل لقد اخبرني» احنى راسه لهنيهة وسرحت سوارده ثم خاطبني: «الله كريم وقادر، كون عنك ثقة فالله وعليك

بالصبر، والأسناد بنعمرو غادي يعمل الواجب في محكمة النقض.
 عنت لى زنزانتي وأنا افكر في الاثنياء الرهيبة القائمة، قضيت الليل
 احمق في السلام. وقد جفاني النوم، طرحت على نفسي الاسئلة لكو
 الأخرى بون ان اجد جوابا يواسيني ويخفف عني. توالت امام عيني
 المشاهد المرعبة لفرقة الإعدام راعي البقر وقد علقه الشريف جان دارك
 في المحرقة كاريل شيمان في غرف الغاز. بنلت ما في وسعي لانظر هذه
 الافكار الشريرة والغامضة. عبثا كانت محاولاتي. في اليوم الموالي
 زارتنا العائلات التي لم نرها منذ 10 يوليو 71. عمت اجواء الحزن
 والبكاء والأسى. لاسيما عند الامهات. كانت تلك اول مرة احس فيها
 بقيمة الحرية عندما تضيق بلا سبب وجيه. كان الإحساس باننا
 مراقبون مراقبة شديدة. قابعون بين اربعة جدران قاسيا على نفسي. انا
 الذي تعودت على المدى والفضاءات الشاسعة. ولزمني وقت طويل لاعتاد
 على حياتي الجديدة كمسافر الى لما وراء. احسست فجأة ان الوجود
 يخونني. مرت الايام متذائلة وكنت اراقب في انتظاري .. لم يكن ينقصنا
 شيء. وكنا نحاول خلق الامل بالعمو الملكي لاسيما مع وجود الجنرال
 اولفير. وكانت زوجتي تبذل ما في وسعها لإنقاذني من المشقة ..

المفطور له الصن الثاني يستقبل زوجتي ..

بعد الحكم علي . بنلت زوجتي كل مجهوداتها واكثر إنقاذي. فبذلت
 جميع الأبواب بما فيها باب الأمير مولاي عبد الله وباب الجنرال اولفير
 لعل وعسى .. وبما تم اعتقالها والتنكيل بها في الكوميساريات. وحدث
 ذات مرة ان شوهدت وهي تحوم حول القصر الملكي فالتفتت إلى الإدارة
 العامة بطلانبيها. ومن حسن حظها ان فاعل خير اخطر المرحوم مولاي عبد
 الله الذي هانف العميد اللدلاوي الذي اطلق سراحها. وبالرغم من كل ما
 حدث لم يتل منها لباس او يساورها التراجع. وحاولت عدة مرات الاتصال
 بجلالة الملك الراحل. واستحال عليها تحقيق هدفها نظرا لحراسة الشرطة
 والفرق الملكي والحرس الملكي اللذين كانوا يمنعونها من الاقتراب من ملعب

الغولف. كانت زوجتي تلقني اياما بكاملها تحت الشمس الحارقة. لكنها كانت تعود دائما بخفي حين ذات يوم لاحظ احد الحراس تربتها على المكان واضرب منها قائلا: «لقد لاحظت مجيئك يوميا إلى هنا ماذا تنتظرين». فكان جوابها «اريد ان التقي بجلالة الملك اريد منه ان يعفو عن زوجي لاسبيران الرئيس المحكوم بالإعدام في قضية الصحيرات.

من المستحيل ان التلقي به لأن حراس الأمن سيمنعونك قبل الوصول إلى سيارته. لكن عندي وسيلة فعالة لمفاجأة الحرس والاقتراب من سيارة جلالة الملك التي يصعب التحرف عليها، سنحويين غدا لأنه اليوم الذي يمارس فيه جلالتة رياضة الغولف عندما نلاحظين بانني رفعت قبعتي اعلى ولفتها بانها سيارته. ولقنها اجري نحوها بكل ما اونيت من قوة واشهري رسالتك عاليا.

وحدد لها الحراس المجهول ساعة وصول السيارة ومكانها. اسدي لها بعض النصائح كي لا تثير انتباه الدرك الملكي ورجال الشرطة على طول الطريق. ثم عاد إلى مكانه المعتاد. عادت في اليوم الموعد في الساعة المنفق عليها وانتظرت طويلا وهي تترع المكان نهابا وايبابا وعينها على العسكري الحارس الرابض في اعلى إحدى القبلات. ترات السيارة وهي يقرب من بعيد ورفع العسكري قبعته فرضت خديجة بكل ما اونيت من سرعة نحو السيارة، مفاجئة بذلك رجال الدرك الملكي بعد ان وصلت منتصف الطريق واجبر السائق على التوقف فلز حراس جلالة الملك من كل جهة وامسكوا بزوجتي التي صاحت بصوت عال «بغيت نشوف جلالة الملك».

اعطى جلالتة الامر بان تقدم له بعد رياضة الغولف فالتقيت إلى إحدى الغرف وظلت هناك تنتظر إلى ان استقبلها الرحموم الحسن الذاتي. عاتبها جلالتة بداية الامر على محاولتها الخطيرة ونصحها بالجوء إلى السلم الإداري للمطالبة بحقوقها. لأن ابوابه مفتوحة دائما. سألها بعد ذلك عن الهدف والموضوع من زيارتها. اجهشت خديجة بالبكاء طالبة العفو عني. كما علم جلالتة بان الامر يتعلق بأحد المشاركين في انقلاب الصحيرات. قال لها: «اسمعي سيدتي على عكس ما تقولين، لم يكن زوجك برديا هو واصدقاؤه. لقد نفثوا الاوامر. نعم، لكن كان عليهم ان ينظفوها في إطار القوانين الجاري بها العمل وليس تنفيذ اوامر غير شرعية لقاتلهم الخائن. لقد فرات التفاريغ ولم اجد لهم عنرا خصوصا بعد لقاء بوفانيل وزوجك نفسه نخل القبة في القصر وتوجه إلى القليابة العامة ومبنى الإذاعة.

وعلى كل حال عودي إلى بيتك ودعي المسطرة القضائية تأخذ مجراها العادي ونحنما تصل القضية بين يدي ساري ما العفل. اركبوها سيارة وتطلبية واصلوها إلى البيت. بعض ضعاف النفوس والمتألمين الذين علموا بمغامرتها الشجاعة لاموها قائلين: «كان عليك ان تستغني الفرصة وتطلبين مساعدة مالية او «كريمة» لتربية ابنائك السنة تربية لائقة، فاعلمو مسافة ثانوية. وإذا ما رفض العفلو، فإنك ستربحين مائتا لتكبية حاجياتك لأن «البؤس يجعل الأمور أصعب» وكان جواب خديجة: «لم يخطر ببالي ما تقولون، لأن الهدف هو نعتق روح».

بعد مرور شهرين على هذه الحادثة عفا جلاله الملك الراحل على محمد «جار المعروف بسعيد بونعيلات ومحمد بن موسى وأصدر امره بتحويل حكم الإعدام الصادر في حلي إلى حكم بالمؤبد. قبل ان ينظر المجلس الأعلى في قضيتي، جاء الأستاذ عبد الرحمان بنعمرؤ لئنياني بالخبر، وكما لاحظ انني غير مهال للامر سألني عن السبب فاجبته متسائلا: «ما هو الفرق بين ان الجمع حياتي كلها في السجن وان اعدم على الفور، اجبني بطول» «إنه الأمل. وسادمت هناك حياة هناك أمل. ربت على الفور».

هذا متعلق بالمدة التي يتطلبها الأمل حتى يتحقق، وبالنسبة لي لا فرق بين العلوينين».

٤. الرابيس: المحاكمات السياسية تختلف عليك بالصبر، لأن الظرفية تلعب دورا كبيرا فيها. مساء ذلك اليوم نفسه ارسل مدير السجن الكومندان بوعزة (أ) سنة خدمها في الجيش الفرنسي) احد ضباط الصف المدامين لإخطاري بنيا العفلو عني. هذه الإنفاطة الرت في عواطلي خصوصا وانها لمير سجن احتفظ بجانبه الإنساني رغم مهمته العقابية. لقد كان الكومندان بوعزة المنصوري الصديق الحميم للجنرال الكتاني - اول جنرال عربي وأفريقي في الجيش الفرنسي المرفي سنة 1954. ورغم انه كان اميا فقد كان بوعزة المنصوري صاحب أخلاق ومروعة وجدير برتبته. لقد كان شديد الولاء للملكية، لكنه التزام بحدود مهامه نون ان ينسيء معاملتنا او يهيننا.

كان نظام السجن قاسيا، لكن موظفيه كانوا يفضون الطرف. وبذلك كنا نستفيد من تساهلهم. وخلالنا للسجناء الآخرين كان بإمكاننا «جلسة، ان نبتن ونستمع للإذاعة ونقرأ الصحف والتشمس طوال النهار عوض ساعتين. مع توالي الأيام والرتابة لنا وجونا الجعيد وإن كانت أسلوب

العقوبة بالنسبة للبعض قد أثبتت العزائم لأن الحكم على زميل بنفس الرتبة ونفس الوظيفة بعقوبة مرتين أقل يجلب اليأس للسجين. وقد سحقت لي الفرصة للحضور لحوار دار بين سجينين برتبة ليوتنانت. كانا فائزين للكوماندو ولم يقتربا جرما محمدا أو يتهمهما شخص بذاته. فقد سأل الأول (م) زميله الثاني (ز): «صرلحة أنا ما فلهم والو. كيفاش أنا وانت ما تفرلناش ولو لحظة وحكموا عليك بعامين وأنا 5 سنين».

اجابه (ز) «انت ما كونتش نكي. انا عرفت نتكلم على راسي اما انت فبويت بلا ما تعرف اش تكول. والحال انه لقدام المحكمة خاص بنام يكون نكي ويعرف يتكلم».

احس (م) بجرح غائر بدميه ولكن الصراحة كانت جرح.

وانتكر الحديث الذي دار بيني وبين خرخاش. ذات يوم كنا نمتحن في صمت ونحن جالسان في جانب مشمس من الساحة، فبانرني خرخاش بالسؤال. «اش كتحس دابا بعدما سابقيتش محكوم بالإعدام ارتحت نسوية».

«مرتاح» عوض ما تلقني حياتي كلها في السجن كنتفضل «نطلع» الفوق وأنا متأكد بان الفوق حسن من التحت».

فوجيء محدلي اول الامر ثم اطرق مفكرا قبل ان يضيف:

في نظري يجب ان يستمتع الإنسان إلى أقصى حد من الحياة، لأنه لا حياة بعد الموت».

نهلت لإواله هاته فسألته.

«هل تؤمن بالله»

اجابني: طبعاً.

«إن أنت تؤمن باليوم الآخر والصرراط المستقيم والجنة والنار»

«لا انا لاؤمن بشيء من هذا، لأن اجسامنا تبقى في الأرض وارواحنا

أيضاً، كل شيء يبقى في الأرض ولا شيء يصعد إلى السماء. لهذا فمن مصلحةنا ان نغتنم من الحياة».

هل تؤمن بالبعث

«لا، انا المؤمن بالحياة وحدها».

«انت كالتو إنز»

التفكر هم الذين يسجنون الناس بنون وجه حق. ساعطيك مثالا واحدا على ذلك ففي قضية «الأواس» OAS المنظمة المسلحة السرية التي كونها عناية الاستعماريين ضد الأحرار في الجزائر، وحدهم المسؤولون حوكموا

واينبوا، اما الرؤوسون، ابسط الجنود إلى القبطان فقد عولقوا بالمشي
111. كلم فقط وهذا كل ما في الأمر، والأمر مختلف عننا، ففي وقت السلم
نعاقب لعدم الانصياع وعندما يقع مشكل ما نعاقب على الانصياع.

وقلت له، مداعبا: «انت عجوز راسك فاسح، كالمز حقيقي ولا شك ان
مصيرك هو جهنم وبئس المصير» لخطابتي بقوله: «إذا كان الجحيم
موجودا كما تقول فانا الفضله على الظلم والجور، ومن جهتي اتمنى لك
حياة مديدة والراجا قريبا، واتمنى من الله ان ينجيك من إخواننا، هنا
وفي كل مكان».

لم اعر اهتماما لكلامه، لكنني ارتكبت مغزى دعوته في تازمامارت.
لقد كان من الحكمة أن يخبرني قبل رحيله بان الحياة ليست دائما
بالجمال الذي ينسب إليها، واليوم البول له: «نعم، كنت على صواب يا
خرخاش فالحياة قاسية جدا وقد لطعت صحراها وتحملت جفافها
بصعوبة يؤسف لها».

(...) حل يوم العاشر من يوليوز 1972 بعد سنة على أحداث
الصخبيرات، وقد زكى المجلس الأعلى الحكم الصادر ضدنا، يومها كنت
وحيدا في زنزانتي الفكر في صمت في مشاهد تلك الأحداث التي توالى
«مام عيني كشريط فيلم مطول (...) يوم 5 غشت 1972 غامر السولويتان
ع- السجن بعد ان قضى سنة سجننا، رغم ان هذا الضابط رئيس كومانو
صرح بانه اعطى اوامر لاحد رجاله يجعل سلاح إ ف إم 2W24 IOM
بنوجيه طلقاته نحو القصر، واعترف ايضا بانه شارك في احتلال وزارة
الداخلية والقيادة العامة ومبنى الإذاعة، بالرغم من كل هذا اتين بعقوبة
صغيرة، اي اقل من السرجانات الذين حكموا بـ 18 شهرا، امر غريب حقا
بمنصف ان «التسويات» لا تستخدم حتى في القضايا الحساسة مثل
الصخبيرات، وتفسر ما حدث ان رئيس المحكمة قد يكون صديقا حميما
لوالد الضابط المذكور».

يوم 7 غشت جاء نور مرماش وعنتر لغامرة السجن وجاء الكومندان
بوعزة لغواساتنا وطمانتنا باننا سننال عفو الملك، إن عاجلا او اجلا.
ويكفي التحلي بالصبر، وقد غل قوله بانه حسب النظام المعمول به كان
يجب ان نرحل إلى سجن مدني، لكنه تلقى اوامر صارمة بالاحتفاظ بنا.
وبدا لنا في تلك واضحا ومعقولا فرلويتنا الأمل.. لكن المقدر المكتوب لم
ينرك لنا الوقت للانتظار. ففي يوم الأربعاء 16 غشت 1972 حوالي الساعة
الرابعة بعد الزوال كنا جالسين في الساحة، بعضنا غارق في شجونه

اليومية والبعض الآخر منكب على لعب الورق، فربق ثالث يقرأ «بابيون» او يتجول او يلعب كرة القدم.

ولكن هناك فريق آخر جالس في الإبراج على طول الجدران، كنت واحدا من المراده الذين يلقبون بالحاملين او الكسالي، كنا نشاهد الحمام ينظر الحب امام المطبخ، فجاءه رائحة فوق رؤوسنا طائرة نقل «بوينغ 737» على علو منخفض، مائلة على جانب واحد مثل طائر جريش فقد جناحه، والدخان الكثيف يتصاعد من أحد محركاتها، بدا لنا ان الطائرة موشقة على السقوط بسبب ما خمناه من صعوبة لدى الريان. اعتقدنا انها رحلة عادية ولم تكن نعرف انها الطائرة الملكية وعلى متنها الملك الراحل والوليد المرافق له العائد من فرنسا. شاهدنا الطائرة متعجبين. وفهمنا انها لن تصل إلى وجهتها... وراقبناها بنوع من اللاسمالية نون ان ترى ان مصيرنا مرهون بها. ونظر الإنقلابيون السابقون، الذين كانوا قبل سنة من هذا التاريخ يدوسون الجثث ويطلقون النار على كل من هب ونهب والغل يملا صمورهم والشر يتطير من اعينهم، نظروا إلى الطائرة وهم ينضرعون إلى الله ان ينجيها وينجي ركابها وان يتم الهبوط في سلام وطمانينة برءا للموت والدم والنحيب. لم يمر احد منا ما كان يحدث ولم نطلع على حفيظة الأمر. اي وقوع انقلاب اوفقيير. إلا فيما بعد لما بنت الإذاعات الخبر وتداول الحراس مجريات العملية وجاءت العائلات يوم الخميس 17 يوليو لزيارة السجناء لكن الحفيظة لم تعرفها بالتفصيل إلا فيما بعد على لسان الطيارين المشاركين انفسهم، وطابها ان اوفقيير بعد ان اصبح يملك كل السلطات بين يديه. اعتقل كل المشتبه فيهم وكل من له علاقة. من قريب او بعيد. بالانقلاب. واصبح اوفقيير مثل «هيملر» ترنعد فرائض الجميع امامه.

ذات مساء استدعى اوفقيير الكولونيل امقران محمد. قائد القاعدة الجوية لطائرات إف 5 القنيطرة (الثالثة بالفرا 3)، طلب هذا الأخير لاجودان شاف «المفضل» ان يتجه به إلى الرباط علي متن سيارته الخاصة، لانه ضمن بانه لن يعود قبل ايام، هذا إن عاد فعلا. بعد تحقيق جزائي امر الجنرال باعتقاله مثل الآخرين. وبما انه من اصل ريفي وصديق حميمي لا عيبوا فعنى ذلك ان امره محسوم. بعد اعتقاله لعدة ايام في المقرات التعسبية لوحدة الممرعات، استدعي مجددا إلى مكتب اوفقيير الذي اخبره بسنهادات ضده تقول بمشاركته في انقلاب الصحيرات. نفى امقران كل الاتهامات. في حين تثسبت اوفقيير بها وأكد له بان اصنافاه هم الذين

نسبوا له الختارا ثورية ومناهضة للملكية وبنانه على عمالة مشبوحة باعجابو . امام النفي المتكرر لامقران رفع اوفغير السماعه واتصل برقم هاتفى وطلب من امقران ان ياخذ السماعه الثانيه حتى يتسنى له الاستماع إلى الحديث . طلب اسماء معينه وامرها بتكرار القوالها ، فقام الضباط الثلاثة باتهام زميلهم :وبعد التكاله الهاتفية التفت اوفغير نحو امقران قائلا : «مون شير امي شي كوي Mon cher ami C'es cuit . فهذه التصريحات . وفي هذا الوقت بالذات تجعك «صالحا ، للمضنفة . وبما ان السلطات كلها في يدي فسامنحك فرصة لا تعوض . اعتبر نفسك تحت المراقبة . والآن عد إلى عمك كما لو ان شيئا لم يقع . »حظ سعيد . وبهذه الطريقة وضعه ، في جيبه . وجعله طوع بنانه لانه مدين له وسيبقى الثمن غالبا مقابل وفائه . بعد ان اصبح اوفغير وزير الدفاع والماجور العام بدا بزور باستمرار القاعدة الجوية بالقتيطرة . بل حدث ان تناول غذاءه في مطعم الضباط الربايته ويانلهم الحديث والمآزحات . واستغل لاسبيران ميداوي هذه الاجواء وطلب نسوية مشكله التأخر في ترفيته . وفي الحال طلب منه اوفغير وضع نياشين للسولبوتنان :

بعد ان تولقت عرى الصداقة بينهما ونبادلا الثقة وعرف اوفغير عمق تفكير امقران عرض عليه المشروع الخاص بالانقلاب في البداية اعتقد الطياران اوفغير يعزج او انه ينصب له فخا وتذكر وضعه تحت المراقبة . الح اوفغير على العملية وكشف له . بعض الاسرار . فل امقران حذرا لانه يخشى مال الامور مع صاحب عيني «الكوبراء لكن اوفغير امره بنهيء خطة بليقة وعرضها عليه . ما سماء بالانقلاب . التقني والعصري . عوض «الفانطازيا التي قام بها الجنود في الصخيرات .

فهيا عملية «اوفر فلاو» القاضية بإحداث عطب تقني في ساعة محددة في موقع محدد لإجبار الطائرة المروحية التي تقل الملك الراحل في رحلته الاسبوعية على الهبوط الاضطراري ويجد في استقبالها كوماندو خاصا . ثم اختبار المكان وسط غابة كثيفة . وتم الاتفاق على ان يكون لخنيار التقني الذي يجيد المؤامرة اختيارا بليقا . اما سائق المروحية الملكية الكومندان العلمي المعروف بـ «الشريف» فقد كان غير وارد لما عرف عنه من إخلاص ووفاء للعرش العلوي . وحدث ما لم يكن في الحسبان . إذ وقع امقران ضحية مرض خطير استلزم إجراء عملية جراحية مستعجلة . فامر جلالة الملك بنقله إلى باريس . وفي فرنسا قد يكون اتصل به بعض مساعدي معارضين مغربي عرضوا عليه الانقلاب وإقامة جمهورية ديمقراطية شعبية : وزاره هؤلاء

الجهولون مرة ثانية فوعدهم بالمشاركة. بعد عودته إلى المغرب عن نائباً للكونغرس اليوسفي القائد العام لقوات الطيران حتى يصبح بإمكانه اتخاذ بعض القرارات في المستقبل كما عين على رأس القاعدة الجوية الكومندان كوبرية النائب السابق لامقران. وبهذا تم اوقفير خطته بإحكام.

لكن الحياة قد تحبب لمن يعتير الناس «حميراً» ما لا يخطر على باله. وقد اعتبر اوقفير «امقران» حميراً. بدأ هذا الأخير يشك وجمالت الأسئلة في رأسه متواترة: ماذا يريد اوقفير، لماذا الجيش والمدنيين، بعد تفكير. اعتقد امقران بأنه مجرد أداة بسيطة وسط رقعة واسعة ولعبة غامضة. وربما مجرد شيء سيتم التخلص منه بعد استعماله. وعلى كل كان امقران يتغلل كل مرة بتعلة ما لإرجاء العملية وكان اوقفير يفلد صبره.. كان امقران يعلم ان اوقفير هو الشيطان بعينه وأقر مع ذلك الذهاب إلى النهاية (وحدث ما سبق وتشرناه في سلسلة اوقفير : للعائلة والدم).

بعد اسبوع على العملية رجعت اخبار في السجن المركزي بالقبض على مفاتيح بن معتقلي قضية الصحيرات سيرحلون إلى سجن سري عبارة عن «فيلا صغيرة تسمى نازمامارت».

ثم اعطيتنا شائعات أخرى تحدد المرحلين في المعتقلين المدانين ب 1 سنوات فيما فوق، اما الباقي لسيرحل إلى سجن مدني حتى يخلو المكان للطيارين المعتقلين في القبض على المحاكمة. يوم 11 غنست نقلنا إلى السجن المركزي بالقبض على اوقفير وادعنا جميعا في الحي المنفرد. وكلفت فرقة التخلل السريع بفاس بفر القيدنا وحررنا قبل ان تعوضها فرقة وحدة. ثم مكناس الخ. وجدنا صعوبة كبيرة في التناظم مع وضعنا الجديد. لأننا عزلنا عن كل المعتقلين الآخرين، سواء كانوا معتقلين سياسيين او معتقلي الحق العام. ورغم بعض الصعوبات في التفاهم والتواصل مع الحراس والإدارة فقد انتزعنا بعض الطلاب من قبيل البقاء طوال النهار في الساحة. ارتداء اللباس الشخصي - زيارات طويلة - فحص طبي منتظم - الإبقاء على النور طول منتصف الليل .. الخ.

وفي الواقع كان السجن المركزي سجنا قانونيا يتمتع فيه المعتقلون بالحق في الاستحمام والبريد والمطعم والمكتب.

بعيد الاعاب الاولمبية ببيونيج 72 بدأت محاكمة الوزراء المتهمين بالفساد. كنا نتابع الدلوات يوميا عبر الصحف. وكان من المهين فعلا قراءة تلك التصريحات والإكاذيب من طرف اناس راكمووا الثروات والمسؤوليات سنين طويلة.. ثم إصدار الحكم وأبين الوزراء السبعة باحكام تتراوح بين 4

و 12 سنة سجنا نافذا وادبعوا في سجن سلا تحت نظام خاص.
 وقد جاء احد الاقرباء لزيارتي. وقال لي : اعذرني لم ات لزيارتك في الصباح. لانني زرت رؤسائي السابقين الطاهري (وزير المالية) والشرفاوي (موظف سام في المياه والغابات) وقد جالستهما معا والضيقة والناس متعاه. وقد سافر الوزير السابق من زميله لاللا: «إنيك تلقني عطوية سجنية سدى لأن السجن من أجل بعض الترهيمات مسالة حقيرة... ولانك انني ساغابر المعتقل قبلك. وأنا على الاقل اعرف لماذا انا هنا. والترهيمات التي يتحدث عنها الوزير تصل إلى عدة ملايين مختصة من المال العام.

كيف عشت تفاصيل إعدام أمقران وكويرة والأخرين

مرت محاكمة الوزراء المرشحين في صمت ودون اهتمام لتزامنها مع المحاكمة العسكرية الثانية أو الضحية الطائرة الملكية (انقلاب أوفقيير في 16 غشت 1972)، وقد جرت اطوارها في نفس القاعدة ونفس الديكور الذي جرت فيه محاكمتنا، وتولاها نفس القاضي يوعشرين والمدعي العام بنعيانك. ولم يتغير سوى اعضاء المحكمة وأحيل الجنرال عبد السلام المعروف بلقب نيكررا والكولونيلات الثلاثة على المعاش سابق لوانه نظرا لنفوذ ونائير أوفقيير عليهم إبان محاكمتنا، الشيء الذي نجم عنه حكم مخطئه وتم تعويضهم بالجنرال بلعربي والكولونيل سباعي والديلمي وابن الشيخ والكولونيل سكيرج (الطيران).

عند الشروع في المحاكمة احتج المحامون ولتموا لرئاسة المحكمة بيانا ضد حضور الكولونيل الديلمي. لأنه شارك في الاستنطاق وعذب شخصيا الليونتان الزباني وهو يصرخ: «انت أزعجت ابنائي وسار لك الصباح صاعين» أي أنه مارس قانون العين بالعين قبل أن يصبح بعد

سنة من تلك التاريخ أحد صناع الموت في معتقل نازمامارت. رفض طلب الدفاع واحتفظ للبلجي الذي خلق من خلاله عدة مشاحنات مع الدفاع وصلت إلى حد نعت أحد المحامين بالحمار، لأنه لم يفل جلالة الملك. مثل امقران وكويرة في الفص الاتهام واعترفوا بالنسوب إليهما ووضحا وجهة نظرهما في الوضعية السائدة في البلاد وافكارهما المناهضة للنظام، وسرد امقران كل ما يتعلق به وبلغااته المفترضة مع مسعوث لطفية البصري الفناء تواجده في المستشفى وما قاله اوفطير بخصوص المصالحة، مع المعارضة، بل تحدث عن الالحة مزعومة لمجلس الثورة سلمها المبعوث ووافق عليها الجنرال الخائن اوفطير، وان الالحة نضم كلا من الأستاذ عبد الرحيم بوعبيد، والجنرال الصفرىوي عبد السلام (قائد العرك الملكي) والليوتنانت كولونيل بوخارطة (صهر اوفطير) والكولونيل احمد البلجي وطفية البصري وامقران وكويرة واوفطير بطبيعة الحال. وقد استندت المحكمة الأستاذ عبد الرحيم بوعبيد والجنرال الصفرىوي اللذين نفيًا علمهما بهذه الالحة واعترف الليوتنانت زياد بما نسب إليه، في حين صرح الآخرون بانهم نفوا الإوامر بون علم، وتكرر المشهد الذي شهدته نفس القاعة قبل عشرة اشهر من تاريخ المحاكمة الثانية، أي قراة صك الاتهام واستجواب المتهمين ومراجعة المدعي العام بتعبئة ومراجعة الدفاع والاستماع الى الشهود والمدعوات، قبل للتق بالحكم التالي: 11 حكما بالإعدام (أ) ضباط و 5 ضباط صف) و 21 سنة سجنا فلذا في حق 3 طيارين هم القبطان حساد صلاح لأنه اعترض الطائرة بون معرفة الهدف - لا جودان شاف ماعونى مفضل لأنه قام باستعراض التحية فوق مطار الرباط سلا والسرجان موهاج لأنه صور كل ما مر بالمطار وايقن ضابطان تقنيان بعشرين سنة سجنا نظرا لما قاما به من نشاطات مشبوهة طوال تلك اليوم (16) تحت (72) وهما الليوتنانت زموري محمد والليوتنانت الطويل مبارك، اما القبطان والي اسمحمد، المدير السابق للعتاد التقني بالقاعدة وضابط الامن بها فلقد كان قد نقل الى قاعدة مكناس عمدا من طرف امقران الذي اراد ابعاده 15 يوما قبل العملية. وجاء يوم الانقلاب من اجل الرحيل فظل بجوار امقران الى حين اعتقاله، وايقن في المحاكمة ب 10 سنوات سجنا بتهمة إهمال مهمته كضابط استخبارات حيايل المكتب الثاني وحكم على المرابطين رشيد لامين ولطوي انريس ب 5 سنوات سجنا لكل منهما بسبب بعض الكلمات المشينة المسجلة في العلية

السوداء. واخيرا حكم علي كل «العنايق الذكية» (اسلحة) ب 3 سنوات سجن في خريف 1972 لكنهم ظلوا الي جانبي بناز مامارت الي يوم 15 سبتمبر 91. بعضهم مات موتا اليما. علما بان امقران وكوبيرة حاولا عبثا ان يهربوا كل مرؤوسهم لكن التلميضي ورفاقه اخذوا القسوة خلال المحاكمة. علما بان المرحوم الحسن الثاني كان قد خاطب امقران (بعد الانقلاب): «ايوا حتى اتنا امقران» فاجابه امقران: للاسف حتى اتنا، ولكن ليس المرؤوسين».

نطق بالحكم ليلة عيد الفطر، ونقلوا على إثرها مباشرة الي السجن المركزي تحت حراسة البرك الملكي. اودع الربيانة في حي المحكومين بالاعدام (حي باء حاليا) وما اثار فضولنا ولكنها هو النظام الخاص الذي خضعوا له حيث كانوا محرومين من الزيارات العائلية ومن البريد، معزولين عن العالم الخارجي.

شهدت نهاية سنة 72 عدة أحداث سياسية، فقد عرفت مفاوضات شتى بين الأحزاب السياسية لتشكيل حكومة ائتلافية يرأسها احمد عصمان، لكنها انتهت بالفشل الذريع. ويوم الجمعة 12 يناير 1973 اتت امقران وكوبيرة الي الرباط فجرا واستقبلهما الملك الراحل، وقد تمت المحادثات سريرا ولم يعلم اي احد بما دار فيها وإن راجت شائعات تقول إن هذا اللقاء سيكلل بعفو ملكي في حقيهما، هيئاتنا بعد ان انتظرنا عوبيتهما على احر من الجمر والامل براوينا. بان كل واحد منهما اودع بعد عوبيته في زنزانة انفرادية يلق امام بابها تركيان. وكنا نعلم ان امقران يخضع، بسبب حالته الصحية المتدهورة، إلى مراقبة دائمة ونظام غذائي خاص. كان العاهل الراحل نفسه قد امر به. مساء تلك اليوم طلب منه ان يحدد نوع الأكل الذي يريد، لكنه رفض متحلا بانعدام الشهية. وهو لم يكن في الواقع في حاجة إلى ذلك. ففي تلك السبت 13 يناير 1973، في الساعة الثالثة صباحا كان الجميع نائما باستثناء المخزن، الذي لا يخضع له جفن. وفي ذلك الصمت الليلي الذي يزيد من كآبة الجو الرهيب في السجن المركزي والبرد الشتوي الذي يحتم على المرء الانقلاب حول نفسه واستعلاء الغفغف تحت الغطاء. رنت خطوات ثقيلة في البهو، تلاها الصرير المعدني للانقلاب ثم الابواب وهي تفتح بنؤدة، استيقظت نوى السمع الرهيف على حين غرة وتكلمصوا من نلب الباب على ما يحدث في البهو. كان خلق كثير يحير الحراس والبرك ورجال الأمن وسفير السجن، وثالبة بلحمن وضابط الأمن الحارلي

والليبوتنان فضول المرعب والمسؤول عن الأمن، كان اناس غرباء عن السجن حاضرين لوداع من سيختمون. مر المعنى للعام بتعبئة على كل زناينة لإخبار المعنيين بالعبء المشؤوم. ثم أخرجوا إلى البهو للتحديث مع محاسبيهم وتوبيخهم، اسهلوهم الوقت الكافي ليتوضأوا ويصلوا الصلاة الأخيرة، وشرعوا بعدها في الترتيبات الإدارية والقضائية المعتادة وتسجيل طلباتهم الأخيرة، وكانت في الواقع طلبا واحد يتعلق بتسليم جثمانهم إلى نوبهم، وتفرغ اللبوتنان الميداني بطلب خاص عبر عنه للحاضرين الا وهو ترك ثلث منزله لخايمته البتيمة الصغيرة ذات الإثني عشر ربيعا.

مع مطلع الفجر التفتوا إلى ساحة الإعدام حيث كانت فرقة التنفيذ في انتظارهم. وقد حضر هذا المشهد الرهيب العديد من الشخصيات منهم رئيس المحكمة بوعشرين، وحسني بن سليمان (عامل الفينطرة آنذاك) وقائد الدرك الملكي الكولونيل الشراوي وكومندان اللواء الخفيف للامن (S III)، كما حضرا امام وتقيب المحامين والمحامون المعينون باللف وشخصيات قريبة من المخزن.

اجريت الفرقة لإختيار أول المدومين، ومن يليه امام فرقة الموت فكان اولهم اللبوتنان الميداني. ويلاه من مشهد بئيس ومحرز، مشهد الإنسان المشهود الى قائمة الإعدام ينتظر الموت.

رفض الحلب المحكومين وضع عصاية على عيونهم لانهم ارادوا ان يروا الموت بام اعينهم، كان الجنرال حسني بن سليمان يدير راسه لعل كل اطلاق رصاص حسني لايشاهد تلك المنظر الغطيع، لان هؤلاء الأشخاص الذين كانوا يقتلون الواحد تلو الآخر كانوا من اصديقائه. وفي اللحظة التي شد وثاق اقران استدار واتشاح بوجهه وبكى. وفعل نفس الشيء مع كوبرة صديقه، فهما كانا دائما معا وكانت القاعدة الجوية احد اماكنه المفضلة. كان الكولونيل الشراوي هو الذي انهي العملية دائما عنه. ويتضح انه كان يتفحصها على مضض من خلال صراخه في الأخير. هذا ظلم، الله يسمح لينا.

هكذا، بعد يوم الثلاثاء 13 يوليوز 71 الذي شهد إعدام منهم الصخيرات، كان يوم السبت 13 يناير 1973 يوم إعدام أطيبارا منهمين بغضبية يوليوز 72. لاشك انه كان من بينهم من تواطا وناسر ويمكن القول بخصوص ما يقال عادة هاهم لقد لعبوا وخسروا، لكنني نساطت دائما ومازلت اتساءل هل الجنرال حمو اسخزون الذي رفض

امامي التواطؤ مع اعدائو

هل يستحق فعلا هذا الحكم، والحال انه ظل يصرخ، عاش الملك الى حين وفاته، وهل يستحق الكومندان المانوزي ابراهيم الذي اعتقل وهو في لباس النوم وانزح من سريره في عز الليل، هذا المصير فالكومندان المانوزي كان سليل عائلة بربرية عريقة من الجنوب كان الغلب المرابها من المعارضة، بعضهم اعتقل بتهمة الناصر، كان المانوزي ابراهيم احد الفادة الكبار من فيانيني جيش التحرير، عرفت عنه الفكاره الناصرية وتكوينه العروبي، لكن هذا ليس سببا لكي يعقله او يقير ليلتها ويصير فيه حكم الاعدام.

شخصيا احمل المسؤولية المباشرة لاولفير لانه ضحى بكانات بسرية من اجل الحصول على الثقة ونهيه المبدان في المستقبل لتوريط اخرين في هذه القضية الفكرة، واحمل المسؤولية غير المباشرة للجنرال ابريس بن عمر الذي حولنا الى ارواح مستعبدة وخنوقة مثل الآلات، وزرع فينا الخوف الذي انقزع منا شخصيتنا وخط من كرامتنا، هذه الاسطورة التي افزعت الجيش كله من 1956 الي 1969 بما عرف عنه من فسوة، كرس في ارواحنا الجبن والضعف.

فيما يخص اولفير القول (الله على راحة) لانه ظل لسنوات طوال يعسنايو، المغرب.

مع نهاية شهر يناير 73 الفرج عن رفاقنا الحكوميين ب 18 شهرا سجنا، فنقلنا حفلة صغيرة لتوبيعهم، فساد البكاء والحزن لاننا كنا نعرف انه الفراق الاخير، في الثالث من مارس 73 كان يوم عيد العرش ويوم اندلاع اضطرابات في المغرب وعمت الفلال كل اشحاء المغرب بسبب الهجوم المفاجئ الذي قام به كوماننو تكلي تدريبيه في سوريا، على نكتة للقوات المساعدة بمولاي بوعزة وتم وضع فنايل في الاسكن العامة وكان رد السلطات هو القمع الشرس والوحشي لإخماد الغضب الشعبي، فامتلا السجن عن الخرم، وتم ابداع كل الشخصيات المعتقلة (اطماء، محامون، سياسيون...) في حي مجاور لحينا، ونضاعت الحراسة وحلفت المروحيات باستمرار. واتخذت كل الاحتياطات برما لتل الاجتماعات، إذ يبيمو ان شخصا يدعى بن صالح، احد كبار المعارضة التونسية قد فر من السجن بتواطؤ مع مدير السجن وبعض الحراس المتعاطفين معه.

تكررت عمليات التفتيش وزاد الحرص في الحراسة، والحال اننا في

المركزي بداننا نفهم بعض الأمور كنا تجهلها في السابق، وشيئا فشيئا ازداد وعينا، ففي هذا السجن، حيث كان كل شيء ممنوعا، كنا نستمع الى كل محطات الإذاعة تقريبا ونقرأ المجلات والصحف المتنوعة لمعرفة الحقيقتي التي طالما حجبوها عنا.

في السجن المركزي بداننا نفهم الحقائق التي طالما خباؤها عنا، ولولا هذا الاعتقال لبقيت حمارا، باننح طويلتين، في السجن المركزي وأنا امضى الحكم المؤبد كنت احس انني اكثر حرية من السابق، لانه إذا كان جسدي معتقلا فإن روحي لم تكن كذلك، لم اعد تلك القن الذي ينفذ بدون تفكير، بل امسيت تلك المتعدد الحرون الناثر على حسة اللادة، وهناك بدأت احنظر، الأخرى، الذي كنهته، غالبا ما كنت استغرق في التأمل في الماضي، في كل حياتي البئيسة قبل دخول المعتقل التي انعدم لدي فيها اي منال سام او طموح .. وكثيرا ما لمت نفسي باكيا وأنا افكر بمرارة في ذلك، الأخرى، الذي كنهته، آخر قصير النظر منطلق لا يرى العالم إلا من خلال فتحة صغيرة اراد الآخرون أن يملؤوا عليها.

لقد المرقوني في برقة الجهل ورايت نفسي مثل ذلك الضال الذي القوا به في هوة سحيقة، فتاه وسط المناهة بحنا عن مخرج، فانخدع بنصبص نور واتبعه الى ان وجد نفسه في هوة اخرى، وما كان يحدث لي كان الفرح من المناهة، كان موتا بطيئا سابيا ومبرحا. وبدت لو انني اعتليت جرفا سحيقا ورميت بنفسي لأضع حدا لمعاناتي، لكن الجلابين للأسف كانوا صبورين ويلفظون تنوق لذائد معاناتي على مهل.

في السجن العسكري بالقبيطرة امضيت الوقت في التعلم واستلقاء الأخبار، ذات يوم وكنت عائدا من الدوش، فسالت الحراس متظاهرا باللامبالاة عن وجود حارس بالقرب من بوابة صغيرة أسفل الجدار الخلفي للمطبخ، اجابوني بأنه توجد تحت المطبخ ساحة للرماية سرية كان الفرنسيون يعمدون فيها المفلومين المغاربة لحكومين بالاعدام، وسالت إن هي استعملت في تصفيات سرية بعد الاستقلال، فاجابوني بأنه حدث في 1961 ان نفذ الاعدام السري في حق القبطان الصقلي محمد المتهم في إطار المؤامرة المعروفة بنفس السنة. حارس آخر لنا على اثار سلاسل في زنزانة مظلمة قيد فيها سعيد بونعيلات وفي المركزي بلونا ايضا على الزنازن التي سجن فيها عدي اويبيهي ومن معه وزنانة الليوتنان ميمون اويجة المحكوم بالاعدام ولقد كان كولونيليا في 1971 وقائدا للواء الخفيف للأمن ورئيس الفرقة الشرفية المعين من طرف

واقف في مطار الرياض سلا يوم 16 غشت 72.

فقدت أحداث مارس 73 البلاد، رأسا على عقب وأمسى النظام السجني أكثر فسوة وصرامة والمسؤولون أكثر حزما، وربما لنسخ اية علاقات توائد بيننا وبين الحراس كان المسؤولون يغيرون الحراس على رأس كل شهر. وفي السجن المركزي تعرفت على البشير، القائد الممتاز سابقا لأزيلال والضابط السابق في جيش التحرير وصديقه بن حمو القائد والمقاوم المحكومين معا في قضايا سياسية ذات طابع فناصري بين الأحزاب، يؤدي إلى احتمالات. كان هناك أيضا إبراهيم الحلاوي الذي كان يعرج بسبب التعذيبات المحكوم بالإعدام في قضية شيخ العرب وتهريب السلاح، حيث ربط الاتصال ببعض الأميركيين في القاعدة العسكرية بالقبليزية كانوا يبيعون السلاح سرا. كانت هذه الأسلحة مخصصة لعمل مسلح سياسي، لكن كشفت امره امرأة تدعى مدام مورتيبي، وهي موظفة فرنسية ببنك الصرف بالقاعدة وجاسوسة تعمل للقاعدة المغرب كان المعتقل الأطلسي أيضا محكوما بالإعدام في قضية شيخ العرب والذي نوح الأمن طويلا قبل أن يتم اعتقاله على إثر وشاية من أحد أعز أصدقائه. وقد شئت نراعه من شدة التعذيب الفتيع الذي خضع له في الاستنطاق. كان المعتقلون السياسيون في قضية «مراكش» أكثر عددا وتنظيما لأنهم كانوا مدعومين ماليا ومعنويا من طرف حزبهم الاتحاد الوطني للقوات الشعبية. أما نحن فقد كنا منسيين إلا من عائلتنا البليسية التي كانت تتحمل ثقل المعتن والضنك لتلبية حاجياتنا.

الحق بنا معتقل جديد هو الخباري أحمد الذي كان قد تلقى تدريبا مكثفا في سوريا، ثم عاد عن طريق الجزائر لقتل إبراهيم موناضي الذي نك انه وشى برفاقه في آخر لحظة. او اصحاب قضية «بمات» قرية لغاية البصري. وقد قتله فعلا في قريته وحكم عليه بالإعدام قبل أن يطلق سراحه في يوليو 1964. ولعل القضية التي انهلطنا أكثر من غيرها هي قضية السارجان شاف عماروش من الحرس الملكي الذي قضى 14 سنوات في السجن العسكري بالقبليزية دون محاكمة. لم تكن حالته حالة خاصة فقط بل كانت غامضة أيضا. وعماروش ريفي الأصل مثل المنبوح، ذات يوم من سنة 1963 استدعاء هذا الأخير واطلعه على وجود مؤامرة ضد الملك والملكية، فطلب منه أن يلتحق به مصحوبا بينظيفته من أجل القيام بالعملية. فيما بعد اتصل به سرا في وقت

مناخر من الليل وأخطره بأن الانقلابيين يريدون أن يختبروه ويختبروا
ثقتهم، وأنهم سينتحلون صفة الشرطة السياسية. وقال له: «حذار
سيخربونك ويعذبونك عمدا ويهدونك ليمتحنوا مدى تصميمك على
القتال والصمود، سيطرحون عليك الأسئلة حول المؤامرة والمعارضة
وحولي شخصيا، يجب ألا تبوح بشيء وتكتفي بالقول بأنك تريد أن
تنتقم شخصيا من الملك، أنت رفيق عليك أن تبرهن لهم أنك من معدن
صلب ورجل بمعنى الكلمة توالى السيناريو كما خطط له. ولعب
اعماروش دوره كما يجب لكن سيتمين له لسوء حظه أن العملية ليست
سرحية بل واقعا حيا، ولم يكن المراد الشرطة المزعومة لا من المعارضة
ولا من الأمن، بل كانوا عسكريين اختارهم المنبوح من بين رجاله الثقات
حتى يخضعوه لهذا الاستنطاق الذي سجل على شريط من أجل الانتقام
والإبزاز وكان المنبوح يريد الثأر من اعماروش لما بين عائلتيهما من
احقاد وحرزات حكمت ليهما منذ اجيال، ثم لينزع منه قطعة ارضية
خصبة كان اجدانه يدعون استلاكها. ولعل السبب في النزاعات ان
الحكمة حكمت لصالح اعماروش، فلجأ المنبوح الى الحيلة حتى يقبره
ويخلو له الجو لاستغلال الأرض.

هكذا اعطى اوامره، باعتبارها المساعد الايمن لجلالة الملكة لاعتقال
السارجان شاك اعماروش ووضعه في حالة «انتظار» حتى إشعار آخر.
بعد مرور اربع سنوات أصبح المنبوح مدير الحرس الملكي لاستفحل
وضع السجن اعماروش، لأن المنصب يخلو على كل وحدات الجيش
واوامر صاحبه لا تناقش. ولما رأى ان المنبوح قد وشى بما سمي
«بمتماري 1963»، التزم اعماروش الصمت مخالفا ان يحكم بالاعدام
وهكذا تخلص عن الأرض وعلق انتظاره على حبل الزمن في انتظار
المعجزة التي جاءت يوم 10 يوليو 71.

طالما عاشرتاه وتلقينا معه حالته قبل مغادرته السجن في ابريل
1972، وطالما تساءلت على اية معايير استثنوا في سجن انسان مدة
طويلة بدون محاكمة ودون حجة قائمة او سبب وجيه

لقد كان اعجابي نفسه لد سجن الليونتان عمان لمدة 4 اشهر، في حين
ان القانون لا يجيز مدة العقوبة اكثر من 15 يوما، إن هذا الشطط في
استعمال السلطة لم يكن بينهما الى المبالغة بل الى الدوس على
المؤسسات العمومية أيضا. ولكي يدعي الإنسان انه يحارب الظلم عليه
ان يكون عادلا هو نفسه. وهو امر لا ينطبق على المنبوح كما توضح

حكاية ابن لخته الليوتنان (ب). فقد كان هذا الأخير يفتاح الكس في أحد بارات مكناش، فصفحه أحدهم ردا على صفحته. لكن هذا الضابط الذي يصلح ولا يقبل أن يصلح استل مسسه ونقل خصمه بكل بروية. ثم تدخل المنبوح وتم حجز القضية. وقضى القريب 60 يوما في الاعتقال ثم عاد إلى مقر عمله واليوم يشغل رتبة كولونيل.

في السجن المركزي علمت أن العدالة لا تطبق على الجميع يوم 1 عشت 73 تمت عقوبة كل الذين أمينوا بسنتين سجنا وغادروا السجن المركزي عائلين إلى نويهم. فبقينا نحن الثلاثين 4 محكومين بالمؤبد و3 بعشرين سنة والثمان بـ15 سنة وواحد بـ 12 سنة و5 بعشر سنوات و9 بخمس سنوات و3 بـ 4 سنوات و3 بثلاث سنوات. ترك خروج زملائنا فراما كبيرا، فبعد أن كنا 74 أصبحنا ثلاثين وهو العدد الذي سيقبل في القلم من الأيام.

لقد كنا جماعة موحدة، نتواصل فيما بيننا، أو نتصل عبر آخرين بالطيارين. كانت عائلاتنا ثابتا بصلة، محترمة وكنا نقفنا جيدا و نمارس الرياضة في الساحات المشمسة. بعضنا كان يهيم بعلوماته والبعض الآخر يحلم بمشاريع في المستقبل. أما نحن، العاقوبات القاسية، فلم تكن تفكر في أي شيء. كنت أكتب زوجتي كثيرا لأواسلها وتشجيعها لأنها تواجه الحياة وحيدة وتعمل سنة أطفال آخر رسالة وجهتها إليها تبدأ على هذا المنوال: «لن أعطيك نروسا لأنني أعرف قوة إيمانك تفوق إيماني، أما الأخلاق فانت سيبتها، وأنا منهش عندما أراك دائما حسنة المزاج والأمل لا يفارلك. عليك ألا تحزني أو تبكي، لا تنسي أن الطير الحر، لا ينتزع عندما يدخل القفس بل يعاني ويموت في صمت. نعم يا شريكتي، لماذا علينا أن نشتهي السعادة بالمعاناة؟ ها أنت ترمين كيف أن الحياة سلسلة من الفرح والأحباط والفرح أمك بعضه كما إنني خبرت الخيبة. أما المستقبل فإله وحده يعلم نبيته...»

قله يعلم ولاشك ولكن «الخرن» بيوره كان يعلم ما سيحدث لي بعد اسبوع وكما قلت لزوجتي، فقد أنبت الثمن عينا من معاناتي الكبرى الطويلة فبعد أن علمت الكثير عن تاريخ بلادي كانت أشياء أخرى تنتظرني لمعرفة سراسة الناس وثقوى عذابات النار والعذاب القروسطوي لأناس يدعون التمدن. فبعد أن أنبت من طرف المحكمة، اعتقدت بانني سأقضي عقوبتي بشكل عاد في سجن عاد، هيئات هيئات كان للمخزن رأي آخر. فبعد أن قلنا «الصخيراتية» من جانبنا مارس هو المكيفيلية من جهته.

إذا كان الوافير قد ضحى بأصدقائه من أجل أهداف خاصة فإن المخزن قد عبرنا ليتخلص منا وينتقم ويلوي نفسه.

الاختطاف واعتبة الجميم

كان اليوم يوم الثلاثاء 7 غشت 1973 والساعة تشير الى الثانية صباحا عندما ابغضني احد الحراس وامرني بجفاء ان اسعد لرحلتي الطائرة نحو وجهة مجهولة.

اعتقدت بأنه مجرد كابوس فوفقت لما مرر في لامي كلماته وصداها زابت حيرتي لما كرر اوامره نفسها على مسامع المعتقلين الآخرين. كنا في عز الصيف والحرارة خانقة رغم طراوة الليل التي تخطف الاجواء وتسهل علينا التنفس. فجأة فتح الباب وبخل كبير الحراس بلحسن الذي امرنا بلهجة صارمة بمطاردة الزنزانة والسير خلفه. نهلت عندما رايت هذا الانسان الكتيب الذي لا يفكر فخره عن ايتسامه. ففقت بدون نقاش لانني كنت اعرف أنني لن القى جوابا من هذا الشخص المحنط والمنقر.

سرت على خطواته بشكل الي مثلما هو حال المعتقلين الآخرين. سرنا ونحن صامتين بمحاذاة الجدار المتسخ للبهو الكبير المعتم والكتيب الي ان وصلنا المكتب وجدنا به الكومندان لعنيكري بمعية تركيين بعلامح متجهمة مسلحين بالرشاشات والمسدسات وبأيديهم أيضا الاصفاذ والعصايات الحمراء.

بعد ان فحص كل ملفانا بإسمان اعطى الكومندان اوامره بالتنفيذ. عصبوا عيوننا ثم وضعوا الاصفاذ في ايدينا ، ثم اركبونا في شاحنات عسكرية تحطيت بعناية ، لم يكن الطريق طويلا لأننا وصلنا بعد ربع ساعة الى القاعدة الجوية الثالثة لم تكن تبعد كثيرا عن السجن المركزي بالقييطرة حيث قضيت سنة كاملة بعد ان قضيت سنة سابقة في السجن العسكري في نفس المدينة. ترحلنا عن الشاحنات ثم اركبونا طائرتين عسكريتين (C130 و C119) كانتا في انتظارنا. امر الكومندان التمسعاني الطيار وقائد المهمة بأن توثق ايدينا خلفنا وليس امامنا مزيدا في الحراسة والامن. بعدها اللمت الطائرتان وحلقنا فوق القنيطرة قبل ان تتوجه نحو وجهتها المجهولة. كانت الرحلة الليلية الطويلة مسار حيرتي طوال اللدة. لمعت بعدة حركات بالحاجبين و الجبين ونجحت في ازاحة خفيفة للعصايات. وتمكنت بهذا من رؤية حراسنا من التركيين ورجال الامن. بلسماتهم المتجهمة وسحنانهم العدوانية.

وتغابيا لانكشاف اسري القلت ببطء وحذر حتى انظر من النافذة

فترامت تحتي مساحة صحراوية يتناثر فيها النخيل ، فكرت بسرعة اننا نتجه نحو الصحراء الشرقية للمغرب. كان النهار قد طلع ولم اكن احس بدورة الزمن لانني كنت طوال الرحلة مشغولا بهذا «الترحيل» الطارئ والاستعجل الذي ظننت انه يهيء لي مفاجات غير سارة. فلم يخامرني شك في ان القادم من الاحداث سيتخذ مجرى اخر. لم اكن استبعد الخطر لكنني لم تراوطني ابدا تلك الفكرة الكثيرة التي تفيد باننا سنرمي في البحر عنوة كما اعتقد العديد من اصديقائي. ولعل بعضهم اعتقد ان الرحلة ستنتهي بكارثة مبرحة وان جثثنا ستلتهمها الحيتان. اه لو علموا «البيرونا» التي كانت تنتظرننا.

وصلنا الى مدينة الرانسيبية فهبطت الطائرتان في مطار عسكري وبعد استراحة خفيفة ، نقلنا على متن شاحنات سيمالكورد الى معتقل تازمامارت الموجود ما بين ميبلت والراشيدية في الجنوب الشرقي للمملكة غير بعيد عن الحدود المغربية الجزائرية. فتحت بوابة معدنية كبيرة ثم باب اخر اكبر منها لفسح المجال لدخول الشاحنات التي دخلت ساحة صحراوية حجرية توجد داخل السجن المحاط تماما لجرف عال. انزلنا الدرك من الشاحنات الواحد تلو الآخر وسلمنا الى العسكريين الذين يحرسون المعتقل، ثم خضعنا للتفتيش جسدي دقيق ..

بدأوا بتفتيش الجيوب والرفوفا من كل محتوياتها ولم نخل حركات العسكريين من عنف وشراسة يفوقان ما لدى الدرك. كما ان اوامرهم كانت اكثر حزما واصواتهم اكثر قوة وتهديدا. احد السجناء نضرع اليهم كي يدعوا له الطران الكريم. فاجابه صوت اجش حاسدا : «مايقبتش نحتاجو وماشي هاذ الشي التي غي خرجك من هنا» ارتفعت فرانصي لهذه الكلمات المجففة.

سجين اخر احنج ، لا تاخذوا سيجتي فهي اخر ماتبقي لي» اما مصت الليوتنانت في فرقة الخيالة والطويل الليوتنانت السابق في الطيران. فقد طلبا ان يتركا لهما نظاراتهما. فلما نفس الجواب القاسي .«لاسبحة ولا نظارات» وعلى كل ان تحتاجوا لا للنظر ولا للحياة».

لما جاء دوري كان احد الحراس يطرح علي بعض الاسئلة وزميله يفتش اثناء جسدي ببطء ثم يدفعني بقوة لالتقدم وادخل الى بناية اسميتها. لما بلغت الداخل نزع بركي العصابة عن عيني ورفع الاصفاة عن يدي ثم دعاني الى الدخول إلى القامتي الجديدة. وقد كانت شديدة العتمة والظلمة يصعب معها التمييز فيما حولي. التفت لأرى الباب.

كان الحارس مازال واقفا يراقبني وعيناه جاحظتان، كان محتفان الوجه حتى ظننت انه يبكي، وكانت سحنته الحزينة تخون خوفه وتحضبه من رؤيتي في هذه الحالة وهذه الظروف وكعربون على طيبوته ابتسم في وجهي ابتسامة خجولة بسبب وجود بركي ينتظر إغلاق الباب، وكان تلك الانسان يبكي في اعماقه ويكتم بكاء العميق والاسم لأنه كان يعرفني معرفة قديمة ويعرف ايضا ما ينتظرني. لقد كان صديقا لي وهاهو الغدر يجعل منه سجانني، في نظرته قرأت التعاطف والحسرة، والنظمت رسالته الصامتة، وعبر عينيه المغرورقتين بالدموع قرأت عمق تكبيره ولهممت نصائحهم، اضطر إلى القيام بواجبه والحلق الباب الحديدية وادار المفتاح ثم انتقل إلى السجين الثاني الذي اصبح بقوة الاشياء جاري ورفيقي في هذه الظروف الغامضة. تسمرت واقفا وسط زنازنتي المعظمة لتفحص الظلمة لعلي اتبين هذا الشيء او ناله، لم ار اني شيء لكنني كنت اسمع الاصوات المعينية للابواب وهي تفتح ثم تغلق وصرير المفاتيح يعقب ذلك. تصورت ان هذه البناية مثل حوت كبير يبطلع ضحاياها بون مضغ او انه مثل بطرة تبتلع قبل ان تجتر. وسبجد نازماصارت الوقت الكافي لتكسيرا، بمعنى الفضول إلى الاقتراب من الباب والتكصص من ثقب صغير لايتجاوز قطره 1.5 سنتيمترا لعلي اشاهد ما يدور في البهو. عندما اودع كل السجناء في زنازنتهم، غاب الدرك المكان واصطف الحراس الجدد على طول الجدار المؤدي إلى البهو الطويل في انتظار التعليمات. مرت عدة دقائق قبل ان يدخل شخصان ببغل عسكرية لتفحص المكان والاطمئنان على حسن تنفيذ العملية التي اطلق عليها اسم «الاوراشاء» توجهنا نحو الزنازنة رقم 15 التي اودع به الطويل مبارك والتي كانت قبالة الباب الحديدي الكبير للبنانية، احد القائمين الكولونيل لوالي قائد الموقع العسكري بالاراشيدية، وهو رجل طويل القامة، نحيف بعينين زرقاوين ووجه مسندير شاحب والثاني هو الطبيب العسكري للمنطقة، بعد جولة تفنيس وجيزة داخل المكان (الكاشو)، سال الكولونيل الطبيب عن رايه فقال جوابه «لاباس يمكن العيش فيه... هز الكولونيل راسه وقال بالحرف «انا متفق معك في الراي...»

خرجا راضيين عن نجاح مهمتهما المعونة واستكمالها بون اني حانث بناء على ماتشاء رؤسائهم. نعم إنه عمل كامل، في إطار الالافانون وبناء على القواعد اللاشريعة، كل منهما اتم مهمته حسب

التعليمات الصادرة ضدنا على القانون. لقد ارتكب هؤلاء الناس عملا شنيعا بوضعهم بشرا في مغارات المدينة بما قبل التاريخ وبالتصديق على انها قابلة للعيش. إن تصرفها الانساني يكشف عن جرم ملموس في حق العدل وحقوق الانسان ثم برغبة اقليمية في انتهاك المؤسسات، لقد بلغنا، بكل وعي، كائنات حية وتركناها للموت البطيء...

كانت الساعة تشير إلى العاشرة صباحا عندما غامر الحراس البناية الاولى بعد ان اخلقوا الابواب الكبير والعمود إلى ثكناتهم وقد تركونا وحيدين كل في زنازنته أو بالأحرى في قير.

لررت ان استكشف القامتي الجديدة أو امبراطوريتي، لانني كنت السيد الوحيد والمطلق. بدأت انعمس المكان مثل اعمى، احرك يدي ذات اليمين وذات الشمال لعلني ارتطم بشيء ما، ففرت ان طول قيرتي الضيق والمعتم. ا. اطار وعرضه متران ميني بالاسمنت المسطح، وساعرف فيما بعد بان طلائها رمادي، بلا نواحد اللهم إلا 17 ثلجا صغيرا في الجدران نطل على البهو (الكولوار) الداخلي المظلم دائما اللهم إلا وقت توزيع الوجبات. كان هناك ثقب آخر في السقف لكنه بلاثك لسقف مزوج لأن النور لم يكن يتسرب إلينا باستثناء عندما تكون الشمس في كبد السماء ويتسلل إلينا شعاع شاحب.

وانا انعمس المكان، وجدت مصطبة اسمنتية بمثابة سرير عرضه متر وعلوه 80 سم مستثمرا وضع فوقها لطاخن مهترنان يكادان يكونان لجرالين والبرد الفارس ينتظرنا. لم يكن من السرير غير هذا. في الجهة اليسرى حفر ثقب في الأرض بمثابة مرحاض. حاولت سدى ان اجد زر الكهرباء أو الصنبور. كانت ارضية الزنازنة مغطاة بالحصى والاسمنت ساقط طريا ونديا، وسط الظلام وضعت يدي صدفلة على سطل بلاستيكي سعته 5 لترات مليء بالماء. عرفت أنها حصتي اليومية منه، وبجانبه وجدت صحننا للاكل. قررت الجلوس فوق المصطبة والنامل الهادئ لعلني ازيل الغموض الذي يلف الكاري والتبين امري واجد علة نفس هذا الترحيل الغامض. قبل هذا اليوم كان كل شيء غاميا، لقد قضينا سنتين في القنيطرة بدون حوائث وفي إطار نظام سجنى عاد، وقد شطح بي الضيال بعيدا عن هذا المكان لثلك هذا الغموض، فنشطت بي الذاكرة سنتين إلى الوراء بحثا عن التفسير المنع. صحيح انني شاركت في انقلاب مسلح ضد الملك في قضية الصخيرات يوم 11 ا بوليوز 71 واعتقلت في القيد وعذبت من طرف البرك والامن ثم اودعت

الاعتقال الاحتياطي في السجن العسكري بالقنيطرة يوم السبت 7 تحت
71 وحوكمت وأبنت من طرف المحكمة العسكرية يوم 29 فبراير 72
بالاعدام قبل أن تخطف يوم 18 ماي 72 إلى حكم بالمؤبد. ثم نقلت إلى
السجن المركزي بعد اسبوعين من انقلاب أوفكير. والقيت به سنة سبنا
في ظروف غاية... لكن لماذا هذا التحول المفاجيء ماذا فعلنا حتى نرحل
سرا إلى معتقل الموت بتازمامارت؟ لقد حوكمنا علنا من طرف المحكمة
العسكرية وثبت المجلس الأعلى الحكم رغم النقض لعمادنا إذن ينتهك
الفاون وحقوق الإنسان صحیح ان العديد من الانفجارات الاجتماعية
والأحداث النقابية والطلابية قد تواترت في هذه الفترة لكن ليس هذا
سببا كافيا لإبهارنا هنا في هذا المكان الملون.

وربما كان نفلنا محض انتقام من المخزن لأن قضية الصخبيرات هي
الشرارة التي أحدثت الحريق، كما كانت سبب كل الماسي التي جاءت
بعد الانقلاب فناهضتني الأفكار ونهيت بي مذاهب شتى وطرحت على
نفسى العديد من الأسئلة، لماذا انتظر المخزن سنتين لتنفيذ انتقامه؟
وهل كان لزاما أن يكون حقلودا إلى هذه الدرجة وإرسال الكائنات
البشرية إلى الموت في هوة سحيقة. مضت ساعة على نهاب الحراس
ولم يجرؤ أي سجين على الحديث. أشك ان المعتقلين كانوا غارقين في
ناملاتهم او في اسئلتهم التي لا جواب لها. وفجأة أخذ احدهم الكلمة
وقال: « اسمعوا ايها الرفاق، اسمي غلول محمد، قبطان في المدرسة
العسكرية الملكية. محكوم بـ 5 سنوات سبنا في قضية الصخبيرات،
والزناينة التي تقابل زنازنتي رقمها 18، فمن هو نزيلها؟ فاجاب نزيل
الزناينة 18 على الفور: «اهلا ايها الرفاق، انا مفضل ماموتى. اجودان
شاف طيار (طائرة إف 5) من القاعدة الجوية الثالثة بالقنيطرة، محكوم
بـ 21 سنة سبنا في قضية البوينغ الملكية، والزناينة المقابلة لي تحمل
رقم 27، اهلا غلول كيف حالك؟»

هذان الشخصان لم يسبق لهما ان تقابلا او تعارفا، لكن القدر شاء
ان تتلقى طريقهما على هذا النحو.

هكذا بدأت حلقات التعارف بين السجناء وسرعان ما حل الهرج محل
الصمت الرهيب وصار كل واحد ينادي على زملاء وحدته ويستقصي
اخبار الذين لا يعرفهم. فعمت بذلك اجواء التعاطف والتوايد.
صاح الذي كان قبائلي: «انت الذي قبائلي، رغم زنازنتك 14 وانا
اسمي بنعيمى رشدي، سرجان في الطيران، اعزب من مواليد تيطلت.

انخرطت في الجيش سنة 1965، عمري الآن 36 سنة محكوم ب 1 سنوات سجنا نافذة وانت.

لم اגיע للوهلة الاولى. لم ارد ان اضيف متاعب نفسي والتهيان في سرايب الشك والاسئلة التي لاجواب ولانتيجه من ورائها. فكرت مليا. ثم قررت بجانب اطراف الحديث مع جاري الذي يبدو انه ثرثار وعلني فرحت بهذا، لان الحديث احسن طريقة لنقل الوقت وتجاوز الضجر. العدو القاتل في السجن قلت: العلاء بنعيسى، نشرحت بمعرفته. رقم زنزانك (1). انا اسمي الرايس محمد، اسبيران مدرس بالمدرسة العسكرية بالمرموح. ولدت بالرباط انخرطت سنة 1956 في الجيش. متزوج واب لسنة اطفال. عمري 34 سنة محكوم بالمؤبد في قضية الصخيرات.

كان الحديث يطول بنا كثيرا، وكان يحدث اننا لانجح في التواصل بسبب الضجيج الصاخب الذي كان يقطعه وصول الحراس في منتصف النهار لتغذية الغذاء. وكانت الوجبة تحتوي على قطعة خبز هزيلة ومفرقة من: النشويات- (لا لحم ولاسلطة، ولا فواكه)- والكل رديه كما وكيفا. بمعنى ان الاكل كان الهدف منه بقاءنا علي قيد الحياة من اجل صوت بطيء. اعتنمت فرصة توزيع الغذاء وسالت الحارس الذي يكني لحالنا وعن وضعيتنا المتساوية والفاضة لعله يشفي فضولي. اجابني بصوت متخفص حتى لايسمعه زملاؤه. باننا في معتقل تازمامارت بامر من الاوامر العليا وان المهمة موكولة للكولونيل احمد النديمي الذي عين بدوره القبطان ق. محمد ميرا للمعتقل.

وقد سبق لهذا الاخير ان عمل في صفوف الجيش الفرنسي وشارك في الحرب العالمية الثانية واعتقل في معتقلات النازية. ثم شارك فيما بعد في حرب الهند الصينية. سألته:

. ان هو شخص عجوز.

. نعم، إنه متقاعد تم استدعاؤه للقيام بهذه المهمة المشينة. كما انه

احد القارب الكولونيل النديمي وهو منحدر مثله من بلدة زهولة.

. هل بقيم هنا.

إنه يملك منزلا في سيدي قاسم وفيلا جميلة في مكناس وسكن عسكري بالربيش (على بعد 17 كلم من المعتقل) وسكن اخر هنا. متزوج بامرأتين ويعالقر الخمسة. وقد شاركت وياها في الحرب في نفس الوحدة. كما انني اشتغلت تحت امرته هنا في المغرب يمكن القول انه

بلا إحساس، لإبرحهم، غليظ القلب... قل إنه الشيطان بعينه.

نهلت لما سمعت واحترت لكل هذه الإجراءات المتخذة حتى قبل وصولنا، ولم اصنق ماروي لي، غير أن فضولي دفعني الى ان اسأل مناعلي سؤالا إضافيا: ماهي التعليمات التي أصدرها هذا المدير الفظ، نريد لم نريد ان يفتح لي عن السر وقد طأطأ راسه والمرورت عيناه بالدموع: «خليوهم، ليل ونهار في الكاشو حتى يجينا الاسر (...)

بالصراح. ممنوع الحديث معهم، ما بقى عندهم حق لاسيما ليل ولايلينخير. مانيقوش فيهم راهم خونة» بعد نهاب الحراس حكيت لرهاني المحنة ماقاله صديقي الحارس. علق كل واحد منا علي الحوار، بعضنا امن إيماننا مطلقا بما قال، البعض الآخر فند ما سمع لأن مثل هذه الفعلة الشيعة ضد مبادئ الإسلام الحنيف وان ما يحدث مجرد انتقام شخصي للتكولونيل اللبسي حتى يكسر شوكتنا ويعطي بنا المثل. جزء اخر منا ابدى تفاؤله وبرر ذلك بان العلاب غلاب عابر ومؤقت وان مايقع ماهو إلا جزء من سراب الدنيا الحافلة بالافراح والأتراح حتى يكون لها معنى. واننا سنخامر المعتكف وان الله رحيم بعباده. كان هناك من ذهب في التشاؤم منهب المتطرف وقال بالانتقام الطويل الامد. وقد كنت من اصحاب هذا الرأي ليس لانني محكوم بالاعدام بل لانني «كشرف خوني».

فضينا الزوال نضرب اسداسا في اخماس. نقلب الموضوع على كل جوانبه ولم ننسبه الى الوقت الى ان فوجئنا بعونة الحراس لتقديم العشاء. وقد وزعوا علينا مطرقة من الشربة مطبوخة في ماء صالح بلا زيت او توابل، إضافة الى قطعة خبز اسود (1/8 خبزة البيولانجي). ما استنتجته من احداث اليوم الاول في تازمامارت كان هو الارادة النابئة في دفننا هنا بدون وجه حق احياء واعطائنا القليل من الطعام حتى نموت مونا بطيئا ويطول عذابنا النفسي والجسدي على حد سواء.

بحنا عن الراحة والاسترخاء، فرشت للغطاء الاول على البلاطة الاسمنتية والتحت الثاني بعد ان استعملت نعالي كوسادة. ثم تعدت لعلني اخذ لسطا من الراحة. كنت اعرف ان النوم لن يزور جفني، وقد فضيت الليلة الاولى شاردة لا الفكر في موضوع محدد، ونهني بسبح في الظلمة. كان بعض الزملاء في المحنة يتجانسون اطراف الحديث. حديث بعبر الجدران. وقد كان من الغريب حقا ان يتحدث المرء مع اناس لا

براهم، لكن هذه الأصوات بدأت تأخذ هويتها شيئاً فشيئاً، وكلما كان الحراس يفتشون الداخل كان المعتقلون يستأنفون الحديث إلى درجة أن الضجيج أحياناً كان يفرض علينا الصمت. كان كل واحد منا يمثل بالنسبة للآخر صوتاً بلا وجه تركنا الحراس بعد أن عابوا أراجهم واطلقوا أربعة أبواب: باب الرزاقات، باب البناية وباب المساحة الأولى وباب السجن.

بني سجن تازمامارت أسفل المنح. تحيط به الجبال الحجرية من كل جانب. وفي كل ركن من أركان السجن الأربعة، نصب برج للمراقبة وأضواء كاشطة تعمي الأبصار. وقد ولف الحراس مسلحين بالرشاشات مستعدين لإطلاق النار بدون إشعار، كما صمرت الأوامر بذلك. وعلى رأس كل ساعتين يقوم الحراس بجولة المراقبة المعتادة وقد كانت تقوهم إلى السلك فوق رؤوسنا، المكان المفضل لهم للاستماع لرشاشاتنا.

ومن حسن الحظ أن زميلنا السعودي (رقم ١) كان يتمتع بسمع رهيف. وكلما تناهت إليه أي حركة صاح منبهاً: «إن عنزة السيد سوغان تفرزكم السلام! ..»

كان الجو مخنقاً بفعل الحرارة مما جعل النوم مستحيلًا في الليلة الأولى. ومن حين لآخر، كان عواء الثئاب يعزق سكون الليل الرهيب مما يزيد في حزن اللحظة. وبعد أربع ساعات كانت الديكة تصبح معلنة عن طلوع الفجر ويليها المؤذن داعياً المؤمنين إلى الصلاة. كان ذلك بالنسبة إلينا نحن أبناء العنمات المباشر الأولى على نفوس يوم جديد.

يوم الأربعاء ٨ أغسطس 1973 جاء الحراس في الساعة السابعة صباحاً لتوزيع الفطور والحصة اليومية من الماء. هالتي الصوت الهوي والمخبر للأعصاب الذي كان حراسنا يتعممون إحدائه: صوت الأبواب وهي تفتح وتغلق بقوة، مما أجبرني على صم أذني بقطع من الغطاء.

كان الحراس يفتحون أبواب رزاقنا الواحدة تلو الأخرى. أحدهم يمسك في يده أنبوباً لضخ الماء والآخر يصب قراحة من القهوة (عبارة عن شعير محروق مسحوق) والثالث يناولنا قطعة الخبز الهزيلة. تمثل 1/1 من خبزة تزن كلغ واحداً. وللصدق أكثر، كان المبنى رقم 1 يضم 2٩ سجينا وكان الحراس يأتون بخبزتين وقطعة خبز كنا نسميها «الحلقة». وكل خبزة كانت توزع إلى 14 قطعة، صدق أو لا تصدق!

عندما يتم تقديم الفطور يفتش الحراس المكان. وكنت استغرق في التفكير. وأتأمل هذا السلوك الغريب للحراس وهذه اللامبالاة المفرطة

حيالنا. موقفهم وهو يفتحون الباب ويقدمون الفطور ويغلقون الأبواب في ظرف 15 دقيقة دون أن يتركوا لنا ولو ثانية لتستنشق هواء البهو، حيث كانوا يمنعوننا من تخط عتبة الزنزانة.

كان «سيري» من الضيق بمكان إلى درجة الإختناق بفعل نقص الأوكسجين. كانت المسافة الفاصلة بين البلاطة والباب جد محدودة بحيث أن حركتي لا تتجاوز 4 خطوات. طولا، حركة الذهاب والإياب هاته كانت تسبب لي الدوخة والغثيان. كنت اشرب قهوني المسخنة واتناول قطعة الخبز الحافي ثم اترك العنان لطوالي يمرح في اللاشيء عساي «نسى» مساتي. بعد ساعة، زارنا رجال الدرك الذين جاؤوا لأسباب إدارية وطلبنا لبعض المعلومات ونهيء ملفات. بعد أن أخذوا بصماتنا جاء نور المصور الذي وضع على صدرى لوحة تحمل رقم 14، أي رقم زنزانتي بعد أن انتهى عمله بفرض بقوة نحو الباب وقال: «من الآن فصاعدا أصبح اسمك 14». غضبت لذلك هذه المعاملة فاجبته على الفور: «كانظن عندي اسميتي والطوبيس وحمو عنقو أرقام». انتهت المباحثة مع إغلاق الباب الحديدى خلفي. هكذا بعد 12 سنة من الوجود، ففقت وبكل بساطة اسمي لأن زنزانتي تحمل رقم 14. يا لها من إهانة للبشرية ولكرامة الإنسان.

اول اضراب في تزامرات واول رسالة الى زوجتي

لقد اصبحت شئت ذلك ام ابيت مجرد الرقم 14 في نظر العراس-
ومعني ذلك انني لم اعد موجودا كإنسان بل اصبحت مجرد شيء يجعل
ولما وضع في الرف لاسباب خاصة.

تبلغت من مجيء الدرك بانني سالك طويلا في معتقل تزامرات لهذا
فكرت ان من مصلحة مستقبلا، ان اتخذ كل الاحتياطات للبقاء حيا،
تمتد فوق للمستوية الاسمنتية وسرح بي خيالي مثل مسافر في مركبة
ترك مصيره للامواج لتلاعب به دون ان يدري إن كان قبر امنا ام موحشا،
تاملت حالي بلا خوف او ندم وقد استرج الماضي البعيد و المستقبل
الغامض في ذهني.. حيا الواقع في تفكيري عن عمد واستسلمت للعلم
مدركا انه لا شيء اكثر لنا من تكري سعيده في الايام الحالكه. تشابكت
الفتاري واستحال علي إيجاد حل لهذه الوضعية الغامضة. كنت اسبح في
الظلمة مثل شخص يبحث عن مخرج وقد امسك في يده شمعة مترامسة.
بعيدا عن الوعي، كنت اخطو بخطوات متناقلة وسط بهليز معتد احيانا
تتراوح لي الجماعة بعيدة. في سواد ذهني، كانت تلك الجماعة تكري
مجيدة نسبتها: اطلاق.

ذهني هذا القدر الطارئ وكمن المرافقه اللطون وشكوك مستلبل غامض
وماض جراح، لم اكن ابري معنى وجودي الحقيقي ولا المصير الذي
ينظرني. وانا سجين اربعة جدران لامرئية بفعل الظلام خلف باب حديدي
يختلني التفكير بانني لن يفتح ابدا. هل انا فعلا في القرن العشرين ام
تراني في القرون الوسطى عندما كان الناس يرمون في هوات سحيلة بلا
قرار اخرها الموت فجاء الشعر بيني عندما عنت لي تكري السجن القديم
في شالة الذي بناه الفرنسيون الذين كانوا يضعون المعتقلين في الفاص
صغيرة مثل الازناب فرزت ايضا عندما فكرت احد القادة الاطارقة الذي
يرمي باعدله الي التماسيح. ومن جهة اخرى كنت اجد عزالي في القبول
منا على الاكل سائوت في جهود.

وكم كان خطلي بليغا وحكي جزاليفيا، ذلك لان التماسيح كانت اقل
شراسة من الكثيرين من البشر.. فالبشر يمتص اولا دم اخيه الانسان قبل
ان يلتهمه.

طلبت من أحد الحراس إن كان بإمكانه الحلاق الباب بدون رجة،
أجابني بهوء أنها أوامر المدير للتأكد من انغلاقها فعلا، ومن أجل
ضبط توليف عملنا وإلا تعرضنا للعلوبة، وكثيرا ما رجوناهم من بعد،
لكن بعض السائين منهم كانوا يظنون بكل ما يثير غضبنا ويظنون
الابواب بضجيج أكبر، وكلما جاهد صوت السجناء الغاضبين الحائرين
ربوا عليه بصوات ساهرة، وقد كنا نعي باننا نخضع لحرب اعصاب.

رغم ما يقال بأن أيام السجن تتشابه فإنني شخصيا اعتقد انها
تتوالى ولا يشبه بعضها بعضا، لقد كانت ثاني علينا أيام يصل فيها جو
المرح الصفاء ليغني البعض بأعلى صوته ويتحدث الآخرون بحمية
وحماس أو يستغرقون في الضحك وهم يحكون مغامراتهم أو يتداولون
النكت. مقابل تلك مرت علينا أيام يسودها الحزن فيخلو البعض الى
نفسه وخيالاته ويستسلم البعض للياس والحنوط وعرفنا أيضا أياما
حالة لم نخل من شجار أو سباب لآفة الأمور. شخصيا كنت أتبع
مجرى الحياة، أحيانا أقتسم مع زملائي الإثنية اليومية وأحيانا أخرى
أخلو الى نفسي، وفهمت، مثل العديد منا بأن عدونا اللدود هو الملل
والسأم.. قررت أن المطلوب مني من الآن فصاعدا هو معاركته ولذلك علي
أن أركز تفكيري في الحاضر لأن الماضي ولحظات سعائه كانا يدفعاني
الى الحزن والبكاء.

مرت الأيام كثيفة وجيزة لأن الفصل كان فصل الخريفه كنت اعدها
والمرح كلما زادت الأيام ناسيا ما ضاع من حياتي، كان الزمن يلتهم
حياتنا في تازمامارت التي لا تشبه أي سجن آخر، لأن سجن تازمامارت
كان معزولا بعيدا عن أعين الفضوليين، مبنيا بالاسمنت المسلح وجدرانها
سميكة للغاية، تحرسه كتيبتان من الخيالة وفيلقان من الدبابات، أما
حراسنا فقد كان عملهم يقتصر على فتح الزنازن والملاها وتوزيع الأكل
دون المكوث بين ظهرانيها، وقد كانت وراء تلك قرارات حازمة لمنع أي
علاقات بيننا.

قررنا خوض اضراب عن الطعام للاحتجاج على شروط الاعتقال
الإنسانية، لكنه لم يأت بنتيجة لأن المسؤولين كانوا غير منسغلين
بمصيرنا، كما أن اضرابنا كان بردا وسلاما علي الحراس الذين حصلوا
علي عطلة وتخلصوا من عناء إضافي. لم تفكر في الماء عندما قررنا
الاضراب فحرمنا من الاغتسال وتظيف المراض الذي فاحت منه رائحة
كثيرة. رفض الحراس منا بالماء وأجابونا بأن الماء لا ينفصل عن الحبز



وهو رهين به. وجوابا عن ابتزازهم احدثنا ضجيجا وصخبيا بقرع العباب
 بقبضات اليد لعلهم يستجيبون لطلبنا. بعد مرور عشر دقائق، جاء
 الشيطان القاضي وبدا يقرر سعة وتهدياته «هل تريدون تكسير
 الابواب كسروها وساكسر ضلوعكم... صدقوني ساصفي حسابكم
 بسرعة اجابه احد النزلاء بالانجليزية فجاء رده على الفور «وختانوي
 بالشمينية. اثن هفتي» توجه بعد ذلك الى موظفيه بالامر التالي
 «خلقوا الببيان مزبان وسيروا لديوركم في الريش عندكم برسبيون نبال
 4 8 ساعة. واتش بغاو بيدرو لي النقابة» هما بغاو اضراب عن الطعام
 وانا لحادي تعاقبهم بيومين نبال الجوع، بلهمة عدم الانضباط ومحاولة
 التمرد. وهكذا انتهت محاولتنا الي فشل نوب. وعوض ان يستسلم
 الحراس استسلمنا نحن. بعد هذه المحاولة تفولع بعض رفاقنا على
 انفسهم والضحك اية مواجهة مع المخزن لأن غضبه كان قاسيا. عاد
 الحراس بعد انقضاء مدة العقوبة وقالوا لنا بلهجة المنتصرين. في المرة
 القادمة سيكون العقاب اكثر لسوء وكل احتجاج فردي سيؤدي الي
 عقوبة جماعية. هاندي رانها تازمامارت ماشي النقابة» صرنا بين المعرفة
 والسندان وكان الحراس مستعدين للفعل اي شيء لانهم كانوا علي علم
 باننا منقلوب هنا من اجل...الموت

خريف تلك السنة، اندلعت الحرب العربية الاسرائيلية، فسلمنا
 الحارس المتعاطف معنا جهاز «ترانزيسطور» لمناجعة الاحداث والمعارك.
 وكنا بعد كل خبر يطلعننا عليه زميلنا حشاد، نطلق على الوقائع حسب
 شفرة متفق عليها فيما بيننا لأسباب امنية. كان كل انتصار عربي
 بفرحنا وكانت الاحداث تنسبنا ماسينا الخاصة. اغتمت الفرصة
 وحكيت لجاري بوحيدة (رقم 13) تفاصيل حرب الايام الستة (نكسة
 حزيران)، الاثني لرات «حملة سيناء». «حرب الايام الستة» والمركة
 الثالثة. بعد انتهاء الحرب استعاد الحارس جهازه فانفصلنا مجددا عن
 العالم الخارجي واستأنفت الحياة في السجن رتابتها السابقة. واصبح
 الحراس اكثر لسوء وعدوانية. كان يحدث لبعض النزلاء المعانين ان
 يدخلوا في رهان قوة ضد الحراس وسرعان ما يستسلمون. بعد
 الاضراب عن الطعام، حول مدير السجن حياتنا الي حجيم فساحت
 نوعية الاكل حيث اخضعنا لنظام «نصف حصاة» لعدة شهور وبخلنا
 مرحلة «الهزال الاجباري».

كان الجوع يلتهم الجسد والضجر ينخر الروح، وطرح علينا مقاومته

بأي شكل من الأشكال. من جهتي كنت أركز في حريتي، أعد الأيام رغم علمي بأنه لا فائدة ترجى من هذا. كان البعض يرى أن سرورنا بتأزماسارت مرور عابر، وكنت أحيانا أرفض فكرة أن مصيري نهائي وأطرد كل الأفكار من ذهني. لأن الأمل ضروري بالنسبة لي، كان من الممكن أن أجن وأنا أتساءل هل بإمكانني أن أصدق أمام الجوع والأنواع والاسراف، إن الله وحده كان يعلم بمصيري وهو وحده سيده. من جهتي كنت أعلم بأن الجمود والاحركة سيضران بصحتي، وأنه لابد من الحركة للحفاظ على ليالتي ومعنوياتي فبدأت أروح المكان نهابا وإيجابا وكان بإمكان التوتير وحرق الأعصاب والمعاناة النفسية والهواء الفاسد للزنازة أن ينالوا مني منالهم لولا أنني اتخذت قرارى قبل ذلك.

جاء الصيف وجاءت أيامه الطويلة الخائفة والرتيبة، ولواجهة الضجر كان لابد من الصبيث والبريشة. وقد كان لي باعى الطويل في هذا. فكنت أسرد على مسامع المنصتين تفاصيل الألام التي شاهديها من قبل. فشددت الأبابهم بحكاياتي ونهبت بهم إلى عالم الضيال لأخرجهم من والعبنا المزرى الذي كنا نعيشه منذ 7 غشت. مر علينا شهران منذ وصولنا إلى هذه القبور الخائفة والنتنة حيث تمتزج رائحة العرق والرائحيض والإسمنت الطري لتفوح رائحة حيوانية تشير الفئيان. من الصيف ولاحت تبائير الشتاء بامطاره العاصفة ورعوده الهائرة ورياحه القارسة. فلا خريف رومانسي ولا ربيع عشاق في تازماسارت. فقط شهران من صيف حارق وعشرة أشهر من شتاء مملح في عالمه. يا إلهي كيف سأتحمل هذه المدة الشتوية الطويلة وليس معي سوى غطاءين مهترلين ومصطبة من إسمنت وبدون ملابس صوفية. وكيف لجسمي أن يصد البرد القارس الذي ينفذ إلى للفخاخ الضوكي، إلهي هبني قوة التحمل وإرادة مقاومة المعاملة الميكيفاليدية والصبر والجلد حتى اجتاز العرافيل والأنواء وهبني من لديك الإيمان حتى أقوى على هول الظروف اللاإنسانية ولجعل لي من الأمل سلاحا يثبت إيماني بك.

أول رسالة

منذ وصولي إلى تازماسارت وأنا أجهد تفكيري في إيجاد وسيلة للتواصل مع زوجتي خديجة إلى أن حل ذلك اليوم الذي قررت فيه أن أحدث الحارس المتعاطف معي في الموضوع. قبل هذا الأخير دون تردد

وجاىنى بورقة ولحم وشعرة وعود الثقاب فكتبت رسالتين الأولى إلى زوجتى والثانية لشغلها الدكتور هادي مسواقة طارت الرسالتان إلى الرباط وبليت انتظر على احر من الجمر. كانت الرسالة الموجهة إلى خديجة زوجتى عبارة عن بضعة اسطر الول فيها: «اكتب إليك من نازمامارت بين عصر السوق (الراشيدية) وميلت. وأنا مسجون ليل نهار في زنزانة ضيقة مظلمة ورطبة. كل شيء هنا ممنوع بما في ذلك الشمس والهواء النقي. لم اظن ابدا انني ساناقل على مان طائرة مثل طرد معصوب العينين ومصعد اليعين. إن السلطات العليا كما قيل لنا هي التي نقلتنا إلى هنا سرا. مازلنا نجهل سبب هذا المن الماخي. اعرف انك قلقة لهذا اطلب منك الصبر. الله كبير. لقد خاطر الحارس من اجلي. لابد من اعطائه المال ليجتاح لي الاكل والدواء. هنا المجاعة فلا طبيب ولا نواء. إن المبعوث رجل لفة وصديق يكي بمجرد ان راني. اقبلكم جميعا. اعطني بالاطفال ولا تغلطي من رحمة الله. اما انا فاقامر على تحمل كل شيء. استسمحك على الخط لان المكان مظلم. بعد مرور اسبوع توصلت بالرد. فتاشرت له وبدأت ارتجف مثل ورقة في مهب الريح والحوروات عيناى بالدموع حتى انه نعدز علي لراعة الرسالة. كان الرد مطعما بالحنان والنصائح والدعوات واخبار الاطفال. انا القرا الخطاب اعتراني احساس غريب. احساس بالفرقة بنوع من الثقة في النفس واختلط الامل في نهني بالخيال المريح. وبدا كان شيئا ما ينبجس في دمي وينمو وربما كان ذلك هو الاصرار الذي ساعدني على الصمود طويلا في هذا الجحيم. كانت الرسالة تحتوي ايضا على بعض المال. مما سمح لي ان اشترى عن طريق الحارس. كبسولة من غانيدان والكالسيوم واسبرين وبعض النمر ولتر من زيت الزيتون وابنعت. ويالي من مشهور. علب سجائر لتسميم جسمي. ومازلت. بالمناسبة. اذكرك ايامي الأولى في السجن وما جرى لي مع احد الحارس. فقد سألني: ماذا تريد ان اقول للمدير؟ هل نسيت انه منعنا من الحديث إليكم؟. طلبت منه بمرء اذهب وقل له بان المسعى الرايس يريد سجائر لانه لا يستطيع التخلي عنها فهو مدخن كبير.

هز الحارس راسه ساخرا: «فهمتلك باغي الكارو. مايمكنش تعيش بلايه». اجبته ان نعم. فهي ضرورية لي. فجاء انفجر الزملاء الذين كانوا يتابعون الحديث ضاحكين. ولم يستطع الحارس نفسه ان يكتف الضحكة وقتها ابركت الخطا الذي ارتكبته لانه من غير المعقول ان يطلب المرء سجارة في الظروف التي انا فيها.

اطلعت رفاهي في المحنة على اتصالي بزوجتى. بل قرأت رسالتها.

انتهشوا للحديث وبعضهم استغل المناسبة وطلب من الحارس ان يقدم له خدمة شجع ذلك على القيام برحلة اخرى بعد بضعة اسابيع. لا سيما مع المقاومة التي عرضوها عليه. بعض الحراس النار سلوكة فضولهم وحسده اخرون وخاف فريق ثالث منهم فاخبر المدير بالقضية ونصب له منا بمجرد عودته إلى المحطة الطرفية بالريش فوجئ الحارس ولم يجد الوقت الكافي للتخلص مما بحوزته ف ضبط متلبسا واعتقل لمدة 60 يوما ثم احيل على المعاش النسبي.

كان من المألوم حقا ان نرى ما حدث له وكان نهابه خسارة كبرى شلنتى شخصيا. واعتبرتها اول كارثة كبيرة تمسني في تاريخي. هذا الحادث جعل الحراس اكثر حبيطة وحذرا، كما انه اثر على النظام الغذائي فتهاطلت علينا عقوبات الحرمان من الغذاء لاسبب سبب. كان الحراس يربون منا الخضوع التام والطاعة العمياء. وإذا ما تجرد الفرد او الجماعة على تقييم اي طلب نزل العقاب القاسي نفسه: الحرمان من الاكل لمدة 4 ايام، بدون ماء هل كانوا على علم بانته لا وجود لأي قانون بحرم السجن من الاكل. إن بعضهم كان يجهل ذلك جهلا تاما في حين كان اخرون يعرفون بانته خرق للقانون لكنهم ادعوا انهم مجرد منفذين لأوامر مديرهم الذي كان مصاص نماء هدفه قتلنا على مهل. كان الحراس اميين. كما انهم كانوا من المراد، الكوم، او الميليشيا الاسبانية الذين ادمجوا وكانوا يحقدون علينا مثل الجرب. وقد بائناهم حقا بخلد. واستفزنا بغضب (...)

بعد نهاب حارسنا، تعرض الحراس لمعاملة قاسية من طرف رؤسائهم الذين اتهموهم بالتواند معنا فصدرت الأوامر مجددا بمنعهم من الاقتراب او التحدث إلينا، وهكذا ساد صمت مطلق بيننا من منتصف جينير 73 إلى شهر ماي 73 على الاقل. كما اننا لم نحصل على اي خبر من الخارج او الاتصال مع عائلتنا فزاد هزالنا وبرزت عظام الكثيرين منا، اسويت وجوه البعض رغم انعدام الشمس واصفرت اخرى. واصيب العديد منا بالمرض وتدهورت صحتهم بلا نواه او طبيب وانسخت اجسامنا وكبر شعرنا والتهمت لجانا وجوهنا حتى غابت ملامحتنا وصعب التعرف علينا.

حدث ذات يوم قبل نهاية السنة ان جاء الحارس بمعيه شخص مجهول وفتح الزنزانة 27 التي اودع فيها الخلول وسأل الزائر: هذا هو

التي بغيت لتشوف

□ هو بالذات، واش عرفتيني كابييطان؟

■ لا ما نكرتكش.

□ انا سي لحسن خدمت معاك من 1963 في غلبيجن كنت سكرتيرا.

■ واعرفت نيك لوالينا كنت مسلول على 250 عسكري ويزال بيال

الكتاب... انسميت.

□ لكن مايمكنش ننس العسكري الجديد التي قرصت ليه ونديه

وصرفلتيه شحال من مرة على خطا في الآلة الكاتبة او ديون، ما معمرش

مزيان

□ اه دابا فهمت جيت لتتلقم يمكن تصفع ايلا بغيت... كيفاش جيت

دابا؟

■ هاذي مجرد زيارة، الله يسامح علي التصرفيق، وعلى كل حال هاذ

شي التي علمني الخدمة ودابا انا سرجان والكاتب الخاص بيال المدير

وداك الشي علاش خلاوني نزورك.

□ وياش تتلقم جيت حتى لعندي ضد الأوامر..

■ كاتعرف مون كابييطان الحياة بحال الرويضة كدور قال في الأخير

هذا الزائر قبل ان يفاير المكان ساخرا.

يصرخ ويقرأ القرآن وينادي أمه..

ان للمخزن، حتى في أسفل سلمه انتقلاه وحلقه. هكذا غير الحراس

من اسلوب توزيع الوجبات تفاديا لأي لقاء مباشر او لثروة غير مجدية..

بدأوا يفتحون الباب ويضعون «الصحن» ثم يلقون الباب فوراً

ليخرجوا بعدها الى الساحة في انتظار الطنجرة. وعندما ينهي

«النابلون» (الموزعون) مله قرالمانا، كان الحراس يفتحون الأبواب مرة

أخرى لتأخذ سداعتا ثم يلقونها ويشارون البيناية. وللاسف لننكر

حاندن لقط ساسرديهما. هنا، كان أحد الحراس قد ادى الخدمة في

الستينييات معنا في الهرمومو، فتح ذات يوم الباب وطلب من غلول ان
ياخذ حصته من الغذاء، نهائى هذا الأخير في مشيته وتعطل قليلا فدع
السجان الصحن برجله قائلا: «خذ عذاك فليس لدي الوقت لانتظرك،
فاجابه غلول، لماذا تدفع الصحن هل انا كليلك ان عمك هذا مهين وغير
ليق علما بانك كنت ضابط صف في الجيش الفرنسي».

- انت سجين وليس لك الحق في ابداء اية ملاحظة.
- هل نسيت انني كنت قبطانك وانك كنت تجلو لكي تؤدي التحية.
واليوم تتجرا على دفع صحنى برجلك للرهيبى، ليكن في علمك باننى
حتى وان لغت الفياشين مازلت احتفظ في اعطالي بكبرياء القبطان. اما
الصحن فلن اخذه ويعتكك الحلاق الباب، فكان ذلك وظلت الشربة في
البهو وجبة وباليها من وجبة للفران الحشرات.
حدث ايضا ان سال حارس اخر رفيقنا مرزاق احمد: «اسمك نكلو
القران يوما هل تحفظه عن ظهر قلب».

- اجابه مرزاق: نعم لقد حفظته وانا طفل في جبالة لان ذلك اجباري
عندنا.

- انا ايضا حفظته وعمري 14 سنة واجد في استظهاره او الاستماع
اليه سعادة عالية. ان القران راحة للنفس وشفاء للصدر يمنعا من
ارتكاب المعاصي.. انتبه الحارس الى انه تاخر عن رفاقه. وقبل ان يفلق
الباب دفع بقدمه الصحن نحو مرزاق قائلا:

اه، تعطلت خد زمرك وانخل انحنى السجن لياخذ طعامه وهو
يقول يانب وهنود: ان الاسلام ليس هو حفظ القران لفظ او اداء
الصلوات خمس مرات بل الاسلام ان تحترم الآخرين وتعاملهم برفق
وانب وما فعلته وقلته هو نذب ومعصية.

غضب السجان لما خلق الباب في وجهه قائلا: «ما شي انت اللي عدي
تعلمنى الالب. انا اعرف الدين احسن منك وما عندك ما تعلمنى».
فرد عليه السجن رافعا صوته من داخل الزنزانة طنت تدعى معرفتك
بالاسلام لكك تنسى بانه منزل في القران الكريم ان احسنوا الى المسائل
والدينم وابن السبيل والاسير».
ذهب السجان الى حال سبيله وانتهت الحادثة لكنه ظل يجعل له غلا

مرت علينا ستة اشهر في تازمامارت وتعودت على التواصل عبر الجدران مع اشخاص لم اعرفهم من قبل. ولا اراهم الآن. لقد كنا نتعرف على بعضنا بالاصوات التي يحاول كل واحد منا ان يضمن منها هبة محدنة. وطالما اخطانا في التكبير اذ ان البعض كان لخليط الصوت وثيق فيما بعد انه لصير القامة عكس ما اعتقدنا.

لقد جعلنا طول المدة نتعرف اكثر على طبائع بعضنا البعض. فعنا المكتسبون والمتكثمون والمرحون. اما الثرثارون لسرعان ما كسحوا عن فرانتهم نون ان نئسي، النوايين، والسهاد. ورغم انني كنت سجين اربعة جدران فقد نجحت في تمييز كل واحد من سعاله، وطريقة عطسته ومن سخرينه المتميزة.

في البداية حاول كل واحد منا ان يظهر الجانب الجميل فيه فقط باذلا مجهودا كبيرا في اخفاء العيوب التي سنظهر فيما بعد. لانه لا احد معصوم من الخطا. لقد كانت بنايتنا مكونة من اشخاص متناصري الامزجة. فهل هي الصدفة ام قانون، الطبيعة، لايمه الجواب والمهم هو انه كان بيننا الطبيعيون والسيلون، العنيفون والهادئون كان هناك ايضا المثالثون الذين يؤمنون بكل شيء. وياملون كل شيء وينتظرون مفاجاة ما. عطفوا او معجزة هؤلاء كانوا طلاب الضارقي. وكان من بيننا المشائعون الذين لا ينتظرون شيئا ولا يؤمنون بشيء تقريبا. هناك المتكثمون بالسلبية والذين يرفضون تبديد طاقاتهم في الحديث. ولعلم كانوا الاكثر خسرانا بسبب نظرتهم الخاطئة. مقابل ذلك كان الذين يتحدثون كثيرا بلفظون الوقت ويبعدون الزمن داخل السجن. وكان الوردون المؤمنون بلفظون سواد ليلهم ونهارهم في الصلاة والتضرع الى الله وتلاوة القران دائما. وكان الخنوعون، بيننا قلة. اما الانجليزية فكانت تتردد وتنتشر مع الحراس الذين لقبوهم بـ الـريوس السخونة. بعضنا كان هادئ الطبع يتميز ببيروية اعصاب هائلة ويفضل حل الخلافات بالتوافق وبالتالي هي احسن، والبعض الآخر، وهم المتطرفون، الذين اختاروا المواجهة وكنت للاسف، منهم، وكثيرا ما فارقت بنايتنا بلوحة تجريدية لا الهم منها شيئا لو اسعمال متسول رتقت الف مرة. كانت سحنات رفاقنا بكل الالوان: السوداء، السمراء، البيضاء، الشفراء، واغلبهم من البداية والقلبة من الحضر، لكنها كانت المهيمنة وصاحبة القرار فيما يخص القضايا الجماعية. كان السجناء من اصل عربي اكثر عددا من رفاقهم ذوي الاصول الامازيغية. كان بيننا ايضا شبان تنقصهم

التجربة ومسنون عركتهم الحيلة وقد كان الفارق العمري سببا في العديد من الخلافات حول التنظيم او القرارات الجماعية وكرس صراعا بين الجيلين تسبب في عدم الثقة بيننا. فكان الفريق الاول بخشى حيلة الفريق الثاني وهذا الأخير يحتاط من مفاجات الشبان وتهورهم.

ولعل احدي ماسي تازمامات كانت تكمن في هذا الخليط من عناصر الطيران- والمثابرة (انظرا لتمايز الامزجة) وفي وجود ضباط وضباط صف كانوا في السابق مرؤوسيههم. فقد كان الضباط يرفضون المعاملة بالمثل وعلى قدم المساواة مع ضباط الصف وكان الفريق الثاني يرفض اية امتيازات او تفضيلية. فلذلك سبب مهما صغرت حيثياته كان الضباط يلحون على انهم الرؤساء فيجيبهم الآخرون بالقول: «ذاك الشئ كان من قبل. دابا كلنا محابيس، وكثيرا ما سمعنا: «هنا نفس النظام يسري على الجميع».

فلا فرق في الرتبة او السن- في تازمامات رغم الجحيم. فاننا على الاقل متساوون- و هنا بمرطاطية ربما لا نجدها في كل الفريقين بل هناك من راي في السجن نوعا من الحشر، او اليوم الآخر والصراط حيث لا فرقا

كان ذلك خطأ فادحا وعبثا وسيفهمون ذلك فيما بعدو يلرون بالخطأ. سبلاحظون مع مرور الزمن انه حتى في هذا الجحيم، فان التمييز لن يختفي.. وان الرشوة ستفعل فعلها. لقد نخرت الروح القبلية بعضنا وظهر تعاطف الحراس من رتبة ضباط الصف مع السجناء من نفس الرتبة واضحى السجنائون ينادون على زملائهم باسمائهم الشخصية في حين اصروا على مناداة الضباط بالأرقام.

ربما يبدو هذا تفصيلا نالها، لكن هل كان لزاما على المرء ان يسجن في تازمامات لكي يخس بمدى الفبن المهين.

فيما يخصني بما لنفي «اسبيران» (مرشح ضابط) فقد كنت اداريا ضابط صف لكنه يتمتع ببعض الحقوق والاحترام المخول للضباط: وبمعنى من المعاني كنت «ابرة» الميزان ما بين هاتين الفئتين في تازمامات: فلم يكن الاكبر سنا نظرا لمن هم اكبر مني وهو صلاح حشاد الذي «يعطل» على الشاحنات البخارية ونقود الورق المقوى- ولم يكن الاصغر سنا لوجود بوحيدة احمد الذي لا يتذكر نفي المغفور له محمد الخامس ولا عوبته من النفي. ونظرا لهذا الوضع المخرج فكت استنكف عن الخوض في اي تعليق ناله يخص مصيرنا او مدة بقائنا في المعتقل.

وفي الواقع كنت أخفي الكفاري المحبطة حتى لا اثبط عزائم بعض رهيبي
الاحساس او اصدم المفردطين في التناول. ربما سيقال انت لم يكن لديك ما
تخسر سواء بلينا في السجن او غارننا لانه محكوم عليك بالمؤبد، لكن
سأقول: كم كنتم مخطئين الا تعرفون ان هناك دائما املا سادمت هناك
الحياة، ربما لم تتروا بانني مثلكم اتوصل معجزة او التسولها.
تلك المعجزة التي ستحدث ذات يوم والتي تفعطني الي المقاومة بكل
قوة.

لم يكن لدي ايمان المؤمن ولا شطف المفاصر ولا شجاعة المغامر او
حب المخاطرة لدى صائد النمرور. بل كنت من انصار الكسل. غير ان عنادا
مرضيا دفعني الي رفع التحدي ومبارزة الموت التي التسمت على الخائفنا،
الواحد تلو الآخر، بلا شفقة او رحمة. لهذا السبب كنت من بين الذين
دعوا إلى تنظيم انفسنا وضبط جدول زمني يلتزم به الجميع، اي الصمت
المطلق في وقت القبولة حيث يمنع على اي كان الحديث قبل إعلان
الاستيقاظ من طرف شخص نختاره بالتناوب او إزعاج النزلاء ليلا اللهم
في حالة الضرورة القصوى، هناك من رفض الانتصياح في البداية لكنه
سرعان ما وعى خطورة ما يتههد صحته وصحة الآخرين. ذلك لأن التلوث
الصوتي كان قاتلا في الظروف التي كنا نعيش وقد كنت ملتفتنا اشد
الانتخاع بان الهدف من العزلة في الزنازن الانفرادية كانت خادعة تمتص
نسج الكائن وتهد روحه التي بدأت التراجع تدلوها. وإهدار قوته تخيفه
من كل شيء حتى من المحيط الذي عاش فيه لحظات سعيدة، وبمجرد ان
يلغى علويته يلقى به في الخارج وقد جفت ذاكرته ووضعت عليه بلاطة
كتب عليها: شخص مريض، نائب مبدع... لكنه نصف احمق.

كان الشتاء قاسيا وصارت البلاطة اكثر برودة ولم يعد الغطاءان
المهترتان يجديان في شيء امام الجو الجليدي. إضافة إلى ان الطعام
البئيس كان بلا مفعول والرائحة الكنتنة ونقص الأوكسجين جعلنا
اصعب واكثر رتابة، فقررنا ان نؤثث ولفنا الكتيب رغم رفض البعض
إقرار استعمال زمني صارم مفضلين التريشة على حفظ القران او تعلم
اللغات الحية. وحتى تلبي رغبات الجميع خصصنا ساعات فراغ للذين
يودون تجائب اطراف الحديث او المناقشة. يوم الجمعة، المنس
خصصناه للنحوض في المواضيع الدينية والوطنية والنلاوة الجماعية
لابات من الذكر الحكيم. اما الأحد، فقد خصصناه للتسليه، يقوم فيه كل
واحد منا بالفناء وحكاية النواير.

كنا نحاول ان ننسى ونتغمس في اللذات العابرة لعلها تلهينا عن ماساتنا القائمة. وتسينا السنة الأولى في تازماعات. السنة الصعبة والمره. كان علينا ان نقاوم لكي نظل احياء بعد السجن. وقد تعودت في اخر المطاف على وضعيتي الجديدة ووجود المحروم من الحرية. وقد جاء هذا التعود صعبا وطويلا وكان اشبع فترات حياتي ولائتك وتروك في بصمات لا تمنحي. ولم يخطر ببالي ايدا ان الإنسان يستطيع ان يتعود على حياة مثل هذه. وكما يقول المثل الدارج: الزمان كيتقلب الصنم. وكنا نغير مجالين بما يخبطه لنا الزمن نحلم ولا احد يعنينا من ذلك.

كان المدير ياتي يوميا لمرالبة المكان والحراس. ولكي يتأكد اساسا من تهور حالتنا الصحية. فبعد عدة حوادث بدأ يزورنا شخصيا للتأكد من احترام التعليمات.

كانت ابواب زنارتنا تتوفر على منور (كوة صغيرة) تفتح من الخارج فقط خصصت مبدئيا لتوزيع الطعام. وهو ما لم يراعه الحراس ايدا. ذات مرة نسي احد الحراس . بسبب لعائته ولائتك . إغلاق باب إحدى الزنارن. لما علم هو وزملاؤه المكان. خرج نزيل الزنارنة المذكورة وفتح جميع الكوات (المناور). اطلقنا على إنجاز نظام بدائي للفتح وإغلاق هذه المناور بون علم الحراس طبعا. هكذا ربطنا لسان القفل بخيط من الخارج ومرتناه إلى الداخل بحيث يغطي جذب الخيط لكي تفتح الكوة. وكنا نستغل هذه الحيلة في غياب الحراس لشم الهواء الأكل نتانة في البهو وللدرشة الهامسة بين الجيران. وهو ما كنا في حاجة ماسة إليه حفاظا على اعصابنا ومعنوياتنا وبصرتنا. ومن سوء الحظ ان هذه الفرصة الخارقة لم تدم سوى اسبوع واحد بسبب إهمال احد الرفاق. فلد لاحظ احد الحراس هذه الحيلة فقام هو وزملاؤه بنزع جميع الخيوط واعادوا الكوات إلى سالف عهدها متوَعنين بالوبل والتبور إذا ما تكرر الأمر. وانتظرنا فرصة أخرى تكررت بعدها مرارا وقلنا بسببها الجراء والمرارة والحرمان من الأكل. وفي الأخير، قرر الحراس استعمال اسلاك معدنية وكلاية للبيض وشبك القفل بلسانه المعيشي *Welding* ونجحوا بذلك في القضاء على عملية الإنفتاح، التي قلنا بها لسنوات عديدة. في الصيف كانت زنارتنا عبارة عن إرانات. في الشتاء كان التنفس يصعب ونكاد نخنق بفعل الرطوبة. مرت ستة اشهر. ونحن على هذه الحال. فبدأ احد رفاقنا الذي لم

ينحمل هذه المعاناة بفقد صوابه ويهذي. كانت الكلمة تزيد من مخاوفه ووساوسه والعزلة تلك باعماله. وتترج حملته بفعل الاستيهامات والتهبؤات. بما يعتقد انه ليس وحيدا في الزنزانة. ويخيل اشياء لا تصدق تارة يخيل امه التي كان يحبها كثيرا إلى جانبه وتارة أخرى زوجته الشابة وابنته الوحيدة. وعندما نسأله لماذا تحدث نفسك يجيب بأنه برافعة ضيوف أو يشرب الشاي مع عائلته.

أحيانا كثيرة كان يصرخ أو يلرا القرآن جهرا. هذا الرفيق هو اللبوتان محمد بن شمسي، طيار حربي حكم عليه بـ 3 سنوات سجنا في قضية طائرة البوينغ الملكية سنة 1972. كان قد قضى نصف عقوبته وهي بمثابة ابد طويل في نازمامارت كان مطع فبراير لائلا بالنسبة له: ذات ليلة صرخ طويلا وتوسل إلى امه لتتفذه ثم صمت فجأة في يوم الغد فتح الحراس زنزانته فوجدوه ميتا، ملقى على الأرض وسط بركة ماء عاريا كما ولدته امه وقد امسك بيده بلو الماء فارغا وعيناه شاخصتان كما لو كاننا من زجاج.. لن يصرخ شمسي أبدا.

في حضرة الثمابين

يوم 22 فبراير 1974 كان يوم حداد. فلدنا فيه كاننا بشريا. ويبدو ان محمد شمسي تصيب عرفا من كثرة الصراخ والحركة المتعري ثم صب على راسه وجسده إبريق ماء مثلج، لأن الفصل شتاء. فخرُ صريحا في الحال بفعل إجماع نهائية. نقل الحراس ما حدث إلى المدير فامرهم بدفنه فوراً في الساحة الفلحة للمعتقل. فوارى جثمانه الثرى بدون غسل أو كفن أو صلاة جنازة أو طلوس دينية أخرى.

البحر كما تكبر الكلاب المسعورة. كانت الساعة العاشرة صباحا عندما دخل الحراس إلى زنزانته وحملوه ثم وضعوه في عطائه المتسخ المبلع بالفضلات ثم حملوه إلى الخارج.. سمعنا صرير النقلة (بزويط) وهي تنقل الجير وتفرغ فوق جثمانه. قبل إطفاء أي اثر للجريمة. لقد مات شمسي لكن اسمه سيظل منحوتا في القوينا إلى الأبد.

لقد اعتقد جميع الرفاق بأنه سيحصل تغير في النظام أو على الأقل بعض من التحسن فيه بعد هذه المساء، لكن تلك الأمل كان كاذبا، وحصل العكس، حيث أصبح جحيما أكثر فأكثر، وتدهورت حالتنا الصحية أكثر فأكثر وخارت قوتنا وأصبح الأمل «جوية»، مما كان عليه وزابت عنوانية الحرس فانهارت المعنويات مما جعل الأجواء أكثر قاتمة ونفلا.

ونال منا اليأس، تلك الآلة القاتلة في وضعيتنا، لأن موت شمسي هز كياننا وبدانا نتساءل: كيف يمكن لشمسي الرياضي، الصلب والسليم عقلا وجسما أن يموت على هذا النحو. ما من شك أن معنوياته انهارت ولم يستطع تحمل انتظار انقضاء عقوبته. بعضنا ادعى أن «الجنون ضريوة» البعض الآخر قال بالتسمم التدريجي. احبنا الفرض بأنه ربما كان عرضة لميكروب أو فيروس، لكن عذب عليه أحد الرفاق الآخرين الذين يؤمن بما يحكيه والداد: «لا، الجنون هما اللي كايديروا بحال هاذ الشيء. وشمسي كان ساكنو جزء من جهة أخرى، استهدت فكرة التسميم بعقل عبد السلام حيفي على الخصوص الذي كان يشطح به الخيال فيرى اشياء لا تصدق بدأت تنأى به نحو الجنون. فعذب من جاره القابع في الزنزانة المقابلة أن يرأب جيدا الحراس عند توزيع الطعام لانهم قد يضعون السم في صحنهم بالكولوار. سألته جاردا غلاش غايديرو ليك السم غير انت بالضبط وما بيدروهش لواحد آخر» اجاب حيفي بكل نؤدة وهذوة «دارو السم لشمسي لأنه ليوننان وأنا بحالو عندي نفس لغراء وداياجا الدور بيالي.. يير شي اللي كلت لك ولغادي حتى انا ترأب الطيسيل ثباتك».

هكذا بدأ رفيقنا العزيز يشطو تدريجيا على طريق المعاناة التي ستفوقه إلى الحمق. صديقنا الليوننان السابق عبد السلام حيفي الذي كان رفاهه ينادونه بـ «هنري بوب» المنحدر من تاوانات (ناحية فاس) المحكوم عليه بـ 10 سنة سجنا في قضية الصخيرات، المزداد سنة 1940^م المتوسط القامة الرياضي بشعره الأثمن الطويل الذي يعطيه مظهر شخص استثنائي. كان حيفي يبدي جيدة في العمل لا يضاهيها سوى حبه للمزاح والتسلية في اوقات الفراغ. هادئ الطباع بشوشا، طبيب المعشر وصافي الذهن يجب كل الناس.

لقد قضت المساء الشتوية على شمسي ونهبت بصواب حيفي فساعت الأجواء في القنابية وأصبح الرفاق أكثر حساسية وعنوانية

وعضوا.

وقضينا الشتاء نرثعش بقميص وسترة (البيسة) صيفيين بدون لباس صوفي او جوارب. كان البرد يرقصنا غلوة واسناننا تصطك باستمرار. اما التجول، نهابا وايابا في الفضاء الضيق للزناية فقد سبب لنا النوخة غالبا ما كنا نغني بصوت مرتفع او نتلو القران او ننادي بعضنا البعض باصوات مرتفعة عمدا لعلنا ننتفا باصواتنا ونقاتل عونا اللامرئي: الشتاء.

وبقينا على هذه الحال إلى حدود يونيو، لأن الربيع لاوجود له في تازماسارت. وحل ذلك اليوم الذي طال انتظاره بشغفه نفسي احد الحراس الخلاق زفزانة السوليوونتان سعودي (رقم١٠). بعد رحيل السجان فتح رقبنا الباب دون تردد وفتح كل الكوات محائرا الا بطل السلك الحديدى. وبما ان الحراس كانوا دائما يتفحصون الكوات فقد قررنا ان نكسر المفصلة الصغيرة التي تربط مؤخرة القفل بالكوة وتعويضها بسلك حلزوني مشدود إلى خيط صفيير مخيا بعناية في شق صفيير بين الكوة والجزء الداخلى للباب كما اعندا لليالي الى سابق عهده كما نرتة الحراس. وظاهريا بدا كل ذلك غائبا ما دام الخيط الصفيير لا يرى وسمح لنا ان نفتح الكوة ونغلقها كما نشاء. دام الحال مدة شهر، لكن اعمال احد رفاقنا كشف الامر مرة اخرى عندما لاحظ حارس يدعى بعمارزي الوضع المريب للكوة. استشاط الحراس كلهم غضبا لانهم خدعوا مرة اخرى فنقلوا إلى المدير فورا هذا التخريب العمد لاملاك الدولة. جاء القبطان المدير حالا ليتأكد بنفسه من التخريب، وكان يبعيها ان هذه الحادثة ستعاقب من حالتنا. بعد انتهاء مراقبته توجه إلينا المدير مباشرة بصوته اللعوم حلدا وغلا: «هرستو ماتريال ابيال المخزن» دابا الوقت توريكم شكون غادي يهرس الأخر. انا واللاتنوما.. دابا تشوفوا» بعد توبيخه لرؤوسيه اعطى تعليماته لتشديد العقوبة، وكانت النتيجة الفورية لذلك هو الطعام الذي اصبح اسوا من السابق. وبطبيعة الحال، زاد الحراس من عنوانيتهم وحزهم المعتابين، بعدما تلفوا من إهانات يندى لها الجبين من طرف المدير. ولعل من سخرية العصر او المزاج العكر انهم كانوا دائما يربنون على مسامعنا ها النتيجة بيال الخير. ماير خير ما يطرا بلس. نسيتمو اش عملنا معاكم حنا كاتحاولوا نعاملوكم بحال بنادم وننوما كترنوا بهذا الطريقة. خاصكم انعرفوا راه حتى ولوا ما عطيناكم الماكلة حني واحد ما يسبق

دار الحوار بيننا، كنا نتهمهم بانهم شركاء في هذ المساء وانهم واعون بعملهم الإجرامي، كانوا يجيبون بانهم مجرد منفذين لا حول ولا قوة لهم. وسرعان ما نحا الحوار منحى آخر واتخذ لهجة صغابرة نهديية. ولما احس الحراس بالإهانة اجابوا «من الآن فصاعدا سنغير المعاملة ما نتمت تصمون اذ انكم عن اي فهم ونتهموننا باننا كفار... وعليه سنصبح كفارا معكم».

غابروا المكان على إثر هذا الحوار وصطفوا الابواب خلفهم. ومساء نفس اليوم عانوا لإصلاح ما خريناه مستعملين اسلاكنا حديدية اكثر صلابة ومسامير لولبية وقباضات إلخ. وغابروا المكان راضين مرضيين بعد ان الضلوا عمليننا التي اطلقنا عليها «عملية فريشيس». 1971/1972 ومن حسن حظنا اننا لم نلقد الأمل تماما والتمنعنا بانهم ربحوا المعركة ولم يربحوا الحرب. فالحسنا ان نفال ثارنا والثار «وجبة تؤكل باردة» حسب المثال المألوف. وقد سنحت الفرصة بعد سنوات، فاعيدنا الكرة مرة أخرى ونصرفوا نفس التصرفه كان هبطهم ان يحرموننا من الهواء النقي وكنا نسرق منهم بعض انفاس لاء رئاتنا.

سنة 1974، كان الشتاء قاسيا، اكثر من المعتاد، جليبيا جعل معه بردا سييريا ولم تكن نملك سوى البلاطة الاسمنتية كسبرير، وبما ان السماء كانت تمطر باستمرار والرياح تعوي ليل نهار فقد كانت ترفع سلف «الزنك» (الصفحة) محدثة ضجيجا لا يطاق ويقل الأعصاب، فساد جو رهيب ومرعب. فقد بني سجن تازمامارت بعجالة لاسباب خاصة، وكل ما فيه كان حديثا إلا الأساليب القروسطوية لتصفيننا، ولم يتم استعمال بيانه لأن الانفصال توفقت ولائك بسبب مجيئنا المفاجيء، لأن الزنازن كانت لا تزال تحتفظ بقطع خشبية في السلف لم يتم نزعها ومسامير في السلف والجدران. والاسمنت المسلح مازال «طريا» وفي حاجة الى الكثير من المياه ليتعاسك اكثر، وهو الشيء الذي احدث شروخا عديدة في البناء. اصابت السلف والجدران واتسعت مع مرور الوقت، تسربت المياه من السطوف الفريالية - والمرقت ارضية الزنازن كلها. بعض الرفاق تبللت بلاطاتهم وغطاءاتهم. وكنت من المحظوظين الذين ظلت بلاطاتهم سليمة، لكن الماء عمر ارضية زنازنتي. هناك من الرفاق من قضى الليالي والايام في وضعية «المكسيكين» او جالسا القرفصاء في ركن في انتظار

ان ينوقف المطر وتطلع الشمس لعل الماء المتجمع فوق السطوح يتبخر. كان السجين الزموري محمد، الليوتنان في الطيران، كلما هطل المطر، يقضي الليالي الطوال ملتفا في غطائه وقد وقف بالقرب من المراض حيث لا يقطر السقف. كان يقضي ليالي بيضاء يرتعد من البرد منتظرا الصباح ومقدم الحراس ليطلب مكنسة يفرغ بها الماء من ززانته. وما هنء طوال هذه المدة الشتوية يطلب من الحراس ان ياتنوا إليه بلقضاء بعض الوقت في ززانة مجاورة بعد ان انهكه السهر وخارت قواء. وامام رفض الحراس اللطفي ترجاهم ان يطلعوا المدير حتى ياتن لهم بتبليط السقف المنهاوي. واحتج الرفاق كلهم ايضا وطلبوا باتخاذ الاجراءات الضرورية لمام الحراس انفسهم بتبليغ مدير السجن. لانهم كانوا بدورهم يتخبطون في المياه كلما اتوا مهامهم في الانهاء العائمة. قدمت وعود وعود ولم يتم اي شيء. وكان علينا ان ننتظر 11 سنوات حتى يتم إصلاح سلف الزنازن ونقل البرد بنخر عظامنا وبحفرها إلى حدود النخاع الشوكي، وانضاف إلى الجوع الذي فتت احشائنا. كنا تحت رحمة التسالطات المطرية التي الحرفت زنازتنا، ولم يكن احد يسمع الصراخ ولا يحرك ساكنا إن هو سمعه. لأن التعليعات كانت صارمة لقد كنا هناك من اجل الموت ولم يكن المسؤولون يتعجلون ذلك لقد برهنوا على صبر عميق المهم هو ان يكون الاحتضار فاسيا وطويلا. ففي الام البعض، كان البعض الآخر يجد لذة واستمتاعا معزجين بالسانية.

في كل بداية من بنايات السجن كان فريقان من الحراس يتناوبان على الخدمة كل 12 ساعة. كان رئيس حرسنا يسمى احمد ش وهو شخص فاس وبذي، فصير القامة، فاحم اللون ونظراته جالدة. كان يحقد علينا ولم يكن السبب هو الانقلاب بل كراهيته للمتعلمين والمثقفين ولكل ما يجعله يحس بضعته. كان هو الذي قام بتلحيم بعض كوات الزنازن. لقد استغل حضور لحام جاء للقيام ببعض الأشغال داخل السجن لطلب منه تلحيم الكوات حتى لا نستطيع لنحها مجددا.

ولعل حسن الطالع هو الذي جعل فنيئة الغاز تستنفذ حملتها بعد تلحيم اربع منها فقط ألح لاجودان شاف على إتمام العملية فوعده عامل التلحيم بالمعوية في اليوم الموالي، لكننا لم نره بعدها ابدا. هل كان ذلك بسبب التسيان ام صحوة الضعير؟ لست ادري. لكن كبير الحراس الحناظ

للامر فضاغف من المراقبة كل صباح وزابت شراسته فقرر ختلقنا. لأنه كان يجد لثته في معاناتنا. ومن جهتنا السعنا على ان نفوت عليه الفرصة والا نخضع له هذا الشخص الذي كان مصرر ماسينا من قبيلة هجانية (نيسة) ناحية فاس التحق بالجيش سنة 1991. وشارك في الحرب الهند الصينية وفي قمع مظاهرات الدار البيضاء وضد المقاومة المغربية في 1995 .. وماكانت الحرب إلا لتزيد من فضاغفته وغلظة قلبه واحتقاره للاخرين كان يكره الجميع والجميع يكرهه. ولم يفرز بصديق اذا كما انه لم يحاول الارتباط باية صداقة مع اي كان

اما الفرقة الثانية من الحراس فقد كان يديرها لاجودان محمد بن محجوب وهو من بني ملال يعرف للقراة والكتابة. التحق بالجنسية بعد الاستقلال. كان محجوب شخصا مستقيما. واعيا ولا يمارس اي سلطة كان يعي بان ما يحدث غير قانوني لكن النظام في تازمامارت لايسمح باي خرق. ماكان يعجبني فيه هو بروة اعصابه ولبافته وابه. اما المشرف على البناية الثانية فقد كان لاجودان شاف فحميدة. وقد سبق له ان عمل في بنايتنا عدة سنوات. وهو شخص كتيب. بلاوعي او ضمير ولاشخصية ايضا. يندم لعيه ابني إحساس بشري. خدم في الجيش الفرنسي مدة 19 سنة (1949/1968) وظل على حاله وقصر نظره ومظانته التي لايفابلها سوى مزلحه في وقت التسلية. كان يناد الاوامر بلا ابني تفكير مثل جلال. المهم هو التنفيذ والبيض للقابل ولايهم ما يحذنه في الناس.

وقد كان هو وين إبريس المسؤولين الأولين المباشرين عن موت بعض رفاقنا في المحنة. وساتحدث عن تلك فيما بعد بالتفاصيل.

اما البلية فقد كانت بيانق في رقعة شطرنج باستثناء ربما السرجان شاف سعيد المنحدر من بني عالم منطقة لفرمومو. فقد كان على علم بما نفترف بدها ويقوم به بكل لذة وانتشاء. فقد كان يبحث عن اية تغله ليعذبنا وكان التعذيب عنده هو حرماننا من الأكل والشرب لعدة ايام. وقد بلغت به حسنة ان استعمل بيديه في ضرب السجناء المساكين المرضى والضعيفين مثل هياكل عظمية. وقد انت احتجاجاتنا الجماعية على افعالها هذه الي 48 ساعة من الجوع والعطش فبرها هو شخصيا. ان كثيرا ما كان يتخذ مثل هذه القرارات تون الرجوع الي مدير السجن. فنازمامارت تعني قانون الغاب. قانون القوي. كما كانت تعني نوعا من الغوضى يترك فيها الحراس العنان لخيالهم السادي. المهم الا يكون

قرارهم لفائدة السجناء، وكل ما يدمر معنوياتهم أو صحتهم كان مسموحا به وكان الحراس يجنون في ذلك طمعا في تغيير المنبر ومنحه لهم.

حل الصيف مرة أخرى، بحرارة الضائقة فوجدت نفسي مجبرا على خلع ملابسى والبقاء عاريا كما ولدني أمي، باستثناء لحظات توزيع الطعام، ولم يبدني ذلك في شيء لأن جسدي ظل يتصعب عرفانا، ولم يحررنا الصيف بدوره لأن البقي والبرغوث كانت تمنعاننا من النوم، كانت هذه الحشرات تمتص معنا وتكافئ حولنا، والذباب نفسه خلق في الزنازن رغم الظلام، أما الفئران فقد كان تجري نهبا وإيابا متنزهة بين زنازنا وفي البهو بحثا عن فئات الخبز أو الشربة، كان حضورها يقرنا لأنه يجلب الذبابين الصحراوية المثيرة للاشمئزاز صاحبة العضات القاتلة والتي تتسلل بكل سهولة الي البورنا، سواء بالانسلاخ تحت الباب أو بالمسقوط من شقوق السقف، كان هناك زائر سام وغير مرغوب فيه هو، العقرب الأسود، وإذا كانت الذبابين تأتي لطاردة للفئران أو الضفادع التي تلقى الليل تنق في البهو، فإن العقرب كان يهرب من الحرارة المفرطة في الخارج بحثا عن الرطوبة والحشرات ولاسيما منها سراق الزيت، وقد كنا نترك هذه الحشرات عمدا تعيش بين ظهرانينا لتخليصنا من البقي، وكانت العناكب أيضا تشاركنا الزنازن وتنتسج بيوتها في الأركان لاصطياد الذباب دون أن ننسى النمل والزنابير التي اتخذت مساكنها في البهو وبعض الزنازن، وكنا نخشى لسعاتها الضائقة في حين أننا كنا نسيمن بنضول الفحل، ومن بين الزوار المدلومين جاءتنا، أم الأربع والأربعين، و «بوصيحة» لم تكن وحببين على كل حال، بل كان لنا رفاق في القبور ورغم أنهم ضارين وغير مرغوب فيهم.

نزف السجن 4 أشهر ، الى أن مات ؟

لم يكن في نازمامارت سلام أو عدل، كانت الزوالمف والحشرات تتقاتل في ما بينها ويأكل قوتها ضعيفها ويلتهم كبيرها ضليرها. لقد كان

القانون السائد هو قانون الغاب وكنا بدورنا نخضع له. كنا نسحق من طرف السجناء بحيث ان اية مطالبة تجابه بالضرب والتفكيك او الحرمان من الاكل. احيانا كان الحراس يقبلون الحوار فيقولون بان دورهم يتحصر في فتح وإغلاق الابواب وان لاحق لهم في نقل مطالبنا الخاصة بالاكل إلى المدير، لأن الطباخين يخضعون مباشرة للمديرا وكثيرا مابالغوا في الامعاء ، بان السجن لايتوفر على اي شيء لاموش ولا مصحة تعريض ولا مكان لاستقبال الزوار. وكان الحراس يقبلون الطابري والفلران بمكنسات التي كانت تستخدم بدورها في مارب شتى، تنظيف البهو، غسل الطنجرات وتنظيف المراحيض. ولما كانت هذه الأخيرة تسد كان الحراس يلجأون إلى الأنبوب الذي يصيون به الماء لنا ويفرسونه في المراحيض، وبعد الانتهاء يستعملونه في توزيع الماء دون غسله او تنظيفه غير مبالين بخطر التوليرا او الطاعون. لما كان بعض الرفاق يشكون من مثل هذه المعاملة او يتبرمون منها كان المناظفون من الحراس يجيبون بصوت مسؤل رخم حتى يفتنعونا بتعاطفهم معنا قائلاين :ما عننا مانديرو ليكم، لعنا كانشفوكم تلتعنباو لكن ما بيننا حيلة. ولعنا مسجونين بملككم غير انتوما لدخل ولعنا برا وكاين بزلف الشكاما في الحبس.

في شهر غشت 74 كان من المفروض ان يغادر ثلاثة رفاق ادينوا في قضية للصغيرات السجن، لانهم قضوا عقوبة 3 سنوات المحكوم عليهم بها. هؤلاء الرفاق هم: شيبيرق لريس، بوتو موحا وعبد الرحيم صدقي. وكان من المفروض اولا الا يوجدوا هنا، لان المنتظر كان هو الحكم عليهم بسنتين مثل اغلبية سادة الكوماندوهات. والحال ان هذه السنة الاضالية جاءت نتيجة لبعض التصريحات المضطربة وغير ذات لبعده. فالاول صرح بان الجينرال الصغيري اصيب في رجله وكان يتالم بتاميا، والثاني صرح انه قدم التحية العسكرية للجينرال امهارش مصطفى المدير السابق للاكاديمية العسكرية (نقد فيه الاعدام بالرصاص يوم الثلاثاء 13/7/71)، اما السجن الثالث فقد حكي بمحض ايرلنده ويكل صدق انه كان الضابط صاحب الراننات الامريكية (GUYETRE) الذي بخل القصر من الباب الغربي، والحال ان لا احد رآه او نكر اسمه. ومازالت

انكر التعجيبات الساخرة لرئيس المحكمة الذي رد عليهم في المحاكمة بالقول: «أه، لقيت الولاة باش الشوف الناس مجروحين وما ساعد نهموش» ثم توجه إلى بوتو مبتسما: «أه صاحبنا سلم على المدعويين، محال ايلا فداروا»، ثم ختم حديثه متوجها إلى صفتي بالحديث: «كنت باغي تبيان حتى يشوفك الرئيس بعالك ويشوفوا انش كتشير كنت باغي مكافأة اكثر من اصحابك»

لعل العبرة من هذه الحكاية أن كلمة واحدة زائدة عن اللزوم يمكن أن تؤدي بصاحبها إلى التهلكة.

حل تلك اليوم المنتظر على آخر من الجمر، وذلك الإفراج المرتقب خيالا، وهيئات لم يغامر السجناء زنازنتهم وظلوا مسجونين بها، وكان الحراس يواسونهم بالقول الكاذب بأن السبب إداري محض وأنهم ينتظرون الأوامر من الرباط، ولما زابت احتجاجات الزملاء تملقوا الجواب التالي: «صبروا شوية، غادي تخرجوا قريب... وعلى كل حال هيانا لكم غرفة للضيوف في الخارج حتى ترتاحوا وتخرجوا، منذ وصولنا والسجناء يعنون ما خلا من الأيام ومابقى منها، وكم قضاوا من الليالي البيضاء يفكرون في أيامهم القادمة ومشاريعهم وحياتهم بعد السجن، كانوا ينتظرون يوم خروجهم للهروب من هذا الجحيم حيث الموت بالمرصاد، عشية يوم الخروج المفترض ودعوا اصطفاهم حزنوا لفرارنا وتركنا وراءهم فرحوا بالمقابل لمعانقة الأهل والأحباب، وعدونا بأنهم سيدعموننا ويدعمون قضيتنا ببذل كل الجهود لكشف الحجاب عن نازماتنا، والحال انه إذا كنا بلباء فإن المخزن علي غير هذه الحال، لقد فكر في كل شي وتوقع كل شي وقدر الأمور حق قدرها وانتبه إلى نتائج الإفراج عن الرفاق الثلاثة، لقد كان هؤلاء الرفاق ياملون في عفو عام حتى يكمل فرجنا، والسموا لنا بأنهم سيزورون العائلات ويخبروها بمسبنا والاتصال بكل المنظمات الإنسانية ويحكون لها كيف يقتل الناس في نازماتنا ووعودنا أيضا باطلاع الرأي العام على الطرق السائبة وعذباتها.

لكن المخزن ثنبا بهذا، وكما يقول المثل، «اللي فراس الجمل فراس الجمالة»، وهكذا تبخرت الوعود وخبت شعلة الأمل مع طول الانتظار، انتظروا ونحن معهم أسبوعا، ثم شهرا بلا جدوى أو نتيجة، وكان علينا أن ننتظر سنوات أخرى إلى أن جاءت اللحظة التي انقطع فيها

إن تعذيب سجين أمر فطري وللإنساني، لكن الحبس النفساني والفسري والتعذيب الساسي لسجين لم يعد معتقلا بقوة القانون شيء اكبر فظاعة وعمل لا يمكن للعقل السليم ان يتصوره. تعالبت الأيام واستسلم الرفاق الثلاثة لمنطق الأشياء وتعبوا على حياتهم الجديدة، أي حياة «إنسان حر في السجن». شخصيا كنت ملتفتا بانهم يتخفون قلقهم واحزانهم في سويداء القلب محتفظين بكبرياتهم (...) في نفس الصيف كان المعتقل «كينات محمد» (سرجان بالطيران ينحدر من سيدي سليمان) ثالثا في زنازنته - الأفران- فنسلل نعبان كان يتعقب فارا الي زنازنته. وبيات لعية، الغميضة، التي فائتتهما مرارا الي البلاطة. استيفظ كينات لكنه لم يول للخطر المحقق به انسى اهتمام عازيا الحركة المحذنة الي تواجد فارين كما اعتاد علي ذلك. استسلم للنوم من جديد في الوقت ذاته بلع النعبان طريقته فنسلل الي جنب النائم ونام بدوره الي ان طلع الصباح. لما فتح الباب كالمعتاد حمل كينات صحنه وإبريق الماء وتقدم نحو الحارس لينال حصنه اليومية. في تلك الاثناء زحف النعبان باحدا عن مخرج بون ان يلسع كينات. ساء الهرج والمرج ونقل الحراس النعبان النخيل صائحين، إنها الغي سامة، واجابهم السرجان ساء حمو الخميساتي، بطبيعة الحال إنها سامة الا ترون ان رسها سلت.. لم يصدق كينات عينيه وتساءل كيف انها لم تلسعه رغم انها مضت الليل بجواره. رد عليه حمو بحكمة: «ان تعضك لانها جاءت بحنا عن طريقه. ولما امسكت بها انتهت مهمتها. ومايحت لتشكل خطرا عليها، فإن الزواحف لاتهدد حياتك لان الحيوانات الزواحف لها مياستها، مثل الاسد. وبعد ان اطرق مليا واصل حديثه متلفسا: «إن بني ادم هو الوحيد الذي ينسى مياسته وصدقوني إن الانسان اخطر من الحيوانات والزواحف. في الاسبوع الماضي امسكنا بنعبان في الساحة وامسك به جندي شجاع شد على عنقه بقوة ثم فتح فاه وبسق فيه عدة مرات وطلب منا الانتداء به وهو ما قمنا به.

بعد بضع دقائق القى الحارس النعبان ارضا وقد فارق الحياء. اندمغنا فطلبت جوابا عن الحارس، فاجابنا بقوله إنه «لايوجد اي لغز فيما رايتم، لأن ريق الإنسان اكثر سما من سم الأفعى» إن ريلنا هو الذي قتل.

شخصيا لا اصفق مثل هذا الكلام، لكنني استوعبت مغزاه

وصاحبنا كينيات الذي كان يشكو كثيرا من الام في معدته. سقط مريضا ولزم بلاطه (عوض فراشه) مجبرا بفعل الانهك. قل غذائه الى ان توقف تماما بعد ان فقد الشهية. تلا ذلك نزيف حاد رهيبه فيصق الدم من فمه وخرج من مؤخرته ايضا. اراه للحراس ليخبروا الخبر غير ان هذا الاخير رفض اعطاه اي نواء او تمتيعه بالملاج. طلب من الحراس ان يساعوه فجاههوه بالامبالا. توسل اليهم. فصموا اذانهم. مرت الايام وزالت الام حدة ونزف الدم ولا نواء او حتى اعشاب لتهدئة الامه او كلام جميل يجبر خاطر ويواسي الروح. وكل صباح كان الحراس يدخل الى الزنزانة ويبيد مصباح كهربائي ليؤكد ان كان لا يزال علي قيد الحياة. جر كينيات الامه مدة اربعة اشهر بلا انفي مساعدة. ويوما عن يوم كان يفرق في بركة الموت الاسنة بين بلا صراخ او بكاء.

لانتك انه كان ينادي على ابيه او امه عندما يشد هنياته او ينادي على زوجته. وظلت ندائاته بلا جواب الى ان انطلقت روحه يوم فاتح بجنير / 1971 في جو ثلجي بارد.

كان رفيقا كلوما بالسليقة فمات في صمت.

بعد الشاكذ من سوته. لفة الحراس في عطائه القدر المبلغ بالدم والفضلات ورموه في حفرة كما فعلوا مع سابقه شمسي. بعد انتهاء مهامهم لجأوا الى غرفهم. في منتصف النهار عاموا لتوزيع الطعام وهم فرحين رائلي المزاج. يستخرون من بعض اصقائلهم الذين خسروا في لعبة الكارطة. ويطالبونهم ببيع لمن الموناداء المنطق عليه. ويرفض الطرف الخاسر بدعوى ان الرباحين غشوا في اللعب. هذه المشاهد جعلت في بنابة بعمها الحداد ويستكثها سجناء فلدوا صديقهم الى الابد. كانوا يتلاسنون ويستهنزون ببعضهم البعض. في حين كان كينيات قد دفع حياته. ساد جو حزين جدا في الزنآنن وبكينيات ذلك الإنسان الذي تالم كثيرا وبلا جدوى قبل ان يموت موتا بطيئا للإنسانيا ولسيا.

في تازمامارت لم يكن الموت هو ما يرعبنا. بل المعاناة غير المجيدة التي تمرق اعمالنا. ما جدوى المعاناة إذا كان الموت حتميا. لقد قضى كينيات في حين كان امام المسؤولين لوقت الكافي لإنتقائه. مات ولم يبق من علويته (3 سنوات) سوى 9 اشهر وترك والديه ينتظران بشغف الإخراج عنه. واصبحت زوجته أرملة نون علمها بعد ان اعيها الانتظار. وقد سنحت لي الفرصة للقاء بها سنة 1991 ووجدت انها لم تزوج بعده وظلت تنتظر عونه.

الم يكن ذلك الجندي الذي أمسك بالأفعى، على حق عندما قال إن لعاب
الإنسان أخطر من سم الأفعى؟

كانت سنة 1974 سنة كارثية بكل المعاني على المستويين المعنوي
والمادي معا. وما من شك أن أحداثا كثيرة وقعت ونسيتها، لكنني احتفظ
في ذاكرتي بأيام الضجر الطويلة الشبيهة بقطرات الماء التي كانت
تساقط من سقف زفرائتي الوحيدة تلو الأخرى بعد المطر (...). كنت أتأمل
حياتي وأحاكم نفسي بقسوة، وباركت هذه العزلة التي لولاها لما تأملت
حياتي واستذكرت تفاصيلها. التسمت بانني لن ارتكب بعد الإفراج عني،
أي خطأ مما سبق وأن التزمت، ولخيت في أعمالتي إيمانا أعمى بأن
أحبي حياتي القائمة في طهارة تامة. لقد كان من المبرح فعلا أن يدخل
الإنسان السجن، ولا سيما تزاممات، وهو في عز الشباب والقوة، ثم
يموت ببطء وبلاهة بعيدا عن الوجوه الطيبة المحبوبة التي تبارك حبا
بحب. إن موت الإنسان في مكان نظيفه معطر، محاطا بالوجوه الاليفة،
حتى وإن كانت حزينة، هبة من السماء، أو إكسبير ضد الألم والعذابات
ووداع فرح ومرح.

منذ وفاة كينيات غاب المدير ولم يعد إلا ليلة عيد ميلاد المسيح حيث
فام بنفثنيش وجيز ليتأكد بأن تعليماته تنفذ حرفيا قبل السفر إلى
مكتاس بحثا عن اللغة واللهو. وحين القول باللهو فلنك هو ما يحدث
بالضبط لأن هذا العجوز الماخن كان يعاكس العاهرات ويحيي الليالي
الملاح، لأنه كان عمالقا مسكونا بالمذات مثل سفير الشر أو فارس
القيامة، بنظرانه الشيطانية السادية وهياة الضواري الجائعة. حتى
الحراس كانوا يكرهونه. كان أميا رغم أنه قضى مدة طويلة في الجيش
الفرنسي، وقد أحالته القوات المسلحة الملكية على التقاعد منذ البداية
فيما يشبه التبرؤ منه، ولعل الشيء الوحيد الذي ورثه عن إقامته في
معسكرات النازية وأبلى فيه بلاء حسنا هو التعتيب.

وحدث مرارا أن تخاصم الحراس أماننا بسبب أمور تافهة، مما كان
يسمح لنا بالإطلاع على بعض أسرار المعتقل. ذات يوم سب أحد الحراس
الجانين والصارمين زميلا له ونعته بـ «و.. المدير» المحتمت الفرصة
فسالت المعني بالامر لماذا تسمو بذلك الكلام النابي في حق الآخر،
فاجابني بحمية وترفة: «نعم، السرجان (ع) وسيط المدير، نكل على علم
بهذا». ويتوسط له في كل شيء حتى في.. وهما يعاقران الخمر سوية.
كما أنه، يبركك له، أجبته على الفور: «هذا امر لا يصنق، رجل عجوز

يقوم بأشياء من هذا القبيل بدون احترام لعمره أو بخلته.
رد علي محنتي: هذا هو الشيطان بعينه، فهو لا يهتم لدين أو ملة بل
يجعل حتى مكان القبلة لا يحترم احدا حتى المزوجات.
في فصل الشتاء كانت البناتتان في تازسمازت تفرق في المياه
الطوالنية المتهاطلة من السلف المشتق او من ثلب التهوية او في
الفيضانات الناجمة عن سيول روالد نوادي زين، التي تسد الواسير
ليفيض الماء الحار في زنازنا، عندها نضطر الى الحلاق الثلب بالشيون
ونضع ارجلنا فوقه طوال ساعات لوقف المياه القذرة ورواحها النتنه.
لم تعرف سنة 1975 اي حالة موت، لكن العديد من المعتقلين مرضوا
بسبب نوعية الاكل. وهكذا اصبنا بامراض المعدة والتهاب الامعاء
فاضطررنا الى نزع لبأ الخبز اللاصق والاكتفاء بقرشته البالية من
الحصة اليومية غير الكافية بعد ذاتها. وقد كان سوء التغذية هو اصل
هزلنا وامراضنا، وتفاقمت حالات الاسهال الحاد والمستمر. والحال ان
كمية الماء كانت نون المطلوب للشرب والنظافة والامتناسل وتنظيف
المرحيض عدة مرات، لساعات احوالنا الصحية ونزلت اجسادنا ولصق
الجلد على العظم. فاصبح منظرنا يثير التلزز وصار الحسن الذي خلقه
الله يفسد بفعل الاعميين، فهل من حلقنا ان نذم ما خلقه الله جميلا؟
لقد كانت سنة 1975 سنة الاستفزاز العمدي من طرف السجنين الذين
كان يتخرمون باية علة ليدمروا معنوياتنا، فتكاثرت العقوبات وزاد
الحرمان من الاكل والشرب وصارت اللعنات والتهديدات والتنكيل
والضرب جزءا لا يتجزأ من البرنامج الجديد للإهانة والحط من كرامتنا.
لقد كان للامساك الجديد بزمام الامر جد صعب وقلس وكانت له اوجم
العواقب على وجودنا في السجن. وبمعنى اخر، فإن سنة 75 كانت
مشكل سقامنا واس ماساتنا وطريقنا الى الموت، وبالرغم من انتفاء اية
حالة وفاة خلالها، فقد كنا منهكين وبلغة تاكتيكية عسكرية كانت سنة
مرحلة الرماية التصهيدية قبل الهجوم الذي تهيؤه الموت، وبما اننا
بصدد الحديث عن العقوبة فقد حرمت انا ايضا من الاكل والماء مدة 24
ساعة لانني جاملت احد الحراس في امر وعواقب رفاق اخرون، وكان
عقابهم اشد لسوة (يومان او ثلاثة ايام). ومن الجديهي ان العقاب الذي
انزله الحراس بنا كان يختلف حسب الحالات، فهم وحدهم القضاء
والجلانين والمنفذون على حسب هواهم نون حتى ان يعوا بانهم ضد
القانون. كانوا يعتقدون ان كل شيء مباح لهم مادام المخرن هو الذي

ياصر. والحال ان المخزن لم ياصر مثلاً بلحيم كوات الزنازن لنعنا من استنشاق الهواء ولم يرخص لهم المخزن أيضا بضرينا وحرماننا من طعامنا. وقد لجأوا بهدف انخضاعنا الى استعمال العنف والإرطاف في ذلك او حسب تعبيرهم المتكرر: «عادي تزيّزوا ليكم لبيس حتى تركعوا فنغنا». وقد كانوا على استعداد للفعل اي شيء لتحقيق ذلك ولو القتل. اي نعب القتل .. ففي نفس السنة خرج عبد السلام حيلي الذي فقد صوابه وفرّ ذات صباح هاربا نحو الساحة في غلظة من الحراس الذين كانوا منهكين في اداء واجبهم. كان المسكين يطمع في رؤية الشمس واستنشاق الهواء. عمت الغوضى ولحق به الحراس في الحين. لعلمهم بمسكون به. بدأ الهارب يبور ويلف ويضحك معتقدا انه يلعب معهم لعبة الغميضة. عندما امسكوا به عرض نراخ احد الحراس فضربه هذا الأخير بالكنيسة ضربات متكررة لعله يهدا. لكن المسكين واصل الضحك وبعد ان شدوا وثاقه هذا واستسلم لهم وعاد الى الزنازن. احد السجنائين الذي كان يكرهنا جميعا غضب وصرخ في وجه العضوض: «غلاش ماقتلبيتر، ما غنك مناشن تخاف حنا اشهنوا نغلاش والغلطة نبالو ماكانشن خصو بخرج من السيئون نبالو .. تان عليك نغلقوا هذا ما يصح ليه هذا لحق». هذا الوحش كان يسمى سعيد وبعضهم كان يسميه مولاي سعيد. مدعيا انه من الأولياءه وباله من وليا كان مستعدا لقتل رجل احمق لغير مسؤول عن العاله وساحدكم عنه في الوقت المناسب لأن هذا القاتل يستحق لوحداه فضلا كاملا.

كان الشتاء في تلك السنة في تسوءة الشناعات السابقة وانضاف إلى لسونه المرض والهلع. استجد بنا الخوف من ان تكون معاناتنا بلا جدوى مثل من ماتوا. وتحولت الاستيهامات

والتهميؤات النهارية الى كوابيس ليلية. وزادت حلقة الوقت بسبب انين المرض في هذه الأيام الشتوية المعتمة والذي زلها رتابة وطولا. وكان يعز علي ويؤلمني ان الفكر في الانين او اسمعه. احيانا كان صبري ينهد فانتلف على لحظة الحرية اكثر من كل اللحظات.

هل علي ان احكي كل ما حدث؟ ووصف بقله هذه الحياة الملعمة بالخراب والاحباطات والطوارئ؟ ما من شك ان اشياء قد غابت عن نهني واخرى ضاعت مني، لكنني ساحكي بكل ثقة واخلاص كل الوقائع التي عشتها. والله شاهد على ما القول. سافعل ذلك بكل إنصاف وموضوعية حتى ولو رميت نفسي في التهلكة. لأن الصمت جين في حق ضميري

أولا وفي حق ثلاثين سجينا ماتوا الذين كانوا اصطفاء ورفاق المحنة والضحايا الكبار للمعاسة. كان من عادة الحراس القنوم مبركرا، قبل فتح البوابة الكبيرة للبناء وتوزيع الطعام. وقد علمنا من خلال نقاشاتهم وتعاليفهم بتنظيم المسيرة الخضراء لتحرير الصحراء من الاستعمار الإسباني. وقد علمنا فيما بعد من خلال أحاديثهم بوقوع «صراع» بين المغرب وبعض العناصر المسماة «بوليزاريو» وتناهى إلى علمنا أيضا أن الصحراء المغربية أصبحت نقطة ساخنة وأن الحرب اتخذت حجما كبيرا على المستوى الناكثيكي. ثرنا ضد السلوك الصيغاني للذافي وضد نكران الجميل من طرف الهواري بومدين حيانا ووطننا. ولهذا السبب اطلقنا عليهما اسمين مشهورين: الأول لقبنا بـ «الولد المزعج» والثاني بـ «ابن اوى».

كان صيف تلك السنة شبيها بصيف السالف من الأعوام بنفس الحشرات ونفس الزواحف ونفس التجاوزات، والجديد أن عدد السجناء الذين طالبوا بالإفراج عنهم لم يقتصر على ثلاثة بل تعداه إلى عشرين رفيقا، منهم كل الذين أمينوا بـ 4 سنوات سجنا في قضية طائرة البوينغ الملكية سنة 1972 إضافة إلى 1 سجناء محكوم عليهم بـ 4 سنوات في قضية الصخيرات سنة 1971، وهم القبطان بلعبير عبد اللطيف والسوليونتان سعودي عبد الكريم والسوليونتان مجاهد محمد.

قابل الحراس مطالبهم بالامبالاة وأجابهم أحد الحراس بقوله: «بغيتوا تخرجوا» أش نكولوا على اللي كملوا الحبس بيالهم العام الغابت» سفر لم اضال» انتظروا بعد أن يخرجوا هما .. ثم يحي بوركهم. تعالت الاحتجاجات فتمخّل أحد الحراس بثرو وحكمة ووضع حدا للضجيج: «انصتوا جيدا وتولفوا عن هذا الصراع، فنلك ان يجسدكم في شيء، وانسوا الأحكام الصارئة عن المحكمة، هنا تكلم محكوم عليكم بعقوبة غير محددة، فإما ستفادون السجن جميعا وإما ستقعون فيه جميعا».

بعد الاحتجاج الجماعي غير الحراس من سلوكهم ورفضوا المحابطة وصموا آذانهم عن المطالب والثناء توزيع الطعام كانوا يخبثون وراء الابواب الموارية، وما إن يتناول السجن حصنه حتى يظفونها بعنف كعلامة على الغضب. ويبدو أن سفير السجن قرههت بشدة بسبب العريضة والالفة معنا، ما كلفوهننن بنش ما يظفوا والوا، ما كخبرونيش بالمطالب بيالهم وما بانغيش نسع شي هضرة على المرض.

يموتوا إلا نفاوا يثوثوا، اجيبو خبروني غير بالوفاء، فسط
ماترخصوهغش، هذا ما قاله المنير حرفيا وهو ما سمعناه من قم
الحراس فيما بعد عندما ارادوا تليل سلوكياتهم ولا مبالاتهم.

تعاليت الأيام وتوالت بطيئة ممتة، كما لو ان لاشيء يحدث في هذا
المكان الذي يشهد احدانا ستطلب فيما بعد العالم كله رأسا على عقب.

وكانت البناية الثانية تعيش الفوضى المطلقة، كل يتصرف حسب
هواه بدعوى ان كل واحد حر في زمرانته فانقسم السجناء الى
مجموعات صغيرة حسب الطباع والأمزجة وعلاقات الود، واختطت كل
مجموعة لنفسها برنامجا وجمولا زمنيا خاصين، كان البعض يسهر
الليل ويقضيه في تجانب اطراف الحديث او الغناء او حفظ القرآن
الكريم، ثم ينام طوال النهار، والبعض الآخر ينشط في النهار مزعجا
النائمين الذين يفتظوهم في الليل وهكذا بواليت.

على عكس البناية رقم 1 التي كان نزلاؤها يحترمون البرمجة المتفق
عليها، كانت البناية رقم 2 تعيش الفوضى العارمة. ولعل بعض الحكماء
منهم كانوا على حق عندما شبهوا البناية بسفينة في الخضم يكفي القل
حركة ليضيع الجميع. والمسؤولية في تلك تعود الى الجميع. في مثل
هذه الظروف يكون التنظيم جوهريا وضروريا مسئلة في تلك مسئل
التضامن من اجل قهر الحواجز والعراقيل، غير ان الاتانيين لم ينصتوا
لصوت العقل الصائر عن رفاههم العفلاء، وسرعان ما نشبت المواجهات
وعم التنايز والسياب، فتائر السجناء للاجواء الكئيبة وتحولت البناية
الى جحيم ارضي.

ذات يوم خاطبني حارس يدعى «لويس العربي» وهو يصب لي الماء:
«ها الراحة والهدوء وانتم جد متلطين، والعكس هو الصحيح في
البناية 2 حيث يسود الهرج والمرج ليل نهار، ويسمع صوت رفاالكم من
البعيد وهم يتخاصمون ويصرخون في وجه بعضهم البعض. إن رفاالكم
مجانين فكيف لهم الشجار، صلتني إنهم يدمرون انفسهم بايديهم وما
من شك إنهم يذنون مثل شمعة وسينتمون في اخر المطاف». وقد صلت
نوعته إذ ندم البعض بعد ان اصبح الندم لاينفع واخذ بعضهم اسلمهم
معهم الى الابد. وللأسف لم يتم البعض منهم واعتقلوا انهم كانوا على
صواب بالدفاع عن انفسهم. لقد اعمتهم الاتانية فدعوا الى الفردانية
واختاروا التدمير الوحيد. ومن حسن الحظ انه كان من بينهم رفاق
رصينون، حصيفون ومطمعون بالود والإنسانية يملكون من الشجاعة

وبعد النظر ما جعل أعمالهم الفروسية والعالمهم النبيلة تحسم الأمر في اللحظات المساوية وتقديم المساعدة رغم لثة ذات اليد وتلصص الحيلة. فتانوا ينزعون لمصانهم وسراويلهم ويلبسونها لرفاقهم المرضى لتدفئة عظامهم الواهنة، وكثير منهم أروا المرضى على أنفسهم فسلموهم العطاء الخاص بهم في عز الشتاء القارس. آخرون منعوا أنفسهم من الطعام وأرسلوه إلى المهتكين جسديا المحتاجين إلى الوحدات الحرارية. ومنهم من فعل ذلك لمدة شهور طويلة للعائدة المصابين بالهزال الحاد إلى درجة لم يستطيعوا المشي على الأقدام.

كان هؤلاء الخيرون يعملون لصالح الجميع، لكن بعض الخراف الضالة كانت تفكر في نفسها فقط ساقول بكل بساطة «من يزرع الرياح يحصد العاصفة» إذ إن العديد من هؤلاء، الفردانيين ماتوا.

كل صناعات المعتقل قارسة إلى درجة أن الصنابير في الخارج تجمد ماؤها وكثيرا ما حرمتنا من الماء إلى حدود منتصف النهار، وكثيرا ما اضطرت الحراس إلى تسخين الصنابير عندما تحجب الشمس. وحدث أيضا أن تعطل المحرك الكهربائي لعدة أسابيع فلجاننا إلى شرب مياه الوبيان المحملة في الحاويات. وكان الحراس يلبسون انتباهنا إلى الطحالب وما سابها، شخصيا غالبا ما كنت أحجم عن الشرب في مثل هذه الظروف لإيام مسترسطة. وقد أصيب العديد من رفاقنا بالإسهال أو العمى مما زاد من ضعفها.

في الهناج رقم 1، قمنا بإعداد استعمال للزمن تدولنا فيه لمدة طويلة ولقبناء من جميع الجوانب حتى يحظى برضى الجميع، وذلك حتى لايتأثر احدهنا بما يفعله الآخر. كان كل منا حرا في عمل ما يحلو له، لكن بشرط أن لايزعج الآخرين، وكان شعارنا هو: «نهاية حريتك عند بداية حرية الآخرين»، وقد ساعدنا هذا التنظيم على تفادي خصومات لا ضرورة لها.

كان يومنا يبدأ منذ اللحظات الأولى لصياح الديك وإذا ن صلاة الفجر. بعدها يقوم واحد منا، حسب الترتيب المتفق عليه، بتلاوة آيات من القرآن الكريم، ويختم ذلك بالتعنيات للجميع بقضاء يوم جيد.

وبعد توزيع الحصص اليومية من الماء والقهوة السوداء التي كانت تقريبا بلا سكر، كنا نبدا في تعلم دروس القرآن الكريم شفويا. وبعد ذلك حصص تعلم اللغات الحية، نون نسيان فترة الاستراحة، وحدث بسمح لمن يريد ذلك لتبادل الحديث مع جاره، كانت فترة الاستراحة

هذه ضرورة لنا، خصوصا بالنسبة لمن كان يحاول . كما كنت ١٦٢ الملل .
تفادي الإرهاق، كنت اتابع بروس القران الكريم فقط ذلك اني لم اكن
ارى فائدة من تعلم اللغات الحية ما دمت محكوما بالمؤبد، كنت القول
ببني وبين نفسي، من المؤكد اننا سنتحدث في العالم الآخر لغة مجهولة
لكنى ساندب بعدها على هذا الخطا الذي ارتكبته.

بعد وجبة الغداء المتواضعة ، كنا نليل لبعض الوقت، وقد كان ذلك
ضروريا بل ومفلسا نظرا لتدهور صحتنا وخوفا على لوانا العقلية.
وقد كانت ساعتين تكفي لراحة اعصابنا المتوترة. بعدها كان كل
واحد، حسب الترتيب يلقى علينا ما تخلصه ذاكرته من الالم، روايات،
قصة معينة او مغامرات شخصية، كما كانت النكت مسبوحة لإضفاء
جو من البهجة والتطرب ليعا بيننا.

بعد العشاء الذي كان عبارة عن جبانية، من العجائن او الشعيرية،
وقد استمر الحال على هذا المنوال طيلة سنوات الاعتقال. بعدها يسمح
بتبادل الحديث الى حدود الساعة العاشرة ليلا، ثم يخيم الصمت على
الاجواء الى الفجر.

ما كان رائعا هو جو التفاهم السائد واحترام الآخر. لقد التزم كل
واحد منا بهذا البرنامج ، خصوصا ان البعض لم يكن يستطيع التليولة
او النوم الهادي، حيث كانت الكوابيس تطارد العبيدين ، لكن رغم ذلك
لم يجرؤ احد على الإخلال بهذا الالتزام وذلك لمنح الآخرين فرصة للخلود
الى النوم.

كنت من بين هؤلاء وانا فخور بذلك.

كان من المرعب قضاء الليل ساهدا، وسط الظلمة، وانين المرضى
وصراخ النائمين الذين يلحون فريسة الكوابيس والذين يظنون طوال
الوقت يطلبون النجدة من الوالدين، الأزواج او الإبناء وكان مرعبا
سماع انين هذه الأزواج البرينة.

في نهاية هذه السنة ازديت شكاوي المعتقلين وبالخصوص
المرضى منهم الذين طالبوا بحلهم في العلاج، كما نالت الاحتجاجات
ضد الحالة المتردية للمراحيض ، وعدم كفاية الماء.

اصبح الجناح متعفنا ومتسخا ، بما في ذلك الابواب الحديدية التي
اضحت صلبة بفعل الرطوبة، واصبحت الامطار تتسرب الى الفرنازن
من بين الشقوق لم يكن هناك شيء اسمه الوفاية، فلم تكن نتولفر على
الصابون وكان الماء ليليا فاصبحت رائحتنا ننتة بفعل الاوساخ، وكان

الحراس يستنون انوفهم بواسطة النعناع او الفطن حتى لا يضطرون الى شم رائحتنا الحيوانية. وكان البعض الآخر يتعطرون قبل المجيء لان رائحتنا كانت نصيبهم بالغثيان. كنا بالنسبة اليهم كالمصابين بالجذام او اسوا من ذلك. وكانوا يخشون العدوى لان بعض رفاقنا يسعلون كثيرا ويبصقون الدم.

سيظل سنوات اخرى متمتعا بنظام خاص، وكل مرتبط بالظروف السياسية، بالخطوط بالضغوطات، وخصوصا بالتنسوية مع الخزن. كل رقيق كان يعطي وجهة نظره، باختصار، وكل واحد كان يفكر بطريقة الخاصة انطلاقا من مزاجه. بالنسبة للمثاليين لم تكن المسافة سوى مسألة وقت، فكل شيء كان مهيا ومعدا للإطلاق سراخا قريبا. ولكن سيتم ذلك عبر مراحل لتجنب ضوضاء وتعليق الصحاحلة في الاول. سيتم الإفراج عن الطويل، ثم كل الذين اتعوا مدة العقوبة، بعدهم كل الآخرين. اما بالنسبة للمتشككين او الحائرين الذين اسميهم الواقعيين، فإنهم يفكرون بطريقة مختلفة لانهم كانوا يرون الحلقة التي تلتها العيون.

كان علينا ان نكون الحبياء حتى لانفهم، او نطقن الى المكيدة التي تتوارى خلف الضية الطويل. هذا الأخير كان له اتفاق سري سنني ٧٠ و ٧٠. نقلته السيدة حشاد الى زوجته يطلب منها فيه ان تعود الى بلدها الاصلي (الولايات المتحدة الامريكية) لتدافع عن قضيتيه. وهذا ما فعلته سنة بعد ذلك. في بلدها الاصلي، حكمت الزوجة ماساة زوجها في معتقل نازمامارت، وتحدثت عن تفاصيل حالته الصحية المزرية، وعن الشروط اللاإنسانية التي عاشها طوال سنوات كابوسية، وخصوصا عن الخطر الذي يترهبس به هناك. وقد اتصلت باعضاء مجلس الشيوخ والمسؤولين في مصلحة (٧٠٧)، ووصلت التقارير الى المهتمين في الدبلوماسية الخارجية الامريكية الذين اتصلوا بالمسؤولين المغاربة. وهكذا، بدأت المفاوضات والمصالح والتوافقات بين مسؤولي البلدين. وكان الطويل يعتمد كثيرا على الجمهوريين. وقد توصلوا أخيرا الى حل ملائم، الى اتفاق في مصلحة الطرفين، سواء المغاربة او الامريكيتين. إن كان من اللازم تقديم الاعتذار الى السيدة الطويل بدون إحراج المسؤولين.

غير انني لا ارحب في ان اسئق الأشياء او اشوش الفكري ساواصل الحكي في اليوم الموالي. غير الحراس من معاملتهم للطويل حيث اصبحوا مؤدبين ومهذبين معه. وقد استندعاه المدير ليلسلمه الابوية

والمنشطات التي وصفها الأطباء وقد أخبره انه سيتسلم النظارات في القرب وقت ممكن حال توفرها. اما في اليوم الذي يليه فقد طلب منه الحراس نقل المعينة وحوائجها لانه سيقضي النهار في الساحة من النائمة صباحا الى الخامسة مساء. وهكذا أصبح يتناول وجبات الاكل في الخارج، وتحولت الساحة الى اميراطورية له، يأخذ فيها حمامه الشمسي ويشه ويفعل فيها ملبسه.

وكان ينجول طوال اليوم رفقة الكلبونوك في انتظار المسجيدات التي لن يطول انتظارها. كان الأمر يتعلق بنهض السجين جسديا ونفسيا للقاء مرتقب ومهم. وهكذا أصبح يتبع النظام الغذائي التالي: في الفطور: الحليب، الزبدة، المربي، الجبن، في الغداء: اللحم او الدجاج، الخضار، سلطات متنوعة، فواكه الموسم وبرد شاي منعنع. في العشاء: بيضة وشاي. اما بالنسبة للخبر، فكان يقال ضعف الحصة.

وبالنسبة للنوم، فقد سلمت له «بونجة» كيس نوم محشو، لحافان / اغطية جديدة، ومخدعة، فوطتان، خضرة، النظافة، غلبة تيد، صابونتان في الشهر.

وكان الالم هو المراسلة مع زوجته وابنه امين المزداد سنة 1972. لقد كان يتوصل بالبريد بانتظام، وكذلك بطرود الابوية والمنشطات والملابس والمعلبات واللحم المجفف والكتب والمجلات والصور. وبطبيعة الحال، توصل بالنظارات.

بمعنى آخر، لم يعد حبيسا، لانه كان يقضي النهار كله تحت الشمس ولا يعود إلى زنزانته إلا ليلا للنوم.

وبكل صدق، لا احد منا كان يؤاخذ الطويل على هذا، لأن وضعيته شظت انتصارا انتزع من ايدي جلايينا. إنه رفيقنا الذي عانى مثلنا جميعا.

كان نصرا ومبعث ارتياح ان نرى معتقلا يفلت من كمشاة المعتقل التي كانت تطبق على انفسنا من يوم إلى آخر.

كانت الكراهية متبادلة بيننا وبين الجلايين، لهذا شكل انفلات احدها من قبضتهم عزاء لنا.

في حين كنا نؤاخذ المسؤولين الذين كانوا يقابضون ارواحا بشرية لمصالح النصابية وسياسية. وكيفما كانت اهميتهم سيظلون ناهين امام حياة رجل، والطويل كمفربي مثلنا المحكوم عليه بعقوبة ثقيلة

آخر من ثلاثة ارباعنا، حصل على كل هذه الامتيازات وحده. لماذا هذا التمييز عنا وهذه المحسوبة الرسمية» لأنه كان زوج مواطنة امريكية. كان يتعين بكل بساطة الإفراج عنه. سيكون ذلك منطقيًا او وضعه وحده في مكان آخر، سيكون ذلك عاديا. وبتركه معنا يستفيد من كل الحقوق التي كنا محرومين منها، فذلك يدل على درجة المساوية لدى الرؤساء المسؤولين عن المعتقل. وهذا الفرار الحلوود والشيطاني ليس فقط عمارا وإهانة، ولكن اساسا مسا بكرامة المرأة المغربية: منح زوج الامريكية ما هو ممنوع على ازواج المغربيات، ولو اننا كنا متزوجين من امريكيات لما كان هناك ابدا معتقل نازمامارت. لم يكن مستساعا ابدا ان ياكل محمد الرئيس رقم 14 عجائن مسلوقة، يشرب قهوة بدون سكر، وله الحق في قطعة صغيرة من لحم بارقة طاعنة في السن كل شهرين (14 يوما)، بينما الطويل رقم 15 ياكل وجبة المطعم لدى ماكسيم، ويشرب الحليب. ويحصل كل يوم على حصة محترمة من اللحم او نصف بجااجة. لم يكن مستساعا ان يتلقى الطويل العلاج ويتناول عقوبات، ويأخذ كل يوم حمام شعس، ويوشا، بينما الضالو رقم 1 المشلول القائم دائما على جانبه اليسر، تفوح منه رائحة كريهة ويتالم من شدة المعاناة. محروم من العلاج والتنظفة، وكان ايضا من غير المستساع وغير المقبول ان ترى الطويل الملازم المحكوم بعشرين سنة سجنا يستفيد من نظام إقامة شبيه بإقامة الضالوق، ويتراسل شهريا مع زوجته ويقضي عقوبته بهدوء وراحة مثل منفي، او ربما مثل نابوليون في جزيرة الألب، بينما الرقياء الذين نكفوا أو امرد بدون وعي يوم الأربعاء 1972/8/16 كانوا يعانون ويتلقون معاملات لا إنسانية وعقوبات شيطانية من هؤلاء الذين يمنحون الطويل عطفهم ورحمتهم ويفعلون عليه بالامتيازات.

بصراحة، لم تكن نستحق هذه الإهانة التي كانت تجرح كبريائنا. وهذا العمل المليء بالاحتمار، والحق كان يحبط معنوياتنا، بطبيعة الحال، اتحدث عن الاقلية من رفاقي اما المتفائلون الذين كانوا يتفخون بالامل ويسبحون في الأوهام. الأوهام الضالعة مسبقا فكانوا يعتقدون دائما بالفرج (بابانويل) بإمكانهم دائما ان ينتظروا، لأن الإنتظار سيكون طويلا سيجعلهم يملون. الطويل نفسه كان يعرف ان لا علاقة له بنا نحن المنسيين. وبعد اسبوعين بدأت التحضيرات لاستقبال اللجنة التي سنزور المعتقل. الطويل بنكأله وحزره وإحساسه كان يزعم بان هذه اللجنة - لها فائدة بالنسبة لنا جميعا حتى ينجح في تهئية نفوس

هذه اللجنة وهو ما لم يكن صحيحا بالمرّة. كان كذبة ابتدعها المعنى.
ووصلت اللجنة متأخرة بيوم واحد. كل العاملين فوجئوا بمن فيهم
العمير نفسه الذي كان يعتقد بأن تاريخ الزيارة قد تأجل.
كانت اللجنة تتكون من الكولونيلات: الزرهوني، إيبورك ميلود،
والكولونيل فضول والقائد بنونة عبد العزيز. كلهم ضباط سامون في
الدرك جاؤوا من الرباط على متن طائرة هليكوبتر حطت كالصاعقة في
تازمامارت. الجميع أصابه الذهول. كنا جميعا، بمن فيهم الحراس
نتوقع مفاجات لأن المخزن وصل على حين غرة دون سابق إخبار. وبعد
جولة تفتيش في المعتقل (باستثناء البينايتين اللتين كنا فيهما لأنهما
منوعتين على الزوار)، ولقاء مع المدراء تناولوا وجبتهم في القصف
(الميس). ومنذ تلك الصباح كان الطويل يعيش على جمار حارقة ينتظر
مصيره على أحر من الجمر. كان يكره المفاجات من هذا النوع وبالأخص
لم يكن يحب الأسئلة المبرجة. كان يتوقع أن تقوم هذه اللجنة بتحقيق
وتسأله كيف تمكنت زوجته من معرفة الظروف الرهيبة للمعتقل ووجود
الطويل في هذا المكان السري. وبعد أن أخذ حماما وارتدى ملابس على
المقاس وحلق وجهه. كان في الساحة يتمشى وهو يصفي جيدا لكل
حركة أو صوت. وكلما حصل على خبر كان يسر به لنا عبر شق الباب
الكبير.

الجنون والنزيف لأهل الكهف

لم نلق احتجاجاتنا ومطالبنا صدى لدى المعير القاسي، وإن اجبر على تغيير ملابسنا المتسخة واسماننا ووزع علينا ملابس مرتلة. بدأت سنة 1970م بوقوع مأساة وفاة. ففي السادس والعشرين من يناير من نفس السنة توفي السرجان الطيار الرئيس بأخبار من بني صانق المحكوم عليه 10 سنوات سجنا في قضية البوينغ الملكية (1975). وكان سبب الوفاة وقوع نزيف حاد. فغن الرئيس بأخبار كما فغن الذين سملوه بلا اغتيال او قتل او صلافة.

طال الانتظار ونخرنا الروتين رويدا رويدا، شخصيا حاولت ان التزم نفس النظام اليومي، فكل ما يقوم به اليوم اكرره لحدا مجاريا الحياة اليومية في انتظار اول لحظة للتصرف. لم اياس او استسلم وإن حدث لي ان انضب من نفسي واحنق على ذاتي فانور عليها. هل كنت انتظر الهروب طبعاً لا! لأن الفرار من تازمامارت مستحيل نظرا للعزلة العسوى، وكان لابد من تدخل اجنبي او تواطؤ الحراس للنجاح في ذلك. إن الفرار ممكن من الكاتراز، وليس من تازمامارت.

والفرصة التي كنت انتظر هي رشوة احد الحراس حتى يتسنى لي التواصل مع العالم الخارجي. وكانت المهمة جد صعبة وتتطلب وقتا طويلا. واول ما تنطلبه هو سبب الغوار نفس الحراس والحالة السيكلوجية للمبعوث ووجهة نظره في الوضعة المالية ولاسيما وضعه المادي. لان الحارس اللذين يعمل فريسة سهلة وكل ما يلزم هو استخدامه. كان هذا هو هبلي وكنت امل الوصول اليه.

انسابت السنة في نفس الشروط التي انصرفت فيها السنوات الخالية، ولم يعرف النظام السجني اي تغيير، فاستفحل فينا الداء واهبت صحتنا وشحب لونا حتى عاد في مثل لون الجثث وشخصت اعيننا وقد عكست الخوف والهلع.

وطالت شعورنا ولحانا وشوانبنا واتسخت لغياب الحلاق في هذا المعتقل. لقد مر علينا حين من الدهر كنا نشبه فيه اهل الكهف او انسان المغارات. لقد كانت تازمامارت قطعة مصغرة من ماقبل التاريخ في جناح من معرض كبير يدعى العالم المتحضر للقرن العشرين. لم يكن المعتقل مجرد مكان لتعذيب وقتل الانسان، بل كان ايضا موقعا لنشوية جسم الانسان حيث يحول الشبان الي شيوخ بعد تجميد جلودهم وتبييض شعورهم. وعلى كل، لم يفكر اي سجين هذا المكان منتصب القامة، فيما خاربه فوق نعض او على اربعة:

في الوقت الذي كان فيه العالم يحتفل براس السنة (١٩٦٦) وسط اجواء الفرحة والتسلية والانتشاء، كنا نحن متكئين على انفسنا فوق بلاطات الاسمنت ملطخين في الغطاءات اللقوية بعضنا بين والاخر شارد النهن واخرون ييكون في صمت بلا نوع.

خلال هذه السنوات الثلاث زارتنا عدة وفود في إطار المراقبة السنوية للوحدات، لكن المدير رفض رفضا قاطعا السماح لاي وفد المعتقل. فلا احد كان بإمكانه رؤية السجناء وقد صدرت اوامر صارمة في هذا الاطار. بمن في ذلك الجنرال ابريس بن عيسى المفتش العام وقتها للقوات المسلحة الملكية لم يكن استثناء.

وقد جازني على لسان بعض الحراس ان المدير ابدى وقاحة كبرى اتجاه رؤساء الوفود، إذ خاطبهم امام الحراس: «ليس لي ان اتكلى الاوامر من اي كان. وانا اعمل تحت إمرة شخصيات اهم منكم. وعلى كل فانا اريد امرا مكتوبا ومولعا من طرف السلطات التي عينتني مديرا للسجن. ويمكن ان تسجلوا في تقريركم انني رفضت الإمتثال»

وعادت كل هذه الوفود اتراجها امام تصميم المدير وقد حز في انفسهم ما فعله بهم هذا المدير .. فيما بعد جاءت وفود بترخيص مكتوب لكنه رفض الاستئصال ايضا لانه كان ينتظر امرا بعينه سيأتي فيما بعد، هيهات: كانت سنة 77 من القسي السنوات وقد بدأت بالوت. ففي 11 يناير 77 توفي السرجان بوشنة حدان الطيار المحكوم عليه بـ 1 سنوات سجنا سنة 1977، بسبب التهاب معوي، تقادم داؤه يوما بعد يوم واحتنت الامة وبدا بنى باستمرار، نزلت مؤخرته بما ولم يابه الحراس لذلك. وقال بعضهم يانه لاحول له ولا قوة وكان المنظر فظيحا، فقد هذه التزييف ونال من صحته ايما نعال حتى انه بدأ يرحف من اجل تناول حصته اليومية من الطعام، وفي الاخير اجبر على البقاء معدا بلا اكل إلى ان فاضت روحه. لفة الحراس في عطائه المنسوخ والمبقع بالدم ولفوه مثل الآخرين. في الوقت الذي كانت البناية لا تزال تحت سطوة الحداد، نزلت بها ماساة اخرى، ففي 1 فبراير 77، اي بعد ثلاثة اسابيع فقط على موت العقيد حدان مات السوليوتنان القوري بعد ان مسه الجنون، خلافا للمعتادين الآخرين، لم يكن العقيد مصابا باي مرض رغم هزلة الطعام وفسوة الظروف. والقوري من مواليد سطات اشتغل كمعلم قبل ان يلتحق بالاكاديمية العسكرية بمكناس سنة 1967. تخرج برتبة سوليوتنان بعد سنتين من التكوين ثم نقل إلى الهرمومو في 1969 حيث مكث هناك إلى ان اعتزل في قضية الضميريات وادين بـ 12 سنة سجنا ثم العبر في نازمامارت بعد ترحيل ليلي سري. ظل على هذه الحالة إلى ان فقد صوابه، كان القوري رجلا جديا، متكئما وانطوائيا، كان حاد المزاج لكنه صديق جيد مع ذلك. وكذلك ظل وهو في السجن رغم محاولات زملائه لإخراجه عن صمته لم يغير من سلوكه ولم يقبل محبته، ورغم ان طبعه انعزالي فهو لم يقبل هذه العزلة. كان اتيقا، نظيف اللبس حريصا على اللياقة فاصبح رغما عنه متسخا يرثدي الاسفال عرضة للاهانات والتهديدات وسخرية الحراس الذين اثار حفيظته سلوكياتهم وازعجته تهكماتهم. فلجا إلى التامل والاحلام يقضي فيها اثناء الليل واطراف النهار لعلة يجد في ذلك سهريا او ملجأ. وسط هذه العزلة اجرت به نفسه في مقابلة من الرؤى لم تلقه من استيهاماته. هذا النسخ الذي اعطى النموذج للوجه لما عرف عنه من جدية وانفة واعدام اهل ذات يوم جيرانه عنما بدا يحدث نفسه في الزنزانة لم يابه للنداءات المتواصلة لجيرانه الذين ما انكفوا بضربون على

جدران الزنزانة بلقبضاتهم . لم يرد عليهم والتزم الصمت طوال ذلك اليوم . وفي الغد نادى على رفاقه وقال لهم : «أيها الرفاق الاعزاء قد يبدو ما سأقوله لكم شيئا غير معقول . لكن لا تحسبونني مجنوناً . فعازلت في كامل نواحي العقيلة . صقلوني انا لست مجنوناً . واعني ما أقول بالبراحة . وفجر هذا اليوم زلزلي راهبان بيذالتهما وسبحتهما . أحدهما عجوز بلحية بيضاء والثاني شاب وسيم مثل ملاك يحمل في يديه انجيلاً . بعد النحية دعيتني لاعتناق المسيحية . رفضت قائلاً انا مسلم وسأظل كذلك طوال حياتي . هددني الراهب بالعجز بالموت إذا ما انا اصررت على الرفض . اجبته على الفور بانني افضل ان اموت على دين الاسلام . قيل رحبهما اعطاني اصفهما مهلة للتفكير قائلاً : «سنعود فيما بعد . فكن رصيناً . وأيها الرفاق تذكروا بانها ليست اضغاث احلام بل هما رجلان من لحم ودم رايتهما بام عيني وانا اعني ذلك . فما هو رأيكم» .

كان من المفروض ان يطرح هذا السؤال على طبيب او عالم نفسي . لكن المعتقلين هم الذين كان عليهم ان يجيبوا عنه . فقال البعض بانها مجرد نهيئات عابرة . وقال البعض الآخر بان الزلزلين من «اجنون» على هيئة انسانية واوربوا قصصاً عدة سمعوها عن ابايهم . واضلوا بان (جنون) يريدون الاساءة للقوري وانهم يبحثون عن ثريعة كذلك . ونهب كل واحد في انجاء ونضاربت الافكار والتشاكيل . كان القوري يشكو من الاستبهاطات ويأخذها كوقائع ولم يستطع الرفاق الاتفاق على رأي . واتخذ النقاش بعدا اخر ونسأل بعضنا : هل هو الشيطان يريد ان يضل السجين عن الطريق القويم ؟ ام جنني سكن روحه ؟ وانتهى الامر الى ان ساد الفرع لان البعض اعتقد بالبنابة . مسكونة بالجنون . وان القوري ماهو إلا الضحية الاولى . فعلى من سيأتي الدور ياتري ؟ لقد كان بالبنابة رفاق لقوا عقولهم واخرون في الطريق الى ذلك . وكان الرفاق يعتبرونهم مرضى عقليين . لكن القوري كان يمثل حالة خاصة في نظرهم .

الجن المص والصلابة

لقد القوري عقله . واختلقت ارأؤنا . كان من بيننا من طرحوا افكارا منطوية لكنهم لم يجدوا من يصفى اليهم . اعتقد القوري في الامر اعتقادا راسخا مثل زملائه . ولما اخبر الحراس بالامر وطلب منهم ان ينقلوه الى زنزانة اخرى رفضوا متحليين بالقول «عدي يبقوا وراءك فبن مامشيت وحفي الكاشوات الاخرين كايستكوتهم خيالات الموت نبال اصحابك اللي

مانو. خاصك فيه او سحار يكتلفوهم.

وظل القوري يحكي كل صباح عن ما جرى له في الليل حتى يفاقمه الرفاق ويستخرجون منه العبارة ويسنون له النصيح وما يجب عليه عمله. كان الرفاق ينصتون بإمعان للحكايات الغريبة والمساوية لهذا السجين الذي يتحدث بطريقة عابية مسترسلة لا تفر عن الجنون، ويجب عن الأسئلة ويجيد الإصغاء. كان المسكين ينفذ حرفيا وبلا كل كل ما يطلب منه للتخلص من زواره الغريباء الذين كانوا يلقضون مضجعه.

بعد أيام حكي أشياء أخرى غريبة وقال: «أيها الرفاق الاعزاء سنصابون بالنعول إذا ما حكيتكم لكم ما حدث لي البارحة. لقد زارني شخص عملاق عار كما ولدته امه، اصلع خرج من المرحاض واتجه الي راسا قائلا: «لماذا هربت للراهبين، اجبتة بانني ارفض اعتناق ديانتهن، استنشاط غضبا لم تقدم نحوي وشد بخنالي حتى كاد يفتكني ببنيه الضخمين».

واعاد الكرة مرات عديدة وهو ينفوه بكلام غامض. وفي الاخير ارضى ببضته ورحل بون ابني كلمة. «المسم لكم ان هذا وقع فعلا. اخذ احد السجناء الكلمة وعلق قائلا: لاشك انه الشيطان نفسه وقد جاء شخصيا لمقابلتك. احذره انه ماطر وقد يطلع في ريك عن نيتك وربما في تضطيك وتحويلك الي كافر. ورد اخر معلقا: «ماهو لا بالشيطان ولا بالجن بل هي وساوس ورؤى وغنما يجن الانسان يؤمن بكل شيء. واليك مثلا على ذلك: كان روبيير شومان الموسيقار الكبير، كلما شرع في العزف على البيانو خيل اليه انه يرى رجلا ضخما الجثة اصلع الراس عاريا يقترب منه ليخلفه. كان شومان يترك البيانو ويولي هاربا وهو يصرخ. فما كان يرى لا الشيطان ولا الجنى بل تلك علامات على الجنون الذي سينهب بحياة شومان. وصديقتنا الآن قابل للعلاج ويمكننا اتقانه اذا ما نحن نجحنا في تحويل فكره عن هذا الكابوس المساوي الداعم. علينا ان نجبره على التحدث البناء حيد العبيون هذه الفكرة في حين استسلم آخرون لهذه الافكار الشيطانية تنخر نهنهم، وظلوا على التناغمهم وترديهم لنفس الحكاية. لان لاشيء مستحيل في نازماصات. زانت مخاوف السجين يوما عن يوم وبدا يصرخ ويولول ويريد نفس الكلام: ها الحنش جاء غادي بعضني غادي يهاجمني، وكان يعتقد ان «كوبرا» يخرج من المرحاض ويتوجه نحوه ثم يلتف حول جسده وبالذات حول

عنه ويحاول خنقه، وأنه كان يتردد عليه مرارا ويظل يرأيه لعل ان
يرحل.

نصحه احدهم باستعمال شيء حاد و جرحه حتى يسيل دمه وسيرحل
الى الأبد، وهو ما اعتقد القوري انه فعله بواسطة سلك حديدي حاد
الطرف، لكن احد الفزلاء حذره من فعلته و من مهاجمة الجنون، وطلب
منه ان يكتبلي بقرائة القران والصلاة، في اليوم الموالي عندما فتح
الحراس الزنزانة كان القوري قد مات، اعتقد بعضنا ان الجن انتقموا منه
فساد الخوف من لعنة الجنون.

شخصيا عزوت موت زميلنا الى نزيف دماغي ناجم عن حادث في
الضرائب، اما الجن فقد كانت له مشاكل اخرى

قام الحراس بالعملية نفسها في بغن السجن الذي جن بفعل
الممارسات القلبيعة لبشر تحول الى وحش، وما كان للقوري ان يموت في
هذه السن وقد كانت له الحقوق نفسها لأي معتقل في المملكة، لهذا
المظلي الرياضي والصلب كان يتوقر على كل الميزات التي تسعفه في
المقاومة وتخطي العقبات ومواجهة الصدمات ولو ان حقوق الانسان لم
تنتهك لما اصيب بالجنون او مات وقل ينفس الهواء والامل معا.

استفحلت الوضعية بعد هذا الحادث المساوي واتخذ الخوف من
الجنون حجما اكبر وأولي جدية لخطر واصبحت قضية الجنون
والعفاريات، فناعة راسخة لا سيما عندما روى الحراس الذين كانوا
يتولون الحراسة ما بين الحادية عشر ليلاً والرابعة صباحاً، انهم راوا
اطباها تدخل وتخرج من البناية رقم ٢٠، واكثت شهادات ضابطي الصف
المسؤولين عن النوبة الليلية التابعين للممرعات القوال الحراس واكدا
انهما شاهدا، امرأة بلباس ابيض وقوائم ناعلة، اي، عيشة قنبيضة،
وصار كل واحد في هذا المعتقل الملغون يرى ويشخبل الأشباح، انفسر
الخبر وتنامى الى سمع المدير مايروج بين السجناء فإبطل زيارته
المسائية للبناية رقم ٢٠، لما عرف عنه من تطير، رفض الدخول خوفاً من
الجنون والعفاريات، لكنه لم يخف من الله، وعلى كل، لماذا يخافه وقد
كان يعقل الشيطان نفسه!

في الرابع والعشرين من ابريل من نفس السنة مات رايح البطيوي
السرجان الشاب المتزوج واب لطفلين المحضرم من وجدة والمدان بـ١٠
سنوات سجنا في قضية الطائرة الملكية (7٢) بعد مرض طويل اجبره
على التزام الفراش، مدة طويلة، كانت معبته ذلله لما سبرحا، وكان

ينخذ كل الاحتياطات للتخفيف منه، وذلك عبر الإقلال من الطعام. كان يسترسل في قراءة القرآن الكريم ويفكر في عائلته بلا انقطاع، لم يهتم لظفيه أو طائفته أو ذاكثرة التي وهنت حتى جن جنونه، وأمام بعثة الجميع، حرابيا وسجنا، وجد جثة هامدة وهو الأمر الذي أصبح عابيا في البناية رقم ٢.

لكن بالطريقة إياها، وبدا التعطيات في اوساط الحراس والسجنا. ونسأل الجميع عن سبب الوفاة. هل مات بسبب نزيف دماغي؟ أم ضربو جن، لنسبة قراءته القرآن الكريم لأن ذلك يزعج قريته؟

وراجت الأخبار بان في كل زفانة جني يلطم السجنا مبيتهم، من الممكن ان البطنيوي قضى بسبب الالتهاب او النزيف . وعليه فإن المعطيات كانت ستختلف . ويعزى الحدث للتسمم الغذائي او خلالة وترناح الأثنية. والحال ان البطنيوي هو الوحيد الذي كان على علم بدائه وقد رحل حاملا معه سره الى ملواه الأخير، وظل اللغز يك مرضه.

وقد استجبت قصة الجن والعفاريت بالانهاض الى درجة ان بعض الحراس خالفوا من اداء واجبهم حتى لايجدوا انفسهم وحيدين امام الزوار الغامضين فتمارضوا او بلغوا المال لزملائهم الشجعان لتعويضهم. وقد حدث بعد ايام على وفاة البطنيوي، ان غامر احد الحراس موقعه وهو يصرخ وعندما وصل الى نقطة حراسة الشرطة صاح! «واياكم . انا شفت بعيني بقلة المقابر تجر من وراها سلسلة كبيرة في رجليها» غضب الرئيس ولم يستطع اخفاء حيرته ايضا.

. واش انت متأكد بانها بقلة؟

. نعم. انا متأكد.

. انتما غادي تحلقوني. انت كاتكول شفت بقلة واحد اخر شاف معزة تحلة بعينين حمريين وهادي واحد الشهر كال واحد اخر انه شاف عيشة فنميشة . حربيده.

عندما كان احدنا يصاب بمرض ما، كنا ننصحه بالراحة والدفء، اضافة الى الاستماع الى ما يدور بيننا من نقاش حتى ينسى لوجاعه. ظل كل شيء على هذا الحال الى حدود الاسبوع الثاني من اكتوبر عندما اصيب رفيقنا الطبيب شجاعى محمد، وبدا يتقيا باستمرار ولم يعد يتناول طعامه. اصابته الحمى واضطر لشرب الماء باستمرار. في العشرين من اكتوبر سامت حالته اكثر ولم يعد يعقدوره ان يتحدث او يتحرك كان قد اخبرنا بان حشرة ما لسعته فتوسلنا للحراس بان ينقلوه

بيضة القراص من نوع «نيفيكين» قبل ان يفلت الاوان. رفضوا طبعاً. لكنهم مع ذلك سمحوا لجاره بزيارته وقد جعل معه ابريقين إضافيين من الماء لتنظيفه وتصيبين سرواله الذي لطحته الفضلات والدم. بعد انتهاء مهمته عاد زميلنا بن رضوان التيجاني الى زنتانته ثم حكى لنا كيف ان المريض كان يتزف بما من انفه ولحمه ومؤخرته واصابته الحمى والقره. خفنا من خلال الاعراض انه مصاب بالحمى الصفراء. رجونا الحراس مرة اخرى بان ياتوه بالقراص «نيفاكين» لرفضوا متعللين بالمنع الساري. خاطبهم احد الرفاق: «عقلوا هاذ الروح وربى بعقلكم. الدين دبال الاسلام بين الرحمة والنضام ولعل الخير. غير شي فنيذات وغادي تشربوا بلاصتكم في الجنة».

كمان من بينهم احد الحراس رق قلبه. وقد علمنا فيما بعد بانه كان يحتفظ بالاقراص في جيبه ولم تسخ له الفرصة لتسليمها للمريض. لانه لاسف لم يكن وحيداً نظراً لوجود رئيس المجموعة بن بريس والسارجان شاف سعيد وظل رفيلنا يتوجع ويئن ويهتف باسم شقيقه الاكبر عبد الله. لانه كان يتيم الاب فرباه شقيقه لهذا اعتاد على اللجوء اليه كلما الت به ملعة.

في الخامس والعشرين من اكتوبر فتح الحراس الباب ونظفوه في الغطاء الى الباحة. سمعناهم يتناشون فيما بينهم مدة غير قصيرة وظلت غفولنا مشدودة الى همسهم. وفي الاخير فتح الباب الكبير ودخل الحراس حاملين معهم المريض واوجوه الزنتانة. طرحوه ارضاً قبل ان يعودوا على اعقابهم. خاطبنا رئيس المجموعة: «لا تخافوا على صاحبكم فقد حلفنا بحفنة ذات فعالية، شكرناه على حسن صنيعه وناثرنا له فانطلق بعضنا في الغناء. قاطعنا عفايوي محمد. الموجود في الزنتانة المقابلة لزنتانته وحكى لنا ما لم نره، وكلم صعب علينا الإنصات اليه: «اسمعوني جيداً، ما شاهدته بدمر فعلا الروح والبدن. لقد وضع الحراس شجاعي ارضاً ولم يطرحوه فوق بلاطته. لقد القوا به بون ابني اعتبار واعنشد بان اي امل عيبث. وانا جد متحلم ومصدق لهذا السلوك اللاإنساني الذي يحط فيه من قيمة الإنسان. لقد سدوه ارضاً ولفروا بعد ان سدوا انوفهم. كما لو انهم يهربون من جيفة».

النا ما سمعناه وبنا الجيران الاغرب الى المريض يصيحون السمع لانى نامة او انين يصدر عنه. يتقلبون شكواه وتشبجه الطويل. كلما نولف عن النحيب غمرتنا الحيرة، وكلمنا صدر عنه ما بشي بالحياة

استمعنا الأمل استولى هذا الخارج على حواسنا واعصابنا: نارة
بغمت بكلام مبهم سارحا في هذيانه وتارة أخرى بصمت فنقطع انفاسنا.
في المساء عاد الحراس ومعهم مصباح كهربائي وبخلوا زئانته ثم
عابروها في صمت. حيرنا سلوكهم خصوصا وقد كلف شجاعي عن الأيمن.
في اليوم التالي، ساعة توزيع الماء والقهوة، بدأت اصرخ فيهم واعاتبهم
وانكرهم بواجبهم الانساني وحقوق الانسان وإغاثة الأخرين وتعالمهم
الإسلام الحنيف. وضع بن تريس أنبوب الماء والقرب من زئانتي ثم علق
بصوت مرتفع ليسمعه الآخرون:

• مالك صدعتينا، ما عنكش علاش نعاود لينا كلامك الزين.

• مات النيميرو ٦ من البارح في العضية، كيفاش بغيت ندلويو الميت؟
اجبتة: • كان عليكم دلويوه قبل ما يموت، قتلونا اوللا عطيتونا
حقوقنا، علاش هذا العذاب؟

رد علي بقوله: • كولها لني حبسوكم هنا. انا والحراس غير منطنين
الأوامر. وأنا في جيبي دابا الأوامر مكتوبة وموقعة من طرف الرؤساء
ببالي. انا ماشي مسؤول على المحنة بيالكم.

مزلت هذه الكلمات القاسية ارواحنا واختزلتها مثل سهام مسومة.
اصابنا الخرس والذهول والمرارة، رغم ان تلك كانت مجرد بداية وسفري
فيما بعد ما لم يخطر على بالنا، صعلنا لأنها المرة الأولى التي يتولى
فيها احد النزلاء بالبنابة ١، والآنكي ان موته كان عن سبق إصرار، تركوه
بغنى بدون تقديم المساعدة له. احسستنا أننا مهزومون، منهكون بفعل هذا
الموت المفاجئ والبليد.

نقل الميت بعد ان لقوه في غطائه الملطخ بما وفضلات، كما فعلوا
بعونى البنابة ٢. توجه السارجان شاف حمو الذي الخلق انطه متقعما،
بالسؤال الى زملائه: • هل انتم مشاككون بانه بالفعل رقم ٦٧ الم يحدث
تبادل النفاء عطلني؟.

• بطبيعة الحال. لماذا هذا السؤال، انت تعرف ان التبادل ممنوع.

• غريب، لم التعرف عليه، لقد اصابه هزال كبير. لم يكن شعره الطويل
ولحيته الكثنة هما سبب تبديل هيائه، بل إن جسده نفسه لم يعد كما كان
وقد شوّهه المرض وبديل ملامحه.

• كل الموتى يتشوهون بعد انطفائهم، فعندما يكف الدم عن الدوران
بزروريق الجمعان.

• ما من شك في هذا القول، لكن بعض الأحياء يصبحون نعيمى الخلقة

بعد ان يلقنوا روح الحب. وضعير الوعي مثل ما حدث لهذا الحارس الذي فقد روحه منذ زمن طويل، لقد كان يؤدي الصلوات الخمس باستمرار طلبا للمغفرة ويقوم في نفس الوقت بتعذيب بني البشر طمعا في تغيير المدير.

لقد مات شجاعا، لكنه سيظل مله للوبنا وذاكرتنا. كان شجاعا الوجدي سرجانا طيارا حكم عليه بـ ١٠ سنوات سجنًا، اعزب- نزل في عدة اعمال في المالية، بل عمل ايضا ككاتب عمومي قبل ان يلتحق بالجنسية. كان طبيب المعسر، يشوشا بحب الحياة وملذاتها، جد نشيط ويحب المزاح والسكت. كنا نحبه كثيرا وبيانلنا حبا بحب.

لم يتناول اي واحد منا غذاءه لان الحزن القينا الشهية. وقد مر علينا وقت طويل قبل ان نتعود على هذا الفراق المؤلم. لقد توفي زميلنا في فصل الخريف العابر والأشجار نلقد اوراقها الميتة والحزن يملأ للوبنا، ولاسيما قلوب الذين كان لديهم امل في تطيب اي سجين يبلغ من السقام ما بلغه شجاعا، كانوا ياملون في ان يعي المسؤولون هذه الجزرة، وياملون في تحسن ممكن لوضعنا الكئيب (...)

لم تغير هذه المسألة من جدولنا الزمني اليومي، لكننا استنكفنا عن المكت والغناء لمدة طويلة. احتراما لروح صديقنا وكنا نقرأ القرآن كل يوم جمعة نرحما على ارواح موتانا. هذه المسألة وضعتني امام الامر الواقع ولم يعد امامي حل آخر: إما الاستسلام ومجاراة الواقع وإما التصرف في هذا الوقت المناسب. بعد تفكير طويل قررت تجريب اية وسيلة لربط الاتصال مع العالم الخارجي. وكان لابد لي، ان اخبر الراي العام بمسأتنا مهما كان الثمن، لقد اصبحت من الضروري إخبار الناس بما يجري في هذا المعتقل وان اي صمت معناه خدمة ابشع انواع الجبن والخسة. لم اشأ ان اكون تلك الذبيحة التي تساق الى الجزرة وهي تنظر الى النيايح الأخرى تنقاد بهوءه إلى نفس المصير منتظرة دورها. إن صممتي يعني التواطؤ مع الجلايين والتخلي عن مهمتي وخبائة نكرى زملائي الموتى.

كان على في الوهلة الأولى، ان اجد شيئا اكتب به، والحال انني لم اكن املك قلما وكل ما عندي هو ورق احتفظت به منذ ١٩٦١ وخبائة بعناية كبيرة في ركن من زفرائتي عملا بنصيحة استمها لي والدي من قبل. احتفظ بكل شيء له قيمته، يفيك في المستقبل. وجدت ايضا قطعة من خشب مرمية أرضا، بريتها بحكها على الجدار كما كنا نفعل في

الكتائب القرانية.

لم تتطلب صناعة الحبر الصيني والنا كبيرا: إذ احرقت بعضا من «يوم»
مكتنفة مهترئة ونشار الصوف المتساقط من الفطاء المهترئ.
لما حصلت على «شمع» لزج، صببت ماء للحصول على الحبر (سائل اسود).
لمست الطرف الحاد للقطعة الفصن الصغيرة في السائل وشرعت في كتابة
خطابي الذي لا اذكر منه سوى العبارات الأخيرة بتازماعت أبشع من دأشوء
نقطة عبور نحو الفصلة والران بدون جبر.

الشمس بعد سنوات من الظلام

انتظرت على امر من الجمر وصول اللحظة المناسبة لتسليم رسالتي لأحد الحراس راجيا إياه القيام بما يجب حتى تصل إلى أصحابها. عرضت عليه التراجع: بلضي الأول بتسليم الرسالة يدا بيد مقابل مكافأة وأداء ثمن السفر. أما الاقتراح الثاني، فيقتضي إرسالها عبر البريد إذا تعذرت عليه الرحلة.

وبالرغم من ترويه واعتذاره، الطعت في إقناعه لإداء هذه المهمة الصعبة فقبل ادائها، شريطة أن تقوم زوجته أو ابنته بالعمل ببله زيادة في الاحتياط أرسلت رسالتي إلى زوجتي وإلى مشغلها المكنون هادي مسوالة أحد مؤسسي الحزب الشيوعي المغربي في الأربعينيات إلى جانب ليون سلطان وعبد الله بن بوعزة وعلي بعتة. وقد علمت فيما بعد أن رسالتي قد وصلت إلى عنوانها رغم أن المبعوث لم ياتني برد.

وقد فراتها منشورة في مجلة «الحياة» تحت رقم 244 بعنوان «رسالة مختطف». وكانت تبدأ على الشكل التالي: «أنا منهك مسجون منذ 1971، بلا شمس أو طيبيب أو بواء، والأكل سيء للغاية ونار. ونحن تحت رحمة النساقلطات والبرد والجوع والوسخ والأمراض القاتلة. هنا لا وجود للرحمة أو الطيبوية أو المساعدة.. تحرك أو شُد.. أنا مسلح بالصبر والإرادة، لأنني مؤمن بالله. انصح ابنائي بالإنعقاد عن الانحراف والمخدرات ورفاق السوء. امنظلوا انصالح امكم وجبتكم. عندما الفكر فيكم.. ابكي».

وكم من مرة نعت عيني. نسيت ان انكر جزئية لم انتبه إليها، وقد صار لها شأن فيما بعد. ففي الوقت الذي كنت اتحدث إلى الحارس المبعوث، كان جاري على اليمين الطويل مبارك. بنصت إلينا، كما راني عندما سلمته الرسالة. فنقل الخبر إلى صديقه في الطيران صلاح حشاد (رقم 29) بواسطة شرطة متفق عليها بينهما. فالتقم هذا الأخير الفرصة وطلب من الحارس ربط اتصاله بزوجه الصيلية بالقنيطرة.

كان علينا انتظار ابريل 1978 لكي يتمنى للمبعوث الحصول على عطلة لمدة 10 ايام.

في انتظار ذلك، وبينما نحن غارقون في الحدااء، حلت بنا مصيبة جديدة، والضيقا سنين طويلة مكرهين على تحمل الصراخات العالية والنداءات الجارحة والضربات القوية لأحد رفاقنا الذي فقد صوابه. هل هو جنني من جن الجنابة؟، جاء لزيارتنا، قد يكون. لكن الصواب البهني هو ان رفقنا ميمون فالغوري قد امضى وقتا طويلا يقام حاله، وحيدا في زنزانته وخلق لنفسه عالما خاصا يحلم فيه بكل صمت. كان ميمون، مثل الغوري، رجلا صموتا وانطوائيا. بدأت القصة المؤلمة ذات يوم من ايام جنير، وقد كان مرزاق أحمد يوما يجود القران ويترنم باياته المحكمات التي تهب القلب إلى درجة الخشوع. فجاء قاطعه ميمون وطلب منه ان يخرس. طلبنا منه توضيحا لما صدر عنه فاجابنا بان اصواتنا غريبة في زنزانته ناسره بإسكات قاريه القران، لانه يزعمهم كثيرا. اعتقدنا ان هذا الحادث لن يتكرر، والحال ان ميمون بدأ يحدث نفسه ويتحدث الي من سماهم بـ «الزوار» الذين كان الرفاق يعتقدون انهم «الجن». ويعتقد هو بانهم «مبعوثو الحرية». كان احيانا يضحك ويطلق اللهلهايات الساخبة واحيانا أخرى يصرخ صراخا ينشر الرعب. دام الحوار بين السجين و «زواره» قرابة شهر، ثم بدأ يطلق صراخا

عالميا وينادي زملاء فوجه الذين كانوا في الجناح الآخر. ولما لم يتلق جوابا اعتقد بأنه قد الفرج عنهم فبدأ المسكين يضرب الباب الحديدى مثل ما اوتى من قوة مطالبا بحريته: «طلقوني، ياغى انتكون حر بحال اصحابى اللي خرجوا.. اباخضاج جاؤبني، واكينات اجي خرجتني، اجي انتح لي، ما ياغيش نبقى في الحبس، كمتت العقوبة نيالي، والمقصود انه تدان بـ 1. سنوات سجنا في قضية البوينغ المكعبة، انهاها سنة 1977. غير ان هذه الإضافة، من سنتين، الطننه صوابه واصبح مجنونا بفعل ظلم الناس له. اما الرفاق الذين كان يناديهم لقد مات العديد منهم. كانت طريقته في المطالبة بالحرية تنهكه وتهد قواه وتزعج رفاقه الاحياء، خصوصا وانه لم يكف ليل نهار عن الصراخ وضرب الباب. رجواته ان يتولى كي نفاي، ونابرا ما كان يستجيب لندائنا، لانه لم يعد ينصت. فبعد ان اعياء انتظار الإفراج عنه وسماع الوعود لم يعد يخاف غضب السجناء ولا تهديدات الحراس وواصل ضربه وصراخه. لقد اصابت عدوى الوباء الشيطاني الذي ألم بالبناية ١٠، بنايتنا، واعتقد العبيد منا بان الشيطان هو الذي كان يضرب على الباب عوض رفقنا، لان الشيطان وحده يملك هذه القوة. وقال البعض الآخر بان ميمون هو الذي كان يقوم بالعمل لكنه كان مسكونا، بجني يريد خراب البناية، لان الضجيج يحدث تزييفا في الدماغ لا محالة.

وفي هذه الاثناء، ونحن نعيش وسط ضجيج متواصل توحي السرجان عمال موهاج يوم 1٠ نجنبر 1977 في العيادة الثانية بسبب تسمم سعوي. وموهاج طيار حكم عليه بـ 2٠ سنة سجنا، لانه خلق فوق مطار الرباط. سلا التولي وصور أحداث انقلاب 1٠ غشت 77، قبل ان يدفن مثل الآخرين في تازمامارت.

كل ما يمكن قوله بخصوص سنة 1977 انها كانت كارثية اكثر من السنوات الماضية، ذلك لان البناية نفسها مستها الالآت الحتمية القاتلة. وخلال نفس السنة، سنتت مواسير المراحيض بسبب نفرة الماء، فنجم عن ذلك فيضان الماء الخاطئية، وغرقت فيه الزنازن و، الكولوار، نفسه، فطاحت الرائحة النتنة في انحاء السجن كله، وانتشر الذباب والناموس والحشرات من كل لون واسفلتنا الروائح الكريهة واصيب العديد منا بالسل. وسانحدث في الوقت المناسب عن الحالة الأكثر بشاعة واللا إنسانية التي لن نفلر للحراس.

الشمس: الشمس

في السابع من يناير 1976، في الساعة الرابعة، فوجئنا بزيارة غير منتظرة للحراس، واستيقظ الذين كانوا يفضون قبولتهم فزعين نظرا لنعودنا على توقيت ثابت. ومما اثار حيرتي، حضور كل الموظفين والحراس بمن فيهم الذين كانوا خارج وقت العمل. كان الجميع باللباس النظامي وقد اعتدنا ان نراهم باللباس المدني. فوجدت ايضا بسلوكتهم غير العادي. فقد بدأوا بفتح الباب الأول وتوجه احدهم إلى بنعيسى رشدي قائلا: «خذ إبريقك وصحنك وغطائك. واتبعني». امتثل رفيقنا قبل ان يفهم، إذ لا جدوى من سؤال «ربوات» خصوصا واننا نتوقع الإخضاع منهم. ثم فتحوا الزنزانة الثانية وامروا لفلو محمد بالخروج، وقد وجد صعوبة في المشي بسبب الروماتيزم وبداية شلل نصفي. فامسك به حارس من نواعه وبلغه خارج الزنزانة.

رأيت من خلال الكوة رفاق الشطاء يعرون الواحد تلو الآخر: عبد الطيف بلكبير، اللبطان الذي كان في ما سلف من الأيام عملاقا يعني مشى الخيلاء الرياضية، دائم الأنافة، يجر اسمائه متسقا، محنوب الظهر، يجر رجليه المصابتين بالروماتيزم والجسم قد اعياء المرض ونال منه الهزال، هو الذي مارس الكمال الجسماني لسنوات. لما وصل الباب الكبير للبنائية، اعماء نور الشمس التي لم يرها منذ وصوله الى المعتقل، وخلبت ليه السماء الزرقاء الصافية وسجده إحساسه بالحرية فترنح وخر صريعا، ثم سجد لله باكيا وتضرع إليه بصوت جهوري. «يارب الملكوت اطلب رحمتك وغفرتك انت وحدك قادر على خلاصي من بين يدي الظالمين. انت ربي ومولاي اطلب رضاك ومغفرتك». رفعه الحارسان بغسوة، فمشى مترنحا، مثل بنول. صاح احد ما «اسرعوا، لا نعلك ولنا نضيعة». فجاء نور الصفرىوي عبد العالي الذي تقدم بخطوات ثقيلة، وجهه ناتئ القسمات، شاحب المزني هزائل، ومشى خلفه اعكوا عبد الله رقم 6 - يجر رجليه كما لو كان يتزلق، وقد استند الى الجدار لئلا يسقط هذا المعتقل الذي كنت اعرفه من خلال صوته الأجنس، لم يسبق لي ان رأيت رغم اننا قضينا 4 سنوات في نفس المعتقل الملعون. رأيت أخيرا هذا الصوت بلا وجه ورأيت خيبة الثالرين ووجهه الشاحب وجسمه الطويل والنحيل مثل صنارة. ثلاث رقم 10 بن رضوان التيجاني، وكان قصير القامة، بدأ الصلع، مشى طأو جسده وقد شد على بطنه بقلتا يديه وجذعه متعامد (47 درجة) مع اطرافه السفلى. صاح احد المسؤولين «من بعدنا». كان المفروض ان يكون المفيد شجاعا

الذي مات منذ شهرين- مر امامي الرفيق عفايوي محمد، رقم ٤ ،
محبوب الظهر مثل عجوزٍ يعني بيظه وصعوبة، لم استطع تبين
ملاح وجهه بسبب شعره الطويل والابخر ولحيته الكثة. وتعرفت عليه
بواسطة صوته ذي اللكنة الزنانية، ذلك الصوت الذي كنت اسمعه مرة
او مرتين في كل فصل، لأن عفايوي يحب الوحدة والخلود الى الهدوء.
كان اخر من مر امامي هو سعودي عبد الكريم، وبالرغم من صغر سنه
بدا منهاكاً يعني مترنحاً حالي القميين المتفخخين بفعل البرودة،
ملابسه الممزلة عرت بعض اطراف جسمه النحيل في حين وهبته
لحيته الكثة الشبراء مظهر قرصان عاطل. هالتي على الخصوص
عيناه الجاحظتان المحمرتان بسبب العنمة نون شك. اما شعر راسه
الطويل والمتسخ فقد اظهره بمظهر متسول تائه، كما كان حالنا جميعا
بلا استثناء. منظرنا مازع، خالف منا الحراس لفرابة نظراتنا، اضالفة
الى رائحة الصديد (القيح) المنبعثة من المؤخرة والصرة.

بصقائنا نفسها كانت نكتة مثل مخاطنا الذي انزى بسبب الانتهاب
الجيبى. اتبعنا منا روائح فاشاح الحراس عنا بوجوههم كلما ارادوا
فتح ابواب زنائنا. كان منظرنا ملززا للغاية ورالحنا كريهة. كل ثرفاق
الذين تعالباوا امامي كانوا يشبهون الجثث. قلت انني ارى اشباحا
وليس بني البشر. وقد تبعت لحوالهم حتى انني لم اعرف على رفالي
القدامى، صق او لا تصق.

وفيما انا انظر دوري للخروج للاطلاع على سر هذا الفلز، او تغيير
المكان واستنشاق هواء جديد على الاقل، نخل سكرتير المدير السرجان
سى لحسن مسرعا وقد بان عليه الارتباك وامر الحراس بوقف العملية.
بعد لحظات عاد رفاننا الى البناية وبخلوا زنائناهم.

سأل حارس الفضولي رئيس مجموعته عن سبب هذا الامر المضاد،
فاجابه بالقول: لقد حصل خلط والتهاب، ان الذي تلقى الامر نقله
معكوسا. رد عليه الفضولي: كان عليه ان يتأكد قبل التنفيذ، فلماذا كل
هذا الهرج بلا جدوى. وبعد هنيهة من الصمت اضالفة، مع العلم ان
سكرتير متعلم ليس مثلنا، فاجابه مخاطبه: ان المتعلمين كثيرا ما
يرتكبون اخطاء فاحشة، وهم الغبي منا.

فيما بعد علمنا ان المدير كان في مهمة خاصة بالرباط وهناك تلقى
تعليمات خاصة فاتصل بسكرتيره وطلب منه إخلاء نصف البناية
الثانية ووضع كل سجينين في نفس الزنانية وترك الجناح الاخر

لاستقبال سجناء جدد سيصلون مساء نفس اليوم. وعضو الإنصار على
البنائية رقم 2 فقط قام السكرتير بنقل زملائنا لإخلاء جزء من بنايتنا.
ولأن الإنسان لا قيمة له، لقد نقلوا من مكان إلى آخر مثل سلعة، بل احفر
منها، لأن نقل السلعة يتطلب وصلا بالنقل وعدة وثائق أخرى.

بعد رحيل الحراس روى لنا زملائنا بالتفصيل ما حدث إبان ترحيلهم
الوجيز. لقد التقينا جميعا في البنائية الثانية وأودع كل واحد منهم في
زناينة بمعوية سجين آخر من البنائية الأخرى. كان بنعيسى (رقم 1) لول
من بدأ الصلته الطبيعية: فقد أودعوني الزناينة رقم 10. لصاحبها
عماروش كويين الذي وجدته ملثما في عطائه معبدا فوق بلاطه. طلب
مني الإلتراب منه ليسلم علي لأنه كان مشلولاً. ما أثار فضولي هو
رائحة العفونة ولب الخبز المرعي أسفل البلاطة.

باترني بالقول: أهلاً، أنا أعماروش، منذ 4 أشهر وأنا على هذا
الحال. أشكو من التهاب معوي وانتظر نوري للتحق بالرفيق الأعلى.
لقد مات 6 معتقلين في هذه البنائية. أكاد لا أتناول طعاماً، أستسمعك عن
هذه الرائحة الكريهة، لأنني أتبول في سروالي. أنا سعيد بوجودك معي
لمساعدتي. ما اسمك؟ رقى قلب بنعيسى الطيب لهذه الكلمات. وأجاب:
اسمي بنعيسى رشدي سرجان طيار. من تاليفات. لا عليك ساعيتك ما
استطعت إنشاء الله. ومن الآن فصاعداً اعتبرني أخاك الصغير، فجاه
نخل عليهما حارس وأمر بنعيسى بلمّ مناعه الهزيل للعودة إلى البنائية
رقم واحد.

بعدها روى كل واحد من السجناء مخامرته المفاجئة والوجيز،
وأجمعوا كلهم على أن المعتقلين الآخرين كانوا في وضعية الطلع من
وضعتنا، ليس فقط بسبب الموتى الذين سقطوا، بل لوجود محتضرين
ومجانين منهم الليونتان حيلي والقبطان بنور.

السجين الذي قتله المرحاض

بعد 4 سنوات و 6 أشهر لم يتعرف أحدنا على بعضه البعض
لأن التزامات شوهتهم بسرعة. في نفس تلك الليلة (التي نقل

فيها جزء من المعتقلين إلى جناح آخر، اثار فضولنا صرير الأبواب وصوتها المعدني وهي تخلق وتفتح قبل ان يليه صهيل الشاحنات وهي تدخل إلى ساحة السجن. سمعنا اصواتنا تصير الأوامر وصياحا ونداءات ثم صرير ابواب الزنازن وهي تخلق عنوة ثم ساد الصمت ولم نعد نسمع سوى صفير الرياح. وقد علمنا في ما بعد ان كومتان الدرك الملكي الذي كان برتبة اليونان سنة 1973 عندما رحلنا من القنيطرة قد جاء من سجن اسفي مرافقا لـ 17 إفريقيا لسجنهم في تازمامارت. وعلما ايضا انهم كانوا كلهم عسكريين بمذلاتهم المعروفة كلهم حفاة وشباب باستثناء اللبوتتان المريض والمسن، كانوا يتحدثون فيما بينهم بلهجة قلبية باستثناء برنار وذكريا المسلم الذي ارتبط سريعا بعلاقات مع رفاقنا، ولعل الإحساس العيني هو الذي دفع به إلى التقارب معهم. كنا معا يتفان الفرنسية ويحبان تجانب اطراف الحديث مع رفاقنا، لكنهم كانوا يتحدثون الجواب عن الأسئلة المرحجة من قبيل الكشوف عن جنسيتهم او اسباب اعتقالهم. فقد كان رفاقهم محتاطين وكثيرا ما سمعهم من الحديث إلى المعتقلين وتشاجروا معهم إن هم فعلوا ذلك. حضوا الليلة الأولى في صليح تازمامارت كما قضاهما غيرهم ادمى بعض الحراس انهم كوماتنو من ما يسمى بالموليزاريو ونهب احد الحراس المطلقين إلى انهم من الإغارة السود من جنوب موريطانيا وكانوا يعملون لفائدة السينغال تربوا من اجل خلق للال في البلاد عبر عمليات مسلحة. سالت صاحب هذا الإغارة:

هل هم موريتانيون أم سينغاليون؟

إنهم موريتانيون من اصل سينغالي يطالبون بالانفصال، لكن ما دخل المغرب في هذا؟ تخاهي إلى علمنا انهم ربما بعض اللوار من الزايبير معارضين لنظام موبوتو وقد نفوهم هنا لترهيبهم. شخصيا رفضت الافتراضات الثلاثة الي أن يثبت العكس.

دخل هؤلاء الإغارة من النظام القاسي المطبق في تازمامارت واصابهم ما اصابنا وسرعان ما هوتْ معنوياتهم إلى الحضيض وانتابهم اليأس. لقد اطروا بان بلائهم تعرف اشياء من هذا النوع لكنهم اندهشوا ان يجيوا مثل هذا في بلد قريب من أوروبا.

صجبت ساحة السجن ذات صباح بكل انواع الحيوانات، حيث ان

المدير جاء اول الامر بالضمان ثم المعز، وازداد بعد ذلك الحجاج والديموق
الهندي، ولماذا لا يستغلها وهي ضاوية على عروشها ممنوعة على
المنظرين؟

هكذا اصبحت الساحة المنيرة لنزهة السجناء اسطىلا لامتية المدير
التي تحملنا صخبها لمدة طويلة.

في الثالث عشر من يناير 78 توفي الليونتان بوتو موحا من جراء
التهاب معوي وقرحة المعدة. كان بوتو محكوما عليه بـ 1 سنوات سجنا
في سنة 1971 وكان المفروض ان يفرج عنه في الفاتح لعنت سنة 74،
لكنه ظل معتقلا بدون وجه حق إلى اخر رمق لينفن في قبر مجهول،
علما بان ابويه كانوا لا يبعدان عن المكان إلا بـ 40 كلم فقط هذا الضابط
الشاب الحيوي والرياضي، الاسرد بوجهه الطفولي كان رصينا، لامعا
ومتلقا لم يضيع وقته في البير والتهم كل الكتب الموجودة في مكتبة
الرهيمان ..

وكان شهر فبراير 78، القسي الشهور في تاريخ البناية الثانية، ففي
الثاني عشر منه مات سجينان، الاول في الصباح والثاني في المساء،
توفي الاول وهو لاجودان عماروش كوين المحكوم بـ 11 سنوات سجنا
في قضية الصخيرات بسبب تسمم معوي. بعد مرض طويل اجبره على
التزام المستشفى، مدة طويلة، وعماروش من مواليد بوريد ترعرع في
الريف ثم رحل إلى الجزائر، بحثا عن العمل قبل ان يلتحق بالجيش
الفرنسي، حارب في الهند الصينية ثم فر من صفوف الجيش والتحق
بجيش التحرير. ادمع في القوات المسلحة الملكية سنة 1956، وظل في
صفوفها إلى حين اعتقاله في 71/7/11، وهو متزوج، اب لسنة اطفال
صغار السن لم يتزعرعوا امام عينيه. كان ينتظر موته وكل الرفاق ايضا،
وحضى الحراس انفسهم كانوا ينتظرونه لكي يسارعوا إلى دفنه
للخخلص منه ومن شجاره معهم. عند عرف عنه بانته كان يكثر من السب
والنتم والوعيد. وفي الوقت الذي كان فيه الحراس يذفنون الميت، كان
رفيق اخر يحتضر. لقد تهورت صحته منذ شهور، فنقله الحراس إلى
زمانة رفيلة حيفي عبد السلام.

ومن غريب الاشياء ان يودع شخص نصف مجنون إلى جانب اخر
مشلول يحتاج إلى العناية والحنوب وكل شيء كان غريبا في نازمامارت،
الهم إلا إذا كان الحراس قد تعفوا ذلك، لأن المحتضر كان من اكرهنا
إلى الحراس، لأنه كان ينعتهم بالبيع النعوت واشنعها وبكبل لهم

الضنائم. في تلك اليوم الأسود، عاد الحراس على غير عادتهم في الساعة الواحدة زوايا وفتحوا الزنزانة وسألوا حبيبي.
ماذا تفعل؟

اجابهم:

كنت ابرئش مع صديقي، لكنه طلب مني ان ادعه ينام لليللا، امره لاجودان شاف فربح:

لم حوالجك وانهب إلى زفرانك.

رد حبيبي: «لكني لا يمكنني ان اتركه وحيدا، فهو محتاج إلي».

ان يحتاجك وان يحتاج إلى غيرك الا ترى بانه مات؟

لا اعتقد انه قد مات، لقد قضينا الصباح كله في الحديث وكان في وضع عاد. انا متأكد انه مجرد نائم.

وبون إيلاء كلامه امنى اعتبار، رفعوا الميت الذي كان بلضي طوال الوقت ملثما في عطائه النتن واخرجوه إلى الساحة ثم بظنوه مثل من سبلوه وبون التأكد إن مات فعلا ام لا. وهل بظنوه بعد ان قضى، ام كان مازال يحنضر، الله وحده يعلم والحراس ايضا.. فهل سيجرؤون على قول الحقيقة ذات يوم؟ ربما!

إن السجين المتوفي هو السوليوثنان البيليطي محبوب المحكوم عليه بـ 21 سنة منذ 1971، كان اعزب عمره 34 سنة ومن اصل مراششي.

توفي بسبب الشلل التام والهزال، كان من الممكن إنقاذه لانه لم يشك لا من تزييف ولا من التهاب او سولهما، وظل صافي الذهن إلى ان مات وهو يطالب بحقه. كان محبوبا من طرف رفاقه الذين حزنوا لفراقه. عندما كان حيا قارع التعسف وقاوم بشراسة للحفاظ على كرامته.

وقد كان ممثلنا لدى إدارة السجن بالقيبطرة، وسبق ان عوقب بأسبوع في «الكاسوء» لانه احتج على النظام الداخلي للسجن. وقال للعبير وقتها: «ماشي معقول طبلقوا قوانين 1932 وحننا في 1972، هذا قانون القاب، قل للحراس ديالك بختارمونا وحننا رامانديش نسطو، اتنوما كاتعلموا غير لحسانة في ريوس ليناسي، وماشي في لحيني نثني لعشاش» كان البيليطي كثير المرح والدعابة مع زملائه، قبل موته بأسابيع فاه بالعبارة التالية: «اه لو كان هنا شي متعلم حجام يتعلم في لحسانة، ولاشك غادي يلقى في لحيني شي عشاش». لقد ظل على حاله من الدعابة إلى ان جاء اجله.

في العشرين من فبراير 78 والجو ماطر وحزين كانت البناية مازالت

في حداد عندما ألت بها المساء للمرة الثالثة في شهر واحد، إذ انطلقت روح اخرى في هذا اليوم فزاد حزن القلوب المكتومة واهتزت الاهنة المنضورة بالياس والتواكل والخوف. وقد كانت حالة لاجودان العبيدي المحكوم بـ ١٠ سنوات سجنا في قضية الطائرة المكينة، والذي توفي يومها مختلفا عن الحالات الأخرى.

لم يسبق له منذ وصوله إلى المعتقل ان اصيب بداء وكان يجاري القمر بفتكران ذات، لقد وعى العواطف الوخيمة للياس، فاختار السرور الدائم وعدم الاكثراث بمشاغل اليومي. كان العبيدي رئيس القيمين على السلاح في القاعدة الجوية وقل دائما محبوبا ومحترما من طرف رؤوسيه حتى في السجن، الذين كانوا يفتنون لنصالحه ويعملون بها، راجح العقل كان ناضجا غير مبال بصروف الدهر يختار من الحياة احسن ما فيها. احترمه الجميع لحيويته ولطنته وبما انه كان متزوجا وانا لطلين لقد كان ابا حنوننا وزوجا لطيف العشر.

بدأت مسائه عندما سعت مواسير المرحاض بواسطة اسفنجة او سء اخر ناله، حدث لاجودان شاف فريح القيم على البناية ففرعه هذا الاخير قبل ان يتناوله إبريقا ماء إضاليفيا، لسوء حظه لم يجد الماء في سء، في اليومين المواليين سلموه إبريقين إضاليفيين لكن المرحاض ظلت مسالته مسبوقة. وباعت كل المحاولات التالية بالفشل. بعد اسبوع طلب منهم منحه سلتا حديديا لعله يستطيع انتشال ما علق بالمواسير. حصل على ما اراد وسك منه كلابا ثم شطر عن ساعده وانخل القلاب ويده وبدا عمله الشاق لمدة اسبوع بلا ... نتيجة.

كانت الرزقانة طوال الوقت تفوح برائحة كريهة تثير غليان الحراس، كلما فتحوا بابها، خاف، فريح، من انتشار وباء ما، فوضع انبوب الماء رهن إشارة السجن، فكانت مباررة كارثية زابت الطين بلة حيث فاض الماء الوسخ الفان وساح في ارضية الرزقانة التي تحولت الى حوض ماء يسبح فيه الفئاط ففاض الماء ووصل إلى الكولولر، مما الحضب الحراس، فاتهموه بأنه يعتمد تلك إسماعنا في إزعاجهم. القسم بالحظ الإيمان بأنه لم يفعل ذلك لكنهم جعلوا له غلا في انفسهم تسبب في ضباعه. وكلما كان يقضي حاجته كان مستوى الماء والفضلات يزداد. إلى ان تعثر عليه التحرك دون ان يخط في المياه العكرة وقد التصق البراز بجعبات الرزقانة. وضع العبيدي منديلا على انفه حتى لا تزكمه الروائح القاتلة. لكن العفن مس كل شيء، بداء وابواته وجنبات البلاطة.

طلب من فريخ تغيير زفافته التي لم تعد الحياة فيها تطلق. إن لم تستجيب، رفض هذا الأخير طلبه وخاطبه ممنوع، ابق تم، ما عندي ما ندير لك.

توسل إليه العبيدي: «مون اجيدان، الضانترات خاويين كابين بزاف، بيروني في شي واحد. اولاً غادي تعطلوني وثانياً غادي تنجيتوا الباطما من الميكروبات والريحة والوباء، رد عليه فريخ انه إذا كانت المراحيض مسدودة فذلك بسببه هو وان عليه الانتباه و «دبا لانك ما تسوكش احنا كتشغو (خ).... ما شي شغلنا غادي تبلا تم شغ (خ)....».

توسل إليه السجين: «اخبر على الاقل المدير. لابد وان يتخذ قرارا لصالحنا، وظل المعتقل يهذي الأمل في حل لمدة طويلة او لعل المدير يبارر ويفرج كرفته. هيهات! كان قلب فريخ، غليظا ولفظا، فلا ريق ولا حن لهذه الشروط إلا الإنسانية او الفرح الإحساس او روح المسؤولية في ذلك الصلب الذي لف قلبه او تكسير حلاله الذي طوق به ضميره او رفع الغشاوة عن بصره الذي هجرته الرحمة او الطيبة. وبما اخرج العبيدي وتوسل وصرخ وبكى وصاح لكن لا حياة لمن تنادي.

حاول فريخ، ان يواسيه باللؤلؤ، لا تحزن ستحل الامور بعد عودة المدير. علما يانه كان بإمكانه ان ينقله إلى زنزانة اخرى نون استشارة رئيسه، والحجة الدافعة على هذا ان الحراس انفسهم كانوا يسألوننا عن الاسماء الشخصية والعائلية لمن ماتوا منا ذلك لانهم كانوا لا يعرفون عنا سوى ارقام الزنازن. وقد اودى عناد الفريخ، بحياة سجين لم يعد له مع العدالة اي شأن واحتفظ به رغم انقضاء عقوبته. هكذا عاش صديقنا في هذه الظروف وحرم نفسه من الأكل حتى لا يرتاد المرحاض ولف راسه ووجهه بغطائه حتى لا تزكم رائحة تحلل البراز انفه وتخنقه. لم يكف المسكين عن الاحتجاج الى ان بدأ يسعل واصابه المرض. ولم يسعفه احد. ظل يسعل ويصق الدم الذي لم يكثر له الحراس. فرح العبيدي عندما تبان باصابته بالسل وبدا الجنون يتسلل اليه شيئا فشيئا. صرخ، بكى، التهم فريخ بمأساته، وليل اسبوع من وفاته اصابته حمى هنيئة وهذه الذئبة لما عاد فابرا على الصراخ او الانين وظل صمونا إلى حدود 21 فبراير 78، فخر صريعا واسلم الروح لباربيها في صمت، ففنن في الشروط المعروفة.

وجبة الضران

اغرق رحيل العبيدي رفائنا في العباس والاستسلام، كما هي العادة. وكلما بدأ احتضار احد مرضانا كانت البومة (موكا) تنهب طوال الليل منكرة بالشووم اللادم. وطوال كل هذه المدة الحرجة التي كان العبيدي يئن فيها، كان طائر الشووم يطلق نعيبه المنحوس الذي تصطلق له الاغنية. قبل ان يغيب تماما بعد ولادة رفائنا، لتحل الطيربان محله طوال مدة تحلل الجثة، وتحلق ناعقة. واللذين يقولون ان الرفيق العبيدي «ضربوه الجنون» لانه فقد عقله البول بكل مرارة ان الجن الحقيقى هم فريح وامثاله ورؤسأؤه.

كان شهر مارس شهر الكوابيس والاستيهامات والتهديدات الناجمة عن توتر العبيد منا وتفاعلهم مع المأساة الجديدة، واصبح امام المرضى ان ينتظروا دورهم في الرحيل.

في تازمامسارت كانت المعاناة القسى من الموت وان كانت تؤدي الى النهاية الحتمية بعد ان يقضى المريض مراحل من العذاب والام الرهيب. وبكل صديق البول اننا كنا نتمنى الموت بدل المعاناة. لكننا مع ذلك سلطنا امرنا للاندلس وتحملنا المكتوب. كان جرحنا يتعفن يوما عن يوم وينزف اكثر فاكثر وزاد نزيهه في ابريل 1978.

خارج السجن، كان الربيع قد بدأ عويته الخضراء الى الحقلول بازهاره القشبية وشمسه المشرقة التي تبخر اشعتها الضباب الصباحى حتى يتراقص الفراش. والنحل متنقلا من زهرة الى اخرى. اما نحن فقد كنا في «بياتنا» نرتعش من البرد في انتظار نهاية شهر يونيو. في هذا الفصل الذي تستقبله الطيور بترنمها الناعم والسماء بزرقها الصافية بعد ان ارسلت غيماتها الصغيرة نحو المدى البعيد، في هذا الفصل كانت خيالنا تسرح في الظلمة بحثا عن مهرب للابتعاد عن والمعنا المر. لعلها تجد في النسيان سلوة. من سوء الحظ كانت التوالع والاحداث المأساوية تعيننا الى ارض التوالع الملموس. اذ توفي في 21 ابريل 78.

بعد الذهاب معوي رفيلينا لاجويدان شاف امحمد ابو المعقول الملقب
«بالخضير» وهو من مواليد بوريد (الريف) متزوج وله 3 اطفال. ابن ب
1 سنوات سجنا نافذا في قضية الصخيرات. عاش بقسوة قبل وفاته.
منه مثل الآخرين وبفن بالطريقة نفسها والان يرفد جنماته في قبر
منسي بالمعتقل السري في ساحة جرداء. نضم كل الجثث. رغم ان هذه
المساحة الصخرية التي تخفي كل القطاعات لم تكن تشبه مقبرة. لان
الارض مسطحة لا يبرز منها اي دليل يكشف عن وجود جثث.
لقد كان الحراس يضعون كمادات علي انوفهم تجنباً للرائحة
الترابية. رائحة الموت وربما للعنوى. تلك ان العديد من الرفاق توفوا
بسبب الذهاب معوي تاخم عن سوء التغذية.

وانتكر ما وقع في الثالث من مارس المنصرم الذي يعرف تحسنا في
نوعية الطعام. يومها لاحظ الكابورال لهيوب الذي كان يوزع وجباتنا،
وجود جرد (طوبية) ضخمة في الطنجرة وما فيها من لحم ومرق. كان
هذا الفارض مطهيا جيدا وزججه بظفو فوق سطح الطعام، انمض النازل
واسط في يده فانتشلها بمفرفته وطوح بها في الكولوار ثم واصل
عمله بكل هدوء. التهمنا وجبتنا بشهية، نون عسر في الهضم او فيء.
في المساء اكتشف الحراس وجود الطوبية المطهوه محاطة بالزيتون
والنباذ وجيش من الحشرات. تابع رفيلينا عطباوي المشهد وتوجه اليهم
بالقول: ان لهيوب هو الذي وجدها في الطنجرة. ثم رماها في الكولوار.
واضاف بان المرق كان مليئا بالزنجب. اجابه الحراس شامتين. هذه
امور نلق. وانتم على كل حال محصنون.

بعد رحيل الحراس الذين لم يتجشموا عناء إلقائها في الخارج.
اخبرنا صديقنا المكتوم مطهها: شهية طيبة ايها الاخوة. اتمنى ان
تكونوا قد هضمتم جيدا. اخبركم ان غذاها كان يحضوي على «طوبية»
ممتازة. ما زالت في البهو ان لريتم مشاهنتها. كد الجيران العاشرون
للعطباوي في التفرج عليها من خلال ثقب الكوة. اما الآخرون فلم يتقبواوا
لانا اعتدنا على العثور على الصراصير والحشرات الكبيرة والنباذ.
بل المسامير الصدئة. وكل ما كنا نحدث الحراس عن ذلك لانوا يتعطل
ما: فئارة هو العطب الكهربائي وفارة مرض الطباخ وتعويضه باخر.
وعلى كل لم ينه الامر عند «الطوبية» وانكنا المقلع منها.

كما ان الموت لم ننه «تيسوريتها» حيث توفي السارجان نهاسي
ابونسي يوم 24 ابريل 198 اي بعد ثلاثة ايام على وفاة ابو المعقول وقد

اعده التهاب معوي وعانى ايما معاناة الى ان والاه الاجل وبفن بجوار
رفاهه الذين توفي عليهم نتيجة التهاب في المعدة او في الامعاء.
كان السبب وراء هذا يكمن في سوء التغذية المنجلي في لب الخبز
الصليق والخبز تفوح منه رائحة التعفن، الى درجة اننا كنا نجد انفسنا
مكرهين على كسبه وترك الفشرة تجف قليلا قبل اكلها
وكنبرا ما وجدنا قطعة صغيرة من الشحم تلوح منها رائحة مفرقة
تذهب الشهية او تسبب الغثيان. وكل من سولت له نفسه اكل لب الخبز
او هذه القطع الشحمية كان يحكم على نفسه مسيئا بالموت، فكل سهو
او نسيان لا يفتقر في نازمامارت. لانه ان اشياء كثيرة كانت تفوق
طاقتنا، حيث كنا عاجزين امام البرد والجاعة والوسخ ولا يمكن للخطا
العابر وحده تفسير ماساتنا. فكل كنا اشبه ما نكون ببداية القرن الـ١٩.
منظرنا مفرز يثير الشفقة عند كل من يرانا باستثناء السجانين الذين لم
نرضهم النتيجة رغم فظاعتها. وقد لاحظ الحراس ان ذوي الرتب الدنيا
والمحكوم عليهم بعقوبات مخلفة هم الذين يموتون بسرعة في حين ان
ذوي رتب قبطان وليوثان والمحكوم عليهم بعقوبة القسي يقاومون
ويتحملون مشاق الظروف الجهنمية، وكثيرا ما كانوا يلجؤون الى ذلك.
وقد بلغت الصلابة بلا جودان شاف بن اريس ان رساني بها وجها
لوجه:

مازال حي الرايس مامتش بحال لخزين انت كالتقاوم رغم ستك.
اجبتنه بلظاظاة وجفاء: عمري بيد الخالفني هو وحده سبحانه
بفبضوا لما يبغني. المحكمة حكمت بالاعدام لكنه الله لطف بي.
حني لهننا شحال من مرة مرضت ونجاني ربي.
عقب بن اريس وقد ابتسم ابتسماته الصفراء (وهذا وصف حقيقي
لانه كانت له عشرة اسنان ذهبية) «حتى المدير لاحظ بن الكرابية
والمحكومين بحبس طويل ماكابموتوش. هذا لغز حقيقي اه»
اجبتنه بجبينة: ملاك الموت ما كاي يفخارش. كايطبق اللي مكتوب في
اللوح المحفوظ.

اخذ بن اريس الكلمة غير ايه: ايلا خرجتو شي انهار لغادي تخرجوا
مهلوكن، حملين. لو كان تشولو وجوهكم في المرايا تعرفوا ان مايفتم
ما يتشاف. وكيف ما كان الحال حاولوا تنقنوا ما يمكن انقانه.
كان مخاطبي يتحدث بصوت جهوري رغبة منه في اسماح الواله
للجميع بهدف تدمير معنوياتنا. هل كان هذا الشخص الصفيق، الفظ

المختل، الفرجسي المرحم والدائم العطور، هذا الشيخ الذي يستعمل المواد الكيماوية ليخضب شعره الأبيض وتخفي شيبوخته، هل كان يعلم بأنه كان أشد مرضا منا وأن الفيروس ينخر كبده، هو الذي آمن تعالى وجهه في المرآة، هل لاحظ اخضرار لون وجهه؟

في شهر يوليو من نفس السنة والجو حار، نخل الحراس مبكرا وتم فتح ابواب الإمارة السود قبل أن يصل الكومندان أف، من البرك الملكي مرهقا بعمير السجن، سلموا لكل واحد من الإمارة حقيبة امورهم لتغيير ملابسهم. نفذ السجناء الأمر وهم منهشون وفي رمشة عين كانوا مستعدين وقد ارتدوا ملابسهم البرجوازية ورسوا بالبذلات العسكرية المتسخة. بعضهم عن له أن يأخذ معه حصته من الخبز (فمن يبري) أو كاسه البلاستيكي، ولعله فعل ذلك احتفاظا بذكرى العبور بهذا المكان الذي قضوا فيه (أ) اشهر، ولفلتوا احد رفاههم بعد (أ) اشهر من وصولهم، وهو الرفيق الذي دفن في الساحة الى جانب الآخرين. ففي تازمامارت لم تكن البيانات تراعي كما تلقى الاعراف بفضل المسيحيين عن المسلمين في المقابر، فتازمامارت كان سجنا لايتيكيا.

حدث ذات يوم أن نخل علينا الحارس عبد السلام وهو يتروح من شدة السكر، فسمعنا نقرا القرآن لسال زميله: «ماذا يقرؤون»، فاجابه هذا الأخير: «إنه القرآن» فما كان من هذا العمل إلا أن قال: «ليقرأوه ليل نهار إذا كان ذلك يرضيهم، فليس القرآن هو الذي يخرجهم من هذا الفار».

قبل رحيل الإمارة (أ) حفر الحراس لاستخراج جثة رفيقهم المتوفي حتى يرحلوا معهم، وبعد تفتيش دقيق قام به كومندان البرك الملكي امر الحراس بوضع الأصفاء في ايديهم قبل إخراجهم الى الساحة، حيث كانت شاحنتان في انتظارهما، بعدها تم وضع الصندوق المجهز في عين المكان في سيارة خاصة وانطلق الموتى.

استمر الموت في حصص الأزواج في البناية رقم 2. هكذا توفي في فاتح سبتمبر من نفس السنة السارجان شاف عبد العزيز اعجابو، شقيق الكولونيلين محمد وامحمد، بسبب التهاب معوي وتسمم مرئي معدته ونسب له في الام حادة الزمته، الفراش، مدة طويلة.

كان عبد العزيز اعجابو مدانا ب 5 سنوات سجنا، لانه رالف شقيقه الاكبرين بون ان يعرف مانا، وهو متزوج واب لطفل، قضى عقوبته سنة 1971 لكنه ظل مسجوننا الى ان ولفته المنية ودفن في صمت.

لقد صار الموت شيئا عاديا في البناية رقم 2، حتى انه اصبح إجباريا

مثل الخدمة العسكرية، كل واحد ينتظر نوره ليؤذيها والمسألة مسألة وقت فقط والحق القول ان الاستسلام والتسليم بالامر ترسخ في فؤاد كل واحد. كيف يمكنهم ان يغازلوا الامل وقد تحولت بنايتهم الى معمل لصناعة الجثث التي تنبعث منها روائح مفرقة تجلب الغريان والبوم الذي كان يوقظنا كل ليلة مما الاز حفيظة المتطيرين. فلما كان شأننا ان نواجه يوم في مكان ما معناه ان الموت يتجول في ارجائه. ولعل الليل كان قائما حيث توفي 4-1 سجيننا في البناية رقم 2 وتوفي واحد فقط في البناية رقم 1.

سافر الحارس المبعوث الذي اتصلت به في جنيف واتصل به زميلي ج. ايضا يوم 4 ابريل 78 وعاد بعد انقضاء اسبوع ومعه بريد ج. فقط طمأنني بان رسالتي وصلت الى اصحابها، لكن زحمة الوقت منعته من العودة للحصول على جوابي. ووعني بأنه سيبتذل قصارى جهده للنجاح في المرة القادمة. سلم زميلي جوابه والابوية والمال نقدا، لقد كانت زوجة صاحبنا صبيبية وخطرت لها هذه الفكرة الرائجة والعبرية لارسال هذه الكمية من الدواء والمقويات لجموع المعتقلين والمؤسف حقا ان زوجها قد غشت عينيه حجب الانفراية والانانية. فقل كرمه عن سناء زوجته. فكان يسلم الدواء للمرضى بالميزان واحتفظ بكل المخزون عنده وهو الشيء الذي تسبب في خصومات ومشاجرات عميقة بيننا. كان يجبر احيانا على التصرف ببعض السخاء تقابيا للتعاليق المرة والتهديدات وربما الفضيحة. وبالرغم من الملاحظات ظل صاحبنا مصرا على عناده فعوض تسليم المريض المصاب غلبة من المضادات الحيوية كان يرسل إليه بواسطة المبعوث. فرصح او ثلاثة. كنا نخاطبه بالقول: اسمع يا رفيق، لا تكن بخيلا فانك تعلمك ما يكفي لمعالجة كل المرضى. فهم يحتاجون علاجا تاما وليست صدقة، وكان الأكثر عنفا بغيرهون. إما اننا سنستفيد جميعا من فرصة الاتصال وإما سنخرب كل شيء وعلينا وعلى اعدائنا. عليك ان توزع الابوية والمقويات بالقسطناس او حسب خطورة المرض. لاننا جميعا على شفا حفرة، بدون زبونية او هيبية او ميز بين الطيران والمشاة.

اما الطرف الغاضب منا فقال: «إننا لا نطلب صدقة بل نطالب بحقنا. فما دام المبعوث تجرا وربط الاتصال لصاحبنا فلماذا لا نقتنم الفرصة ايضا. نحن سواسية ولدينا المال لمساعدة مرضانا. اخذت الكلمة بدوري لاشرح بعض التفاصيل التي يجهلها رفاقنا. كما تعلمون، لقد كنت اول

من اتصل بالحارس الذي بكى لحالنا في اليوم الأول، وبعد الحادث الذي وقع في نهاية جنتير 1973 لم يتجرا احد مننذ على الإلتراب من الحراس. وقد كنت مرة أخرى أول من سلم للحارس الثاني رسالة في أواخر 1977. وقد كان الطويل مبارك شاهدا على هذا. فنقل الى صديقه وصديقنا ح. ما دار بيننا، لم يلفت هذا الأخير الفرصة أيضا. لقد وعدنا الحارس ببذل ما في وسعه والحال انه نال مئذاه في حين خاب مسعاه. وقد دار حوار جاد بيني وبين الحارس الذي خاطبني قائلا: «انا المهم، فانت غاضب لانك لم تتلق أخبارا عن أطفالك لكن يمكنك ان تعالج الإلتهاب الرئوي الذي تعاني منه وتختلف من السعال والبصاق والام المعدة أيضا، فاطمته قائلا: لكن الأتوية مخصصة ل ح. فقط، فاجاب على الفور: لا، لا، ثم لا الأتوية ليست له وحده وقد كان تلك شرطى منذ البداية، إما الدواء للجميع او ارفض، فانا ضعيفي حي ولا يمكنني ان اراقب الناس بموثون وآخرين يحيون واساهم في الظلم، ثم نظر الى نظرة ملؤها الصنق والعطف والطمبوبة وختم حديثه بالقول: مهما بلغنا من الفضيلة سنظل بشرا. وكل واحد مكانك كان سينور متلك ضد الظلم، اما ح. فمن واجبه ان يفتنكم إذا اراد إنقاذ نفسه وليساعد بعضكم بعضا ولتتنظموا ولتفتسموا السراء والضراء معا وساسهر شخصيا على عدم الصاء اي كان وسائدخل إذا ما ارتكب خطأ ما، بل ساوزع الدواء بنفسي. لقد خاطرت بحياتي من اجلكم. إن بسروا الامر لي ولتكونوا إخوة. وبهذه الطريقة انتهى حوارنا. وارىد ان اضيف كلمة صغيرة مفادها بان لا احد له الحق في الاستفاده من بعض الامتيازات او الاكراميات ويتنكر لاسمقاله. فليما يخصني ونظرا لوضعنا الصحي جميعا وللمصلحة العامة ساؤجل انصالي الى وقت لاحق. اما الآن فعلينا ان ننظم انفسنا ونفكر في التكتم والسرية. لان الحراس الأخرين مرتابون وحذرون. وشكرا على انتباهكم. اخذ بعض المعتقلين الكلمة، منهم من شكر الله على نعمه وإسداء النصيح ومنهم من اعترح بعض الحلول او التوصيات ومنهم من همد وتوعد في حالة حدوث احتكار للدواء من قبل رفيلنا او نبيه الى المخاطر المحيطة بنا والعواقب التي نرصدنا.

المرايا الصغيرة التي تأتي بالضوء

أخذ رفيقنا صاحب الإيوية الكلمة وخاطبنا بقوله: «أيها الرفاق الأعزاء، لقد عُمرنا الله بالطاعة ونعمه وعلينا أن نحسن الاحتفاظ بها وشكره وحمده. أما من جهتي فلن أنسى أي رفيق مريض وسأسعفه بواسطة الحارس».

لماذا لا توزع الإيوية وتسلم لكل واحد منا كمية صغيرة فهذا عملي ومأمون. تسائل سجين ملكر ولبيب يعرف طبيعة تفكير رفيقنا (ح).

اعتقد أن من الأفضل أن احتفظ بها معي لأنني أتوفر على مبادئ قوية تخص طريقة تخزين الدواء، لكنني إياها زوجتي. لأن الدواء الذي لا يحسن تخزينه يصبح ساما، وعلى كل فإن حرصي على الأمر أضمن لنظامي التنبير.

الشرح أن يتم تخزين الدواء لدى الحارس وسيقوم هو بإحضار الدواء كلما دعت الضرورة إلى ذلك، وهذا سيجعلنا نتفادى الذهاب والإياب المثير للارتياح.

لا، أجاب زميلنا، التركوني التصرف مع المبعوث، فلنا أعرف ما القوم به..

هكذا انطلقت حرب ضروس بيننا وبين رفيقنا، بين رجل أناني وآخرين يريعون إنقاذ أنفسهم أيضا، فاحتفظ لنفسه بالفيتامينات والمقويات وكان يوزع بين القبيلة والآخرى بعض الفراس الإسبرين أو غاندان (RANIDAN) أما المضادات الحيوية فقلما كان يسلمها لنا. بعد لأي - ونقل على هذا الحال مدة ثلاث سنوات إلى أن ثارت ثائرة بعض المعتقلين مطالبين بالمساواة، وهو ما سنتحدث عنه فيما بعد بالتفصيل.

بعد سنة من الألم والمكابدة، نزل الموت بنا واختطف قاسم قسراوي يوم 16 بجنبر 1979 في عز الشتاء، ظل يعاني مدة طويلة من الحمى التي فتكت بجوانحه ثم بصق الدم. ولما تيقن بأنه مصاب بالتهاب الرئة، طلب من الحراس ألا يقربوا منه كثيرا حتى لا يصابوا بالعدوى

وينظون الداء الى عائلاتها قبل ثلاثة ايام من وفاته طلب من الحارس باغازي طلبا قائلا: «اعرف انني ساموت لكني اريد قبل ان يصل اجلي ان اطلب منك ان تاتيني إذا امكنت ذلك باربع تمرات».

سأله الحارس محذرا لماذا التمر بالذات؟

. عندما كنت صغيرا . قال السجين المريض . كنت احب التمر وافضله على الحلوى . وهذه المنطقة صحراوية مليئة بالتمر ولن نخشى سوء العاقبة إذا ما ضبطوا التمر في جيبك . ارجوك حلف لي هذه الرغبة قبل ان اموت الله لن يضيع اجرك..

. هذا ممنوع منعا كليا.. لكنني ساري ما استطيع فعله. اجاب باغازي وهو يطلق الباب بلا مبالاة واضحة بون الاكترات لهذا المطلب الانساني البسيط

ظل المحتضر ينتظر على احر من الجمر والحارس يسخر في قرارة نفسه. مرت الايام الثلاثة سريعة ومات السجين بون ان ينشق التمرات التي طلبها من اعمق اعماله. عندما فتح الحراس الباب ازكعت انوفهم رائحة الدم المتجمد والفضلات والبصاق. كانوا على علم بانه مصاب بداء السل فترددوا في الاقتراب منه. فقام باغازي بصب قنينة من كبريتيل على الجثة حتى يخلف من نتائنها ومخاطر العدوى. ثم وضع الحراس مناديل على انوفهم ثم امسكوا باطراف الغطاء ونقلوا الجثمان وقد اشاحوا بوجوههم عنه. كما لو انه جيفة. ولما وصلوه الى القبر دفنوها باغازي برجله لنهوي في الحفرة الاخيرة. فلانه اخبرهم بدائه ونصحهم بعدم الاقتراب منه حتى لا يصابوا بالعدوى. اسأؤوا معاملته حتى بعد موته! علما بانهم كان يلقون كل سنة ضد الداء لكنهم لم يلقوا ضد السوء والحد.

امضى سجناء البناية 2 سنة 1987 في الطلق والقنن في انتظار الموت والعاريت او اي بصيص من الامل. قليل منهم فقط يستطيع الهروب او التنقل منتصب القامة اما الاغلبية فقد كانوا يتحركون زحفا او يمشون مشية البط او الدببة. كان المسجونون في اماكنهم بدون حراك يطرحون مشاكل على الحراس فاجبروا على السماح للسجين المجاور او المقابل بتسليم الزملاء المشلولين طعامهم خاصة عن المدير. وبالرغم من ان هذه السنة لم تشهد اية وفات. فإن اليوم ظل يتردد على البناية اياها. مثله في ذلك مثل الضحايا والعاريت. اما في البناية 1 فقد توفي المرحبان ازيان العربي يوم 2 يناير 1987. وقد كان هذا

الطيار الأعزب قد ابرهن بـ ١. سنوات سجنا في قضية الطائرة الملكية وكان من المفروض أن يفرج عنه سنة ١٩٧٤. قبل وفاته بشهرين. مازلت أذكر تلك اليوم الذي كنا نتجانب فيه اطراف الحديث عندما اعتذر لي بسبب الالم الذي كان يعزق أحشائه وانسحب. بعد ربع ساعة ناداني ليخبرني. وقد استبد به الهلح: «أوه. لقد توجهت للقضاء حاجتي فزفقت بما أسود. ومازل الالم يفتك بامعالي. عمت حالة الطوارئ في نباتنا فارتبك ازيان وقللنا نحن ونهب كل واحد منا منهما خصوصا لتفسير الالم وإن تجنبنا أي حديث عن الجنون كما هو حال رفاق العناية الثانية. صاح أحنا: «عندنا ابوية. فماذا تنتظرون لإنقاذنا» اجابه رفيقنا صاحب «الصيغلية»: «لا تخف. العربي. سارسل لك هذا المساء مضادات حيوية وابوية ومقويات مع الحارس. وكذلك كان سلمه عليا من تراسلين وغاندان والفيتيل.

وبكل صدق. لقد بذل رفيقنا «ح. قصارى جهده لإنقاذ العربي الذي كان صديقه الحميم. فكان يرسل له كل يوم الابوية وجبنة «البقرة الضاحكة». وفي اليوم الخامس توقف النزيف والالام تدريجيا لكن المريض ظل منهكا وقد وهن منه العظم ونال منه المرض.

كان «ح. يناوله الفيتامينات. لأن العربي كف عن الأكل منذ سقط صريع المرض. مرت الايام ونحن ننتظر الفساج. امسه بن دريس الحارس بالزحف على اربعة ليتناول غذاءه فلم يستطع الحركة. فقرر الحراس ان ينقلوا الي جانبه رفيقه بنعيسى رشدي لمساعدته والعناية به.

وكانت تلك المرة الاولى. بعد ست سنوات من الاعتقال التي يعيش فيها سجينان جنبا الي جنب في نفس الزنزانة. وقد شغل بنعيسى الخبير والطيب رفيقه بكل عطفه وحنانه. فاطعمه ونظفه بعد قضاء حاجته ونظف ملابسه. وطوال هذه المدة التي دامت شهرا انتظرتنا المعجزة. اعتقدنا ان الابوية والمقويات سننقذ المريض والحال ان ازيان ازداد ضعفا الي درجة انه لم يجد القوة للتمرز. فقد خانته القبرة على اخراج ما تراكم في امعائه فكان المعتقل بنعيسى يدخل اصبعه في اسفه كل يوم لينظف ما به او ما استطاع انتشاره كان يفرغ صافيه بدون نائف او اشمشراز ويون أن يكرهه احد على ذلك لأن الهدف الاسمي بالنسبة له كان هو إنقاذ صديقه. وقد كان بنعيسى يريد دائما على مسامحي: «انا مستعد لمساعدة أي كان لاننا روح واحدة. فالانف

حتى ولو كان مصابا بالجذام يظل عضوا من أعضاء الجسم الواحد.
 مساء يوم ٢ يناير 19١٠، وبعد أن أنهى بنعيسى واجبه، أخذ مكانه
 إلى جانب المحاضر وبدأ يروي له دعابات ونكتا أمازيغية. فجاء
 لاحظ أن الإتيح الأخرس والرتيب لأزيان قد توفف. وضع رأسه على
 صدره ليحس أنفاسه. لما لاحظ أن قلبه لا ينبض رفع نراعه وتركه
 يسقط.

فلما لاحظت له علامات حياة، هزة هزة عنيفة لعله يستفيق، لكن
 سينا من ذلك لم يحدث فصاح مله لعه: «يارهاقي مات العربي، لقد
 ضاع صديقي ولقنت أخي العربي». عم الهلع وطلبنا منه أن يتحقق
 من موته وعرض كل منا معارفه في هذا الخصوص. لكن النتيجة ظلت
 هي هي. جاء تعليق منصت (رقم 1٠) سريعا: «كنت اعرف انه سيموت
 لأن الأنوية في تازمامارت لا تجدي نفعا. فما ينقصنا هم الأطباء
 والصحة والاختصاصيون، لأن حالتنا بلغ مداها. أخبرنا بنعيسى أن
 عيسى اللقيد مفتوحتان، فطلبنا منه أن يغمضهما بحركة من يده وأن
 ييمم اللقيد جهة القبلة ويقرأ القرآن. وظل على هذه الحال طوال تلك
 الليلة الشتوية الطويلة، وكانت تلك أول مرة يقضي فيها الليل إلى
 جانب ميت فكان من الطبيعي أن يتوجس خوفا ويتوقع ظهور الجن
 أو العفاريت بين الفينة والأخرى، خصوصا وأن بنعيسى الطبيب
 الخدم كان يؤمن بالأرواح وما يحكى له من الخرافات. في يوم الغد،
 أخطرنا الحراس الذين تصرفوا نفس التصرف في مثل حالات سابقة.

في ذلك اليوم شعرنا باننا ضعفاء امام المرض بالرغم من الأنوية
 والعيناسينات وأن الحل هو خروجنا من المعتقل. وفي انتظار ذلك
 وجدنا سلوتنا وعزائنا في مرايا صغيرة مدمرة قطرها ٢ سنتمترات
 وزعها علينا الحارس «البعوث». منذئذ لم نعد نعيش في الظلمة
 النامة، بل في زنازين مضاءة بنور الال من نور الشمعة، لكنه الفضل من
 لانسء على كل حال. كنا نلصق المراة الصغيرة بجزء من الكارطون ثم
 نجعل ثلاثة أو اربعة اعواد ولطع من خشب ونشد بعضها البعض
 بخيط أو سواه ثم نربط الكارطون ذي المراة باطراف الاعواد بسلك
 حديد صغير يستعمل كسند في نفس الوقت، ثم نخرج «الإله» كلها عبر
 نعب السفف ونضع السند على طرف اللقب (الجزء الخارجي للسفف)
 ثم نوجه المراة نحو إحدى كوات السفف الصغيرة باتجاه الشمس.
 هكذا ننعكس اشعتها ونسرب إلى زنازيننا مشكلة دائرة ضوئية، على

الإرضية صحيح ان الزنزانة لم تعد مظلمة تماما، لكن الضوء كان ضعيفا إلى درجة اننا نسينا بالكاد الجدران.

كان هذا الاكتشاف مشابها لابتكار القرون الوسطى لفرحنا به مثل فرح البدائيين بالنار. اعتقد بعضنا ان تلك هبة من الله الذي اثار زمازمتنا بعد ان اثار قلوبنا واعتقد اخرون انها بشارة خير عن قرب خروجنا والحال ان المادي الملموس بالنسبة لي هو ان المرأة سمحت لي برؤية ما كنا نأكله، فمن قبل كنا نأكل بدون عيّن، ومن سوء الحظ ان سماع الضوء كشف لنا عن الطعام الوسخ المليء بالحشرات حتى ان بعضنا تغادى النظر إلى صحته حتى لا يلفد، الشهية.

انكر احد الاعياد الدينية التي كنا ننتظرها بشغف، لاننا كنا ننتوق قطعة من اللحم في مثل هذه المناسبات. جاءنا يومها بن ابريس وخاطبنا بالقول، اسمعوا هاذ نهار العيد الكبير وطيبنا ليكم مأكلة رويده فيها اللحم والزيتون ويطاطا. ولكن المارميطا فيها عثرب فحل واش نُسْرَبِيكم ولا نُرْمِي كلشي في الرّيالة. ساد الصمت لمدة قصيرة ونعالت الاصوات مطالبة بتوزيع الأكل بعد التطويح بالعثرب. تسامل الحارس: «اش ما خفتو السم» فكان ان اجابه احدنا: «الما الصنفر اللي كابسيل من الصرة نبالنا فنجح من السم ديال العثرب».

وهذا ما يحدث عندما يحرم الأحم من حصته او تعطى له كل امرات في السنة. لقد بلغنا الحضيض حتى بدا إعطائنا قطعة لحم كل يومنا امرا غائبا وقانونيا.

الشطرنج

نجزية للوقت ومحاربة للشجر تفتق نهن ريفلنا غلول (رقم 21) عن فكرة شطرنج خاص بنا، كان علينا إيجاد إير للخياطة لتجسيد فكرته، وهو ما قام به الحارس المدعو، إذ جاعني بإبرة وكية خيط لكل سجين. استعملناهما اول الامر في رتق اسمائنا، بعد الحصول على الخيط والابرة اصبح لزاما علينا، إيجاد قطعة قماش (الجزء الخلفي من قميص نال) شريطة ان تكون مربعة وصالحة لخياطة مربعات من كتان بلون فاتح او صباغنها بمسحوق (دي. دي. دي) التي كان يوزع علينا لمحاربة الحشرات) بطريقة نحصل بها على مربعات بيضاء بخلفية سوداء، وهكذا نحصل على رقعة الشطرنج.

ثم نعجن لب الخبز الى ان يصبح عجينة ثم نخلطه بنشارة الصوف المنساق من لطاءنا المهترلة لنحصل على كويرات صغيرة نصنع منها قطعا وبيائق. وما ان تنتهي العملية حتى يضع كل واحد قطعه وبيائفه باللون المفضل لديه. ولعل اللون الاكثر استعمالا كان زيت نسجيم الفبال زنازنا او الفهوه. وفي الاخير، نترك القطع تجف وتنصلب.

لممارسة اللعبة، كان كل من السجين وخصمه والحكم يضع الرقعة وبيائفها تحت الشعاع الضوئي المنبعث من السقف. وبما ان رقعة الشطرنج كانت مربعة عموديا من A إلى X والقطعا من 1 إلى Z، كان على كل لاعب ان يعلن بصوت جهوري كل نقلة، ونفس الشيء يقوم به الخصم، لان كل رقعة كانت تضم بيائق اللاعب وخصمه وعليه، فان كل لاعب كان يقوم بدور مزوج ليكون على الرقعة وضعيات بيائفه وبيائق خصمه. وفي حالة الخسارة كان الحكم يحسم الامر ويصحح الخطا. فيما بعد نلقنا بطولة على مستوى البناية.

لكن الاغرب والخارق هو ما شاهدناه عند رقفتنا بلعجوب علة. لقد كان رقفتنا هذا متكاسلا ومنهائنا منذ الطفولة، لا يحب القيام بأي مجهود ولم يكن لديه اية رقعة شطرنج لكنه كان يشاركنا اللعب والمنافسات. ذلك انه كان يحفظ نغنيا اوضاع بيائفه، وبيائق خصمه. بل انه كثيرا ما قام بدور الحكم عند حدوث خلاف بين متبارين. وهو ما لم يحدث له قط. ومن سوء الحظ تولف عن اللعب بعد سنة على بدايته بسبب اوجاع الراس التي ألمت به، وقد رفض ان تصنع له رقعة شطرنج، لانه فضل الاسترخاء وجاء ذلك بعد ان كشف تفتيش دقيق لزنازنته انه لا ولم يتوفر ابدا على الرقعة الخاصة به.

لقد كان شعارنا يختلف عن شعار رقفتنا في البناية رقم 2: إذ واصلنا المقاومة رغم كل الظروف منا من كان يرزف ومنا من احبوب ظهره، لكن الجميع كان يشارك في الأنشطة اليومية بحثا عن النسيان. وكثيرا ما تخيلت نفسي ورفاقي كجنوع اشجار جرفتها السيول لكنها تعاكس التيار حتى لا تصل إلى الهاوية. كان المجانين منا يعيشون في عالمهم الخاص لا يولون اهتماما لأي شيء من حولهم، حتى انه مر حين من

الدهر على الفاكوري ميمون قبل أن يعي أن صديقه العربي أزيان قد مات. حصل ذلك ذات يوم عندما ناداه للبريشة معه. فلما سألناه عن موضوع الحديث قال: «غير كنت بالحي تفكروا في شي تكريات عشناها في مريكان».

كان من انشغالاتي الدائمة اتخاذ جميع الاحتياطات حتى لا اسند منافع المرحاض للأسطه. نعتت كل احتياطاتي البراج الرياح بسبب لحظة سهو سقطت اثناها قطعة اسفنجية في المرحاض، والحقت مواسيره، معاض الماء القذر. اصبحت بالهلع فاندخت بيدي في الحال عساي انتقلت ما في المرحاض، لم احصل على نتيجة واعدت الكرة مرات عديدة، سدي فاستنجد بي الياس والفلق وأنا الفكر في العيدي الذي قضى بسبب المرحاض وفي غلول الذي كان يفرغه كلما قضى حاجته. مما ادى به في النهاية إلى الشلل، قررت الكفاح واستعمل كل الوسائل لحل المشكلة. اخطرت الحراس فوضعوا رهن إشارتي قطعة خشب ثم سلكا حديديا وقلبا وباريقي ماء إضافية ونصف لتر من الماء القاطع. حصلت على نتيجة جزئية، لأن الماء كان ينصرف ببطء. ومن سوء الحظ ان اليوم الموالي كان يوم خدمة السارجان شاك سعيد الذي رفض منحي ماء إضافيا قائلا: «لك الحق في إبريقي ماء واحد فقط» تعطلت بما حصل لمرحاض، فكان جوابه: «تبر امرك كان عليك ان تحفر ولوع ما حصل» اجبته بصعوبة الرؤية نظرا للعتمة ورجوته مرات عديدة بان يحفر قلبي. فاصر على رفضه. تسارعت نبضات قلبي ولم اتمالك اعصابي سررت على مسامحة كل عيوبه لعله يرى وجهه في المرآة. اسمع البلبل، حتى اننا تعلمت تعطي لي زورر، انسيبت انك جاهل بحالك كانوا خدامي عندي. واش كاتلن ان القانون هو هاذ شي اللي كثير. واش خاتلن راسك عادي تسلك نهار الحساب القانون كايقون كل واحد مسؤول على راسو. بالحي تتناظم، يا لله انتلّم من المحابيس».

اجابني: «اسكت الخائن، ما عندكس الحق تتكلم».

. كنت خاين او لا، هذ القضية اكبر منك انت غير واحد الإنسان بلا اخلاق. وعادي نكوك واحد الحاجة في الاخير، على وذ لفلوس انبر اللي كاتن».

قاطعني: «نيميرو 14 رايك نرت الحدود».

اجبته بحد: «لو كنت رجل المتح الباب وعاد اشوف. ما عندي ما تخسر».

تدخل لاجودان شلاف محمد بن محبوب حارس بنورة، وترجاني ان
اهد عن السباب لكنني واصلت بحدّة. اما اصداقائي فقد انقلهم الامر
للوهلة الاولى ولم يصدقوا ما سمعوه وسرعان ما حل الفرخ محل
الدخنة لما شغفت اسماعهم بذم السارجان سعيد واهانته. هناني رفاهي
على ما فعلت به على هذه المفامرة التي كلفنتني فيما بعد الحرمان من
الماء والطعام مدة اسبوع. وقد دخلت الطوية حين التنفيذ في ذات اليوم
وسهر السارجان سعيد شخصا على تطبيقها حيث كان ياتي يوميا
حتى يوم عطفته. في اليوم الرابع، اجبر على الغياب بسبب مرض ابنته
الذي كان عليه ان يطله إلى الرئيسية.

في منتصف النهار، فتح الحارس الطيب، الزنزانة بسرعة وملا
ابريق الماء وسلمني حصتي من الغذاء ثم الخلق الباب خلفه قبل ان
ينتمه زملاؤه المنشفلون في الساحة. اما الايام الأخرى فقد قضيتها
نحت مرابطة خصمي. في اليوم التاسع، فتح بن ابريس زنزانتني فطرت
محتجا على الشطط فاجابني، بان هذا امر المدير، ثم ذكرني بسوابقي
عندما عوقبت على سوء معاملة السرجان عبد السلام، واصل بعض
الحراس يتنصرون من سلوكك لهذا عالمك المدير. انا شخصيا اعرفك منذ
1948، لانك كنت استاذي الغناء تداريب إعادة تكوين القدامى من
الجيش. لقد كسب طيبا ولطيفا لكك تغيرت في تازمامارت. ويعتبرك
المدير وبعض الحراس عدوانيا وخطيرا، سألته: كيف نسعى الذين
وضعونى هنا، لكنه الخلق الباب وانصرف بدون جواب.

فكرت بعد نهابة عن جدوى الحوار مع المدير واعوانته، وخلصت إلى
ان افضل موقف هو الامتناع عن محاورتهم. وما كان هؤلاء الناس
يجهلونهم هو، عملية الإنقاذ، التي كنا نطبقها بون علمهم. ففي كل مرة
بعاقب فيها سجين كان جبرانه يبقون ما في وسعهم لتعريف الطعام
إليه هكذا. نلى الطيب بتعيسى عطايه ثم وضعهما فوق بلو الماء
واعتنى الكل بعد ان اختار مكانا محمدا اسفل ثقب الجدار المطل على
الكولوار، لمعت بنفس الشيء و.. انتظرت. حمس قطعة من الخبز في
الرق (كنا نسميه البحر الأحمر) ثم وضعه في جيب من قماش صنعه
لهذا الغرض ربطه بعطف، الضيب، ثم أخرجه من ثقب الجدار باتجاهي.
وبمجرد ان اصبح في مستوى يدي التي مررتها عبر ثقب جدار زنزانتني
امسكت بالجبب الذي ارجعته بعد ان اخذت قطعة الخبز. لجانا إلى
نفس الطريقة بخصوص الماء مع تعويض جيب القماش بفتينة ماء

بلاستيكية (من نوع جافيل نسيها الحراس في الكولوار فاستغل بنعيسى إحدى المناسبات وسرقها). وقد كانت العملية جد بسيطة، لأنها كانت تقتضي ان يمسك بنعيسى بطرف «الحبل» وان يحتفظ هو بالطرف الآخر ثم يربط به القنبلة. ويطلب مني ان اجر «الحبل» بتؤدة حتى لا نهتز فيما هو يمسك بالطرف الآخر بطريقة تجعله مشدودا جيدا. كان برخي وكنت اجنب والقنبلة تتحرك باتجاهي مثل «تيليفريك» معلق في الهواء. كررنا العملية إلى ان حصلت على كمية كافية للشرب طوال اليوم.

حل الشتاء بمساوته وكان القسي على ريفنا بك الجبالي الذي افعده المرض وشدة نعاما. قرر الحراس السماح لأحد الرفاق للتناوب على العناية به وكان «ج» يرسل الانوية الضرورية كلها بواسطة الحارس الرسول، الذي قرر ان يساعده بون العودة إلى ريفنا، فكان ياتيه بكل ما يحتاجه من ابوية واعشاب وخذاء متنوع ولبثامينات. وقد ذهب به الحذب والكرم الى درجة انه جاءه بالحسل والجبنة والزبدة واللحم المشوي والفواكه. ولما رأى القبطان غلول محمد ان بعض الرفاق المنهكين لا يستطيعون القيام بالمهمة تطوع للعيش مع الرفيق بك. سمعت حالة هذا الأخير رغم ما بذل من جهد. فكان يقضي حاجته، وهو معمد على البلاطة واحيانا كان ريفنا يتبول في سرواله. فكان القبطان غلول لا يالوا بهذا في النظافة والاهتمام، طالما كان حال بنعيسى مع المرحوم ازيان. وبفضل صبر وإرادة غلول ومساعدة الحارس بدأت حاله تتحسن تدريجيا الى ان استقرت وانتجت الالام واستطاع الوقوف. مرحبا لشفاؤه ايما فرح: لكن للأسف ما إن حل الرابع من شتنبر 1981 حتى لقي ريفنا بك الجبالي حتفه.

قررت انا وغلول التدخل لدى الحارس بن اربيس لعائلة الغفيد، اخترت لحظة ضعفه وضربت على وتره الحساس: «مون ابجيدان شاف. لقد كان بك صبيك وقد قضيتما معا سنتين تكويتين في الميكانيك، وانتم بشيء ما اتجاهه. تولأه ليتوالك الله. انت مسلم جيد (كذا) اتركنا نعمله حسب فرائض الاسلام وبفضلك سيلقى ربه طاهرا نقيفا. والله ان يضيع اجر إنسان مؤمن ملك».

اجابني بن اربيس: «لا مانع عندي لكن الامر ممنوع معنا كليا والمنع لا يرحم». عقيبت عليه فوراً «ما حدّ لحديد ستخون». لكن اليوم لا يوجد عبركم انتم الثلاثة، وكلكم برتبة لاجودان شاف. وانت تعلم ان لاجودان

هو مارشال ضباط الصف عليه أن يتخذ المبادرة. و«رؤوسكم مجرد متفنين وهم غالبون على كل حال والمدير يوجد في مكانس. لا نفس الله والجنة، فالمسلم هو الذي يحسن إلى الناس».

بعد ان وافق الاخران هز راسه بالإيجاب وقال لي مبسعا:

«انا موافق وستترككما مع جيلالي، لتبكما ساعة واحدة للقيام بالعملية. سنضع رهن إشارتكما 11 اباريق من الماء وسنطلق الباب الكبير. حظ سعيد وإلى اللقاء». اخلقوا الباب الرئيس وقد خلفوني مع الميت، اثارني الرائحة في الزنزانة ونكرتني برائحة مماثلة استنشقتها وانا صغير عنما دخلت غرفة سيده مينة. إنها رائحة الموتى. لما التريت من البلاطة وجدت المسكين متكئاً على نفسه وقد علت وجهه علامات مكابدة الالم الذي ألم به قبل الوفاة. وشفتيه نصف مفتوحين وعينيه جاحظتين وبمعدنان من دم جفنا على طول وجنتيه الغائرتين وجدنا صعوبة كبيرة في خلع ملابسه بسبب اعضاءه الجامدة. انهلثني نحافة جسمه التي تشي بما عاناه من جوع والم، وانهلثني نجاعيده وفصه الصدري الذي كان اشبه بسطحاء. المني ما رايت فانشحت بوجهي واجهشت بالكداء. احسست بالغضب يشتعل في السعاع يرج كياني كله. وتفاويت نظرتي الزجاجية تكاد تقول لي: «اه يا عزيزي الرئيس، لماذا عيونني كل هذا العذاب وقد قضيت عقوبتي منذ زمان».

عسلناه، كما تفضي بذلك تعاليم ديننا الإسلامي، واعتنمنا الفرصة لتنظيف الزنزانة. وبعد أن انهينا واجبنا للقاء في غطاء نظيف في ملكية غلول. جاء الحراس بنعش وحملوه إلى متواء الأخير. وطوال ذلك اليوم، قرأ الرفاق القرآن ترجمما على الفلبيد. كان نيك الجيلالي برتبة لاجودان شاف انخرط في الجيش سنة 1956، متزوج واب له 5 اطفال ولد سنة 1968 ياسفي. لم يكن يحمل سلاحا او يلود كومانوو. غير انه ادين بـ 5 سنوات سجناً في قضية الصخيرات، لأنه كان يومها يلود سيارة جيب استقلها الكولونيل اسحمد اعيايو من بوقنادل إلى الصخيرات. وقد دفع ثمن ما قام به، رحمه الله، امين.

كان الحراس يطوفون بالزنزائن مرة كل شهر، لجمع النفايات، وكانوا ياتون بورفتي قصدير لإنجاز هذا الغرض وكانوا يضعون «الزئك» امام الزنزين فاعتنم رشدي بنعيسى لحظة شروء الحراس فاجتزأ قطعة من القصدير ثم شحنتها فيما بعد على حاملة البلاطة وصنع شفرة حلاقة، كما نمرها خلسة لبعضنا البعض لنخلق شعورنا ولحانا وشوانينا،

وبما انتظرنا من سنوات حتى تتعبل هيئاتنا بهذا الشكل ..

اعتنمنا ابني الفرص في عمركنا مع الموت والابتنال، واضحت اتفه اسفنجة ذات ليمعة والهمية وادنى سلك حديدي ابرة واصفر قطعة معينة ملعقة. وبذلك اخذت حياتنا منعطفا جديدا رغم للة الوسائل. لقد اصبحت لدينا مرانا الصغيرة، الجلب، الضوء الى الزنازن وابرة لرتق اسمالنا وقطعة زك للحلالة وملاقق، بل حصلنا على قنينات بلاستيكية للبول في الليالي الشتوية الفارسة، نون مغارة، الفراس، لا سيما بالنسبة للعرضى للعاجزين عن الحركة.

الاجدى من هذا هو مسحوق «دي دي تي» ومادة تطهير المراحيض، فعندما اشتدت حرارة الصيف فاستعملناه في علاج جروحنا المتليحة. واستنطاع هذا المسحوق بقوة الاشياء، ان يمتص اللجج ويجلف الجروح، اما المادة الثانية فقد استعملناها كمنظف لتطهير او «كشط» ملابسنا من وسخها السنوي.

وبما انها كانت تحتوي على كمية معينة من ماء جافيل، فقد نظفنا بها اباريقنا وصحنونا وجنبت المراحيض والزنازة، كان الجميع يلجا الى مسحوق «دي دي تي» لان النوم على البلاطة، يعون لحاف نسب لنا في كيمات او جروح في الخاصرة والمرفقين ومازلت احتفظ بانارها الى يومنا هذا.

حدث ان استغل احد السجناء فرصة توزيع الطعام وتسرب الضوء الى زنازته فالتى عليها نظرة تظلمية فلجح عقربا قابعا في الركن. طلب من الحارس ان يمدد بالكمنسة للنته، رفض هذا الاخير رغم توسلات السجن، وخاطبه وهو يفلق الباب قائلا: «لا تمسه فتن يلسك لان العقارب المغربية لا تلسع مثل عقارب اسيا، تم مطعنا ودعه يرتاح قليلا، للأسف تعرض رفيقنا للسعة العنقرب وامضى 3 ايام بهتني بين الحياة والموت، وكاد السم القوي ان يسبب له سكتة قلبية، كما اعتقد في ان المطر يهطل على جسده المحموم. لقد نجنا بمعجزة ولما اطلع الحارس المعنى بالأمر، اجاب نون ان يرف له جفن: «ان لسعات العنقرب الاسود لا تقتل، وما يجب ان تحنروه هو العنقرب الاصفر. ولبلي في هذا هو كون صاحبكم مازال حيا ويحيا نون انوية. لقد لسع العنيد منكم ولم يمت منكم احد. يبدو انكم محصنين مثل مروضي الاقاعي».

فعلا، تعرض العنيد من الرفاق للسعات العقارب ولم تقدم لهم اية

مساعدة وتركوا عرضة للام الحصى والهنيان. وفي هذا السياق، تعرض جاري بنعيسى لنفس الحادثة قبل وصول الحراس ببضع دقائق، عندما ما فتحو باباً اراههم اصبعه المنفلخ والمزرق وطلب منهم ان يدعوا الباب مفتوحاً حتى يعثر على الطرب ويقلته. اجابه احدهم: ضع صحتك واخذ. لانك انه جرح مسمار. فانت معروف به الفيريكول. من حسن حظك ان حارساً اخر راي الطرب في اكرة الباب وقتله. نفت بنعيسى المعروف بصراحتة الفجة والمستنزة الي الحارس الاول وقال له: «اتمنى من الله ان يعضك عثرب حتى تليم الفرق بين العضة والمسمار. بعد نهاب الحراس اغتنمت الفرصة لاسدي النصح لبنعيسى وتحذيره منهم ونيهته الي ضرورة تراسه مزاجهم وطباعهم. وختمت بالقول: احذر رمود فعالهم سيخلفون لك المتاعب. فاحفظ لسارك ولاتعطهم الفرصة لابذائك. لقد لاحظت مؤخراً انك تستأجر السرجان شاف سعيد منكما وقع بينكما. احذره. فلن يتردد في التنكيل بك.»

اجابني بالقول: «لكنه لم يتصرف على هذه الشاكلة. وبالرغم من انك شئتمه لمدة نصف ساعة فلم يجبك اللهم عندما قال لك «صه، ايها الخائن، فلماذا لم يذلك العذاب.»

عقيمت بقولي: «كنت اتمنى ان تفهم دون ان اضطر للشرح والمس بكبريائك. إن السارجان سعيد خاضع لنظام الانضباط في كل لحظة وهو على هذه الحال منذ 25 سنة، هذا امر لا يتخلص المرء منه بسهولة. وبالرغم من اننا كلنا سجناء في نظر الحراس فإن الهرمية تظل لاشعوريا حاضرة مما يطعمهم الي التمييز بيننا. قانونيا وقضائيا نحن معتقلون ومنبوذون، لكننا نظل في نظرهم ضباطا. وانت ينظر اليك السارجان سعيد على انك ندا له.»

وهناك امر اخر لايد لك ان تاخذهم بعين الاعتبار يفسر لماذا السارجان سعيد لن يؤذينا، وهذا الامر هو انه محكوم علينا بالاعدام. حولت عقوبتي الي المؤبد وليس لدي ما اخسره. وإذا كان علي ان ان اموت في مواجهةي معه فلايد ان اقلته وهو لا يريد ذلك. اما امرك فصختلف. فانت محكوم ب 1. سنوات سجننا قضيتها منذ مدة ومازال الامل في الحرية يراودك. اضف الي هذا ان بيتك الجسدية لا تسمح لك بالمنازلة.»

بدا لي انني المحمته. والحال ان العكس هو الذي حصل لما إن انطس شهر حتى حدث ما لم يكن في حسياتي. فقد فتح السارجان شاف باب زمرانته وامره بعله بلوه بالماء. فراح السجين يملؤه على مهل

سما اثار غضب الآخر الذي راح يلعنهم بدوره. خاطبه بنعيسى قائلا:

مالك كنفوت الحمار²

اما احمار انا³

ركله ركلة اصابت عظم سالفه الاكبر، ثم اغلق الباب انتهى عمله
وتساور مع لاجودان مولاي علي، ثم نخلا معا الى الزنزانة وانهالا
بالضرب على بنعيسى ونكلا به تنكيلا. بدأت اصبح واضرب الباب
بعضة يدي منددا بسلوكهما وهجومهما على سجين اعزل ومريض
فحاكائي الرفاق في فعلتي وسرعان ماسد الهرج والمرج وكف الحارسان
عن فعلتهما الشنعاء. لكنهما اضلحا المزاج الى القفل ونهبا بحصتنا من
العجوة والخبز.

سيما تقريرا للمدير القاضي، زيلنا فيه الحقائق فكانت النتيجة حرمان
الجميع من الخبز والماء لمدة 48 ساعة وحرمان بنعيسى 11 يوما وبعد
انقضاء 48 ساعة عضدنا بنعيسى ولم نتخل عنه في محفته. بعد
العجوة، لقد الكثير من حيويته. ولاذ بالعزلة والحرز، ولما سلطته عن
السبب الذي دفعه الى استفزاز السارجان شاف سعيد اجابتي:
لقد شتمته لاناكده مما قلته لي سابقا بخصوص سلوكه حبال
سارجان ضعيف ومريض.

واستنتج من ذلك ان الهرمية تظل فاعلة رغم السجن مثلها في ذلك
مثل شخصية المعتقل وبيئته الجسدية، وقرر إصلاح ذات البين بينه
وبين السرجان سعيد.

ذات مساء من مساءات نونبر، فتح الحراس باب البناية قبل
موعدهم المعتاد، ثم فتحوا زنزانة ظلت فارغة زمنا طويلا. اصاح رفاقنا
السمع لعلهم يلتقطوا نامة ما تدلهم على مغزى هذا الجني غير المتوقع.
زانت حيرتهم من طول الانتظار، وهم يتراقبون ما يبسط من الاحداث.
فجاء نخل شخص يحاط بحارسين وقد غطوا راسه بقناع اسود
ووضعو الاصفاء في يديه. دفعه الحراس وبدا عليه الارتباك وهو
يخطو خطوات غير وثقة كمن يقاد الى المقصلة او كمن ينتظر القاءه من
اعلى الهاوية.

اودعوه الزنزانة ورحلوا على الفور، ناداه رفاقنا فيما بعد لكنه لم
يجب وظل صامتا، سأل السجناء الحراس عن هويته. وتبين لهم من
خلال الجواب ان اسمه حسب ما يبدو، ميلودي صديق ريفي الاصل
رئيسه سارجان شاف في سلاح المظليين كان ملحقا بالقصر الملكي.

وقد ادعى الحراس انه ارسل الي تاز صاصارت من باب ثانيه على سلوك مشين ونهب بعض منه الي ان سبب مجيئه قد تكون له علاقة بعمله ككفني كهربائي بالقصر الملكي بالدار البيضاء وادعى اصحاب هذه الرواية انه ضبط متلبسا بالجرم عندما كان ينوي القيام بعمل تخريبي، يتمثل حسب البعض في تلقيح ميكروفون يشغل عن بعد. كل هذه الافتراضات تركت الشك يخيم على حقيقة الاعتقال وما كان مؤكدا هو انه لم يحاكم او يدان. ولعله السبب الذي فرض عليه التزام الصمت حتى لا يتورط في بعض التصريحات ذات الغوالب الوخيمة. وقد حافظ على نكته هذا، الي ان حل ذلك اليوم الذي استيقظ فرحا من كابوس رآه في منامه فسقط من على البلاطة وتكسرت ثراعه. كان الكسر مؤلما فلجأ الي الحراس متوسلا لعلهم يمدوه بعلاج. فربوا عليه بسخريه مرة وتهمك بين ااه يفت اندلوا وصحابك اللي سبفوك سنين هذه ماشالوا لا يوا ولا علاج. واش ماكتعرض بللي بزاف منهم ماتوا صير واسننى بحال الناس. عقب لاجودان شاف فريخ من جهته فائلا زعما انت باراشوتي. ما تهرستش وانت تنزل من السما والهرست مالي طحت من الدالا.

لم ينتظر طويلا لان الجرح استفحل وشلت الحمر حركته مدة طويلة جعل ان يحين اجله. قبل احتضاره سمح الحراس للمسمى سكيبة بوضعيب بمساعدته ومدد بالطعام. ولتها قدم ميلودي نفس المعطيات التي رواها الحراس. بعد موته. دفن في نفس الظروف التي دفن فيها رفائفا. لم نخطئ عندما لقبناه به الغامض، لانه جعل حليقة الامر معه. علما انه ظل يدعي انه بريء.

هو ذا البرد القارس من جديد، وهاهم الرفاق يفرقون في الصمت نهكمين عزل واللين، يتحركون بصعوبة تظلمهم الصواب. من جهتي حدثت مانح يناير 1981 كتاريخ للحديث الصريح مع الحراس الرسول لتوضيح بعض النقاط الخاصة باتصالي مع عائلي، ذلك ان موت ازيان وبك دفعني الي التفكير والتصرف بسرعة لانقاذ نفسي وانقاذ الاخرين. الختمت إحدى الفرض وقلت له:

اسمع من فضلك استسمعك إن كنت ساجدك بهذه اللهجة، لكني لم اعد اتحمل بعض الميز في تصرفك.
اجابني المصح. لم افهم ما تكلم له.
انا ايضا اريد الاتصال مع زوجتي، فليس من المقبول ان يمنع احد

السجناء بامتياز واحرم منه. فهذا (ج) واصفاؤه الحميميون ياكلون ما يشتهون ويتلقون العلاج والمقويات في حين البع في انتظار اجلي.
وبصراحة لا اريد ان اجن قبل موتي. انا ايضا مستعد لدفع مقابل خدماتك.

لا تتبالغ فكل ما القوم به هو من باب التعاطف. انا لست تاجرا. كل ما اريده هو مساعدتكم واثباتكم ان استطعت.

• ابن ليكن ذلك لفائدة الجميع. اعنا اعانك الله ورعاك. والحق المول لك انا لا اصعق ما تقول لانني تعلمت الا شيء بدون مقابل. انا لا اريد ان اظل تحت رحمة اي كان.

انني اصانف مصاعب كثيرة ولا يمكنني ان اربط الاتصال لفائدة عدد كبير منكم. هذا خطر.

• انت تفعل ذلك لفائدة (الان) لان زوجته ميسورة. وانا ايضا استطيع الدفع (وكننت المح الى الدكتور مسواك الذي قد يعني بما احناج ويدفع للحارس).

اوكد لك انني لا القوم بذلك من اجل المال. انا منطوع وضميري حي

ان الرفيق (ج) هو الوحيد المستفيد. فبفضلك وحكك يعيش عيشة النبلاء ونحن اتباعه ونجمع فئات المائدة.
الا اساعدكم نلكم؟

• لا. انت نهينا صنفك. ليس قرص الاسبرين هو الذي سيخطف الحمى الهذيانبة او قرص «ماندان» ما يوقف الإسهال الحاد والدائم.
نحن نهلك ولاريد ان يظل قبري مجهولا.

اسمع - الرئيس - اللهم عويبة دائما ولا واد نهار.

• سريطة ان يكون هذا النبع للجميع والحال ان رفيقنا وحده يروي عطشه منه ويعيش عيشة القايد اما نحن «عاشين عيشة العبيان» مالبطانة. والقران الكريم يامر بالعمل والحسنى وينهى عن ماعداهما.
واصلت حديثي بالقول ان استمرار الوضع على ما هو عليه سيلقود الي الكارثة. لا سيما وان رفيقنا ظل على اناثيته مما تسبب له في خصومات دائمة مع الرفاق. واضفت اذا كنت تريد العمل فاجبره على قبول مبدأ صنوق طبي للجميع تشرف عليه لجنة نعينها جميعا. اجابني غاضبا:
انت تريد نقابة. لا ننس اننا في سجن. لا نخلق الفلافل ودع الامور ناخذ مجراها الطبيعي. وعلى كل فإن ما بيد (ج) ارسلته زوجته.

اجيبت: مدام الامر على هذا الحال فاننا ايضا اريد ربط الصلة بزوجتي. غضب لجوابي وخرج بعد ان الخلق الباب وراءه وترك رفيقتنا (ح) يواجه مصيره لمدة ١ اشهر. لمس هذا الاخير في اليوم الموالي لحديثنا، فعل سلوك الحارس ازاء.

سأل الرفاق إن كان احدها قد غضب الحارس. اجبت على الفور .
انا من حدثته بشأن ربط صلتني بعائلتي. فاننا في حاجة الى العلاج واريده معاملة مماثلة لمعاملة رقم 29 والمقصود رفيقتنا (ح) رد علي المعني بالامر، لكن انا اقبل ما في وسعي لمساعدتكم.

• انت تساعدنا حسب مزاجك وتقوم بين الفينة والاخرى ببعض الانفعانات لإسكاننا او لإرضاء الغاضبين، إن لم يكن ذلك طمعا في عطف البعض او شراء لنعم الآخرين.

ويون ان اذكر الاسماء، القول ان رفاقه نالحوها عن موقفه وفتنوا موفلي. بعضهم عاتيون قائلين من الاحسن الاكتفاء بقرض اسيرين في الشهر عوض لاشيء ومضاد حيوي واحد يوازي حياة إنسان الخ. في المقابل ساند آخرون موفلي وشاطروني الرأي. وبما اننا كنا نشكل الاغلبية فإن حطوفتنا في النجاح كانت القوى فكتت ومنعت وغلول ولفلو وسعودي مرزاق وعلياوي وتيجاني وآخرون نلتقي في ضرورة المساعدة العائلة. وكان الرفاق يقول ،لسنا في حاجة الى الصفة. والإنسان الذي نال منه المرض لا يحتاج الى شيء والاصوب هو الانتمام به قبل وقوع المخطور. يلزمنا الآن الفيدياسينات والمقويات والحال ان رفيقتنا يحتفظ بهذه الاشياء لنفسه ولاصفاته.

رد علينا رفيقتنا: هل تلو مونتني على شيء في ملكي؟
عجبت: نعم. انا ايضا اريد شيئا في ملكيتي وجاء ربه سجاليا:
إن الحارس ليس ساعي بريد لكي ينهب الى منازل الجميع. واذا كان يتصل بمنزلي فلاننا نعمت الي بعضنا البعض بصرة القرابة والجوار.

مثل هذه العلاقات القبلية والاقليمية هي سبب الاحقاد والضغائن في المجتمع. كلنا مغاربة وسواسية والنستور واضح في هذه المسألة.
ندخل غلول مقترحا الحل الآتي:

مدام الحارس المبعوث لا يتوفر على الوقت الكافي ليطوف على كل العائلات، فليس امامه سوى ان يسلم بريدنا الي مدام .ح.

رد رفيقتنا .ح. على الفور: إن زوجتي صاحبة صبيعية لا يمكنها ان

نتنقل في الدواوير ومدن القصير.

سارعت بالقول: بما ان زوجتك لا تستطيع القيام بهذا وانت معن في عنائك، فما عليك إلا ان تخلي المكان لشخص آخر يقوم بهذه المهمة الإنسانية. وأنا احذرك الآن إذا لم يحلق التضامن والناز وتبذل التضحيات فإنني سامع كل اتصال. إذا كنا هنا من أجل الموت لننت كئنا!

- إن انتم تسامونني؟ سأل رفيقنا مستكرا.

- نعم، اجبتته واضفت . أنا لا اسأوك فقط بل اهدك ايضا. وكل نفس لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت. كما ورد في القرآن الكريم.
وان الترك تعيش مثل قائد في حين يتسلط رفاقه مثل الثياب.

ومن مصلحتنا ان نقل كثيري العدد لأن السجن لن يظل قائما لأجل سجين أو اثنين، فهم قاترون علي تسميم آخر من تبقى للشخص منه. كان هناك سجين مكث في سجنه وحيدا هو روبرت هيس، نائب هتلر، ورفيقنا ح، يريد ان يتمتع بنفس الامتيازات ونفس النظام.

- رد رفيقنا ح، لن استسلم لخزعبلاتك

• وأنا لن ادعك في سلام وسأقيم «الحصار» الي ان هنا إبيت بياف

..

تولف سجاننا العاصف في هذه اللحظة وما ان انقضت أيام قليلة حتى نسينا مشاجراتنا علما أنه كان من الضروري ان تكون ونضع التلط على الحروف لأن كل واحد كان يريد الافلات بجلده.

كان الوثام ينتصر دائما لأننا كنا نهي ما الذي سيحصل لو بيت الفرقة بيننا وعشقت طويلا أو اختل نظام «البقاء» لم تكن مثل زملائنا في البناية (2) وكان دائما هناك حل لمشاكلنا التي لم تبلغ درجة تعقد مشاكلهم.

الاستجاء والاستسلام والدين

انكر بوضوح ان منعت كان اول من تطرق للموضوع يومها. إذ خاطبنا بقوله: - «انصتوا جميعا، هناك موضوع تتكلمون الخوض فيه هو موضوع النساء، فعدنا اعتقائنا وانتم لا تفكرون سوى في الطعام

والأمراض والولوت وتوالله الحياة. انسيتم ان النكر يحتاج الى الإنثى سواء كان إنسانا أو حيوانا، حتى النبات نفسه يخضع لهذا القانون. إننا نتعمد جميعا التفاضل عن هذه الغريزة الإنسانية الأساسية. الجنس إحساس لا يضاهى ولذة لا حد لها. فما هو رأيكم، انفجر الجميع ضاحكين ثم رد سعودي بمكر: سول لزوجه اللي والفو ينعمو زوج في التاموسية اما هنا لعزلة غير مرة مرة وما عندنا التجربة بيالهم عجب العبيد منا بأنه لا فرق في مثل هذه الأسور بين المتزوجين والعزاب وأن اللذة لا جنس لها ولا عمر. وعندما تتحرك الغريزة لا بد من شريك. اخذ الزموري الكلمة وقال: لقد كانت لدي عدة صديقات في ما مضى، لم اكن انام وحيدا حتى وانا اعزب. والفنيات موجودات في القنطرة، بل كانت لي صديقات في القاعدة الأمريكية نفسها، عجب عليه أحيانا فكان ذلك ليصا مضى، والأز قل لنا هل وجدت تعويضاً عن اللذة الجنسية، فرد عليه للمعنى بالامر: - في الخب الأحيان لا أجد مشكلة هنا، لأنني الكشي النهار في استحضار ممارتي السابقة وفي الليل استسلم وأتبع بذلك رغبتى.

تدخل منصت قائلا:

«أعرف هذا، شخصيا كنت اليم مع صديقتي في نفس المنزل مثل زوجين، لكنني الآن محروم من هذه اللذة والحال أنها ضرورية للتوازن النفسي.»

أجاب الصفريوي الذي كان يحب كثيرا مثل هذه النقاشات ساخرا: «هنا شيء ما كان نقصنا في نازمامارت، غير «بنات الهوى» لساجين مراض وجيمانين وموسفين. وفي الواقع اضاف المتكلم يجب التفكير في القانون الذي يحرم السجناء من النساء. لأن هذا المنع لا إنساني وظالم وصرحة كنت في السابق زير نساء. وكيف لا يكون المرء كذلك في فاس حيث الفتيات مثل الملائكة، وختم قوله أعيش الآن في احلامي ومع امراضى نون التفكير في شيء...»

قاطعته منصت الذي كان يدير النقاش:

- ما هو رد فعلك الآن تجاه الحرمان؟

• ثم أعد الفكر في مثل هذه الأسور، فتكوني أشاهد القبح يسيل من صراتي ينسييني كل شيء. وعندما أسمع أنهن اصطلحن المرضي

استنشط غضبا وانسى وجودي نفسه. ولعل ثورتي الداخلية تفضي على كل احساسيسي. وعلى كل عندما تجوع البطن تخبو الذائرة لكن لو جازوني بامرأة، ما نكولش الا ،ضحك الجميع لهذه الخلاصة. واكد احد الرفاق بانه لم يكن بصالح مشكلة في هذا الباب لأنه كان يلبي رغبانه مرتين او ثلاث في الاسبوع عبر - الاستحلام؛ فعقب عليه الصفويوي -خصنا نسميوك ،جان لغنية، على ود انا كانستحلم مرة في سنة شهور. كما نلن باللي مابقاش في يدي. انا اصفرنا الشاب بوحيدة جاري الشعالي ببلوه في الحديث وقال: انا اللي رغبتي مرة في الاسبوع على الاقل، لكني لا اتف منيا بعد الإنشاء.

جاءه صوت مغلغا: هذا ما نسميه بتيرا بلان *fir :1/Plam* وزيادة في المتناكسة قلت لبوحيدة ،انا اعرف مشكلتك وقد سبق ان روينها لنا في السابق، انت لا تاذف لأن ،خصيتك منفلختن وتبولت (t) مرة في ليلة واحدا.

انلجر الجميع ضاحكا، واكد العديد منا انه يعاني من هذه الظاهرة، وقال البعض ايضا انهم لا يستحلون. وفسر منعتك ذلك بنقص في المغويات واضاف: ما يتلصنا هي الشمس والفيتامينات والطعام المغذي وإذا تحلق هذا ،عنا إلى حالتنا الطبيعية ، فحوالا اقوياء.

وهذا لا يعني ان علينا ان نهمل مريزتنا حتى في هذه الظروف. عليكم ان تهتموا بجهازكم التناسلي حتى لا تصابون بالعنة.

سأله احد الرفاق السذج والفضوليين: كيفاش نديرو وحنا بلا لوز ولا ضرع لنمي ولامخ لعظم.

اجابه منعت ضاحكا: نتمنى ع الله انك كما تعرف كيفاش كما بصايبوا الكلفة.

اش جاب الكلفة لكلام؟

دايا تعرف خليشي بعدا نطرح سؤال على الاخوان . واش عنكم شي حبوب صغير في البن بيالكم، ارتفعت الأصوات مجيبة بالإيجاب. فقال منعت:

طيب، باش يمشي لحبوب ويبالي ،الشنفل، خدام خصكم (تكف ..) مرة مرة. باش تخرجوا ذاك الشئ وما يتجمعش في العمود الفقري وإلا ما يبفاش فيدكم وريما نعمالوا. وما تخصصمش تكثروا منه ولا نحادي يفتلوا ليكم الركابي ...

سأله احدها: ،واش انت كاتير ذاك الشئ.

رد منصت : «ما عندي مشكل لو كنت ما كا نستحلمش ، هاذي نصيحة بيال الطبيب.»

عارض العبيد من الرفاق هذا الاختيار واعتبروا ذلك فعلة شنيعة وعملا ضد الطبيعة الإنسانية ومباشرة شيطانية. تحط من كرامة بني الإنسان وقد حرمها الإسلام بما هي ابيضع من الخيانة الزوجية.

رد منصت : «انا منطوق معكم لو كان الوضع عابيا. لكننا في وضع خاص لا سيما بالنسبة للذين لا يستعملون. استفتوا فليهننا المغوثي رقم 18 كان هذا الأخير قد تتبع كل تلقائنا فتدخل على الفور: حتى في وضعنا الخاص يحرم الاستعناء من طرف الدين وعقوبته الإعدام (الرجم حتى الموت).

وكل من يرتكب هذه الفاحشة ليس مسلما. وعلى كل حال شخصيا لن امارسها حتى ولو كانت مباحة في مثل هذه الظروف ، حتى ولو اصبت بالعنة والعمر. اعترف بعض الرفاق، وكانوا قلة، بانهم يمارسون هذه الفعلة من حين الى اخر ربما للعجز الجنسي وضعف البصر، وبغما للعلم اساسا لانهم كانوا شيانا وعزايبا.

ما رويته مجرد عينة من نقاشاتنا العديدة حول الموضوع. لقد عوينا الظروف التي نعيشها على البوح لبعضنا البعض. لقد اصبحنا فصيلة واحدة بلغ التماثل بين افرادها ان صارت لنا نفس العادات مثل هز الراس والفمض اللاإرادي ونفس الطريقة في المشي ، خاصة واننا كنا ننتقل نفس التعلال المصنوعة من عجلات السيارات ونقلم انظارنا بـحكما على الجدران»

في الثالث والعشرين من مارس 1971 اثارنا الحركة الدائرية للحراس الذين فرروا بعد اخذ وعطاء ان يفتحوا الزنازن الثلاث المغلقة (زنازن المتولين) والزنازن المرقعة من 1 الى 24 التي يلجم فيها رفاقنا. سأل الفضوليون: وانا منهم ، الحراس عن سبب هذا الهرج، اجابونا بان بعض رفاقنا في البناية رقم 2 سيقيمون بين ظهرائنا ، تسمرت وراء باب زنازنتي وعيني على قلبها. يلهيني التراب والفضول لمشاهدة رفاقي الذين مضت بيني وبينهم 8 اعوام.

فجأة رفعت حيلفي عبد السلام وحارسان يستندانه لم يكن يمشي بل كان يجر رجلية او بالأحرى كان الحارسان يجران جسده. شاهدت العتي الذي كان انيطا في السابق يجر اسعالا وراءه وينتعل نعالا ليس لها من الامر سوى الاسم، وقد ارخى لحية تشبه لحي الصيغين المسنن.

اعماء الضوء في الخارج. ويبدأ يفتق النظر وسط ظلمتنا التي اقمقنته صوابه وهنت صحته. تذكرت تلك الشباب الذي كانه قبل دخوله المعتقل. سابا في ٢٠ ربيعاً. المنتطح تنطح الشباب المرح غير الابيه بالحكم عليه ويعوالب تلك. لقد اصبح «يون جوان السابق» فضلة انسانية نصف مجنونة. بفعل الشراسة البشرية.

اودعوه الزنزانة رقم ٢٤ الى جانب صديقه محمد مجاهد. كانت تلك همة لا تفوقها هبة! لان مجاهد صاحب اريحية وفضيلة يعنني به اكثر من سفيق. مجاهد هذا خلق لكي يفعل الخير فلما فهو انسان طيب بالسليفة لهذا قام بالقصي ما في مقنوره ليسعده ويساعده.

القامم الثاني كان هو حميد بنور. لم اعرف عليه رغم انه صديق طفولتي. كان يعيش محدوب الظهر، وقد اثلل «الرومانيزم» معشاه بعسك بيده عصا كعكاز. شعر راسه الطويل اثنبه ما يكون بلبدة اسد هزيل وجانح. اما لحينه الكثة والرائحة وشنيه الطويل فلقد وهباه هبة «غولوا» متعب.

نالهم عبد الفتى عاشور، كان مكثراً ، اسمر اللون وسريع الغضب. بدا فزعاً كمن تجاوزته الاحداث لم الحاجا وانا ارى صلعته ولحيتته البيضاء، لانه كان متقدما في السن ، سبق له ان حارب في الهند الصينية. التحق ؟ سجناه اخرون يحيط بهم الحراس. كلهم منهكون، وسخون وفزعون. لم اكن على معرفة بهم لانهم في سلاح الطيران . عرفت فيما بعد انهم الشاوي عبد الكريم، دغولي ابريس، ريجالي احمد، فراوي عبد الله وراحي عبد السلام.

بعد مغادرة الحراس للبنية بدأت المحادثات واسئلة الهوية ونادي كل رفيق رفيقه. نادي مرزاق صديقه القديم حيفي:

حيفي، واتش عرفتييني. كيف حالك؟

ساد الصمت ثم اجاب حيفي

لا! شكون انت؟

انا مرزاق

اه مرزاق، كيف حالك صوتك غلاظ

اجابه مرزاق مازحاً: خصو يتفسل.

ناداه علياوي بدور: انا علياوي جبلي بحالك. كيف عامل؟

اه نعم واتش انتينا الطباخ نيالنا، شحال هادي مسستني هاد

الفرصة باش نقولك طباخك ماشي مزبان طيب لبنا ذاك الشبي والا

نقولها للفظ لكحل اللي كايوزوني.

ناديته بدوري: « أهلا عبد السلام كيف حالك هنري بوب»

- «اه عرفتك انتنا الرايس. سعاوك جي كي كا XXX (عند ما كنت التحم لعبة الرايس). كنت اسمي للي. دام روا جي كي كا) عندي ليك مفاجأة غادي يظفوك قريب. قلتها لي فرح بيينا امبراطورية ايران في استقبال رسمي على شرفي داروه البارج في طهران. كان حاضر فيه الشاه اللي كا يوزوني مسيف للفظ لكحل».

هكذا تبايننا التعارف بيننا وسالنا كل واحد عن احواله وعن حال من مكثوا في البناية رقم2. حكى الشاوي الذي كانت ذاكرته قوية ، تفاصيل كل ما وقع خلال 8 سنوات وتطلب منه ذلك اسبوعين من التحكي.

أربعة مجانيين في القلام

نقل رفاقنا من البناية 2، الي بنايتنا، وحكى لنا الشاوي تفاصيل الثماني سنوات التي فرقت بيننا، أكد رفاق اخرون ما رواه مضيفين جزئيات أخرى. رويانا لهم بدورنا ماسينا التي كانت . في الواقع - أقل من ماسيهم، لانهم عانوا أكثر بحيث كانوا في تازمامارت دخل تازمامارت. ولعلمهم كانوا مسؤولين عن بعض عذاباتهم بسبب فرقتهم وعدم احترامهم لبعضهم البعض- خلافا لما كنا عليه، حيث لم نتردد في التشهير بأي سلوك خارج عن الاتفاق العام ومناهضة أي نشاط ينال من معنوياتنا او يفسد اجواننا. لقد كان القران دستورنا والحديث سنننا في الحياة السليمة مع الاحترام المتبادل والطمأنينة الروحية. لم تكن اصوليين ولا متعصبين، بل كنا نبذل ما في وسعنا من اجل اداء الفرائض والسير على نهج تعاليم ديننا الحنيف. للأسف لم يكن ذلك نيتنا وفاقنا رغم أنه حفظوا القران عن ظهر قلب الفضل منا وقبلنا بكثير. لم يكن الاستظهار وحده كافيا، بل لابد من التطبيق واستلهام الآيات في المعاملات. لقد كنا قبل الاعتقال نعيش الحياة بكل ما فيها من معاصي باستثناء الماغولي المفضل الذي كان يدوم على الصلاة منذ طفولته ولم

بنق طعم الخمرة ابدأ.

في تازامارت كان الإيمان ضروريا، فغلبه حاولنا إصلاح انفسنا وسلوكنا، لان الله رحمان رحيم شريطة ان تكون التوبة توبة نصوحا. في تازامارت تعلمت درجة الخطيئة، ففي العنيمات ايضا يمكن للانسان ان يرى نفسه في المرآة الداخلية. لقد وعيت بانني كنت اعيش في الظلمة حتى والشمس تغمري بضولها، كنت اتبع الشهوات العابرة مسلوب الزامة امام سحرها الفاجر والشيطاني، احدث الخطي نحو الخراب الروحي، كانت قوتي الوحيدة في تازامارت هي الثقة التامة في الله، انتظر معجزته الربانية، وانما ان خلاصي بيده وحده سبحانه، لا راد لغيره هو الخالق القاهر وانا مؤمن بذلك هل كنت فريدا؟

ابدأ، لان القديرة لا توجد في الإسلام. والله سبحانه وتعالى يقول لنبيه الكريم في محكم آياته: «وَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ...» (صدق الله العظيم). وهذا ما يفسر إصراري على مقاومة الموت من اجل الاتصال بعائلتي والتشهير بالظروف التي نتاقل فيها وإخبار الضعائر الحية بالطوق المضروب حولها. وحسبي الله في ذلك ونعم الوكيل.

كان رفائنا الجدد في وضع لا يحسدون عليه، جسديا ومعنويا، اثنان منهم يسعلان بلا توقف وهما عبد الله فراوي الذي يجهل اصل الداء وعبد السلام ربحي الذي اصيب بنزلة برد بعد ان غسل شعره بالماء البارد، اسبوعا قبل ترحيله إلى بنائينا. وقد دار بيننا الحديث التالي:

.. لماذا ارتكبت هذا الخطا القاتل؟

لقد اختلفت بداية فصل الربيع وسمحت لنفسي بالاستحمام لانني لا اطبق الوسخ والرائحة العطنة التي تسبب لي الغثيان. وقد بدأت بغسل شعر رأسي.

.. لو كنت مكانك لتحملت الوسخ والرائحة النتنة بدل السعال الخانق الذي يفكك برئيتك..

كل حسب عاقبته شخصيا احب النظافة ولن اخلى عنها في تازامارت رغم هذا الجواب، ووجهت له هذه الملاحظة:

.. لكن ما فعلت به يعادل الانتحار. وصراحة انت مشهور واعتبر اسلك لراسك بالماء البارد جنونا...

اجابني بجفاء: ليست المرة الاولى التي انصرف بها على هذا النحو، وليكن في علمك انني سليم العقل والبدن وإنسان راشد يعي ما يفعل. انت وحيدك المسؤول عن العمالك وما يترتب عنها. وإن كنت تخشى

عليك من نقل العوالم....

لم يرد، واحجمت بنوري عن الكلام لبقيني بان الحوار بيننا حوار
طريشان.

طلبنا من الحارس الرسول، ان يسعفه بغض النظر عن خلافنا
لاسبغ المشاجرة التي حدثت بيننا، انا وحشاد وبينه منذ أشهر خلت.
فام الحارس بالتوجب مرارا وتكرارا، لكن المجهودات كلها لم تجد نفعا،
لان الحمى والسعال استحكلا واستفحلت معهما الامه. ذاب ريفينا مثل
سعة واضطر الحراس الي السماح لاحدنا بعد يد المساعدة له لإطعامه.
والحال انه لم يكن يتاكل شيئا والقتصر على الماء الذي المرط فيه بفعل
الحمى الي ان ليس نداء ربه في السابعة عشرة من ماي 1981 في
الساعة السابعة صباحا، فقبل وصول الحراس. كان المسكين يدرش مع
رغبته في الزنزانة فقال له: «مريب لقد خلت الامي هذا الصباح واحس
بالاسترخاء، الشيء الوحيد الذي استغرب له هو بروية اطرافي السفلى
والحرارة المرتفعة لأطرافي العليا. لاشك انها علامات الموت. اجابه رغبته
لا: لا هذا غير صحيح».

شدني بقليل من الماء لأغمس يدي فيه، ليس الرفيق طلبه، وبعد قليل
طلب منه الماء من جديد ليروي عطشه. وفي اللحظة التي توجه فيها
احمد لباتيه بالماء وعاد به وجده ميتا! اخبرنا بوفاته عبد السلام رحبي.
اندهشت واسقط في يدي.

كان اللقيد من اصل ريفي، ولد بطاطا. فقد اباه صغيرا وربته امه إلى
ان تزوجت ببططان من القوات المساعدة تظل به كعنا لو كان ابنه من
صلبه، ترعرع ونما في تطوان وهناك حصل على شهادة الإعدادي وعمره
19 سنة. انخرط في سلاح الطيران وقضى سنوات التكوين بمراكش، ثم
18 شهرا في الولايات المتحدة الأمريكية.

فعل ان يلتحق بالمساعدة الجوية الثالثة بالقنيطرة إلى يوم 16 تحت
1972 اابين بـأ سنوات سجنا ونقل إلى تازمامارت حيث لقي حتفه.
دون ان يشفي غليله بجرعة ماء دفن في نفس الظروف التي دفن فيها
السابقون، وسمعنا، كالعادة، اصوات الحفر والتقالات والحراس وهم
يزمجون. وعلى نكر الحراس، فقد غضبوا لبقوم رفاقنا الثمانية، بدوا
بالغمضة ثم الزمجرة ثم ابداوا صراخا غضبهم من هذا الفاضل البشري
الذي سيطلبهم اشغالا إضافية، بعد ان انتقلت من 20 إلى 14 سجينا،
إضافة إلى مخاطر الأوبئة التي كانت تفض مضجعهم، وقد سبق ان

سمعت حمو الحارس يقول لزملائه: «اشخاص» معنى هذا «أدلاء من الماء ومعناه وقت أطول في الكولوار تضم فيه رواثهم الكريهة، لقد بدا هذا العمل يثير اعصابي، أجابه السارجان شاك سعيد. لقد اخترنا لهذا العمل لكن ما بشيرني هو وجود «أ» حملي من بين القابعين الجدد، والظاهر أنهم عنيفون. أضف إليهم ميمون...».

ندخل لأجودان شاك بن ابريس قائلا: «لا تطلقوا في أي كان، لاسيما المجانين منهم، لن انسى أبدا ما فعله بي ميمون». وله الحق في ذلك، لأن رفيقنا اوشك أن ينتزع خصيتيه. حدث ذلك عندما فتح بن ابريس باب الزنزانة ذات يوم، ففتاخر ميمون بالاحتناء من أجل وضع ابريقه أرضا قبل أن ينفض عليه ويمسكه بخصيتيه ويبدأ يضغط عليهما بكل ما أوتي من قوة كي يغمى عليه ويستغل ميمون الفرصة للهرب، فوجيء بن ابريس وارتيك فلم يجد سوى الصراخ لإنقاذ نفسه والاستنجاد برفاقه من البناية الثانية.

سارع هؤلاء إلى تجديده وانهالوا بهراواتهم على رفيقنا الذي أرحى غضبه. انكمش بن ابريس على نفسه وقد أمسك جهازه التناسلي بكفنا بيده شاكيا منتحيا: «وُلد لح... بقا يحييهوم لي ويريني مرا...»
لم يغفر لصاحبنا فعلته ونحن الفرصة لينتقم منه.

دام الحوار بين الحراس أمام زنزانتني مدة طويلة، أبدى خلاله كل واحد منهم وجهة نظره، منهم من اشكى من الأعمال الإضافية ومنهم من تنمر من الأوساخ، وتفصيل ذلك تخوف من المجانين: لاحظ بن ابريس قائلا: «الم تلاحظوا بأن «الجدد» منهوكون أكثر من سجنائنا وأكثر وسفا وعصابا»، ورد عليه لأجودان حمو بهووء وجدية.

«الامر عاد، لو وضعت أي كان بدلهم لجن في طرف الـ «وسجنائنا»، أحسن لأنهم يقرأون القرآن باستمرار أو يتناقشون فيما بينهم، بل منهم من يغني. جاء رد بن ابريس ارتياحيا وتشكيكيا.
«لأنك إن القرآن الكريم يقوي العزائم، لكن لا بد وأن هناك شيئا آخر نجعله. ربما الدواء أو وصفات المشعورين...»

«الابوية». قال مولاي علي الشعل باستمرار - من أين يأتيهم الدواء وهم ابد الأيام في زنزانتهم. ونحن معهم دائما.
والفق سعيد على وجهة نظر بن ابريس قائلا:

«أنا نفسي لاحظت منذ مدة بعض السلوكيات الغريبة بعضهم مرض سهورا عديدة وفجأة استفاق واسترجع عاقبته وتقدم لتناول حصته من

ماء وغذاء، أي جني علفاهم الشيطان».

أولفقه حمو بحزم: لفة لقد بدأت في التجديف. الله وحده يشفي ويحیی. فإذا لفت ساعتك جادت ملك الموت في الحال ولنفا لن ينلعت سبطنك أو بواؤك. وما فوك في الذين يموتون في المصححات المكيفة والعصرية محاطین باکبر الأطباء والاختصاصیین والوسائل المتطورة. ألم يمعت سبينا محمداً والمفقور له محمد الخامس؟ ألم يمعت فرعون الذي ادعى الإلهية، إذا وأصلت على هذا النحو، فانت مارق.

ختم بن الرئيس، المسؤول الأول في البناية، هذا النقاش بالقول: قولوا ما شئتم لكنني لا ألق في أبناء..... هؤلاء، فهم متعلمون وانكفاء وأنا أشعر أنهم يحيكون شيئاً في الغلام. ولعدا لناظره الغريب.....

كنت أود المشاركة في النقاش، لكن كوني سجيناً سيجعلهم غير ابهين لرابي.

في 21 من مارس 1981 حصل جديد في البناية رقم 2، حيث وصل الإخوة «بوريكات»، الثلاثة وهم مدينون لاعلاقة لهم بالانقلابين العسكريين، جاء بهم الحراس والقتيد كل واحد منهم إلى زنزانة فارغة، بعد رحيل الحرس، نادي بوريكات على أخويه ليطمئن على حضورهما: «محت، بايزيد هل انتما هنا، ردا على سؤاله بسؤال آخر: «أين نحن؟» فرد عليهما «لا علم لي، تدخل احد رفاقنا ليهدئ من روعهم، لما ظهر عليهم من فرح ولبشفي فضولهم: «انتم في تازامارت في الموقع بين سبيلت والراشيدية جنوب شرق المغرب هنا معتقل سري، فمن انتم؟ عسكريون ام مدنيون؟».

اجاب محت بحذر لا يخلو من صلافة: «وانتم» من انتم، اجابه محمد عبد الصديقي الختم في قضية الصخيرات «كلنا عسكريون اودعنا هنا منذ يوم الثلاثاء 7 تحت 73، انا ادعى مانولوا، سلفه علي بوريكات. هل انتم كثر؟».

«لا! لا توجد في تازامارت سوى بنايتين: الأولى تضم 29 معتقلا، وهذه البناية رقم 2 كانت تضم في البداية نفس العدد ولم يبق على قيد الحياة سوى 14 رفاقا».

«وأي الأخرين؟ هل المرح عنهم؟ تساهل علي منهننا».

«لا لقد نولوا نولوا في الساحة، تلك لان كلمة «إفراج» لاتوجد هنا، والان لننعارف، ففي هذا المعتقل لاتوجد رحمة او راحة ولاتتري نفس

مضى ثموت، أيها الأصدقاء ما زلت أجهل اسماعكم لكن استمعوا لي
بالقول بأن من يدخل هذا المعتقل لإيخرج منه حيا، لا القول هذا لأحظم
معنوياتكم بل لكي تكونوا على علم وتقللوا أية أوهام.

شرع علي في الحكي: نحن الإخوة بوريكات، نحن مدينون اعتقلنا
في الثامن من يوليو 1973 ثم سجننا في فيلا سرية بالرباط في طريق
زعير تحت حراسة الديسبي (DST) نقلنا بعد ذلك إلى دار المقرري
بكدال، قضينا 8 سنوات في الرباط محتجزين في مقرات الشرطة بدون
محاكمة أو إدانة، أنا علي، أصغر إخوتي أكبرنا هو سمحت ويديه
بايزيد.

هكذا بدأت جلسات التعارف بين المعتقلين والإخوة الثلاثة، وتبادل
الطرفان طرح الأسئلة، الإخوة بوريكات يريدون معرفة الصبي ما يمكن
عن المعتقل والرفاق يجمعون في استقصاء أخبار الخارج، وقد تبين أن
بوريكات كانوا مطلعين على كثير من الأمور. فبالرغم من اعتقالهم لمدة 8
سنوات فقد كانوا يتمتعون بالحد الأدنى من الحقوق مثل قراءة الجرائد
والاستماع للمذياع والأكل حسب الطلب بل كانوا يحصلون على
مصروف الجيب أيضا، وفي الوقت الذي كان رفاق البناية الثانية
يستمعون إلى «أسرار» بوريكات، كان رفاقنا في البناية الأولى قد شرعوا
في مساعدة الوالدين الجدد، هكذا اجتمعت اللجنة الطبية و «برست»،
حالات الإصابة لتحديد «الوصفات» المناسبة خصوصا وأن امراضهم
متشابهة لامراضنا، شيئا فشيئا بدأ الجدد يتماثلون للشفاء باستثناء
ربضي الذي توفي بعد شهرين من وصوله.

في شهر ابريل من نفس السنة حقق القبطان بلكبير اتصاله المعتاد.
لكن رسوله هذه المرة جاءه بطرد إضافي غير مننظر لفائدة المعتقل
الصفريوي رقم 4، وقد كان المسكين عاجزا عن الحركة وكان جاره هو
الذي يساعده ويغيبه بأمر من الحرس، صباح يوم ابريلي نخل هذا
الأخبر وملا إبريق الماء ثم سلمه طردا ورسالة قائلا: «صباح الخير
الصفريوي، عندي لك خبر سعيد، رسالة وطرد سلمهما لي، الشوييني»،
رد عليه الصفريوي، «هل تسخر مني؟ من أين لي بالتواصل مع عائلتي
ولم يسبق لي أن كتبتها منذ دخولي هذا الغار، لابد أن خطأ ما قد وقع»،
«كنت مخطئ إن الرسول لا يعرفك لكن أمك هي التي ربطت الاتصال،
وقد سألني قبل تسليمي البريد عن اسمك ونسبك ومسقط رأسك واسم
أمك، وقد أخبرتني باسمك واسم والدتك الحاجبة زبيدة» بعد نهاب

الحراس فتح الصفريوي الطرد وفوجي بعلب المضادات الحيوية
والفيتامينات والمقويات ومضايح صفير (ترانزستور) باربع بطاريات،
فرض الظرف وطلب من رفيقه في الزنزانة ان يقرأها نظرا لضغط بصره،
انفجر جاره ضاحكا، الا ترى ان ذلك مستحيل نظرا للظلمة لايد من
وضع المرآة، وانتظار انعكاس الضوء داخل الزنزانة حتى تتمكن من
قراءتها.

لا ارجوك عجل بالأمر لا اطيق الانتظار ما زلت احتفظ بعهد لغاب
منذ ان سلمه لي الحارس يوم تلتك العنقرب، سرق جزءا من قميصي
واصنع منه شعلة، نفذ الرفيق رغبته واضاعت الزنزانة بنور جعلها اكثر
كأبة، وما إن بدا الجار في القراءه، باذلا مجهودا في التفتيق والتركيز
وتهجي الكلمات، حتى اجهد الصفريوي بالتحبيب ومست العدوى
فارئ الرسالة الذي واصل التهجي وقد انخروقت عيناه بالدموع، ورد في
الرسالة مايلى، مارس 25/11/81 ابني العزيز عبد العالي، امك الحاجة
زبيدة، لم اتوصل منك باي خير منذ 8 سنوات، لقد بحثت عنك في كل
مكان ولم افقد الأمل، ذات مساء بعد الصلاة التقيت بسيدة عند الخروج
من المسجد وبعد ترمشة لصيرة عرفت انها والدة القبطان بلكبير الذي
يوجد معك وعرفت ايضا ان ابن عمها زوج ابنة قريشني، وتعارفنا وقد
استطعت بفضلها ان ارسل لك النواء، اما النقود فقد خبأناها في كبسولة
نواء بون علم المبعوث. اطلب من الله ان يحفظك وبرعاك ويطول عمري
حتى اراك إن الله رحيم بعباده.

ورغم اني محاطة بابنائني وبناتي فإنني افكر فيك دائما ...

هذا الدعم المعنوي ساعد الصفريوي على الأمل وساعده الأتوية على
الشفاء. توصل حشام ايضا ببيريده الفصلي واخبرنا بالاجراءات
والمساعي التي تقوم بها زوجته لدى السلطات، واطلعنا ايضا على
لائحة الأتوية وطريقة توزيعها وسرعان ما بدا النقاش من جديد وتعلت
اصوات الاحتجاج وتدخل منعت طلبنا من الرسل (الحمامة في قنيطرة،
الشويبيني وفلاش في مارس)، وقف الاتصالات حتى تحل المشكلة على
المستوى العام، طلبت من جهتي رأي الرفاق 4 الجدد حتى يتحمل
الجميع عاقبة القرار الذي نتخذه، طلبنا ايضا من الرفاق الذين توصلوا
بالبريد ان يساهموا لشراء فيتامينات لنا، قبلوا جميعهم - بعد لاي -
وانقلنا على شراء غلبة الفيتيل لكل سجين، وساهم المبعوث (الحمامة)
في هذا المجهود طواعية، وبدا ياتينا بلطعة سكر كل 15 يوما و 4

نمرات كل شهر وعلبة بسكيوت هفريس، كل شهرين وعلبة «فروماج» على رأس كل فصل. دام هذا الامتياز قرابة نصف سنة فقط للأسف استطاع خلالها الرفاق الجدد الناقل مع الوضع الجديد والافلات من السديم الذي كانوا ينحدرون الي قراره.

خيل الرفاق الثلاثة ان يبعثوا ببريونا الي عائلاتهم وزوجاتهم ليبلغوه الي اهلنا ووافق المبعوثون على ذلك وعاشت البناية أ في سلام ووفاء لتنهو عميدة.

في البناية 2 تواصلت البريشات بما فيها من مفاجات وبهشة من الطرفين رفاقنا والإخوة بوريكات. ابدي الاخوة بوريكات بهشتهم لفترة الانسان على العيش في هذه الظروف وانتهش رفاقنا لحكايتهم المبالغ فيها في الغلب الأحيان، بدا بوريكات بسرد حياتهم المضطربة وتحذروا بعدها عن مغامراتهم وما فيها من تحايل وابتزاز وخبايا ثم عن بؤائر الزمن وإقامتهم في المراكز السرية بالرباط قبل الوصول الي تازمامارت.

وبوريكات من اصل تونسي كان جدهم ضابطا في صفوف الجيش التركي إبان انحطاط الامبراطورية العثمانية. تجنس ابوهم بالجنسية الفرنسية سنة 1921 التحق بالشرطة وتسلق السلم الي ان اصبح ضابطا. تزوج بمغربية من اصل شريف من مكناس. انجب منها عدة اطفال لكن الإخوة بوريكات كانوا يكتفون من الحديث عن اختهم خديجة لفرط حبهم لها، فبرما كانوا يتجاهلون الحديث عن اخ لهم تنكر لهم خلال اعتقالهم بالرباط ولد بوريكات في مدن عميدة. بسبب تقلبات ايدهم المتعددة .. لكنهم تسبوا في الرباط فطنوا اول الأمر بحي «العكاري» الشعبي ثم انتقلوا إلى حي المحيط (لوسيان) حيث اختلطوا بدماء مختلفة من الناس. وهناك شحذوا اسلحة الحيلة والتحايل.

تعلموا اشياء عميدة من ايدهم الذي كان يخدم فرنسا . ووطنه الجديد ويطلع المقاومة المغربية في نفس الآن، وهكذا حصل على احترام المخزن والمقاومة مع الاحتفاظ بعائلاته مع رؤسائه. بعد الاستقلال حظيت عائلة بوريكات بالحفاوة وحسن الاستقبال وحصل الأبناء على عدة امتيازات .. وحسب القوال بوريكات دائما، عين ابوهم عبد الرحمان بوريكات بظهور شريف واستندت له مهمة السهر على انشاء المخابرات المغربية (1) بعد ذلك اقاموا بحي فاخر وارتابوا الاماكن الراقية وصاحبوا الدوائر العليا وعاشوا عيشة البذخ والجاه، وانغمسوا في القضايا المشبوهة وهانتهم امتلاك سلوك قويم او تعلم او تربية حسنة. فصبحت غمار

المنرسة منذ السنة الرابعة والتحق بالبريد، بابيزيد الذي لم يكن موهوبا في الدراسة لهذا دخل عالم الأعمال وأصبح الخنى المراد العائلة. وكذلك حال علي الذي فشل في الحصول على البكالوريا وسلك سلوك أخيه وارثي في حياة اللهو والمجون، وقد حكى حكايات لاتصدق ومغامرات يصعب تصديقها منها مثلا، انه ينز في بضعة ايام عدة ملايين من المستحبات في اماكن اللذة ووجد نفسه مطلسا ووحيدا في باريس، لاسال ولا صديق، وفيما هو ينتظر أن يبعث إليه اخوه بحوالة بريدية، كان بجوب الأحياء الراقية وينقلب في اللعابات بحثا عن لقمة يسد بها ريقه، او بنام في الحدائق العمومية الى جانب المتسكعين والمشردين بعد ان قضى الليالي في فنادق ؟ نجوم.

حدث بنوره لم يسلم من لولة التبذير، اما با يزيد فقد كان رصيفا بحسن التصرف لا يفكر سوى في الثراء. وقد حصل بفعل تواطؤ احد المسؤولين الكبار في وزارة التجارة، على رخصة تسويق الشاي الأخضر السنور من النايلانن. وبما انه كان يعمل تحت ظل شخصية مهمة فقد استقبل بحفاوة وسهلت ماسوريته. وعاد محملا بالهدايا بعد ان ادعى ان امه - اميرة - ا. وجلب معه وصلا بشراء مزورا لا يتوافق مع البضاعة. ولما عاد وهب للمسؤول حصته واحتفظ بالجزء الأكبر. ضاربا عرض الحائض المصالح كلها والمبادئ كلها. وبعد ان قضى حياة البذخ، ها هو معنا في اسفل ساطنين.

في البداية الأولى تواصلت الاتصالات ووصلت إلى أ طرود الى المعتقل واحد من القنيطرة والثان من فاس. وقد تمكن رفيطان الثنان من الاتصال بالعائلة لأول مرة، وهما الوالي وصديقي. وفي الواقع، لقد قام المبعوث (فلاش) بعمل جيد وجاء ببريد بلكبير والصفر بوي وصديقي ومجاهد... غضب كثيرون منا لانهم لم يتلقوا اجوبة اما انا فقد اختلفت. الحمامة، نريفة وقال ان زوجتي اضاعت الموعد في منزل رفيقنا (ح) ولم يتمكن من الحصول على الرسالة والمال. ومزيديا في التناهي، كتب (ح) في الهامش المتبقي من رسالة زوجته بعض العبارات وارسل الى الرسالة لاثراها (...). اما الضحية الكبرى فقد كان هو لغلو (رقم 2) الذي عول كثيرا على هذا الاتصال من اجل الحصول على النواء. لكن قريبه (ل) الموظف في مكتب البريد «بالبطحاء» رفض إرسال الألف درهم التي الترضها منه منذ 1970، او إرسال قدر منها. وقد كان لغلو مريضا منذ 1978 وزابت هذه الإنباء من ثقالم حالته. فقد اصابته نوبة عصبية

وتسببت عضلاته قبل ان ينخرط في البكاء ويطلق صرخات حادة هستيرية اعلمتها إجماعة فورية، وحين استعاد المسكين وعيه وجد نفسه منطولا طريح الفراش، لا قدرة له على الحركة... ليظل كذلك الى الأبد.

تواصلت الاتصالات وتواصلت المشاهدات فيما بيننا والتزمت العائلات التي نما إليها حال ابنائها الصمت والحذر ولم تخطر الرأى العام. وتناهت الى سمعنا اخبار أحداث يونيو 1981 والسخط الشعبي الذي كان وراءها وراوينا الأمل في تحول ما... وجاء الشتاء في موعده، وفيما نحن نشهد اسلمتنا لمواجهة راجت الأخبار في بنايفنا، مصورها الحارس فلاش، نقول بان مدام الطويل نانسي (تورية) الأمريكية الجنسية وزوجة الليونتان طويل مبارك من سلاح الطيران ستغادر المغرب للإقامة النهائية في أمريكا من أجل النطاق عن زوجها. وقد كانت هذه السيدة الجريئة والوفية لزوجها استاذة للرياضيات بالمعاهد الأمريكية بالفيديره حيث التقت بالطويل قبل قرانها في سنة 1971 بعد ان اعتنقت الإسلام. في ماي 1972، انجبت طفلا سميها امين.

وبعد مرور 3 اشهر، اعتقل امبارك واثنين بـ 20 سنة سجنا في قضية الطائرة المقلبة، وبالرغم من الفترة الوجيزة التي قضياها في العز العائلي، فإن حبسهما كان قويا، وهو ما دفع نانسي الى الكفاح من أجل الإفراج عنه وانتظاره بكل ولاء متخفية بالطفل وتربيته، بما هو لمره عواطفهما الجياشة والصافية. اما هو، فمأخذه يتنكرها ويحن إليها ويتحدث عنها باحترام وحب. وإن كان ياسف لابنه، ولطالما حدثني هانلا:

- انا متأكد بان ابني سيتلقى تربية حسنة، فاننا اعرف زوجتي. لكنني كنت الفضل الاعتناء به شخصيا قبل بلوغه المراهقة حتى اطبعه بميمسي واصطفه في «قلب، العناد».

حدثني قليلا عن هذا القلب السحري الذي يصنع «الإناس» - هذا بسيط كل اسبوع يقطع 1.5 كلم مشيا على الأقدام وقد حمل على ظهره كيسا مليئا بالرمل، وبين الفينة والأخرى ينام في الهواء الطلق بالجبل.

نكرني هذا بوصايا بالكبير الى زوجته بخصوص ابنتها: «خذيه دائما إلى الجبل، وليركب المطايا والبواب او يمشي حافيا في الطريق الشائكة، ولتوكلني إليه بين الفينة والأخرى اعمال الحقل الشاقة وانفعيه إلى معاشره كل الطبقات في المجتمع، أريد ان اجد عند خروجي رجلا

كامل الرجولة وليس «أومليط».

نبا الطويل أنهله فلم يصدق ما سمع، لكنه سيتأكد فيما بعد من طرف السارجان شاف سعيد. فقد جاء هذا الأخير وفتح الباب واقترب من الطويل وهمس له: «بينو أنك ستخرج قريباً من هنا. زوجتك امريكية ليس كذلك». بعد جواب الإيجاب اضالفاً: «لقد اخبرنا المدير نفسه بذلك. فقد تلقى برفقة شخصك، ومن الممكن أن يزورك شخصياً من أجل بعض المعلومات الإضافية». تسأل الطويل بحذر: «عن أية معلومات نتحدث لإعلم لي بأي شيء».

طمأنه الحارس القاسي بالقول: «على كل فهذه انباء سارة لك، وقبل ان يفتح الباب اسر له مبتسماً: «امراتك شجاعة. والأمريكيون يطالبون بك سيخرجونك من هنا بالقوة. بون شانس امازيج انش شيء اخر هزنا وسرى فيما مسرى التيار الكهربائي وبعث فيما حرارة الأمل. ذلك عندما علمنا ان جريدة «لوموند» نشرت مقالاً حول تازمامارت معنون ب «سهادات من معتقل تازمامارت». وقد جاءنا الحارس بنسخة من الصحيفة. توقعنا حصول تفتيش وتكبير واستنطاقات وتعذيب لكن اي شيء من ذلك لم يقع كما لو ان الأمر تالفه وعاد».

مساء الواحد والثلاثين من جينير 1981. والعالم يستعد للاحتفال براس السنة. تلك مسير السجن الكومندان القاضي الي داخل القناية مرفوقا بالحراس. فتحوا الزنزانة رقم 15 فوقف المدير امام الطويل الذي كان اسمه يدل عليه لأن قامته بلغت 1.84م. نظر الي السجن وعيناه في عينيه مثل منوم مغناطيسي. ونظر اليه السجن نظرة ضعيف البصر لانهم اخنوا نظاراته. سأل المدير: هل انت الطويل مبارك؟ اجابه: نعم مون كومندان.

هل كنت ليوننان ميكانيكي في القاعدة الجوية بالقنيطرة؟ أكد الطويل القواله فاضالفاً: «ماهي علوبتك؟ اجاب الطويل: «أنا سنة سجناء، نامله وسرح بصره من اخصص لعميه الي راسه وتأكد بان البضاعة التي يبحث عنها سليمة وان الطويل الذي اقام الامريكيون الضجة من اجله حتى برزقي، لم نهب بون ان ينيس بيئت شفه. وقد اخذنه العزة بنفسه من نجاح مهمته الجهنمية. نهب لانه سيجد الوقت فيما بعد لتنوق ما فعلت بعينه. بل لعله سيلزع عنهما برى لقلو. وبالرغم من الحالة المزمنة للطويل فإنه لم يكن العينة الحقيقية التي نعكس بالفعل ما مر ويعبر على الرفاق او يكشف المعاملة التي هدت حياتنا. غير ان هذه الزيارة

المفاجئة والغامضة لد زانت من حيرته وظل لغزها ساكنا مطيلته لمد طويلة. وكان عليه ان ينتظر ثلاث سنوات اخرى ليعرف الهدف الحقيقي من ورائها.

انتهت سنة 1981 بحصيلة رهيبه وكارثية. اذ انفا في الفترة الفاصلة بين 7 . 8 . 71 و 11 . 12 . 81 فلحمنا 19 رفيقا. توفي منهم 10 في البداية رقم 2 و 1 في البداية 1501 من المتولين انها علوبتهم قبل موتهم بمدة طويلة.

كانت سنة 82 استثنائية، اذ لم يمض فيها احد ولم يتحسن نظام السجن او لاح امل ما في الاق. مر نصفها الاول عابيا، اي بنفس الامراض والهنين والجنون .. وفي 11 يوليو 82، ونحن في عز شهر رمضان، ولعت الواقعة. كانت الساعة تشير الى الثانية صباحا والحراس يوزعون السجود. قام حيفي بون ابني حيطه او انتباه لوجود لاجودان شاف بن ابريس بتسليم مجلة ضخمة ملفوفة في فمبص الى جاره ميمون، لاحظ الحارس الحركة وطلب تسليمه، الامانة، لينظر ما فيها. لما وجد المجلة صاح برفالته، تعالوا لتنظروا عملكم الجيد. مجلة في المعتقل والسادة الكرام اصبحت لهم مجلات ويحصلون على المنوعات ونحن لانريه اين هي المرافقة إذن، انهض الحارسان وتبادلا النظرات، توجه ابن ابريس الى الرفيقين المعنيين بالسؤال، «بيل من هاد المجلة، فاجاباه في نفس الوقت، ما عرفناش.

شكون الحارس اللي جابها ليكم؟

ما عرفناش.

توجه بن ابريس بالحديث الى حيفي: «انت اللي عطيت المجلة لصاحبك شكون جابها لك او عطاها لك».

الفينها فوق الدالا، قال حيفي غير ابه، وتخل لاجودان مولاي علي بعوله: «ما تعيبش راسك امون جودان، هانوا راهم حمق وما كيعطلوش». رد عليه بن ابريس في الحال: «ايلا كايين شي حمق راه هو انا، يا الله اسيدي غلغوا البيمان حتى الصنبح ونشوفو هاد القضية، انسحبوا مختلفين وراهم صدى الابواب وهي تطلق وخيم الصمت في البداية لمد قبل ان يصدح صوت سافر متسانلا: «ايها السادة القراء، عروا عن وجوهكم، دالعو عن انفسكم، الم نحذركم من الكتب والمجلات مرات عميدة، الم نقل لكم بانها غير امنة، الم يترجمكم الرايس ومنصت والطويل وغلول حتى تكفوا عنها وانتم تدفحون، بلسل الوقت

تعالت الأصوات ولم يتورع بعضها في الغف والفتنابز واعاب العبيد منا المغوثي على استخفافه عندما سلم المجلة لرفيق فقد عطفه. وتدخل احد الرفاق الرصينين وقال ليس الوقت وقت خصام بل علينا ان نستعد لعمل الحراس وعليه لابد من ائلاف كل ما نملك حتى لا نقيم علينا الحجة او إخفاء ما يمكن إخفاؤه لنفس الغرض. احذروا إننا في عز الصيف وقد لا يتربدون في خلع ملابسنا من اجل التفتيش. لا نخشوا شيئا بين الفخذين او الوركين، بدأت عملية الإخفاء واللبس. تدخل بن اربيس مصحوبا بالسارجان شاف سعيد واجودان مولاي علي وكل جعل مصباحا كهربائيا في يده. دخلوا الزنزانة الاولى وفتشوها. لم يجدوا شيئا. مروا الى الزنزانة الثانية التي يقيم فيها لفلو. وكان مشغولا مندا على البلاطة. لرفعه وفتشوا زنزانته ببطء وفتشوا ما بين فخذه. دخلوا الزنزانة الثالثة حيث بكبير. طال التفتيش وجدوا اشياء عديدة: كتابان من الكتب العينية، مجلتان ابوية مختلفة، ثرايزستور وبطاريات. خرجوا بون تقاش مادامت الحجة دامعة. فتشوا غرفة الصفيروي ولم يجدوا شيئا. وقد كان بنعيسى رفيقه قد احسب إخفاء الاشياء حيث وضع كل ما بحوزتهما في جيوب ورفعها بالصنارة، التي كان يمدني بالاكل بواسطتها، في ثقب السقف وصلوا إلى زنزانتي مخاطبني بن ريس بقوله: «الرايس نحن نعرف بعضنا البعض سنة 1948، واعترف لك بالاستقامة ولهذا فإذا كنت تملك اشياء متنوعة سلمها لي بون علم الحراس. لاننا سنقدم تقريرا للمدير وكل من خالف سيحاسب اجيبته وانا امد القران الكريم نحو: «لا املك سوى القران الكريم. خذ ما اتركه وقد حفظت ما فيه عن ظهر قلب».

الم يعطك رفاك ابوية

لا: ولا علم لي بما تقول

إن لا تملك اي شيء لا كتب ولا رايون...

من اين لي بذلك وانا سجين هذه الجدران.

تدخل مولاي علي وخاطب رئيسه بالقول: إن الرايس فليبر مثلنا ولن يمكنه إيجاد شريك وانه يعمل باستمرار. كما ان مشيئته تدل على اصابته بالروماتيزم. وخدم قوله: «انت كاتعرفوا بحالي، طبعوا خائب وما عمرو بيدبر صاحب لا في الجنة ولا في جهنم، ثم انفجر ضاحكا. اما السرجان سعيد فقد التزم الحذر ولم يدخل زنزانتي ريبا لانه لم ينس

شجاري معه وتهديدي له بالقتل. والحارسان نفسيهما لم يجزوا على تفتيش جسدي، تحت الإبطين مثلا أو ما بين الفخذين، ربما كان ذلك احتراما لي لأنني كنت مرسهما سابقا أو خالفا من غضبي.

واصل الحراس التفتيش وبدأت اصوات رفاقنا الغاضبة تتعالى وتتهم. هكذا صاح مرزاق: «نحن مسلمون ملثكم لماذا تعاملوننا بهذه الطريقة، وتبعته اصوات عديدة تطالب بالإتصاف أو الموت بسلام. فاجاب لاجودان مولاي علي: «انا ملاك الموت في الأرض... لعادي تشوفوا».

تدخل حشاد صلاح بكل هدوء وثقة وقال: «ماقلومون به غير إنساني وخسيس. هذا عمل الكفار». فرد عليه السارجان شاف سعيد: «انت بقدا انا عادي نتكلم بك شخصيا». وكانت تلك لحظة لأنها دفعت حشاد إلى الاستعداد والتفكير جيدا في الرد.

كنت اراقب من قلب الباب ما يفعلته الحراس وما جمعه من الزئان من عب الفروماج وكتب ونسخ من القران وعب عود النجاب الخ. وقد كان مولاي علي «ملاك الموت» مصابا بعس من الجنون وكان يخضع للعلاج النفسي والعقلي. اخذ جهاز منباج صغير وشغله فنهزه بن اريس وطلب منه وقف التشغيل. فاجابه مولاي علي: «مون اجيدان شاف انا صايم ومن الصباح ماكيتش ماكانشوف غير الضباب وبغيت نسمع شوية نبال الموسيقى. وما انت تشوف. انا كاتجري بحال لحمق نوزع عليهم المائدة وهما كايسمعوا الموسيقى وانا متيقن ان عندهم «الروح» فلبوا مرزان لعادي تكافوا الشراب تخشي، اخذ علبه البيرة الضاحكة لم واصل تعليقه: «انهم يسخرون منا. انظر مون اجيدان حتى بقرتهم نسخر منا وتضحك بمرها». وخدم حبيته بالقول: «هي نظري من نجح في الحصول على ترانزستور يستطيع الحصول على الخمر».

وصلوا اخيرا الى الهدف المتوخى عندما بلغوا الزئانة التي لصلاح حشاد.

كان القبطان والفا بالداخل ينتظرهم. فنش بن اريس ومولاي علي الزئانة تفتيشا دقيقا ولبوا اعلاها ساطلها، خاب املهما وخرجا مطاطاي الراس. اما السارجان شاف سعيد فلم يعلق على هزيمته بل ولف في وجه السجين وتل يحمق فيه، بانله حشاد النظرات وهو هادي وغير ايه. بدأ السارجان شاف بتفتيش نيات ملايسه والأجزاء الكشيطة من ملايسه ثم امره بخلع سرواله فعمل فتشه بلفة لم طلب منه نزع

النيمان (السليبي . صنع محلي) ونفذ السجن العملية بهدوء ورباطة جاش وخاطبه قائلا: لكن السارجان شاك سعيد واش نعيمو بالحشمة، واش انت بهاذ الموسطاش لتبارك الله وتغير يدك في (....) بلا ما نحضم، لم يجبه الحارس وواصل تفتيشه لم يبق سوى المكان المحرم. وكان حشاد يعرف ان الحارس لن يتردد في الحرس، يده هناك لذلك استعد من قبل حيث انه كان قد خزّم بقوة جانبي الجزء الاسفل من سرواله على مستوى التكمين بخيط رقيق يكاد لا يرى. ثم اخذ ماله (نصف مليون سنتيم كورفات نقدية جديدة) ولغه جيدا قبل ان يربطه ويخبئه بين فخذه. ثم وضع ورقة نقدية جانبا في المكان اياه. صرخ فيه السارجان شاك، اسرع، ليس لدي الوقت الذي اضيعه. انا متأكد انك نعلك المال. وأكد لك بانني لن اخرج حتى احصل عليه. تظاهر حشاد بأنه «بنزل، تبانه بيده اليمنى فلفح باللحافة الي اسفل السروال بيده اليسرى. «اخذه السارجان بيده فاخرج الورقة النقدية (100 درهم). لعت عيناه وهو يخرج لتكمينه ونادى على رفاهه: «تعالوا. لقيت 100 درهم. ياك كوتت ليكم ان حشاد ما فيه ثلثة. اه عانوا حتى ماطلا. فتشوها، والمقصود «بالماطلا، هو ما صنعه حشاد من قطع الغطاء والبقايا والشعر وغلب الدواء الفارغة والفروماج... إلخ.

انهى الحراس التفتيش حوالي الساعة الرابعة بعد الزوال، ثم نادوا على احد مساعدي المدير ليعرضوا عليه ماغنوم. انهضت المساعد بحجم المنوعات ونصحهم بعدم إطلاق المدير او تحيره على ما وجدوه.

سأله من امريس، كيف يمكننا التخلص من هذا، وهو يعلم ان غضب المدير سينزل به لا محالة باعتباره المسؤول عن حراسة البناية، فضلا عن قرب تاريخ تقاعده الذي سيضيع منه لو علم رئيسه بالحادثة. نصحه المساعد بقوله: «ضعوا ما وجدتم في الساحة وساعطيكم عشرين لترا من البنزين لتحررهم ثم عليكم بدفن الرماد، واحذروا إخبار المدير لانه سيحالب اول من يخبره. وانت بالضبط. اموالي علي . عندما تحكر نصبح ثرثارا فاحفظ لسانك. (وهو ماسيتم بعد سنة تقريبا).

كان الجدول الزمني لرمضان خاصا للغاية بشارامارات. في الساعة الثانية صباحا نحصل على مفرقة من العجينة، ثم ينهب الحراس إلي اهلهم بالريش ولا يعنونون قبل الخامسة مساء ويوزعوا الماء والخبز والحريرة والقهوة. كان هذا هو النظام الغذائي، وجبتان عوض ثلاث وجبات طوال الشهر الأبرك. كانت الاغلبية الساحقة منا تصوم إيماناً

واحتسابيا. بعضنا، وهو قليل، كان يكره على الصوم نظرا لانعدام الأكل وثلاثة رفاق كانوا يظفرون بدعوى الشروط الا إنسانية وسوء التغذية واعتبار الصوم في مثل هذه الظروف شبيه بالانتحار.

في اليوم التالي جئنا الحمامة وفلاش، على حين غرة وطلبا منا تسليحهما اي شيء قد يضر بنا، لأن البناية ستخضع لتفتيش جديد يشارك فيه حراس البناية الثانية ايضا، وهكذا شارك كل الحراس يوم 17 يوليو في التفتيش مما يعني أن الجميع كان على علم باستثناء المدير! لم يجدوا شيئا لكنهم عاقبونا بسحب الماطلات، التي صنعناها من نشارة الغطاءات والشعر وعلب الاطوية التي تطلب جمعها مجهودات وسنوات! اعتقد الحراس بانهم نالوا منا اي مثال وان التفتيش سلبنا كل مانعك والحال اننا احتفظنا بثلاثة أجهزة راديو لتتبعه الاخيار ونسخ من القرآن الكريم للمراجعة في حال التسيان، والرايا لجلب النور، خبائنها في الثوب السلف او في حفر حفرناها في جانب المراحض.

يوم 17 نونبر كان يوما سعيدا - إلى حين - لأن بعض الحراس ارتكهم سن التقاعد وغابوا المعتقل للحياة المدنية. ويبدو ان المدير طلب الاحتفاظ بهم لأنهم عاشوا بعد 1 اشهر من رحيلهم والحراس المعنويون بهذا القرار هم بن تريس، والسارجان شاف سعيد وبغازي والسارجان شاف احمد التوقدعة لقرار نهائي في قضيتنا وعلامة على ان حالتنا ستحل بطريقة جماعية. لقد بدأوا بي ولدا سيأتي نوركم.

اعجب الرفاق بالحكاية والاجراء المتخذ من طرف المسؤولين باستثناء فئة قليلة خالفتهم التفكير معتمدة على الوقائع والتحليل المنطقي وقد كنت من هذه الفئة التي رأت في قصة الطويل حالة خاصة وحلا فريدا يلزم الطويل وحده وقد يفرج عنه الآن او في تاريخ لاحق، وربما سيظل معنا سنين اخرى مع تمتعه بنظام خاص، وكل مرتبط بالظروف السياسية، بالضغوطات، وخصوصا بالتسوية مع المخزن، كل رفيق كان يعطي وجهة نظره، باختصار، وكل واحد كان يفكر بطريقة الخاصة انطلاقا من مزاجه. بالنسبة للمعتقلين لم تكن المسئلة

س

وكان الهم هو المراسلة مع زوجته وابنه امين المزدان لفيضة الصفيوي الذي عاب على الطويل ميرزه ونعت ب «القبولي» رفض الطويل التهمة واحس بالاهانة فطلب نقله الى البناية الاخرى لاسباب شخصية

وإنسانية وكانت تلك فرصة للتغيير المكان ومساعدة رفاقنا في البداية 2،
امضى 34 ساعة فيها قبلنا رغم البحث المضني
- ربما اكلها الجن والعفاريت حتى لنا ما يسمعه في الإنذاعات
بحذافيره.

هكذا مرت أيامنا، نتأرجح بين الحزن العميق والضحك الطاريء.
أحيانا كنت ابكي وأحيانا أخرى أضحك. أتذكر ما حدث ذات يوم
للطويل. لقد جمع وخرن قطعاً من الصالحكيم للبيوتنان الزموري وهو
رفيقه وخريج فوجه، الذي هدأ من الغضب وآلم رفيقه على هذا القل
والضعفينة والتميز الناجم عن بعلاء قد بداوا فعلاً يكرهونهم
لإرغاءاتهم ومغامراتهم الكائبة ونظمتهم للسموم وتجنيفهم واتانيتهم.
لقد كان علي ثرثارا يحكي باستمرار عن مغامراته العاطفية ونصيه
وأحتياله. كان يتحدث بون إحساس بنذب أو ندم عن غشه وعن خداعه
للناس الطيبين .. محدث الذي كان من المفروض أن يكون جدياً. كان لا
يتك عن الحديث عن مجونه وأحتيالاته.

كان فيما مضى من الأيام أحد المساعدين الأتريين لشخص أرجنتيني
يتاجر في السلاح.

وهو رجل أعمال ناجح استقر في المغرب للاستثمار وإنشاء المقاولات
لكنه أجبر على الرحيل بسبب زوجته التي خانته وهربت مع عشيقها.
لم يستطع هذا المهرب الكبير الذي كان يبيع السلاح للجزائر في
الخمسينات ولعول أخرى أن يتحمل الصدمة. لقد رحل بعد أن قال
لمحت:

لقد كنت أخطر بحياتي في العمليات الخطيرة من أجل إرضائها
وتلبية مطالبها. فما جدوى كل الحياة الآن.. أما بايزيد فقد كان يتحدث
باستمرار عن الجن والكنوز المحروسة من طرف العفاريت. وقد حكى عن
هفيه بالرباط زاره ذات يوم وأخبره بوجود كنز في الناحية، لكنه لا
يستطيع استخراجه بدون بايزيد. لأن الطلسم الغامض للفقيه يرتكز
أساساً على اسمه (بايزيد) الذي يمثل مفتاح السر. الفتحة بكلام الفقيه
المشعور وبمع ملهما بضعة ملايين للفقيه من أجل الاستعداد وابدئ
مواقفته للنسبة التي طلبها الفقيه. وفي ليلة معلومة حدثتها حسابات
الفقيه توجهها إلى سفارة على شط البحر. بدأ الفقيه في تلاوة كلام
غامض وبايزيد يحفر في المكان المحدد. وفجأة يقول بايزيد - ظهرت عدة
أكباس فصاح مبهتجاً فلما غضب الفقيه وآلم بايزيد على كلامه. لأن

الكنز تحول إلى رمل! بعد ذلك طمان القلبيه بايزيد بوجود كنوز أخرى في أماكن أخرى، وطلب نفس المبلغ بعد أن الح على بايزيد بالصمت ونعهد هذا الأخير بالتزام الصمت بعد أن دفع المال. ومن سوء حظه لم يمض شهر واحد حتى اعتقل، وجرى به إلى تازمات معية أخويه. مضى عقد من الزمن وظل بايزيد يؤمن بهذه الخرافة وينتظر الخروج للاتصال بالقلبيه لإخراج كنوز القراصنة ويصبح غنيا.

لقد مضى عليهم 4 سنوات عندما كبرت شعورهم والتسخطوا أكثر منا. لقد كانوا سليلي اللسان لم ينج من قلوبهم لا المغرب، ولا تونس ولا فرنسا، لأنهم في الواقع مثل المرتزقة عباد المال. ما انفكوا يجنّفون معا بسبب لهم في كراهية الآخرين.

لم تشهد 1985 أية وفيات لكنها كانت سنة المرض الذي سينتهي بالموت في السنة القادمة. خلال سنة 86، بدأت صحة السولويوتنان ازدهور بوجمعة تخونه. لم يبدأ للشلل فقط بل لقد السيطرة على حركة أطرافه. حيث انفصل الساعد عن الدراع واختلت الأطراف السفلى. والواقع أن أعضاء السفلى والعليا كانت تتحرك في كل اتجاه بدون تنسيق. كان من الضروري أن يطعمه أحد ما ويضع الأكل مطحونا، في فمه لاستحالة الهضم واللون! لقد كان المسكين جثة يدماغ حي تعاني من الفوضى الدائم، واجبر الحراس على ترك بابها مفتوحا لينتسنى للرفاق المتطوعين مساعدته وتنظيفه.

لقد كان ذلك يتم بدون علم المدير الذي غالبا ما كان يتوجه إلى مكناس ليسهر وينام، وغالبا ما استغل الحراس هذا الأمر وسلمونا إباريق إضافية من الماء أو تركوا الباب مفتوحا طوال الصباح حتى ننظف زنازتنا ونساعد المرضى. ذلك لأنهم تالروا للامتيازات التي كان يتمتع بها الطويل وحده.

ولأسف رغم الجهود التي بذلها الطويل والرفاق الآخرون، توفي ازدهور بوجمعة في 1988. وقد كان القلبيد من قبيلة مفاوة بين فاس وتازة، أبوه رجل عسكري نقل إلى مراکش. حيث حصل الرقيق على البكالوريا ثم التحق بالأكاديمية العسكرية بمكناس سنة 1967 حصل على رتبة سولويوتنان سنة 1981، أمين في القضية الصحيريات بـ 5 سنوات سجنا.

صور ابناي

كان للمنتاح أهمية قصوى في المعتاد، بفضلته نطق على ما يدور في العقاب، ولد كان يعوزنا ابتداء من 1978 جهازان الراديو. وبعد مرور 3 سنوات حصل الوافي ومرزاق على جهازين آخرين، كان رفائلا الأربعة يتناوبون على نقل كل ما سمعوه وما يدور خارج الترمساروت، ولا احتياج إلى القول إن التواصل كان مشغرا لصرف نقل الحراس للمنظف، وقد كان لسعودي البياح الطويل في مجال الحكمي، إذ علينا معه يوما بيوم مثل مسلسل تلفزيوني الثورة الإيرانية والحدث زيمبابوي والاضرابات تايبيريا، كان حمله نزلوما يلتصر على برامج إذاعة الرباط لأنه لم يكن يسهر أو يستيقظ باكرا عكس الآخرين، كنا نعرف أن الحراس يتنصتون علينا بأمر من المدير، لهذا انقلنا غرفة لجعل كلامنا غير مفهوم، ونحن من بعد أن الحراس انقلعوا عن التنصت مستخدمين أننا أصبحنا صانحين.

مرت أيام سنة 86 وبدأت اعتاد التريجييا على وجودي الجديد، اضفي مغاوفي وقلي في اصناف روعي، لم تعد نظرات الحراس نتوجه إلي وأصبحت يدورني غير أنه بهم الله صبرت جزما من التفكير وفهرحت لكونهم نسوني، فرقت في تكريات اللغسي، انقطعت لعودتي بعض تفاصيل حياتي اللغسية وأحيانا كنت ألتبا بمسجلتي والصور نفسي حرا، وقد كان هذا بالضبط بلبي في توجة أن كيبني كان يهتز لهذا العمل، ولم ليال قضيتها سهرانا اعد الطبع خرمان في نقل ما اضي انام، وكلفت مسحوالاتي تبوء بالفضل، لأن الكثيرين منا جفاهم النوم بعضهم يسأل بشدة أو يئن لفرد الأيام، بمضنا الأخر كان يسهر ويصرفي هاهنا حتى لايقولوا الفلمنح، نولت الأيام ولم يحصل تغيير، اللهم بعضي التبدل في مواقف الحراس الذين انصارتوا للتفضيل الطويل، كنا نكرا في اعينهم هذا اللين الذي يتلمع به زوج امرأة أمريكية، لم يلف عني أحد الحراس مشاعره وقال لي ذات يوم: لقد علينا من المدير وضع الطويل في مكان خاص، لأننا لم نقليل اعطاء سجين سجنية كل يوم في حين أن رفائلا يتناولون «البصارت» وقد اجابني بالحرف لامل لكم في هذا اليوما بولجيتكم وكلي، كان عليهم أيضا أن يتزوجوا بالجنبيات حتى يتمتعوا بنظام خاص، من الآن لصاعدا اطوا طيله، نعم نحن منقلون طبيعيون لكن ما يتمتع به الطويل يعني أن نساخا بلا ايعة، وهذا يلتر عطينا.

تركنت مسخطي يناس غلوانه لكنني كنت اعرف أنه مستعد للتنفيذ أي امر صدر من المسؤولين، لهذا أجبته بعمود وسنطق ليس كون الطويل متزوجا بأمرية هو الذي منعه هذا الاستمياز، بل أن المغرب ضخم طلب أمريكا لاستجاب جنية ولقوية، جاري الطويل أصبح بوابة لتفاني محمد يرغبي الطرفين لكي يحصل المغرب على نقل والجمع الأمريكي، لابد من كلبية طلب أمريكا، إن تمسحن وضعة ليس هو الفضل بل الفضل هو اطلاق سرالعه، وهذا معناه اطلاق سراح كل المعتقلين، ومن هذا المنطلق يصبح الاستمياز والنظام الخاص حلا للمعضلة وهكذا الأيام.

وعلى كل كان من نتائج عطينهم أن حصل نوع من الأرتقاء والتمساحل اللهم من جهة إن إريس الذي قال عيوننا للطن على عكس مولاي علي - ملك الموت على حد قوله - التي أصبح مسدينا قريبا حيث التلق مع العمامة على ترك ابوابنا مفتوحة مدة طويلة أو

السماح لبعض اللطوحين منا بتختلف الكولونر بالقاء مرة كل شهر نداء الروائح القوية للاسواح وانا متيقن جدا بأنه لو لم يحصل التطويل على النظام الاستيرازي لما وقع هذا التساهل.

فروت انا وغولو إعادة ربط الاتصال بالمعاملات ونجحت خطولنا المتكثرة تجاه العمامة لقد اصبحت لنا وغولو منعت بالقبول بهذا الاتصال للقلادة الجميع. وبعد شهر من التردد استسلمت العمامة. ولعل ان يقوم في بداية الامر برحلة الى الشينيرة من اجل الحصول على الهواء وثلاثة آلاف درهم للقلادة مستوفى البنابة لدعم المعوزين. ثم ان يقوم بعد سنة اشهر برحلة خاصة للإتصال بمعاملات اخرى شريطة ان يوضع ثلث المبلغ للقلادة المعوزين. وقد كان الاكتئاب يجبرنا ان رد الفعل انا حدث سيصعب الجميع في تلك الفترة كنت اعاني من التهاب رئوي حاد واسهل كثيرا، لكن ما كان يلفني تكثر هو الحمى القلاعية التي تذيب جمدي. كنت التصيب عرقا وحمى بالكار في صغري واسهل ليل نهار متسحبا في ازمات كالتألمين في البداية كنت التردد بصعوبة لاستيلاء حمصي من الماء والطعام الذي يضر بصحتي. بعد ذلك بدأت اذبح بلا مجهودا جبارا حتى لا اسقط في فخ الجيود الذي يشل الجسم. خشيت من التلالم حالي فصنعت من قطع لخطاطي وملابس وبعض ملابس رافانا الاولى شبه سفلة اضعها على صدري لعلها تقيني من البرد واصبت بالسهال حاد اجبرني على ارتداء اللوحاط في كل لحظة وكنت الخاف ما يشبه الماء الساخن. لم لاحظت سفلا لرجا بشر الاشمزاز بشبه الفحيح لظلمات مرض العمامة. وحسنا القاضي يشرء الهواء الطيب للإلتهاب والإسهال على ان انخلي عن الاتصال بالمعاقلة ولأجله في تاريخ لاحق قبلت انأخذ نفسي ولد كنت على صوتي خصوصا عندما افكر في الام الاخرين وفي لغلو الذي لاق مشولا وتلاما على جنبه الأيسر منذ 1975. وهي من رموزان الشينياتي الذي خبا على سمعة. وعندما كان السعال يستبد بي كنت احس بطول شعبي من الموت بعثريتي.

حصلت على الهواء ورشي للجميع بمن فيهم رافانا في البنابة. الذين حصلوا على المال والابوية.

نابعا خلال هذه السنة الفصليات كاس العالم بمصكوو واحسنا بالزهو والانتظار لما حمله لرفينا الوطني الرابع. اه لو كان لرفينا يدري اي مشجعين كنا. واي جمهور كان يصفق له ويشجعه من الاثبات.

كان الصغريوي عبد الصافي (رقم 4) يشكو منذ سنة من الام في البطن. وبالرغم من الابوية المرسة من طرف معالته في 1976 لقد استمرت الام وانتفخ بطنه فقرر ان يرسل بواسطة الشوييني مبدئ من فضلاته ويوله وضمهما في انبوبين سمعيتين حتى تجمعهما العلاقة على شكلين طبي التحليلهما. نصنعه شطصيا بصرف النظر عن هذه الفارق ان الشوييني مجوز مكرر والقبولي وسوف يفتح الاتوبيين لصحة ليري ما فيهما. وطبكم ان تصوروا موقفه عند ما يرى فضلات بشرية سيعتقد انها مزحة سمجة وسيلطلب لصحة ويرسي بالبال بما في ذلك بريينا.

ومن جهة ثانية اعتبر فلا سينا ارسال الشفاء طرفه بعد ان عارضه الرفاني الوالي اصبحت لشوفي من شياخ الاتصال للرتاب والحال ان الشوييني بعد عودته من معالته فوجئ وهو يرى الشياخ ومناعه له نقل الى مقله بعد اصطقله بالمر من المدير. ولم بعد له مقله في اللعقل لانه اسئل فرسة قللة للمير استغلا سينا. فسرق جزءا من لغة الضبعة وباع وفود جرارات مدير... وبسبب هذا فله الصغريوي رسوله.

تعزيزت سنة 76 بعزير من التساهل من جهة المراسي مما سمح لرفانا برؤية بوريلتات

الذين وجدوهم في حالة يرثى لها. وتكشفتوا ان الاخوة القرتلورين الابعياء مجرد التزام متوهين جسديا ومضطحين تقريبا بسبب الاعتقال. لقد سمعوا عن علاقتهم مع القوادس العليا واقاموا نزل بالعباءة في اوساط العلاقات الرستارطية. لتعلم نفاها الحديث عن سبب اعتقالهم. وقد تبين لي فيما بعد انهم لم يتحملوا ابدا عن محاولة فرارهم سنة 1961 من سجن . بوان فيس 1 . الرباط بمعنى علة ولفظة. والامن لطلاب الصنواي في نفس المكان مع الجرحين الفرنسيين الاربعة الذين شاركوا في الاعتقال الزعيم المهني من برقة

كثيرا ما جاء القبولتان كولونيل (د) من اجل التفتيش والتراقبة لكنه في يوم 22 شنبر 64 قام بزيارة خاصة لاجابة الاخوة بوريقات. حيث اخرجوا بالكتاب في السلة حيث استنظفهم الضابط القادم. بعد التحقيق عاموا في التفتيش واظروا صاحبين معه طويلا في المساء ندى علي اخويه لينتقد من وحدة نصريجانها كما هو متفق عليه. وتبين بان بايزيد اختلف وعده ولم تعجب شهادته اخويه الذين بدأ يوبخانه ويبرهانه ونسب من حديثهم انهم يؤلفونه على ما قال فكان يرد دفاعا عن نفسه. انا بريء وبسببكم اوجد هنا في السجن. لقد كنت طوال حياتي ناجحا ولم امس اسلحا اصحالا متوهما... لك المرحوموني في احبيلكم.

مرات السنة وفلا جديدة حيث قامت روح . القادم الغاضبي. يوم 17 اكتوبر 67 بعد ان عاش في عزلة تامة والصحى للطبق. كانت السنة في البداية 1 سنة بصحبي الامل. كما قامت سنة السعد بالنسبة لي منذ 1964. إذ لم نجني وحصلت على اتصال مع العائلة وعندما سلموني الرسائل ارتعشت بناي ولم استطع القراء لضغط بصري. قرأ الطويل الرسالة والمروقات عيناي بالدموع. وبكيت في صمت وانا انظر الى صور ابنتي الذين لم اعرف عليهم. تجروا وقد تركتهم اطلاقا صغارا. وبالرغم من انني لم اتبين ملامحهم بوضوح كبير لقد لاحظت العزن في نزارهم مما يتنى بانهم عانوا اكثر مني.

حفظني زوجتي في الرسالة عن اطلاقني عن امي وعن نفسي. وقد كانت سعالي كبيرة وانا اعلم بانها لمختلفت بمعلمي التربية الاولى وبلغت سعالي اوجها لما علمت ان ابنتي الهام تتابع دراستها الجامعية في كلية العلوم وابتني يتدخل في وزارة الصحة. قلت لي نفسي نما ومام ما وقع لي او سجع مدام ابنتي تجروا وانهم وصلوا الى بر الامان.

انتظرت لي ان تسال الشماع المنعكس على المرآة وبيات الرا بنفسي الرسالة. كنت الرا وليس تتسارع نضجته ودموعي تسيلني شربت في احلامي ضامنا فتكلمتني الاحزان احيانا والذكريات الجميلة احيانا اخرى فرح الرفاق لهذه الاتصالات حتى ناولك الذين لم يتوصلوا ببناء عن علاقاتهم. باستثناء سعالي عبد الرحيم الذي انهار عصبيا ولم يقبل باني تفسير او تبرير. وهدمنا بالفضاء السر للخراس الاخرين. رغم نوسلات استطفاه والذين لم يحصلوا على شيء ابدا. اجر على مؤلفه فكان علي ان توليه العميد بالمعبد والقار بالقرار فاجبات الى الجمعية قائلا: اسمعوا ايها الرفاق لقد ارسلنا اتفاقية للمعني الذي يقدر في نفسه لفظ ايها اثاره الاولى الذي لربط فيها الاتصال منذ سنين. وهناك من لم يربط اتصالا قط في حين ان سعالي توصل ا. مرات بيريد العلاقة. انا حفظت سعالي الى العميد وليس لدي ما اخبره لانني محكوم بالوفاة. إن ساطفح القل والقول للخراس بان سعالي يملك ترانزستور والقال وانه ربط اتصالا مع الخارج بطلب فيه رغب الترامبارت.

بعض رفاقي للبحرين اعطوا اللبني وملكوا انوارهم بالكلان حين ترجموني وطالبوني بالعلاقاتية والرحمات. وعندما حل منتصف النهار وجاء وقت توزيع الطعام لم يبع سعالي بشيء للخراس.

وكما نلاحظنا لقد حشد إدارة عمليات الاتصال لأنه وضع ل الإلزام برغم في صندوق
 البنائية مبلغ الرسل بطلبات الرفاق لم قام بتوزيعها بعد الحصول عليها.
 لم يسبق للبنائية أن كانت يمثل هذا التنظيم لأنها في الواقع متمونين. ماخطبوطا
 الرخصة حتى نتحتوا ، اما لنا فقد كان للتوصلي ببناء علاقة بمثابة البحث والرخصة
 الذهنية للقرن للتحية بنفسي وعدم الاستسلام للاتصال فاصبحت بالفضل الجميع
 للتوصلي الوسيط بين العمارة والبناء. وفي هذه السنة أير العراس فرس لشجار مشترك
 واعتبرنا ذلك عبارة فطرية لعزتنا كثيرا. لأن معنى هذا أنهم يتوون لكل شأنا ومضاه
 كذلك أن ملطنا سيطر في السجن لك فرسوا شجرة زيتون وشجرة طمش وشجرة لوز
 وشجرة نخيل والآن هو شجرة الكرمة مما يمر منحويات جيش بكامله ويتكلم معه صبر
 الجمال. وهبت للسلعة امام باب بنياننا لزوع الخضروات أن سعر العيش ارتفع وهم
 الفلاح.

في هذه السنة أيضا عرف لظو من ابتلاع الحشرات العمودية والقويات والفيلسفات
 بلا تجميد لطلب مني ومن غلظ التمدل لدى الرسول لكي يلقبه بدواء تقليدي يصنعه
 خطاب مشهور في منطقة الغابات قبل العمارة بعد تردد وبعد أن وضع لظو في جيبه
 بعد شهر حصل المريض على مراد وهو دواء مصنوع من 4 أنواع من أنواع العشب
 مطبوخة بالمسل والتمر والسمن. وبما أن العديد من السجناء الطيارين لم يسبق لهم أن
 رأوا لظو فلهذا المنعنا الفرصة وطلبنا من الحارس أن يمنعهم بتزويره. ولما لمي الطلب
 فاجموا ما رأوه من فلاحات كانوا يتوالمعون وجود كائن بشري ممدد لرضا. لكن لظو كان
 مجرد هيك عظمي بلا حياة تقريبا أو كل ركاب عظام مشوهة بوجه مشوه وعينين
 غائرتين. كان لظو يعمل في يده شحنة لعله يرى الزوار أو يتعرف عليهم لكنه من سوء
 الحظ لم يدره ذلك تسمر الزوار في أماكنهم منهولين للمنظر اللطيف. لما سأله إن كان له
 تعرف على الوظائف أسماء الغياب بقنكي التمدل حشد الفلاح: أهلا لظو هل نسيت وجهي
 بهذه السرعة. لتدبر لظو ضلعتا وقال له طم تعد حشد الذي أرفقه أنه ألقبه ما تكون
 بذلك العجوز الذي يفرود العربية في الفيلم التاريخي للصور في المغرب سلومبو كسكندر.

المهزة التي لم تكتمل

جاء لظو للتشول بدواء تقليدي وتوجه الرفاق المتطوعون لرؤيته
 وطلب الذين لم يسبق لهم أن التلوه زيارته. فكان لهم ما أرادوا.
 فمر فاه كل من راء وتمكني الانطباع أن الرفاق المنهولين يشبهون
 النومين مغناطيسيا. هاهم المنظر اللطيف لحالة المريض وجسده الذي
 أنهكته اللقوب الناجمة عن الجراح الملتحمة بدأ المسكين للظو مثل

شرويطه، بشرية، رغم ان هذا الرجل المسلح بشجاعة تفوق قدرة البشر
ورغبة لاتقهر، كان مفعما بالايمان والامل ثقته في العناية الالهية لاتحد،
ينتظر المعجزة. سألني حشاد خلسة وبسفرة حزينة:

انت من عرف لفلو قبل المعتقل، صله لي؟

اجبته بعد تنهيدة طويلة:

كان وسيعا للغاية، صبوحا، فاحم الشعر، ابيض الاسنان نشع منها
الابتسامة ساحرة.

لجاء رد حشاد حزينا: «لقد جعله نظام تازمامارت شخصا نعيما وإذا
قبر لنا وطال مقامنا فسننهار اكثر من لفلو».

كان هذا الأخير يتناول نواحه بانتظام وبعد مضي ثلاثة اشهر حظيت
بفرصة مشاهدة معجزة طال ترقبها، حدث ذلك ذات يوم بعد تنظيفه
وعلاجه، إذ ناداني لفلو:

هل تريد رؤية معجزة؟ ومشاهدة «منظر سيطريك»، ولما راى حيرني
وبعشتي واصل قائلا: «ادخل لشر لفلو وعسني بالا تحدث احدا
بالموضوع، لأنني اريد ان افاجئ الرفاق بمفاجأة كبيرة، دخلت الزنزانة
رقم 2، فانتعشت وطار صوابي، قلت انني احلم، جحظت عيناى وشربنا
وانا ارى لفلو جالسا القرفصاء فوق بلاطه، يحرك اعضاءه حسب هواه.
تبعني لفلو وسلعه مكسة وامسك بكتفه: «هيا ايها الخامل، لقد زفت
ساعة النزهة» بنل الريض، وهو باسم مجهودا خارقا ليطف وحده وبدا
يخطو ببطء خطوات شبيهة بحركات الروبو او حركات امسترونغ على
سطح القمر، كان المنظر غير قابل للتصديق، إن لم يكن مستحيلا. فرح
لفلو مثل طفل، ثم خاطبني وهو يفرح بيديه: «انظر جي كي كا (أ) هذا
ما يسمى بالازادة والصبر، كنت دائما اقول ان من يريد يستطيع»
لاحزن، فربما سيمشي، الشطيع بيانا، كما يحلو له، انا متيقن...

ومن سوء الحظ ان المستقبل كان يخبئ لنا مفاجات غير سارة بينت
ان كل الجهود تنهب سدى. ذلك ان «الحمامة» غامر المعتقل بسرعة،
وبشكل مفاجئ ونهائي، ولم يستكمل صديقنا علاجه، وراح ضحية
إحباط بسبب انقطاع الاتصال.

خيم الياس مرة اخرى على البناية، ولم يعض اسبوعان حتى عاد
لفلو الي وضعه الاصلي.. الي الأبد. ولأنه كان عاجزا على مقاومة النورة
الذائبة لطعام الليل وغير نظيف واندواء غائب وشمس نائية، بدا لفلو
يحتضر مثلما نجف شجرة بها لشرة اسوتت بلعل تقلبات الجو والزمن

وهي تنتظر ساعة الموت. والمثير حقا في هذا الرجل انه حتى وهو في احلك الاوقات لم تنم عنه اية صرخة او صيدرت عنه لتنهيد. كان المسكين يتم الامه ومكابداته في اعماله حتى لا يحزن رفاقه. لم ينهزم ابدا والحال ان الحياة في تازمامارت شبيهة بسد. لابد للمعتقل من فتح السكور (مخبر لتصريف المياه).

حتى ينخفض مستوى ماء الالم، وإلا تصدع الجدار. وكان ذلك هو الخطا القاتل للغلو... بعد ان هزل وضعت مقاومته للبرد الفارس وللصوت النافذ للابواب الحديدية والصدى الضخم المريض الاعزل وجها لوجه مع قدره الخاص الثقيل.

لقد كنا جميعا ضحايا التلوث السمي الذي مثل مشكلة حقيقية لنا، فيما ان الموقع الجغرافي لتازمامارت ووضع وسط الجبال. فإن السلف المزوج للبناءيين المصنوع من اللصدير كان يهتز باستمرار لحركة الرياح او يعكس صدى التساقطات مما يفرض علينا بعضنا تطول مدته اسابيع طويلة. هكذا يتعذر علينا الاستماع الي بعضنا البعض وإن كنا ننسى مؤلفنا انين رفاقنا المرضى وضرب المجانين للابواب شخصا كثيرا ما اصابني الصداع بسبب التقيح في الاسنان الذي يلحق اعصابي ١ و ٤ ايام الضيها متالما وجائعا. مقابل هذا كان بعض الشجعان منا يطلبون من الحراس اثناء الوجبات السماح لحشاد بفزع السن المصابة. وكان يقوم بذلك مستعملا السبابة والابهام وعندما يتعثر ذلك يلجا الي قطعة خيط.

وزيادة على الامراض المذكورة اعلاه. ظهرت البثور والدمل على اجسادنا ولم اناج ايضا من هذه الظواهر. لقد تفتقت البثور في جسدي كله وراسي وتضخمت الغدة الدرقيية (كواطر - سلعة). واجبرني الروماتيزم علي المشي متحنيا بعد ان نلخ مفاصلي التي تسببت لي في الام حادة ودائمة كلما هممت بالحركة. كانت امراضى تترزمني «الفراش» لمدة طويلة وياما حدث ان عجزت عن الحركة. ايام البرد الفارس. فكنت الضي حاجتي في سروالي. ولم يكن الذين يتبولون في سرواليلهم يطهون ذلك. لانه لم يكن بيننا سر. وكثيرا ما كانت الامنا مصدر ضحك وتلكه. فقد حدث ان خاطبني بوحيدة الذي كان ينطق للسبح شيئا قذرا .
- اتعرفه البارحة لم يغمض لي جفن. لانني جي بيشي. كرانط شي فوا. (تبولت 4 مرة)

هل لي ان اعرف السبب

لقد انتفضت محلي العائلة وصارت مثل بيض النعامة

لماذا لاتصنع منها ، او مليت؟

انت نمزح لكن اعرف ان ذلك بحزنتك

وقد كان علي حق، لكن ذلك لم يمنعا من الاستفراق في الضحك بعد وفاة الصديق ميلودي الرجل الغامض يوم 87/11/11 دون ان ينيس بكلمة. عانت الامور الي نصابها في البداية ا واستمر شراء النواء بالبنابيه وكلما سحت الفرصة كنا نختنمها لغص شعورنا من طرف خالينا المفضلين بوحيدة وشاوي وترلق نعالنا من طرف الاسكافي مجاهد وحياسة صديريات وتبانات والمصبة وطلحات وجوارب عند الخباطين ماغوشي، غلول وشاوي وحشاد وبوحيدة، وكل هؤلاء قدموا خدمات حبا في الله لايجنون جزاء ولا شكورا. شخصيا لم اكن اجيد شيئا على المستوى اليدوي. لكن مهمتي كانت تكمن في خلق لحظات استرخاء كإعادة سرد الافلام او النواير او رفع معنويات الرفاق.

حدثت حركة كبيرة في المعتقل مما لم يكن في صالحنا، فقد نقل الحمامة، واحبل مولاي علي على التقاعد بسبب السن وحل محله حارس كما نخشاء لسقوته وهرامته والقباه سير . فير. عم لباس من جديد وخبا امل اكثرنا تافؤالا. لكن شاعت الصيغة ان تقالقم إصابتي بالسعال الي درجة اصيحت تهدد حياتي، وبالرغم من كوني لست بمقامر او لعب بوكر فقد اتخذت قرارا بطرح كل اوراقا (طباي) لفضضت الطرف عن كل الاحتمالات وبسست ورقة من فئة 50 درهما وورقة كتبت عليها «سيموطين» في يد الحارس الجديد، تريد (سير فير) هنيهة واخذ امانتي ونهب فيدات انتظر اسوا الاحتمالات وانا على اجر من الجمر. طرحت ثلاث فرضيات: إما انه سيخبر المدير بحقا عن مكافاة او انه سيأخذ المال دون ان ياتي بالنواء او انه سيقوم بالمهمة دون تعليق وقد كانت حظوظ الفرضية الثالثة ضئيلة للغاية في يوم الغد، ساعة توزيع الماء. نفذ صبري وتسامعت بكلمات قلبي حتى خلت انفي ساسط مغشيا علي فجاء فتح باب الرزانة ولوجت وانا ارى الحارس يسلمني المضادات الحيوية. لقد تصرف معي باستقامة حيث سلمني النواء واحتفظ ب 15 درهما لنفسه. بعد مرور اسبوع خفت إصابتي ولاحظ كل زملائي تحسن حالتي. كنت سعيدا بمقامرتي وسرعان ما وضعتهم في الصورة. وقد طلب مني الحارس ان اخبرهم باستعداده لشراء الابوية لخالنتهم شريطة

الزمامهم بالسرية ربما للخطر، مع ذلك ظل العديد منهم حذرا وطلب مني القيام بالوساطة وقد مضى على زمن طويل اسلمه المأمورية ثم اعمل على توزيع البضاعة بعد التسليم.

عرفت البناية الثانية بدورها بعض التغييرات لعل اهمها تقاعد بالمجازي وتعيينه بالسارجان احمد العملاق لطول قاصته وشيئته المتهللة وصونه الاجش. وقد كان احمد الغول من منطقة البرانس يتازة، درس في الكتاب قبل التحاقه بالجيش، ورغم إيمانه وشدة تدينه فلم يمنعه ذلك من دفن مونايا بلا غسل او وضوء او تعليم المساعدة لمن هم في حاجة إليها. هكذا دخلنا سنة جديدة وكلنا امل في تغييرات للثابتات، واحتفظنا بالامل المترشح مثل شمعة تراقص في مجرى الهواء. كنا ننتظر المعجزة ونحن ملتفين في عطائفنا المهترئة، قارئين للقران، ناسين الشتاء الفارس الذي شمل اطرافنا بون ان ينال من إيماننا، منذ سنة مضت وريح الامل يهب من ناحيتنا، واحسست انني اسبح في اكسير الفراج قريب ورايت نفسي في المنام امر من المعتقل سابقا في الاعمال نحو جزر غريبة ساحرة تغمرها الشمس وتزينها الطبيعة. وكنت استمتع هذ الحلم حتى بعد اليقظة واطل في اطفاله انجرع كؤوس حريته المنعشة.

في تلك الاثناء استغل امبارك الطويل خرجانه الطويلة الي الساحة اثناء فراقه البريد او كتابة الرد على الرسائل، والتمتع احد الحراس بربط اتصاله سريرا مع زوجته نانسي (ثورية)، ذلك لأن الرقابة كانت تمنعه من قول كامل الحقيقة عن المعتقل، لقد التفتع بان عليه ان يكف عن الكذب على نفسه وزوجته، فقرر قول الحقيقة، كل الحقيقة في الرسالة السرية. وقد وصلت رسالته الى الولايات المتحدة بون المرور بالقناة الرسمية بواسطة زوجة احد المعتقلين، تمت العملية برمتها بون علمنا، لاننا لقنا منذ نهاية 1987 اي اتصال بالعائلات، فعمد الطويل وشريكه بلكبير الي خرق بنود الاتفاق بيننا معا اثار ذلك حفيظة الجميع الذين اعتبروا الامر خيانة، اطلعنا على الامر بعد وقت طويل، بعد ان اخبرنا «المبعوث» نفسه الذي تسلمه. نعتنا الطويل ورفيقه بالمواطنين والمناصرين والإنانيين، ادرك الطويل خطأ بمحاولة للالتفاف على رفاهه وحاول فيما بعد إصلاح نفسه عبر ربط اتصال للثابتة الجميع، وقد كان يعلم بان اني حركة غير محسوبة يمكن ان تؤدي الي الوشايه به، والحق انني كنت اول من يفعل ذلك لو انه حاول ان يخدمنا من جديد!

كي يهدئ من غضبنا وعدنا بالقيام بالواجب مع «المبعوث» السري لربط اتصالنا في الشهور القادمة، وكذلك على حسن نيته الفع مبعوثه وبا احمد بترك ابوابنا مفتوحة زوالا خلال تنظيف ومعالجة لغلو ومن حسن الحظ ان مدير السجن نسي إعطاء امر مضاد لوقف العلاج.

بدأت العجلة تدور. مرت سنة XX بسرعة لاننا كنا متكبين على بلورة ناكثيك جديد لنيل تعاطف الحراس. باستثناء بن تريس الذي ظل بلا ترويض، ومن حسن الحظ انه كان مجبرا على الغياب بسبب مرضه العضال.

شهدت العناية (2) نفسها بعض التساهل بفضل حارس عطوف بذل مجهوده لإنقاذ ما يمكن إنقاذه. وبالرغم من بقلعة احمد «الغول» استطاع مد المرضى بالانوية وقليل من الصابون ولطعة من الفروماج للواحد. حاولنا بواسطة الطويل ومبعوثه السري ان نمنهم بالمال والعديد من «الاشياء» مثل الفيتامينات والاريا وعلب الجبنة و «الصناعة المحلية» لاننا كنا متقدمين عنهم ارسلنا إليهم ملصقات بدائية مصنوعة من علب السريين والحليب التي رمي بها الطويل واستخدمها الشاوي. وقد كان الحراس قد سئموا الروتين ونال منهم تعب السجن فطلبوا من رفيقنا هذا ان يوزع الوجبات ويفصل الطناجر بينهم. وبعد ان كنا نكتفي في السابق باشواك الخبز او سلك الحديد نرتق بها الملابس اصبح بإمكاننا فيما بعد ان نرسل إليهم ابرا حقيقيه!

بفضل هذا التساهل اصبح بإمكاننا ان نلتقي في الكولوار رغم ان الضوء الشاحب كان يمنحنا من ثمين ملامح بعضنا. ومازلت اذكر اليوم الاول للقائنا بعد سنوات الظلام، حيث عانقني السعودي معتقدا بانني بكبير وحياتي قائلا: «بونجور مون كابتان، لقد تغيرنا كثيرا وصارت الاصوات وحدها ظريفتنا في التعرف على بعضنا. تأملت هؤلاء الرجال وهم يبحثون عن حرارة إنسانية تخلص من المهم، بعضهم بكى لرحا للقاء رفاق البؤس، نهشت لشجاعة ومنابرة اصفرنا سنا، الذين حافظوا، رغم شيخوختهم المبكرة على ابتساماتهم الرائعة.

الثقينا في الكولوار. إنن- وعن لي ان اخبر إيمان البعض منا. سألهم فيما يشبه الاستنكار : «لقد نفدت عقوبتكم منذ مدة طويلة ومازلتم تعانون بدون وجه حق رغم ان الله رحيم بعباده فلماذا يعذبكم» اجابوني ظم : «إن البشر هو الظالم الغاشم، يستعمل سلطته في

الفضاء على إخوته» وحاججتهم عمدا «لكن الله علي قدير ويمكنه وقف الظلم» اجابني احدهم : «انت علي حق، لكن الله يمهل ولا يمهل. فهو يترك للجائر وقتا للتوبة وإصلاح النفس، ومن جهة اخرى يختبر إيماننا وقوة عقيدتنا. وايا كان قدرنا لنحن فرضي بمشيئة الله، والله لا يضع اجرتنا في هذه الدنيا او في الآخرة. وإذا خسرتنا هذا العالم سنخرب الجنة. اصفرهم سنا اجابني بابتسامة صادقة : «بالنسبة لي تمثل تازمامارت مدرسة تعلمت فيها التفكير والصبر والرضى بالقدر. وعلى كل، فماتت هنا لن ارتكب المعاصي التي تخربنا في الخارج من ملذات ومحرمات والمعال شيطانية».

كل هؤلاء المعتقلين كانوا صائدين فيما يقولون لانهم ربحوا روحيا اكثر مما خسروا . والآن، ابتعدوا عن طريق الضلال.

في المعتقل كان ليل الزمن الوحيد في بيتنا هو زلزلة الطيور واذان الصلاة ومجيء الحراس وتوقف محرك الكهرباء في المعتقل. كانت العتمة تجعل كل الانبياء تتحرك امام اعيننا باستمرار. وبالطاكه كنا نتبين ملامح الوجوه. لما خرجنا إلي الكولوار لاحظنا نفس العطانة التي نفوح في الزنارن ونفس الأوساخ تغطي الجدران وتغطي اجسامنا لتنتضف إلى الرائحة النتنة المنبعثة من اسماننا وانظلمنا التي نبتت فوق بعضها وانقرزت في لحمنا، لقد انتبهنا إلى اننا نمشي مثل العجزة، ومنا من لا يستطيع حراكا، اكتشفنا ان سزاق كان يعزق ملابسهم ثم يرفوها من جديد. تجزية للوقت.

كان خروجنا الوحيد إلى الكولوار يسمح لنا برؤية اصديقاننا وتبادل الآراء بيننا. حدث مثلا ان احد اصديقالني المجريين الناضجين اسر لي بالقول : «شخصيا لا اريد الخروج من المعتقل بعفو».

سألته : لماذا؟

اجابني : «ما الفائدة من الخروج لرؤية الشمس وقد نمرنا واهننا، لن نهمنى الشمس او الهواء إذا كنت سألقد حقوق المواطنة» . عقلت على الفور.

«إن الخروج يعني الاملات من الموت القاسي ومعاشرة الأحياء وقد جننا إلى العالم من أجل الحياة وليس من أجل البقاء رهن الاعتقال» . فاطعنى بحدق «إذا كان علي ان اخرج ذات يوم لكي اتسول واعيش عالة على عائلتي، بلا مورد عيش او تعويض، فلانا الضل ان الضي هنا في تازمامارت، لست متشالعا وانا اؤكد اننا سنغار هذا المكان عاجلا ام

اجلا، واستعرف انني كنت على حق،
وحصل ماتنبا به، إذ بعد سنوات اصبحت حرا والتقيته سنة ١٩٤١ في
احدى المدن الكبرى، وقلت له بانك كنت على حق لأن الحرية بدون حقوق
ولا وسائل عيش انكى من التسول.

وهي سياق الحديث عن الآراء الحميمية المتبادلة، سالت احد الضباط
المشورطين في قضية الصنوبرات عن رايه في الانظمة السياسية في
العالم، فكان رده انه ضد الانظمة الدكتاتورية ورغم انه منهم بانقلاب
فقد قال : «انا ضد جمهوريات الحزب الوحيد ومع الملكية في المغرب
لاني اجد فيها متسعا لحريتي، حيث لا يفرض عليك لا التطبيق الصارم
لفهم بيئي، ولا ابيولوجيا معينة كما في الدول الاشتراكية. وعموما انا
مع نظام ليبرالي... مضت سنوات والتقيته سنة ١٩٦٤ بالرباط ووجيته
على ارائه، يبحث عن السلم والحرية ولا يبحث عن حقوقه.

التنمت نفس الحميمية في الكونولز وسالت احد رفاقي كان يملك
رجليه بقطعة شحم عم سيفله بعد الخروج، فاجابني بلا تريد: ساعيش
وحيدا في الجبل بعيدا عن المجتمع لانني لا اريد ان اخذع مرة اخرى
وانا لعلك مازلت اتساءل لماذا انت بـ . سنوات سجنا ودفنت هنا ولم
اكن على علم بشيء».

. لكك مولت الطائرات بالاسلحة .

. لقد اعتدت تلك يوميا نون ان اعرف مهمات الطيران، انا مجرد
سارجان ينفذ الأوامر .

. رغم اننا لم نربط اي اتصال سنة ١٩٤١ لكن الظروف كانت ايجابية لأن
الطويل تقدم في مساعيه حبال الحارس الذي بدأ مسحورا بالمال لكنه
يتريد. لقد كان في حاجة للنقود لاستكمال بناء منزله، لكنه كان يخاف
المخاطرة. اما سير فيره، فقد ظل عمليا في ما يخص العمليات المحلية
والضا السفر بدعوى الجهل. وحصل ان فقد الوافي كل اسنانه فسلمه
سنتين من النغب، لبيعهما لصائغ وشراء اوية لعلاج الكبد، وبطاريات
للمشايخ والجبنة لمقاومة الجوع. قام بما طلب منه الوافي، وكان ان
العنيد من الرفاق فطنوا بفعل الهزال جسر اسنانهم (بريدج)، منهم
بلكبير الذي سلمني جسر اسنانه لاسلمه للحارس قصد بيعه. وقد كان
بلكبير قد عذف عن القيام بالعملية شخصيا لانه كان يعرف ان الحارس
مخادع سبق له ان خدع صفتي، بعد اسبوع جاخني الحارس وخاطبني
فانالا: «إن الجسر الذي سلمتني لابساوي شيئا، لانه من الفضة وليس من

الذهب مثل ما هو طاقم الوالي.

اجبتة: اسمعني يا صديقي لاتحاول خداعي، ليس هناك في العالم من يضع طاقما من اسنان مغلقة بالفضة لاسيما قبطاناً.
لكن الذهب احمر.

ابن الجسر الذي سلمتك من الذهب الابيض وهو الخلى من الذهب الاحمر فرد منتظها للمفاجأة، لم اعرف هذا من قبل ابدا، لقد اراد الصانع خداعي، ساعدو اليه واوبخه.

لنقل انك انت الذي اراد خداعنا، حذار.

لا تخضب يا يزيد نسوية، (وهو اللب الذي اطلقوه على بسبب شراهته في الاكل)، غدا سنلبي طلبك، وكذلك كان.

ذات ليلة من ليالي الصيف الخائفة، والبعوض نائم والاخر يرتل القران بصوت خاشع تتخلله حشرجات البكاء، في تلك اللحظة تعالت صرخة حادة هزت كياننا ولرعت لها فرانسنا، كانت صرخة لظلم المشلول الذي سقط فجأة من على البلاطة، لأن المتطوعين الثلاثة الذين عالجوه ونظفوه مساء نفس اليوم نسوا وضع السندرات الجانبية التي تمنع سقوطه، قبل وقوعه صباح المشلول بكل ما فيه من قوة : «وداعا يا إخواني» نادى الحصى عليه، نابينا، ولا حياة لمن تنادي فبدانا نضرب الابواب بلقنات ابينا ونحن نصرخ «النجد» ومضت نصف ساعة قبل ان يدخل الحراس إلى المناية، حكينا لهم ما جرى وطلبنا منهم فتح الباب بسرعة لإنقاذ المعتقل، لما فتحوا باب الزنزانة 2 وجدوا لظلم جالما على الأرض وسط بركة ماء سببها سقوط اللب، عزلوا عن الدخول بسبب الرائحة وطلبوا من بوحيدة وغلول والشاوي رفع المريض، في تلك الأثناء غضب السرجان موحا القام الجديد الذي عوض احد المتفاعمين وصرخ ابينا : «جبتونا في نصاصات الليل على ود محابسي طاح من ضالنا، الحماق هذا، تعالت الاصوات، هناك راه بنادم ويشر اسوحا وانت مسلم وعليك نسلكوا، رد موحا وقد جرح كبريأؤه : «واش مايمكش تستنوا حتى لصبح علاش هذا الفتوت على ود محابسي مشلول».

اجابه احدنا : «هناك راه مشلول من 7ك عشر سنين هذي وبلاخليتوه مرمي في الما غادي يموت».

كان جوايه الأخير: «داكور اسيدي ولكن ماكانش عليكم امبروا هاذ الفتوت .. انا راه شت شحال ابيال الناس كايومتوا قدامي كلاوهم الضباغ، ماشي غير انتوما اللي كانتوتوا».

انهي رفاقنا عملهم ورجل الحراس صامتين باستثناء حمو الذي غامر
البنابة مزمجرًا، وقد كان موحا هذا أحد المحالين الجدد على السجن
وسائق الخير ايضا، ربما شهد في حياته موتا كثيرا فاصبح لا يهتم
لنظرة، وتم اجبرنا على تحمل سخريته والساوته المرة الثاء توزيع
الطعام، إذ كان يامر السجناء المرضى بقوله: «نوض الغنجان اللي يفا
ياكل خصو ينوض ليهاء» وحدث أن دار بينه وبين أحد المرضى الحديث
التالي بعد أن امره بالحركة :

قال المعتقل: انا مريض ولقد لا استطيع الحركة.

• على حد علمي المرضى لا ياكلون. من تشكو بالضبط؟

• اشكو من الروماتيزم وفرحة المعدة.

• وانا كذلك. ومع ذلك التحرك وامشي. لعل احسن علاج هو «البرعة

بمال الروج» هل تريدنا؟

• لا. لقد حرمها الإسلام.

• وانا كذلك مع ذلك اشرب النبيذ، وعلى كل ايامك 15 يوما وإلا...

ومن حسن الحظ أن ذاكرته متقوية وكان كثير التمثل جانب الخير.

كلما فكرت في تلك الليلة الخاصة بلغوا اصابني الغنجان من السوء

الانسان، لكن مع ذلك يفتر فخري عن اينسامته عندما فكر في بوحيدة

وهو غاضب ويضرب بكلتا يديه ويصرخ «اوشكور...اوشكور...»

«AII >» كثرة الهم تضحك . كما يقول اللال.

مرت سنة تقريبا على تقاعد الحارس مولاي علي ، ومع ذلك ترك في

انهاننا نكزي رائعة. لقد طاف علينا قبل رحيله كل في زمرانته لتوبيعنا

بالعناق الحار وعندما وقف بباب زنزانة لفلو اولد طرف شمعة والقرب

سنة وعانقه طويلا. ثم اجهش بالبكاء طالبا الصفيح والعلفو . اسمح لي

واصفح عني يا اخي والحفر لي كل الائم الذي تسببت لك فيه في البداية

عندما كانت العشاة على عيني. لقد فتحت عيني وبيات اصلح نفسي

وللاسف سارجل إلى الأبد. وداعا وعلفوا مرة أخرى، رجل بعد أن طلب

العلفو والمساحة.

شساء تلك السنة كان الطلع من سابقليه. كما نرتعش تحت الغطاء

عاجزين على وقف اصطكك اسناننا، ليلة 2 . 3 يناير 1989 كان بردها

خاصا، لم يغمض لي جفن ليلتها بسبب البرد ذاته. صباح يوم 3 يناير

89 كان بوحيدة يوزع القهوة والماء ويخل الزنزانةرقم 2. التي عليه

النحية ،صباح الخير الفلوة . اجابه الصمت. ناداء مرات عديدة ولاحياء

لن ننادي. رج جسده المريض فوجده باردا برودة الموت. وقد مضت عليه ساعات ارتبك فخرج يبكي ويصرخ «شاهنا شاهنا لفلو مات» نهل الجميع للنبا، طلب الحراس من الطويل ان يتأكد. فجاءوه بمصباح وامرأة وضعا قرب لمة لعل بخار الحياة يتكثف في زجاجها. لاشيء.
وهنا تدخل لاجودان شاف لعربي، والذراع الايمن للمعير وطلب من الحراس ان يعينوا احدا اخر اعقل وارزق، تاملت لهذه الملاحظة وإن كنت اعلم باننا نعاني من اضطرابات نفسية لا محالة. لكن كيف له ان يتجرا على مثل هذا!

على كل جاء حضاد وتحلق من موت لفلو. فجاء الحراس بالنعش والكفن وتطوع اربعة رفاق لفسله ثم وضعوا الميت فوق النعش ثم ناولوا الحراس الذين جاؤوا ليواروه ماواه الاخير.

تابعت بمرارة الموقف الاحتمالي للحراس وهم يضعون المناديل على انوفهم التي ازكمتها رائحة الموت، ورايتهم يشيحون بوجوههم وجثة محمد لفلو الملقاة امامهم. مات لفلو بعد 11 سنة من الشغل والنوم على جنبه الايسر. بعد كل العذاب الذي قضاه لم تصبر عنه اية نامة او اثنين او يجهدش بالبقاء.

لقد لبى نذاريه وقضى الامر. لفلو الذي لقبته بـ «لوشن» اي الذهب مات بنفس الطريقة التي مات بها الذهب في قصيدة الفريديو فينبي. اي بتلك الروح الشجاعة العالية التي تتعالى عن الألم. المعض عينيه ومات بدون ضغينة او ألم.

الليونتان لفلو محمد من مواليد سنة 1941 بيولمان من عائلة بربرية فقيرة، التحق بالجيش كضابط صف سنة 1961 مات وهو اعزب بعد ان حكم عليه بـ 10 سنة في قضية الصخيرات لانه قاد الفرقة الخاصة، انهى عقوبته سنة 1968 وبلغ بجانب رفاقه في الساحة الملعونة حيث كبرت الحشائش وغطت القبور. كان الفلبند على وشك الزواج يوم تم اعتقاله لكنه ووري الثرى قبل ان يتحلق حلمه.

المرفقا موته في حزن عميق، وكم كنا نامل ان يظل حيا الي ان يفرج عنا لعرضه في متحف العار والحقد لكي نجسد من خلاله الوجودية الإنسانية. سنحت لي الفرصة ورايت صور المعتقلات النازية، لكن حالة لفلو تنذر حتى في الخيال. وقد رايت من بعد رويورتاجات حية عن شعوب جائعة واشخاص مشوهين واناس مرضى لكني لم ار قط الحالة التي وصل اليها لفلو.

حالة لغلو تمثل الفلُو في الرعب والبشاعة وعندما الفكر في هذه
الوضاعة البشرية، اتيه في مناهات العبقرية الوحشية، لم اكن اتصور ان
الإنسان قادر على تحقيق «نخلة» من النعامة والتشوء البشري، لقد خلق
الله الإنسان في احسن تقويم، لكن تازمامارت كانت معملا لتحويل
الجمال إلى قبح، ولا احد من الموتى شذ عن هذه القاعدة، لقد كان المدير
وحراسه يعون ما يفعلون رغم انهم ما فعلوا يريدون انهم مجرد منقذين.
بعد اسبوع من الحداد اضطررنا إلى العودة إلى ارض الواقع، لأن
مضربنا سيكون مشابها لهذا المصير إذا ما نحن التزمنا مواقف المتفرج،
كان علينا تضربو الحديد ما حدو سخون، ولهذا طلبنا من الطويل الفاع
الحارس الجديد بربط اتصالاتنا مجددا بالعائلات فلبى طلبنا على اساس
انه سيحصل بعائلتين فقط نظرا للصر مدة عطلته وكل من اراد منا
الاتصال بعائلته عليه ان يرسل بريده عن طريق العائلتين «المحوريتين».
نخصيا ارسلت بريدي عن طريق قناة القنيطرة، سافر الرسول يوم الـ
يناير 1959 وانكر انه كان يوم تعيين جورج بوش رسميا رئيسا للولايات
المتحدة الأمريكية (...) بعد اسبوع عاد الرسول ببعض الرسائل فقط
وتوصل نفس الأشخاص بالجواب، اما نحن فقد وعينا باتصال قائم،
وقد كانت العائلتان المحوريتان تلقمان الوعود تلو الأخرى دون ان نفيا
بها، كان علينا ان ننتظر « اشهر طويلة تغذي املنا بوعود مشبوهة،
بامل لا حظوظ له، «واللي عضو الحنش ت يخاف من الشريطه كما يقال»
وبالرغم من كوننا نعيش في نفس المعتقل، لقد كانت اراؤنا مختلفة حول
المقاومة وحول اهدافها، كان المحظوظون يراهنون على الزمن،
ويخوضون حربا استنزائية ضد الموت مسلحين بوسائلهم (النواء
والمال) في انتظار غلو محتمل. كانوا يعتقدون اعتقادا راسخا في وعود
عائلاتهم.

وماداموا يملكون الوسائل التي ساعدتهم على الصبر والتحمل لماذا
يفاسرون ويخاطرون بما يملكون وبراحة عائلاتهم، كانوا صبورين مثل
قط وحنزين مثل غراب، اما الذين كانوا في وضع معوز، فقد كانوا
برون ان الوسيلة الوحيدة لانقاذ انفسهم هي اطلاق العالم للخارجي
ونشر ماساقتنا في كل مكان وإرسال إشارة النجدة قبل وقوع الكارثة.
والمرضى من بيننا وعوا بان النواء لن يفيدهم في الشروط التي
يعيشون فيها و ان ما يلزمهم مصحة كاملة، لم يعد بإمكانهم الانتظار
فانضموا إلينا يدافعون عن حننا.

لم اصدق كيف ان الجلادين يتركون كائنات بشرية تناكل وتتغفن
دون ان يحركهم وازع وينقلون منا من هو قابل للانتقاد. كانت العاصفة
قوية. وبع لمن اضاع الجداول وكان الجداف هو الدواء والمقويات لدره
الهزال والموت البطيء. كان كل واحد منا يدافع عن بيئتيته الخاص .
ولست ممن يلقون موافق المتفرج . وبالرغم من كوني كنت حائفا
ومعنوياتي في الحضيض بسبب عدم توصلي بجواب العائلة فإنني مع
نلك ساكون من الكذابين إن لم اعترف باننا حصلنا على متبغنا بعد ان
التزم المحظوظون ببند الاتفاقنا حيث حصل كل واحد منا على حصته
من المال لقضاء اغراضه من الثلث الذي يعمود الى الصندوق الجماعي.
كان المعوزون يعرفون استحالة المقاومة الطويلة ولهذا كان خلاصهم
ينطلب إطلاق اشارة الإنذار في الاتصال القادم. وكانت تلك نبئي ايضا
اذ فبررت الانتكاف على العائلات المحورية وابتعاد وسيلة اخرى للافلات
من رقابتها. كانت هذه العائلات تحجم عن خلق ضجة وطنية او بولية.
وكنت لاارى رايها واطل انتظر المعجزة او الامل الامل لاياتي وحده.
ولعل اكثرنا حظا كان هو الطويل. حيث بذل كل لباقته ورفقته تجاهنا
وتجاه الحراس لنفادي الاصطدام او سوء التفاهم الذي قد ينعكس سلبا
على اتصاله عبر القناة الرسمية. لم يكن يفضي او يفعل او يطالب. لقد
سجد اميه ومائلة خلقه في تعامله مع الحراس ومعنا. وجعل منهما
سلاحه الفعال في خلق التعاطف معه او تحييد العناصر المقلدة التي قد
تضر به. وبما انه حذر بطبعه فقد كان يعلم باننا سيأتي نلك اليوم الذي
قد تلغى فيه كل امتيازاته تبعاً للتحويلات السياسية. لهذا كان يتابع
باهتمام الأخبار ويخص العلاقات الامريكية . المغربية والانتخابات في
امريكا ونشاط سفير الولايات المتحدة بالرباط بعناية فائقة. كان يدري
انه سيقلد امتيازاته عندما يغادر الجمهوريون البيت الابيض.

لهذا بذل كل الجهود لربط اتصال سري مع زوجته. كان يريد يصل بدا
بيد الى إحدى السيدات بفاس التي كانت ترسله الى شخص ما في
فرنسا. وكان هذا الأخير يوصله الى امريكا. وكان الرد يأتي بنفس
الطريقة.

حسنا فعل الطويل. باستبانه الامور قبل ان يفوت الاوان. حسنا فعل
ايضا لإنقاذ نفسه وإنقاذنا نسبيا. لأن بريده الرسمي بدأ يقل ونظامه
الغذائي يتدهور. لهذا اضطر الي مخالفة التعليمات التي اعطيت له من
شخصيات سامية في الرباط والأوامر الصارمة التي بلغه إياه الكومندان

د.هـ. وتجاهل توصيات المغير قاضي. لقد كانت مبادرته مبادرة جيدة نستحق التصفيق والثنوية. اعطت ثمارها بسرعة وانعكست إيجابيا على الجميع.

لقد اطلع الطويل زوجته على الحقائق الخفية وكشف لها فظاعات تازمامارت. فنارت ثأرتها واتصلت بالبولتر الأمريكية العليا لوضعهم في الصورة، وإن كنت شخصا متوكدا من أن المخابرات الأمريكية كان أكثر اطلاعا من هذه السيدة الشجاعة.

لقد كنا نعرف أمورا عديدة، وراوينا أمل كبير بمناسبة المئوية الثانية للثورة الفرنسية واجتماع الدول الفرانكفونية بباريس، لكن هذا الأمل سرعان ما ذهب أنراج الرياح، كما ذهب من قبل الأمل الذي راوينا بعد وفاة الجنرال النليمي، إذ لم يغير خلفاؤه من نظام الاعتقال.

بلقينا نخضع لنفس العذابات، والحال أن رفائلا في البناية الثانية فامسوا بشكل فردي بون الأخذ بعين الاعتبار ببعض مبادئ التعايش والتفاهم والاحترام المتبادل. لقد كانوا يعيشون الفوضى بالمعنى الحرلي للكلمة، والفوضى نقود حثما إلى الكارثة. من جهتنا، قررنا أن نرسل إليهم حصصهم من المال الذي اكتسبناه، بالرغم من أن الاتصال أصبح يزداد بصعوبة يوما عن يوم بسبب حرمان الطويل من الخروج إلى الساحة، كما في السابق. لكنه - بنكاته - وجد الطريقة التي يخدم بها بيلطة الحراس. لقد كان يغسل الطنجات، لأنهم خمولون، أو يغتتم تنقية الحشائش لغائلتهم أو تشر ملابسهم لشجف (كان الوحيد الذي يتمتع بهذا الحق)، فيرسل على طريقة الميزبول - صرة بها مال أو الأوبية والمقويات، ويضيف إلى تلك رسالة صغيرة إلى الحمامة، يطلب فيها منه بموافاتهم بما يودون ابتياعه. والأعظم من كل هذا هو العطف والحنان الذي ابداه المعوزون منا مع رفائهم في البناية الثانية. إن من يملك أقل يعطي أكثر، ومن حسن الحظ أن سقاء البعض كان يعوض بخل الآخرين. وانكر أنني زرت ذات يوم المرحوم لطلو بعد ترخيص من الحراس وقرعت حقا لما راينه يرتعد، كما لو أن تيارا كهربائيا مسه، وقتها لم يكن الشغل كليا، لكنه لم يكن يتحكم في ذاته وحركاته فنابتت الرفاق لإنقاذ، واستجاب العميدون بسخائلهم وتضامنهم. لكن الحرب ما حدث جاء من الصفر يوي صديقه الحميم الذي كان يتوصل بالمال والوسائل، فأرسل إليه قرصا واحدا من الفينيل، في حين أن بنعيسى سلمه 7 الراص من نفس المقوي، أما حشاش، فقد أرسل إليه 4 حلوات. ومن حسن الحظ أن الطويل كان

دائما إلى جانب لغو إساءته والعناية به.

إن الناس يقاسون بأعمالهم وليس بأقوالهم. وقد وجدت الدليل على ما قول في السجن. كان هناك سجناء دافعوا قبل ربط الاتصال والحصول على الرأى، عن المساواة وعن المرحومين ومن أشد المسائين للعدالة الاجتماعية ضد الأنانية والمحسوبية وعبأوا على «البارونات» رفضهم للتضامن والمساندة. لقد كانوا يمثلون الصورة المثلى للميمفراطية، لكن ما إن حصلوا على المال والمواء، حتى صاروا إقطاعيين حقيقيين، يرفضون الحوار والتشاور. وقد لقبناهم «بالراعاة»، تشكلت هناك مجموعة جديدة سمينا الرانها «بالوصوليين»، وهم أولئك الذين حصلوا على اتصال حديث، وقد كان المرحومون يبتزون «الأغنياء» ويهدونهم وعادة ما كان هؤلاء يخضعون ويستسلمون بعد نقاشات عاصفية، لكن الوصوليين كانوا منطلقين يهدون البعض ويبتزون البعض الآخر.

وقد انتبه الرسول الجديد الى الخلاف العام وسوء التفاهم المتكرر وخشى وقوع فضيحة تقويه الى الهاوية. سأل بعضنا، فاجابوه بان السبب هو الاتصال الذي طال انتظاره. فقبل، امام هذا الوضع الحرج ان يقوم «بلفتة» حسب قوله فجاءنا بالورق والاقلام والشموع، فشرعنا على التو في كتابة خطابنا.

بدا الرحلة في شهر غشت بعد ان نيهنا إلى ضرورة التكتفم وكنت اطلبهم صبرا، لانني كنت أنتظر منذ 1987 اتصالا مباشرة مع العائلة. وطوال فترة الانتظار عشت اللق وسكنتني الهولاجس وخشيت خيبة الامل مجددا. لم يخفى حمسي إذ انني لم اتوصل بأي شيء بعد عودة الحارس. ولتبرير هذا النقص، كتب الحارس وقال بأنه لم يجد الوقت الكافي للذهاب الى الرباط وان الإشاعات الرالجة لدى بعض العائلات تقول بان عائلتي غيرت مقر سكنها. هددته بالوشاية به إن هو نعدى في إخفاء الحقيقة. بعد تفكير وتردد، اعترف بأنه سلم بريدي الى إحدى العائلات بالطنجة، لكنها لم تقم بالواجب. في ختام حديثه قال «انصت الى إن العائلات ترفض التعاون». لقد لاحظت وجود خلافات فيما بينها. وان العائلات اثنية مملكت، لانكم هنا تشاجرون وتصطمون مع بعضكم البعض بربط الاتصال. هذا خطر علي.

في الواقع كان المفروض ان يكون بينكم تضامن وبين عائلاتكم تفاهم. لتسامعوا بعضكم البعض، لانه يتعذر علي ان اتصل بالجميع. تركني

وهو غاضب وأنا حانق عليه رغم كل القواله التي لم تهديه من نورتي. إذ بعد الحديث بقليل اجريت نقاشا حادا مع كل من حشاد وبلكبير انتهى بالسب والذف واللغة السافله.

وبالرغم من تدخل بعض الفضلاء الذين فعلوا ذلك حفاظا على السلم وبعض المتفعين الذين فعلوا ذلك حفاظا على امتيازاتهم فإن شجارنا طال واستطال. ولم نعدم وسيلة او مناسبة لنحييه. شكنا الرسول الجديد لبعض المعتقلين فنصمونه بإعطالي وعدا عن اتصاله قريبا بعائلتي. وكذلك كان فهدات من نورتي والتزمت بالميثاق بيننا.

الطيران في القمام

طلب مني بعض المعتقلين إقناع الرسول بقبول ما رفضه القيام به في السابق، أي شراء بعض الحاجيات قبل شراء الأدوية شريطة ألا يتجاوز المبلغ 300 بهد كلفني بجمع المال وتحديد تسلسل الطلبات حسب أصحابها بالتناوب. هكذا أصبح لدينا مبعوثان لا يعرفان ما يفعله كل منهما. من جهة أخرى انتبه الحارس سيرفير، إلى أننا نملك أوراها نقية جديدة أصرتها الدولة حديثا.

طلب من الطويل أن يقدم له تفسيراً لذلك، ولم يكن أمامنا، للأسف سوى قول الحقيقة فقرر الطويل أن يقامر «الكل في الكل» فأخبره بأنه أول من اتصل به الرفاق، وبما أنه رفض لجأوا إلى غيره. ولما طلب اسم الحارس الآخر أجابه الطويل: أنت تحرص دائما على التكتف لنفسك، لماذا تريد أن نخشي اسمك

تعاقبت أيامنا وتسارعت وتيرتها كلما انغمسنا في اليومي. من الأشياء التي المتنا حقا وفاء السارجان مولاي علي الذي توفي بسبب نبتة سامة أشار عليه بها أحد العشايين، حسب قول حارس من حراسنا. لقد حزنت لوفاته رغم أنه قد سبق له وأن أنلى بشهادة ضدي عندما تشاجرت مع الطويل ذات يوم، وهو الشجار الذي جاء بعد أن طلبت من أحد الحراس «الحمامة» أن يسمح للطويل، في إحدى فترات الإنفراج بنشر ملابس في الساحة، وهو ما كان وفي منتصف النهار. طلبت من الطويل مباشرة بأن ياتيني بملابسي، فأجابني بأسلوب غير سليم وبطريقة متعالية فجاء ردي جالبا وغاضبا.

. لا داعي لمل هذا التكبر والعزلة فلو كنت متزوجا بأمركية لملت ما نزال. وعلى كل ما زلت سجيناً مثلي، إلى إشعار آخر، فانزل من برجك الوهمي واعتبر نفسك في منزلتنا، فأجابني:
. أنا لست خائفا.

. لو تركوني أرى الشمس لأصبحت خادم كل الإصدقاء المعتقلين أحس بالإهانة فأجابني:

. من الآن فصاعدا احتفظ بوسمك في زنزانته لقد سلطت القيام بالسخرة. وإذا كنت أرى الشمس وأخرج إلى الساحة لست صاحب الأمر. وعلى كل أنا أعرف بانك تغار من وضعيتي الخاصة. أجبتة

بصدق: «نعم! أنا الخنزير خدا من وصفتك وأنتك احسنك. غير أنني اشفق عليك جداً، لأن بإمكانك ان تسمن وتضعك لتتحقيق المعجزات كذلك نفسك وتتناقنا معك لكك يا أخي. تكلفي بالأكل والنوم».

«ماذا كنت ستفعل لو كنت مكاني؟»

«لو كنت مكانك لقلت بما تريدت في فعله. يجب ان تكون شجاعا لذلك. هل تنتظر انتهاء عقوبتك لتخرج؟ يا عيني عليك. إنهم يسخرون منك لانك ساذج. تؤمن يوماً بعودة الخنزير؟ لن نغادر هذا المكان. وماذا عن رؤوسك الحكوميين يا... سنوات لقطا هل سيقلبون هنا، في حين ستصبح حراً وانت رئيسهم؟ الذريعة الوحيدة ان سيامتك متزوج بأمريكية...»

اسرع، الحمامة، ومولاي علي لتهدئة غضبنا. حكيت لهما ما وقع فقاطعتني مولاي علي بلفظة «أنت المخطيء» فأجبت: «أنت على صواب أنا المخطيء» لأنني لا أمنك الأيوبية والمقويات الدستورية من الولايات المتحدة».

وبراء لتطورات غير محمودة لهذا الجدل، الخلق الحارسان الباب واسرعاً مبتعدين.

حل الخريف وعري الأشجار من اورالها، كما عرى حيفي من عقله وروحه: إذ بعد سنوات عميدة من العذاب والجنون توفي صديقنا الطيب يوم 10 أكتوبر 1989. لقد حكم عليه بـ 20 سنة سجناً في قضية الصخيرات. لأنه كان ضمن الذين دخلوا القصر الملكي واستولوا على وزارة الداخلية. قضى منها 14 سنة في تازمامارت سجين الجدران والجنون معاً. لقد كانت معاناته مزوجة فيما هو مشترك معنا وفيها الجانب الآخر المتعلق بالعالم الوهمي الذي استولى على ذهنه بإحلامه الخارقة ونهيوذاته السوريقالية. فتحول الشاب الجميل بشعره الطس والانتظر، وابتسامته الساحرة وحركاته الموزونة إلى بقايا إنسان لا يبي عائله عرضة لاختلاط الصور والافتكار. عيناه ثلاثان تكاد تكونان منطقتين. بعد ان نال منه التعب والمرض، أصبح ملقى على الأرض. كان احد اصحابنا يسهر على تنظيفه بعد ان القده المرض، فبدأ يقضي حاجته في سرواله. مهمة صعبة ولاتينا.

وضع لحيفي «جيبيا من البلاستيك» حتى لا يبلطخ ملابسه وتصعب مهمته. ذات مساء، اضطر رفيقنا إلى الإسراع في عمله. بعد ان اجبره الحراس المتعجلين على ذلك، واكتفى بمناولته فرسين من الهواء خلسة

وعاد الى زنتانته ولد نسي طاقينه بجانب المريض.
بعد رحيل الحراس نادى رفيقنا على المسكين حيفي.

.. صافا حيفي، نجما نجما، القضية في الطاكية..

اجابه المريض: نعم، هاذ الشي اللي كاين..

كان رفيقنا يريد ان يقول بانه نجح في تناولته الدواء رغم تواجد الحراس وحضرهم، ومعنى ذلك ان القضية حسنت. اما بالنسبة لحيفي فقد اعطاها معنى اخر. بعد مضي ساعة نادى رفيقه قائلا: «القضية في الطاكية بمتح». وصباح يوم الغد، عاد رفيقنا لمساعدة المريض، دخل الزنزانة وسأله: كيف حالته، ياك نغست مزيان؟.

.. نعم، نغست مزيان ولكن ماشي هنا، حيث البارح مشيت للهند عند

نهر.

.. اما انا، بوزت الليل كل فابق، راسي كان عريان وانسبت الطاكية

ابالي عنقه، فين هي.

.. طاكية بيمالك تحت الدالية..

فعلا كانت الطاكية، اسفل البلاطة، وعندما اخذها رفيقنا لاحظ بانها مليئة بالبراز. فلقد قضى فيها حيفي حاجته. غضب الرفيق لكنه تماسك وبدا ينظر بامعان الى حيفي السابح في عالمه الاخر.

.. غلاش (خ....) في الطاكية وانا كانظي بها راسي من البرد.

اجابه المريض المسكين بصوت هادي، صوت من لا نغب له:

.. انت اللي كنت لي القضية في الطاكية، انا برت ذاك الشي للي كنت

لي وانت خلقتها هنا بالعاني!

لقد نسي حيفي المسكين عبارة دارجة متداولة عند المغاربة للتعبير عن الرضى عن عمل ما. لما علم السجناء بالامر، سخروا من امرهم، وكلما كان احدهم يلتمح للقضية كان الجميع يضحك بمن فينا الذين كانوا على مرات الموت. الضحك في نازمامارت سخرية من الذات، لان كل واحد كان معرضا لكي يقوم بما فعل حيفي والقطع منه، لا احد هنا يفاجره احد، لان الاسور العمادية لا وجود لها او انقضت منذ زمان. لقد تحولت سلوكياتنا ولم يعد لها ما يبررها، ولم نعد نبحث عن علة الشيء وعمايته. كان همنا الاساسي هو المقاومة من اجل البقاء عوض الحفاظ على الفضائل.

ذات يوم من ايام نازمامارت، دخل الرفيق صاحب الطاكية الى زنزانة حيفي والى عليه النحية، السلام عليكم. لكن حيفي كان قد فارق الحياة

ولن يجيبه قبل اليوم الآخر. قلنا بالشعائر المعنوية لبغض جثمانه، أما عقله فقد غابره من قبل ليشرذ في المجرد ويبتيه في العمم.

لقد شوها جسد واضاعوا عقله وخربوا حياته ووجوده لكن روحه احتفظت دائما بصفتها ولعانتها مثل الماء الزلال. لقد كان حيي طيبا، خدوما ورفيقا رائعا وكذلك ظل الى حين وفاته. لقد سلجوه كل شيء، إلا افئدة التي ظلت كما هي.

لقد توفي وهو عازب ولطالما حلم المسكين بإنجاب الأطفال. وقد اعتاد قبل اعتقاله، على مله جيوبه بالحلوى يقدمها للأطفال الذين يصادفهم في طريقه. لما حدثت ابناثي عنه، فيما بعد، حزنوا لحكايته وقال اكبرهم سنا: «مازلت انكر الليوتنان الوسيم والانيق والمحبوب الذي اركبنا في سيارته الرمادية بعد ان سلطنا الحلوى، والان رجل نك الرجل الوسيم وكنت اتمنى ان اكتب علي شهادة قبره» هنا يردد الرجل الذي جاء الى العالم نون ان يريد تلك ورجل عنه نون ان يعرف ذلك.

انتهت سنة 1981 بحادث كبير لفائمتنا. لست انكر لا اليوم ولا التاريخ بالضببط لكن النبا حفرنا وهزنا حيث اللقط احد رفاقنا إذاعة اجنبية محسوبة على اطراف معالية تحدثت عن تازمامارت قرا المنيح رسائلنا وادم تقريرا مفصلا عن المعتقل. قضينا ليلة بيضاء نتناقش، ابدى كل واحد رايه. بعضنا تنبأ بعمليات انتقامية قادمة، بعضنا الآخر راي باننا سنرحل، طرف ثالث ابدى تخوفه من إعدامنا. في يوم الغد ساورنا الشك من امور فظيعة لان الحراس بنوا غاضبين ومثورتين وظهرت علامات الغلق على وجوههم الشاحبة. فتح احدهم باب زنزانة فارغة وقد امسك بمصباح في يده وبدا يقيس طولها وعرضها. بعد ان انتهى عمله خرج والدهشة على محياه وخاطب زملاءه الذين كانوا ينظرونه بصبر فارغ هؤلاء الأوغاد على علم بكل شيء. فاللقايس مضبوطة. والقبطان وحده يمكنه اختيارهم بهذه المعطيات، من اين جاعتهم ياترى، يا له من سانج! هل اعتقد بان نظام الحراسة لا يخر منه الماء!

حل شتاء 82، مثل سابقه إن لم يكن القسي لان الماء كان ينسرب من سطوح السلك والمرقق زنازنا، وكان ان المسؤولين، بعد سنوات عديدة طويلة، قد خضعوا للأمر الواقع وجاءوا بمرممين لإصلاح السطوح. وعندما كان هؤلاء يعملون كان الحراس يفرضون علينا الصمت المطلق وحرموني حتى من تبادل الحديث الهامس. كان خرسا تاما لمدة شهر بكامله!

وجاء نيا آخر رفع معنوياتنا. فقد اثارنا الحركات الغامضة والنفسيات المتوترة للحراس فطلبنا من مرسولنا ان يوضح لنا ما يجري بالتفصيل. فاجبرنا بان الامر يتعلق بضابط تركي مرفوق بمرؤوسين آخرين جاؤوا لإلقاء القبض على لاجودان شاف عصام الكاتب الخاص للمدير ورجل لفته محمد قاضي. بعد التعرف عليه واستنطاقه وضعت الاصفاذ في يديه وارتكب سيارة جيب، وارسل الى الرباط لاستكمال التحقيق والاستنطاق وطمعنا في ما بعد انه اودع سجننا عسكريا في انتظار محاكمته.

لم يخبر التركيون ولا عصام بتفاصيل النازلة، ولكن المدير استدعى موظفيه الى لقاء عام لإطلاعهم على الوقائع غير المنتظرة وقد كان اول من فوجئ بما رواه له التركي. ما إن اجتمع الحراس حتى بدا القاضي حديثه الغاضب: لقد خانني عصام واستغل جهلي وجعلني امضي على تقرير مفصل خاص بظروف المعتقل منهما شخصي بما يقع. لقد اتهمني بسرقة عتاد الدولة والفساد والشطط في استعمال السلطة والمعاملات السائبة والإجرامية حيال المعتقلين. وقد ارفق بالتقرير وثائق مزورة نتهمني باغتلاس الأموال. لقد وقعت بيدي صك إعدامي بدون وعي مني. وانتم ايضا اتهمكم بالمعاملة القاسية تجاه السجناء. إن احذروا التصريحات وتكونوا يقظين وشجعانا، فربما ستحل بنا لجنة خاصة للتحقيق. وكما يقول المثل الفرنسي، إيتريون، إيتريون (1979) (1979). لقد اعطينه كل شيء ومنعته بكل الامتيازات. لقد ملته... وهي اعتقادي ان عصام تحرك ضميره بعد ان ظل يفض الطرف عن تجاوزات رئيسه وهذا العمل الذي يقود بشرا الى الموت المجاني.

لم يعد يطبق المشاركة في هذه الجريمة ومواصلة تدبير تقارير كاذبة وتنفيذ اوامر مدير فاس ومشاركته في النصفية الجنسية لاناس انهما عقوبتهم فقرر كتابة تقرير وإرساله الى المكتب الثاني لغضخ كل الاسرار. وقد وقع خلاف. حسب ما وصلنا من بعض الحراس. بين من دافع عن لاجودان عصام وبين من اراد معاقبته لإفضائه اسرارا مهينة. وهي الأخير توصل الطرفان الى حل وسط بحيث نقل الى اكنابر لطى الملف. وعلى كل لقد كانت قضية عصام مفيدة لنا. اولا لان تازعامارت لم يعد سرا مكنونا، ثانيا لان المدير عين السارجان شاف علي كاتباً جديدا له. وهكذا قدم لنا خدمة كبيرة نون ان نشعر. فقد شهد لسعيد هذا بتعلمه وشبابه وطمعته. وقررت على مراقبة الحراس قبل المعتقلين. كما

اشتهر بالانضباط والصرامة في المعيا وعدم تساهله في اي اعمال. وقد هدد احد المعتقلين الهزيلين بالضرب لانه تجرا وتحدث عندما كان عمال البناء يرمون السطوح.

استعانت الحياة مجراها الطبيعي وكان الخاسر الوحيد هم الحراس بعد ان كانوا يستفيدون من عدة ايام عطل بدون رخصة او تصريح حرمهم القاضي من ذلك بعدما قام به الفتى الشجاع عصام.

للاسف جاءت الايام الاخيرة من ربيع 1961 بمأساة لم تحدث من قبل.

مأساة هي الاطلاق من بين كل الامسا حدثت في فاتح يونيو 1961. لقد نهلنا وانهش الحراس وهالهم ما راوا. لا احد كان يتوقع ما كان انتحار احد السجناء بعد ان فقد اي امل في الخروج. لقد حكم على نفسه بالموت ونفذ الحكم قبل ان يموت المينة التي هيالها له اصحاب المعتقل. لقد

انتحر ميمون الفاعوري المزداد سنة 1951 باسيطرز بالقليم سبيلت غير بعيد من المعتقل. التحق بسلاح الجو سنة 1949 وتلقى تكوينه كقيم على الاسلحة بامريكا. عاد قبل 4 اشهر من انقلاب الاربعا 1960 لغشت 1962

(الوقير)، ابن ب. ا. سنوات سجنا انتهت يوم 75/9/11 لكنه ظل معتقلا في هذه الظروف الجهنمية التي رفض التعايش معها ولخثار وسع حد لحباته في صمت شبه كلي امضى وقته كله يفكر في مأساته. فشرذ في عالم خاص لا فرق فيه بين الواقع والخيال. عالم الجنون. وحدث ان

نوفي صديقه الحميد شجاعى، ولم يمض شهران على هذا الحدث المؤلم حتى فقد صوابه. في مجنبر 11 كان الكل في البناية ينصت لمرزاق احمد برتل الفران ترتيلا تخضع له القلوب فانبرى الفاعوري وطلب منه ان يتوقف عن ذلك لان الشيطان امره بذلك واذا لم يستجب له سيحرقه!

ظل ميمون ملتزما الصمت طويلا، ثم بدا يحدث نفسه بصوت عال او ببكي ويصرخ بلا توقف ليل نهار والى ان يغشى عليه. رغم تهديدات الحراس وتوسلات الرفاق، لم يكن ينصت لاحد لانه. حسب رايه. ينفذ اوامر سيده الجنى. كان يطالب بحريته وظل كذلك الى ان مات. بل حاول

ذات يوم، كما اسلفنا، ان يهرب بعد ان اسك ب شخصيتي. ابن امريس لعله بسلف مغشيا عليه مما يسمح له بالهرب. مع مرور الايام اصبح ميمون اقل عنفا ولم يعد يصرخ واكتفى بالهنيان. ومع كل هذا الام

والمساءة حافظ على لغته المهذبة واسلوبه المهذب والصبوراً وعندما نمنابه ازمته. كان يكفي ان يتدخل الطويل باعتباره كان رئيسه من قبل ان يتدخل باعتباري اكبره سنا. لقد كان المسكين اشينا ابنا، لكن الام

جعلته يفرق في شروود جعله فائد الإحساس. وقد حضرت ذات يوم تزج
ضرسه من طرف حشاد ورايت كيف انه لم يتالم او يبد اذى حركة. بل
انهى حشاد عمله وميمون ينتظر منه الشروع فيه؛ لقد تبين ان فكرة
واحدة استخبت بفكره وهي: ان تغامر تازمامارت ابدا والطريقة الوحيدة
هي ترك الجسم مكانه وهروب الروح نحو المعبود والسبيل الوحيد الى
نلك هو الانتحار وفي الخارج تنبعث الروح وتعيش حياة جديدة بلا
ماض لانه مؤلم. اخبرناه باستحالة الفكاره. وبتحريم الانتحار من طرف
ديننا الاسلامي. وفي الواقع لم نأخذ كلامه بجديه؛ لكن صباح نلك اليوم
لاحظ مجاهد بان جاره ميمون لم يظهر ويتناول قهوته وحصلته من الماء
اعتقد انه نائم، فدخل زمرائته ونادى عليه لكن ميمون لم يجبه. انبته
إلى انه شفق نفسه فاخبر رفاله بالطير الاليم.

انتحر رفيقنا ميمون فاعجوري وتم إخطار لاجودان شاف مزيان
(المسؤول الثاني بعد المدير) للمعاينة. قطع الحبل واحتفظ به مزيان
كتخليق على الانتحار. سال بدوره عن سبب إقدامه على فعلته هذه.
فاجابوه بان العلة تكمن في سوء التقنية والسجن الانفرادي الجائر
الذي خضع له منذ 1979. وعندنا بتحسين ظروفنا. وهو ما لم يلم به قبل
ماي 1981. ولم يكن نلك يفعل الانتحار بقر ما كان السبب هو الضجة
الإعلامية البولوية حول المعتقل.

عاد الصيف بحرارته وحشراتة وزولحله ومائه الساخن. وككل صيف.
فل ماء السجن فجيء لنا بعياء النهار. وككل صيف لسع بعضنا من
طرف العقارب... غير ان التصالي 1981 سمحا لرفاقنا بالحصول على
المال للعلاج. لكن المعوزين السنة فضلوا شراء «الترانزستور» وهو
النسيء الذي انار حفيظة «برجوازيي» المعتقل الذين اعتبروا الامر غير
مقبول إذ استنكروا على المرضى الاستماع الي الموسيقي. ورد المعينون
بان الاثر النفسي والمعنوي للمعتقل اكبر من العذاب المادي والجسدي.

دار الحوار بين الطرفين وقد بداه احد «البارونات» بالقول:

. انصنوا إلي جميعا، لقد اشترى البعض اجهزة منياخ. والحال ان
المال منثور للدواء وليس للطربا من الان فصاعدا لن اساهم في
الصندوق، لأنني لا اريد المخاطرة بنفسي وعائلتي. وانفع لمن نهود
البعض.

عقب احد المعتقلين المستهينين:

. إن الخطر مشترك والمسؤولية جماعية وبدون موافقتنا وصمتنا، لن

بم اي تبايل او اتصال في هذه البناية، ولولا البعد الذي يبلغ الرسول الى العزوف عن النهاب الى اليابسة لما كنت تحت رحمته لقد اشتريت الترانزستور بنصف مبلغه واحتفظ بالنصف الثاني للابوية والمطاريات، إن ما ضرك، لماذا تحضر انك في شؤوني، لماذا تحتفظ بجهاز كبير، هل فكرت في حملة للتفتيش؟
طبعاً وقد حفرت مخبأ.

أخذت المناقشة حجماً كبيراً عندما تدخل معتقلون آخرون وانلوا بدلوهم فدافع البعض عن الأجهزة ونالغ آخرون عن الدواء. وفي الأخير اتفقتنا على أن يصرف كل ماله في ما يحلو له مع التزام الحبيطة والحنن. سمحت لنا أجهزة الراديو بمناخبة أحداث العالم هكذا علمنا يوم ٢٠ غشت ١٩٩١ باجتياح العراق للكويت، وفي نفس تلك اليوم غادر فرخ حمام عشه في سطح المعتقل وسقط في الكولوار وتعثر عليه الطيران من جديد لأنه كان بلا ريش تقريباً، ومكسر القائمة. راه ريجالي وأخطر الآخرين، تطوع مرزاق للتكفل به إذا لم يلحظ الحراس وجوده. ومن حسب الحظ أن مرسلونا «سيرفير» هو الذي فتح الأبواب، لم يلاحظ شيئاً لأنشغاله بتوزيع المشتريات لأصحابها قبل وصول رفاله، الحنم مرزاق الفرصة وأخذ فرخ الحمام بيديه المرتجفتين لمطه، ووضع مرزاق في «طاليتته»، ثم فوق لمطاله. ثم رقص طرباً لأنه اعتاد منذ صغره على العناية بالحيوانات والطيور.

هكذا اعتنى به فاطمته وأشربه وقلتمه معه طعامه وصنع له عشا من نثار الصوف وقطع الثوب التي اقتطعها من ملابسه. لم يعد مرزاق وحيداً في زنزانته حيث استطاع تنجيته بلبل من الصبر والآراء. شيئاً فشيئاً اعتاد فرخ الحمام على الظلمة والوحدة، طلبنا من مرزاق أن يسميه فاطلق عليه اسم «الفرج» تبعاً، لأن هذه الطيور بالنسبة له رمز للسلام والحرية.

كان مرزاق يحكي لنا يومياً عما قام مع «الفرج» قبل أن يسرد على مسامعنا أخبار حرب الخليج، بدأ فرخ الحمام يكبر شيئاً فشيئاً بعد أن عالج مرزاق قائمته المنكسرة ومناقره المشوه والهش. عندما كان يصاب بالحصى كان مرزاق يتناوله اسبرين وفيتامين «س» بعد إذابتها في الماء. لقد فهد صغير الحمام أمه فوجد في مرزاق الحنان والعناية، وعلمه الطيران في الزنزانة المظلمة، كما حصل له على علبه كترطون بواسطة الرسول من أجل حمايته. لقد غير السجن من طباعه فبعد أن كان خمولا

يقضي اثناء الليل واطراف النهار في النوم والكسل، اصبح بيناميا
نسيطا ومنظما يتبع جدولاً زمنياً دقيقاً: التمارين الرياضية، قراءتاً
لقرآن، الغناء بصوت مرتفع جميل نفعنا الى تلقيبه به البلبل، حياكة،
رفوف، والغريب في كل هذا انه كان يجد متسعاً من الوقت لتنظيم الشعر
بالعربية والمسرحيات التي كان يحفظها في ذاكرته حتى لا ينساها، هذا
دون ان ننسى حياكة روايات نجيب محفوظ والافلام المصرية التي
سأهنا من قبل.

كان سرزاق يخصص كل الوقت، الفرج، دون ان يغفل المصارحة
والضحك، لانه كان محبوباً من طرف الجميع لطيبوبته وميله الى
الهدوء، كان الرفاق يلقبونه ايضاً بالضراب الأبيض، لانه يشاطرنى
التشاؤم، والحق اننى انا ومرزاق والزمووري لم تكن متشائمين قط بل
كنا نجبر على معاكسة المتفائلين الذين كانوا يغالون في تفاؤلهم كلما
التربت الاعياد الوطنية او الدينية، ويكفي ان يروج الحارس، فلاش،
مثلاً بعض الشائعات حتى يستبد بهم الوهم من جديد. ربما كنا اكثر
تشاؤماً منهم لكننا كنا متطليعين مع انفسنا، إذ كنا نامل في دلائل منفعة
او مؤشرات دالة حتى نؤمن بما يؤمنون.

ركزنا كل انتباهنا هذا الصيف على حرب الخليج، نسينا شروط
حياتنا الخاصة وناسفنا لكل من كانوا يموتون ظلماً، اشفقنا على
الابرياء الذين اضاعوا حياتهم بسبب طموحات قاتلهم.

لقد جعلنا الظلم تعادي العنف وإزالة الدماء في حل الخلافات، لأن
الحوار احسن وسيلة لذلك. ورغم اننا تلقينا تكويناً عسكرياً في البداية،
مقد علمتنا حياة المعتدل معارضة العسكرية، لأن كل الانظمة
العسكرية قادت شعوبها الى الكارثة، وكثيراً ما كانت طبيعة
احاسيسنا نتحكم في الانقلاب التي نطلقها على الحاكمين والدول. هكذا
لقمنا بومدين بالذئب والقذافي بالفتى المرعب والسادات بالشاوش
وحافظ الاسد بالضيع وبوكاسا بالرجل صاحب العربة الذهبية
وصامويل الليبيري بسرجانتو وثيتو بالعنيد، في حين لقبنا سفور
بالنحوي وجينكار بيستانغ بالاصلع وميتران بالرشاش الخ...

لقد كنا نتابع كل ما يقع في العالم، لاسيما القضية الفلسطينية
ومعاناة افغانستان وجنوب إفريقيا والحرب الاهلية اللبنانية التي
افجعتنا، كما ان كتاب، آيات شيطانية، لرشدي اثار غضبنا من هذا
المارق الذي انتقد بني الإسلام. إن القرآن يدعو للسلام والرحمة، لهذا

كنت أتساءل لماذا هذه الهجمة والتكالب، لقد أظهر لنا انهيار الشيوعية حدود الانظمة البشرية وعظمة التعاليم الربانية.
لقد كنا ننظر لأمور من باب الاعتدال والتفاهم، وكنا نتساءل عن السر الذي يمنع السياسيين من حل المشاكل العالقة (...).

كبر فرج واصبح طائرا جميلا بريش جميل واجنحة قوية. واصبح صخيه يزود، لأنه يطالب بحريته، والحال ان سيده السجين لم يكن يريد ذلك. فقرر الطائر الهروب وخرج من الباب الكبير، عندما حان وقت توزيع الطعام، لكنه لم يجد مخرجا الى الهواء الطلق فظل يتنقل من مكان الى اخر الى ان امسك به مرزاق واعاده الى الزنزانة. عندما كان الحراس يسمحون لنا بالخروج الى الكولنار لتنظيف او علاج مرضانا، كان -مخرج- يحصل على حلقه في النزهة، فيحلق فوق رؤوسنا ثم يحط على كتف احدها او نزاعه الممدودة. وفي كل مرة كان يغير المكان حتى يرضى الجميع، وكانت ثقته فينا كبيرة، يأكل من راحة ايدينا ويستريح فوق اعناقنا او بنام. لم يكن الطائر وسيلة للترفيه او تزجية الوقت، بل كان رهبا في الاعتقال، شاهدا على ماساتنا. عندما قدرنا انه كفيل بالحياة وحده، اطلقنا سراحه منحصرين على فراقه. وفي يوم الغد، عاد إلى جوارنا وحط على السياج. امضى بضعة ايام بجوارنا قبل ان نجد انفسنا مجبرين على الإمساك به وتسليمه للتطويل من جديد ليظلمه في الساحة. ومع ذلك اعاد الكرة مرة اخرى وجاء بالقرب من زنزامة مرزاق يتطلع الى ايض حركة من حركاته، قبل ان يرحل إلى الابد واخذ معه نكري موثي - احياء.

قررنا إعادة الاتصال من جديد بالعائلات وكلفنا التطويل بإقناع المرسول الذي قبل شريطة الا تحدث مشاحنات، كما في المرة السابقة. قبل الجميع، سوى انا لانني اضطررت لتصاله المباشر مع عائلتي وإلا رفضت. تم الاتفاق على هذا الأمر، ورحل مبعوثنا مع نهاية اكتوبر. في يوم الغد، فرحنا لنبا محلي طالما تعينناه واستجاب الله لدعائنا بموت لاجودان شاف بن ابريس بعد مرض التكيد التطويل. لم يأسف احد لوته بمن في ذلك الحراس، لأنهم كانوا يكرهونه مثلنا. لم يكن قاسيا فلف بل منافعا وحفودا. لقد خالف الأوامر التي اصدرها المدير، والتي تسمح للمرحوم لخلو بالعلاج والنظافة في الساحة تمتعنا بالشمس لمدة نصف ساعة. فبذل الأوامر وامر الحراس بان يعالج في زنزانته ثم الخلق للباب وراء¹ رفائق منطوعين. وتطلب الأمر تدخل بعض الحراس وتوسلات

الطويل لكي يتراجع عن قراره والسماح للخلو بتلقي العلاج في زيارته مع ترك الباب مفتوحا.

لم تكن تمنى موته بفعل سانية ما، بل لضرورة لها احكامها. لن تغفر له جرائمه، فقد اتخذ المباشرة الغربية واشترى من ماله الخاص المسامير اللولبية لإغلاق كوات زيارتنا، وهو الذي امر الأحم بالتكليم.

بعد اسبوعين عاد مرسلنا حاملا بريئة، من ضمنه بريدي الخاص وقد نجح الرسول في «ابتزاز» العائلات المحورية، عندما رفض تسليم إرسالياتها إذا لم يكن طردي ضمنها، فاجبرت على الإتصال بعائلتي بالرباط بلغ فرحي اوجه عندما سلمني علبة صغيرة تضم ابوية ومطبوعات وصورا ملونة لكل المراد العائلة، الأم والزوجة والأطفال السنة، ورسالة طويلة لم الطح في قراعتها رغم شعاع المرارة والشموع، اجبرت على انتظار الطد حتى أستعير من بلكبير المرأة المكبرة لكي استطيع القراءة. قراتها واعدت قراعتها مرات عديدة، عاويني حين الماضي تعلبت طويلا صور ابناي الذين كبروا بعد أن تركتهم صفارا، زوجتي خديجة التي كان عمرها 4: سنة وقت اعتقالي أصبحت سيده باضحة يعظهم امراء والورا، امي بلغت من العمر عنيا، كلما نظرت الي الصور، شرد ذهني وزارتي الذكريات القيمة وتوالي شريط ايامي امام عيني. لم استطع مقارنة الوجوه المنحوتة في ذاكرتي منذ زمان ووجوه الصور. انحرقت عيناى بالدمع ولم استطع القراءة في الأول ومن كثرة الدمع أصبحت صعبة القراءة، كانت الرسالة مفعمة بالأمل والتفاؤل، لكن بما انني رجل ارتياحي، لم اصدق ما فيها وكنت اعلم انهم لن يخبروني بالانباء غير السارة. والمهم بالنسبة لتوصلي بها هو كون عائلتي توصلت برسالتني وهذا هو المهم واه لو كانت لدي الوسائل التي كانت لدى بعضنا. كنت ساقيم الدنيا وابذل كل ما في وسعي لإطلاق إشارات الإنذار قبل حدوث كل هذه الماسي من موت وجنون. تذكرت ما قاله ذات يوم السارجان سعيد بخصوص العائلات المطالبة بالمقاومة والفتح ليل نهار وتذكرت استنكار احد الحراس الذي تساهل الآن وحسى الديمقراطية وحقوق الإنسان تمتلك العالم الثالث لماذا ننظر عائلاتكم صامتة.

نوصل كل سجين ببريدته وفرحت لكل من بوحيدة وبوعملات اللذين توصلا ايضا بطريبيهما، وبعد كل ما كتبناه لا اعتقد بان العائلات ستظل مكتوفة الأيدي. وتمنيت ان تصل بعض رسائلنا الي ايد سليمة، الي

«امنستي، الدولية والمنظمات الحقوقية الغربية حتى تتوفر لديها الحجج الكافية للقيام بالواجب..»

مع نهاية جنبر 1990، أحيل السارجان شاف بابا أحمد على التقاعد. أسفنا رحيله لاستقامته لقد كان يقوم بعمله دون إفراط في الاجتهاد، بل كان يصب لنا ماء إسطافيا خلسة. ويجمع الأزيال قبل الوقت المحدود ويسهر على التخللة. كان يعرف اننا نعطف عليه لهذا كان يمازحنا أو يحكي لنا عن حياته الخاصة. لقد كان هذا الرجل للنس قد تجول في ربوب الحياة منذ طفولته البئيسة الى ان عمل حصادا ثم بناء في سد بين الويدان قبل ان يكون راعيا ثم بالعا بالتقسيم والالتحاق بالجيش الفرنسي. وبعد الاستقلال اتمج في القوات المسلحة للكتابة قبل ان يحال على التقاعد.

وطالما السم المسكين انه يتعذب لعذابنا وأن نومه تتخلله الكوابيس المرط ما يشاهده في تازمامارت. وكثيرا ما يستيقظ فرعا في منتصف الليل..

لم يكن باستطاعته ما يمكن فعله. وكان يكتفي بالتضرع الى الله لكي يتقنا. وقبل رحيله صالحننا الواحد تلو الآخر طالبا الصلح.

«لغتنا» الخاصة

تغير الناظير بعد ان أصبح السارجان شاف علي الكاتب الخاص للمعير وعوضه السارجان شاف ميمون اللقب بـ«الظليظه بعد ان رأى هذا الأخير عند الموتى والظروف التي نحيا فيها حاول تجنبنا الصي ما يستطيع ولم يخطر له أبدا أن يهدنا أو يهيننا. لقد كان «الظليظه نكيا، إذ حافظ دائما على موقع المنفرد وشاهد العيان غير المسؤول عن المساءة. أما بن انريس وبابا أحمد فقد عوضا بلاجودان شاف عبد الرحيم ولاجودان حسن. وقد تلا طوال حراستهما بالاعتقال مهنيين وبلقين وإنسانيين. أحسنا منذ البداية أن هذين الشخصين يتالفان من هذا العمل الذي أجبرا على القيام به. كان ذلك تخفيفا نفسيا أرخى اعصابنا وارلحها. ويسهل عمل المرسلين لاسيما منهم سيرفير الذي بدأ يعمل في كل امان بعد أن كان هؤلاء الحراس يفضطون البقاء في الساحة. لقد حسنت أن اختيارهم كان متعمدا. فضلا للطرف.

يوم فاتح يناير 1981، سقط الثلج على تازاماسارت ولطى المنطقة مرمتها مدة اسبوع يكامله. كنت صباح ذلك اليوم قبالة باب الزنزانة اراقب نطفه البيضاء تتساقط على قبور رفاقنا في الساحة. وانا اتعلى هذا المعطف الأبيض الهائل. كنت اتسائل عمّ يجعل الثلج وراء الجوار في قمم الجبل الصغير ناصعا اكثر واكثر بياضا من ثلج الساحة. وكلما اعمت النظر، ظهر الفرق واضحا وجليا، وخلصت لي ان لثجتا كان في حداد. فاذا كان البياض رمز الصفاء والطهارة، فإن لثجتا كان لونه ميالا الى الاصفرار وباهتا، سرعان ما اصبح ليما بعد بنيا وبدون لعان، لأن بياضه خجل من إخفاء جريمة الإنسان.

وبعد اسبوع، تهاطلت امطار غزيرة جرفت هذا الثلج الملطخ وجعلت الساحة اكثر حزنا، تلك الساحة التي اصبحت خاوية على عروشها جرداء وصامتة، بعد ان اشترى المدير ضيعة ولم نعد نرى الماشية نرعى العشب على حواشي القبور ولا النجاج او الديكة الهنيدة. وهنדה ذاتها عابرتنا. على الال، اصبح بإمكان موتانا ان يراقبوا بسلام. اما نحن الموتى الاحياء، فقد كنا بنورنا نجذب الصمغ والهدوء، لاسيما بعد الاتصالات الاخيرة في اكتوبر 1981، حيث اصبح العديد منا يتولفون على اجهزة منياع لطرد التهيؤات المفزعة وتزجية الوقت.

خلف هذا صراعا، كما سبقت الإشارة الى ذلك، بين من كان يود صرف المال في الدواء وبين من اشترى المنياج. وقد كان الال، حفظا، لا يتولفون على الدواء. في حين ان المحظوظين يتولفون على انويتهم الخاصة. وكان من المنطقي ان يحصل المرضى على الاولوية. والحال ان البعض ادعى بانه اشد مرضيا. احسنا القسم ياغلظ الإيمان بانه مصاب بالسرطان. والحق ان بطنه كان منتفخا والقيح ينز من مؤخرته وصرته مثل الجصع على كل حال. لكنه كان يعتقد بانه استقم من لغو وبيتي والحال انهما مانا قبله، في حين مازال حيا يبرق ويعيش حياة راضية بعيا جميلة وثلاثة محلات لبيع الاذنبة.

مازلت اذكر ايضا الحديث الذي دار بين الحارس بوكيش وبين انريس. لقد قال الأول:

- مون اجودان شاك المساجين نبالنا بحال السخايا التي كايورو في الزناني، لو كان نلبوهم نلقاو اللطوس باللطوس.
- واتى انت احمق، منين غايجييوهم واحنا عاسين عليهم.
- انا عاسي واحد مجرب بحالك. وماحاربتش في لانوشين لكن لو

نسمح لي نلقيهم غادي نلقاو الطوس باش نشربوا جوج نعال لكباش للعبد. انفجرا ضاحكين ومن حسن الحظ ان بن اربيس استخف بسلام مرؤوسيه. لان المعتقل رقم 2¹ وحده كان يملك لقرا مهما لشراء قطع بخاطه:

في الرابع عشر من جينبر ١٩٨١، انتلعت احداث فاس وتابعناها باهتمام، ونحن نذكر ان حيوية الخارج تعطينا الامل في الانفراج. يوم 1١ جينبر ١٩٨١، احتفل الناس باعياد راس السنة، فيما نحن ملتفون في اسمائنا والامل حجبته سحب سوداء كثيفة من الياس.

بدأت سنة 1991 بالامطار الغزيرة والمثلوج. ذات ليلة من لياليها العارسة لم يغمض جفن لالغب الرفاق، اثار انبهاطنا احد الرفاق النقط اذاعة سرية، بطريقة فرحة، ونحن ناكيدا على انه يحمل نبا سارا.

«انصتوا إلي جميعا وايقلوا النائمين منكم لقد تحدثت ضيقة عنير عن بوطاغاز، حاصره العبيد منا بالاسئلة نفس الاسئلة في نفس اللحظة مصحوبة بالهشمة وينوع من الشك لان ما قاله كان جميلا الى درجة لا تصدق حتى المتفائلين منا اسقط في يدهما يا للإنسان، كم هو معقد وغير مفهوم، يتوسل يتضرع ينتظر، ولما يحصل ما يامله يتنابه الشك. اكد رفاقنا بان الامر يتعلق فعلا «ببوطاغاز، واضاف «بل إنهم سوا «ليما - إيكو - طوغو، وتقريراً مطولاً عن «برافانوس، و «الرجل صاحب الشيشب» احدنا طرح السؤال هل خصوا بالحديث فعلا «سببويات» فكان الجواب «نعم تحدثوا عن سببويات الحمام وسببويات الصخر» فبلغ فرحنا اوجه لم تصدق ما سمعناه. ولو سمع غيرنا هذه اللغة لاعتبها لغة الطرشان او المجانين، كما حصل للحراس الذين اصتوا ذات يوم فلفوا المدير باننا فلقنا صوابنا. لقد كان «بوطاغاز» هو اللغب الذي اطلقناه على تازمامارت. والصفة هذا اللغب هو ان احد المسؤولين بالرائسية اتصل بالمدير واخبره بانهم قد عثروا على شخص برندي اسمالا وشعره طويل واشعث ومشيخ وقمعا حافيتان كان ينتظر سيارة ما تالله، وما من شك في انه هارب من تازمامارت، لانه بلا مال ولا وناثق نلجت هويته. قام المدير بإعلان حالة الطوارئ، وامر حراسه بالتفتيش في الزنازين فجاءوا بمصباح «البوطاغاز» وفتشوا كل الزنازين بعد ان اطمأنوا نقلوا للمدير تقريرهم وطمأنوه بان العبد هو نفسه. وقد تركوا البوطاغاز في الزناينة الاولى إلى جانب النعش والاطقان الثلاثة. ولا بد لمن اراد فك رموز لغتنا ان يتوفر على شبكة لذلك اما النبا الذي

استمع إليه رفيقنا في الإذاعة السرية وأراد تبليغنا به فهو كالثالي
اصنوا إليّ لقد تحدثت الإذاعة السرية عن معتقل تازمامارت وبتت
أحدى رسالتنا، (وتلا تلك حديث مطول عن المعتقل وعن المدير (صاحب
السنسب) والحراس» وأما جوابه عن صديقنا الفضولي معناه «نعم لقد
خسوا بالحديث المعتقلين العسكريين المشاركين في انقلاب الطائرة
الملكية والصخيرات».

تلك كانت لغتنا ورموزها طوال مقامنا في المعتقل. كان كل شيء
مرموزا ومشفرا، نحن بدورنا كنا نتخاطب باسماء مستعارة والحراس
ببائوتنا بالأرقام ونحن نتخاطبهم بالألقاب. كل شيء كان مرموزا، لأن
تازمامارت نفسها كانت سرية، مكان لا علم للعدالة أو الشعب به، مكان لا
مكان له، غير معترف به. شخصيا أحسست أنني غريب في نفسي
وعنها، لا الهمة، ولا أجد لي موقعا في العالم. أصبحت شخصا آخر مع
مرور الزمن، غالبا ما كنت انسى الشخص الذي كنته ولا أتح في تصور
الشخص الذي ساكونه... بعد لحظات الفرح بنينا الإذاعة، عانت المياه إلى
مجاريتها، إلى أن اهتزت الساحة ذات يوم بالحركة الدائبة، فاصوات
العمال والآلات الحفر الصاخبة، فوجدنا أول الأمر واستبدت بنا الحيرة
بسبب هذه الحركة غير المألوفة، رفض الحراس معنا بأي تفسير وزيادة
في الحرس والتكتم منعوا الطويل من الاقتراب من الباب الكبير، وبعد
أن كان هو من يخرج إلى الساحة لسقي خضمر الحراس وغسل
الطناجير، أصبحوا يقومون بذلك. وبما أن الطويل إنسان متشكك
وارتيابي فقد بذل كل ما في وسعه لكشف النقاب عن سر هذه الحركة
الطائرة، لكن مجهوداته باءت بالفشل. ومن حسن الحظ أن الحراس
سوا ذات يوم إغلاق باب عفا بلمجنوب. فقام هذا الأخير بتسريب مرآة
أسفل الباب الكبير لعلها تعكس جزءا مما يحدث في الساحة، لم
يستطلع شيئا ذا بال أو يكشف سر الآلة الصاخبة. وبعد تردد، صرح لنا
قائلا: «غريب ما رأيته بل هو أمر لا يصدق، بعد الدجاج والمتامية
والظبية هنده جاء الآن نور الليل ليبدل الساحة. تعالت الأصوات
مستنكرة، هل جننت؟ هذا أمر لا يصدق! الضفاد الخرون «ليل» هل هي
حديقة حيوانات أم معتقل؟ أصر عفا على القوالة مضيفا: «نعم لقد رأيت
الليل، لكني رأيته من الخلفه وهو يأكل العشب، عطف عليه مخلول
«مستحيل، لأنه لا وجود لليلة في المغرب».

عكس عفا من قناعته: «على كل شيء ما يشبه الليل، لونه رمادي».

في اليوم الموالي، حاول الطويل مع أحد الحراس الذين اكتشفوا بالفلورينها عملية حفر لغزوات باطنية، حاول سيرفير ان يستغل المناسبة ويعرض على الطويل كشف السر إذا ما هو كشف له عن الرسول الآخر. رفض الطويل ورفض هو. ونزل فيل، عفا، بحفر وصوته الذي يصم الأذان يزيد من ضيقنا وضيقنا، أخبرني حاستي السانسة ان شيئاً ما يحاك ضدنا، وتعلقني الإحساس بأنه الجرس الأخير يتق لنا؛ وكلما ازداد استماعي لهذا الضجيج، زاد حزن قلبي، إذ لا يوجد حفر من أجل الحفر، لاسيما في أرض صخرية لا تثبت سوى الحشائش الضارة وازهار الشر، مقابل ذلك يكون الكد من أجل هذه العملية لتفتنا جميعاً في قبر جماعي. تمثلت نفسي مثل شاة في المجزرة وانظرت نوري بصفاء نغم وصبر. ما معني الآن ان اسوت او اقل حيا، لان الهدف بالنسبة لي قد تحققت يوم وصلت رسالتي الي وجهتها.

وفي الوقت الذي واصل فيه فيل عمله، نزل علينا نبا مطرح الثلج صدورتا. عبر الراديو، مفاده ان مدام نانسي الطويل قد تقدمت بطلب الى مجلس النواب الأمريكي تحنج فيه على الظلم الذي يعانیه زوجها و 28 رفيقا آخرين في معتقل الموت بنارامارت. وبعد ان روت المعاملة اللا إنسانية والنظام الجهنمي في المعتقل، طالبت بلجنة تحقيق حول الموضوع لتسليط الضوء على هذه القضية الغامضة. بلغ الفرح مدام، وفضينا ازيد من اسبوع نعلق على هذا الخبر. وتقلبه وتمحبه في حين التزم الطويل الصمت ورفض إبداء أي تعليق. واطهر لامبالاة مغيرة انجاه الامر. لانه كان يعلم المدى الحقيقي والمعنى البعيد لهذا الطلب خصوصاً وانه منذ 1985، اعتبر نفسه سجيناً عابراً، وإذا حدث وان طرح سؤالاً ما، فلكي يعرف اسم السفير الجديد للولايات المتحدة بالرباط او مصير الانتخابات الأمريكية، املاً ان يظل الجمهوريون في البيت الأبيض.

حصل انقلاب في الوضعية، إذ توافقت الة الحفر عن عملها بعد ثلاثة أيام من سماع النبا ورخص للطويل بالخروج الى الساحة، فلاحظ بأنه لم تعد هناك حفرة أو ما شابهها بعد ردم كل ما حفر، وانتهى امر الدفن او القبر الجماعي. وبالرغم من تكتم الحراس وحرصهم على طمس العملية لاحظ الطويل بعد تمحيص دقيق بان الأشغال بدأت انطلاقاً من قبر المرحوم ميمون فالجوري الذي انخر. بعد هذه الأحداث، بدأ التفاوض يعني املاً وإن ظل في حدود المعقول خوفاً من الإحباط والخيبة، بعد ان

نسوا الطويل او تناسوه سنوات عميدة، حل فجأة الكولونيل (ف) على من طائرة مروحية وسلمه رسائل زوجته وطلب منه الجواب فوراً. ومن جهة اخرى ظهر المدير الرهيب من جديد في بنائنا بعد غيبة دامت سنين طويلة، وما من شك ان الرسالتين اللتين بثتهما الإذاعة السرية قد هزتا. وقف الفاء توزيع الغذاء امام زئزئتي بلباسه الرسمي وقد وشح صدره بنيانسيه، كذلك فعل مع الآخرين، يلقي نظرة على الداخل ثم يسيح بوجهه.

وبالرغم من بث الرسائل والرحيل المفاجيء لفعل عفا، فإن النظام الغذائي لم يعرف ابني تحسن، إلى ان حل شهر رمضان فتناولونا الصبر (من النوع الرديء) وبيضة مسلوقة مرة كل اسبوع خلال السحور وبرتقالة صغيرة. اما اللحم فقد بدأنا نحصل على قطعة هزيلة منه كل 15 يوماً عوض شهرين، كما في السابق. وزعوا علينا ايضاً قطعاً من الصابون.

هذا التحسن الطفيف حرك ايماننا الثالثة في الاعماق. وما من شك ان رسالتنا الشخصية التي بثتها الإذاعات واحتجاج مدام الطويل كان لهما وقع مهم، لكن الذي سينقلنا في الواقع هو التقرير الذي تقدمت به «امنستي» الدولية وحركت به العالم، هذا نون ان ننسى المبادرات الطيبة لبعض الناس وساعي المنظمات المدافعة عن حقوق الإنسان. وقد اطلحت مساعي كريستن نور السرفاتي في خلق صدى واسع سرعان ما اعطى نتائج.

في الرابع من مارس 1971 توفي الطيبان حميد بننور بعد سنوات طويلة من الجنون. ولد بن نورو بالرباط سنة 1936 من عائلة ميسورة، التحق بالاكاديمية العسكرية بمكناس سنة 1956، وفي إلى رتبة سوليونان سنة 1958 وتلقى تدريب ضابط تركي في مولون MILITAIN. قبل ان يلحق بالمشاة في 1970 وينقل إلى المدرسة العسكرية المتكبة باهرموغو ويعتقل يوم 10 يوليوز 1971 ضمن المتهمين في قضية الصحيرات. امين بعشر سنوات سجناً ونقل سجيناً حتى بعد ان قضاهما سنة 1981، لم يستطع بن نورو الرياضي الطوي البنية، صاحب الخطوات الجبارة والنظرة الفاحصة لصقر، ان يتحمل العزلة التي نهبت بعقله ولا النظام الجهني الذي هدم، كان المرحوم صاحب رأي حازم وطبع صعب المراس مما صعب معه ربط علاقات ودية مع مرؤوسيه سابقاً في البناية الثانية او مع الإخوة بوريكات، فاعتزل عنهم طواعية

وتفوق حول نفسه يقضي وقته في ترتيب القرآن والصلاة وازعه الديني حتى وقوي وتقوى اكثر. واخلص صاحبه لله بتفكر امره وبفكر في يوم القيامة وحده. وقد حافظ على الصوم يوميا باستثناء الاعياد البيئية منذ دخوله وإلى ان توفاه الله. طمعا في التقوى وتطهيرا لروحه. وبالرغم من مصانح رفاهه الذين طالبوه بوقف الصوم لما له من عواقب وخيمة على الصحة، فإنه لم يستجب لهم متعللا بأنه يريد ان يكون مثل نبي الله داود. كان المرحوم يحتفظ بالاكل للمساء لهذا كان يتناول طعامه باردا مما اضر بجهازه الهضمي، وزاد الطين بلة ان اصابه الروماتيزم وزاد من انماخه وشحوبه. وقضى مجمل ايامه مميدا على الأرض بلا لحاف او وسادة. بدا السكن يهذي معتقدا ان زفانته ملاي باجهزة الميكرو-اللاطحة والانتكي. خيل إليه بان احدا ما يمشي فوق السطوح ويوزع الاوية على المعتقلين ليصرخ طالبا حصته. هذا الرجل القوي البنية تحول في رمشة عين الى رجل مريض وهزيل هزالا مفرعا.

عندما اخرجناه من زفانته لوضعه فوق النعش كان يشبه ركام عظام بلا لحم. في الشهور الأخيرة لوفاته، بلغ به الهزال حدا تعذر عليه فيه النطق؛ كان جيرانه يتناوبون يوميا على تنظيفه وغسل ملبسه الملتصقة بالدم والفضلات ويحاولون اطعامه لكن للأسف حصل له ما حصل لحيي. إذ فقد القدرة على المضغ واكتفى بالعمث في المساء ليبقى على قيد الحياة ويستمر عذابه. وبالرغم من قوة عزيمته وشجاعته اللتين لاحد لهما، قضى نحبه من كثرة الأمراض والجنون الذي مسه بسبب فسوة الإنسان وشرسته.

بعد غسله وتكفينه ووري التراب في الحفرة التي كنا سندفن فيها جميعا لولا الرسالة التي نشرت في امريكا.

بعد ان عالجت النهابي الرئوي قررت شراء جهاز رانبو حصلت عليه يوم هانح ماي. تعلقني احساس غريب وانا اتصت للموسيقى من جديد. واحسها تتسرب الى عروقي مثل الكسير، اهتز كياني واحسست انني اخلق نحو البعيد، وارثت عضلاتي وفهمت لماذا تعطي الابطار الحلوبة مزيدا من الحليب عندما تسمع الموسيقى. ولماذا فضل بعض الرفاق الرانبو على البواء. بعد اسبوعين ارسلت متبايعي الى لؤلؤ لبيخل عليه بعض التعديلات وينسني له التقاط بعض الموجات. انفصلت عن جهازي واحسست بالحزن مثل طفل نزعوا منه لعبته. وفي الثامن عشر من ماي 1971، والساعة تشير الى منتصف النهار والنصف كنت مميدا على

الملاطحة ساعة القبلولة، فجاءت سمعت الطويل يبق على الجدار بكل قوته
ويعاطبني باللغة المشفرة الرموزة ان، اسمع إذاعة فرنسا الدولية، KI-1،
لم أحر جواباً.

وظلت الحيرة لغرسي وأنا اعرف ان كل الذين يملكون اجهزة راديو
يصنعون وبما انني بلا جهاز فقد انتظرت على احر من الجمر انتهاء
البرنامج واطلع على ما دفع الطويل إلى الإبحاح علي بالاستماع، فجاءت
نغلت صحيفات الاستحسان من هنا وهناك ثم سألني الطويل:

[1] الرئيس انصت الي برنامج «المريك ميدي»

اجبتة بعصبية واضحة.

■ لا لم اسمع شيئاً لأن جهاز الراديو معطل.

[2] لقد تحدثت ابنتك إليهم عن تازمامارت زكت تمخلات اخرى القواله،
عيل ان ياخذ لخلول الكلمة ويضيف: نعم لقد املت ابنتك إليهم بتصريح
في برنامج «المريك - ميدي» في إذاعة فرنسا الدولية وقد قالت بالحرف:
توصلت بعدة رسائل من ابي المسجون منذ سنة 1973 في معتقل الموت
ببازمامارت اخر رسائله مؤرخة بتاريخ 11 اكتوبر 1981 يشير فيها الشروط
اللاإنسانية للمعتقل وامراضه العديدة التي العديته، مثل الخفقان
وارتفاع ضغط الدم والالتهاب الرئوي والروماتيزم، إنه مريض للغاية
بعضى ولنه معداء، والحياة في المعتقل لااحتمل. مات العديد من رفاقه
بسببها، لم ير ابي الشمس منذ 7.11.1977 لأنه حبيس فيبر مظلم رطب ...
الخ.

تعاقبت التعليقات والتخيلات، شارك فيها الكل وحتى اولئك الذين
اعتدنا على نكتهم مسهم الضيار، بعضنا توقع انتقام الإدارة البعض
الأخر ابدى لامبالته ازاء ما قد يحصل .. وطوال اسبوعين انتظرت زيارة
مغربيانية وأنا انقلب عن المبررات لحماية مراسلنا لأنني لم اكن اريد
النسب في اي ضرر لأي كان، وكلمنا امضت في البحث عن الاجوبة
الملائمة للاسئلة التي قد يطرحها المحققون، كانت الكفاري تختلط علي
وينشوش بعالمي، وكلمنا اجد جواباً ما اجد معه فقرة او خطأ في
التحليل، كنت مستعداً للتعقيب المهم الا يمس سوء ابياتي وزوجتي
والميعونين من الحراس، ولأنني كنت دقيق الملاحظة فقد انتبهت الي تغير
سلوك الحراس حيالي، إذ بدأوا يخلطسون إلى النظر او يتفاهون الحديث
إلى حتى لايتهموا بالتعاطف معي.

انتظرت المستجدات وأنا مستعد للمفاجات، وكثيراً ما رايت كوابيس

ايظنني في عز الليل، إذ كنت ارى نفسي مقيدا يرميني اناس ليرياء في الحرقاة، احيانا كنت ابتمس لانني لست لاسيدنا إبراهيم ولا جان دارك، استولت علي فكرة كون العائلة ستقطع اللحن ببلي واستخدم بي هذا التفكير الوخيم الذي كان يترسخ اكثر فاكثر في ذهني، وكنت انضرع الي الله في صلاتي كي لايمسها سوء، ومن حسن حظي ان الله رحيم بعباده: بعد اسبوع كنا في لحظة قيلولة طويلة عندما جاء الحراس وفتحوا الابواب بطريقة صاخبة فوجدنا لزيارتهم لان وقت العشاء (٦) والنصف مساء) لم يكن بعد، خطرت في ذهني اسئلة عديدة واجل ان اجيب عنها امر احد الحراس زميله بفتح الزنزانة رقم 14، قلت في نفسي -لا شك انهم المحظونون في قضية الهام ابنتي- ففتح الباب ورايت لاجودان شاف العربي، نائب المدير صحبة بعض الحراس وشخصين لم يسبق لي ان رايتهما ظهرت عليهما الطيبوية واللباقة فالتحني المسؤول اهلا الرايس وقد كان يخاطبني باسمي لانني كنت مدرسه خلال فترة التكوين لاعادة التأهيل بالهرمومو.

■ اهلا مون اجودان شاف، قلت وانا حذر.

[١] قل لي عم تشكني.

■ من كل شيء .. من الأمراض، من الأكل، النظافة، النوم، من كل

حقوق المسلوبة كسجين.

ابتمس ثم اجابني

[١] لا انا اطلب منك ان تحببني عن امراضك فقط لان بصحبتني

مرضين لمعالجتك.

قلت قائلا:

■ لكن امراضي تتطلب نظفي الي مصحة متخصصة ولحصا جيدا من

متخصصين اكفاء.

[١] نعم، ولكن في الوقت الراهن ستقدم لك العلاجات الاستعجابية

الضرورية وسنرى فيما بعد بالنسبة لليالي، ثم التفت الي المرضين

-طبيب بإمكانكما الشروع في عملكما- نخل ميمون لغليظ وضع

مصباح الغاز وسط الزنزانة ثم خرج فاسحا المجال للمرضين، تقدم

هذان الاخيران والنهول باد عليهما من هول ما رايا، كم تمنيت ان اراهما

والمرحوم لقلو امامهما، لا اذك بانهما سيهريان او يفس عليهما، لقد

نهلا للحالة التي وجداني عليها وتلقيا نحوي بحيطلة، لانهم اخبروهما

بنا مجاني، كما قرأت في نظراتهما مزيج الحزن والطيبوية والشفقة

من هذا الوضع المزري؛ ولما عطائي عني وخاطبني الممرض (ماجور) موحا بصوت حنون وهو يمد يده نحوي: «سابل ما في وسعي لساعتك، قل لي ماهو مرضك، قل لي انا انصت إليك»

■ اعاني من الحمى دائما ولوجاع الراس واحك عيني واسهل باستمرار واشكوا ايضا من الاسهال والمغص والخفقان والروماتيزم في الظهر والقدمين. انهم ايضا بسبب الإتهاب الجيبي والنعل والسعلة (عواطر) إضافة الى الإطراء في النبول والدوخة ..

□ طيب ساسلك اولا ميزان الحرارة ثم ساسلك لانك إن كانت لديك حساسية إزاء البنسلين. بعد هاتين العمليتين التلت ناحية ميزان قانلا: «اعتقد ان علي أن انتقل الى السجين الموالي ربعا للوقت، ثم ساعود لأخص نتيجة الاختبار والحرارة».

هز ميزان راسه علامة على الموافقة. بعد ان انطرت وحدي بدأت اضرب اسداسا في اخماس نون الوصول إلى جواب إن لم اقل انني زدت فيها. والحق ان كل الحلول التي عرضتها كانت ممكنة هل هي تبانير تحسن قانم؟ هل هي بداية نظام مخطط ام تراها استعدادات إفراج قريب لم اجد جوابا شافيا رغم حدوث بعض التغيير في الآونة الاخيرة مثل حصولنا على الصابون والتحسن الطفيف في الطعام وتوزيع احنية رياضية بدل نعال العجلات، وتغيير الغطاءات قبل الوقت. ثم العلاج الطبي الآن. لم انه بعد تفكيري عنما نخل الممرضان للاطلاع على نتيجة الاختبار والياس الحرارة. فبانر موحا المختنز والبشوش الذي تجاوز الثلاثين من عمره، وإن كانت النظارات تجعله يبدو كطبيب عركته المهنة: «هل تحس ببعض التنعل في الفراخ، اجبته ان نعم وانني حككت مواقع الحفنة بدون شعور، اما رايك السارجان علي الطويل القامة والنحيف المنحصر من عائلة من منطقة تازمامارت فقد قال: «حرارته 39 درجة و 2. فوصف لي موحا الوصفة شفهيا: سنعطيك 1- اسيرين و4- فينامين و1 الفراض لعائيدان و1 من الباريفوري اما بالنسبة للروماتيزم، فاستعمل هذا المرهم «الجيبيان». قل هل تريد ان احفك بحفنة ضد الإتهاب الرئوي فانا اتوفر علي مضادات حيوية قوية. ثم اشار إلى قنينات فلوكسساين وطوطابين قبل ان يضيف: بإمكانك ان ترفض. وإذا قبلت عليك ان تقبل النتيجة ايا كانت وانت المسؤول... اعلنت قبولي لحفنتي على الفور».

خصص زوال تلك اليوم للزيارات الطبية إذ مر الممرضان بكل الزنان

فهل أي يفانرا السجن ولد هالتهما الفطاعات التي رايها او سمعا عنها. لقد وزعا كل ما جاءا به من ابوية، ثم عادا بعد ثلاثة ايام وجاا بمراهم لعلاج العيون. لقد احسا بان الاحداث تتجاوزهما والمهمة صعبة بالنسبة لهما، فماذا كان بوسعهما ان يفعلا امام ظواهر لا يعنى لغير المتخصصين ان يعالجوها، مثال تلك السجن الذي خلق تباينه ثم عرض خصيئته المنطقتين حتى عابنا مثل بيض النعاب قائلا: منذ اربع سنوات وانا اعاني من هذا الانتفاخ الذي يزعجني ايما ازعاج، او زميله الذي كشف لهما عن عقبتين صلبتين مثل حجر، ظهرتا بين الفخذين واسفل البطن، بعضنا الآخر اراهما متبادل ملطخة بالدم او اسفنجات لطختها القى.

ولانك انهما احسا بالفئيان ولم يجرؤا على رفع اعينهما ووزعا الهواء صامتين.

في منتصف نهار يوم 28 يونيو 1941 وقد استلمنا اعداها الهزيل واغلقت ابواب زنارتنا، نخل الطويل من الساحة مهرولا وبعد استرجاعه لانفاسه، نزل إلينا اوامر الحرس وهو ينثلي كلماته لتوجسه ربما من رد فعل غاضب:

. انصتوا إلي، سيحصل زوال هذا اليوم تبايل الإقامة، حيث سيقدم رفاق الصخيرات في نفس الصف أي جهة الساحة في حين سينتقل سجناء الطيران إلى الحي المحاذي للجدار. وقد امركم الحراس بالاستعداد قبل عودتهم في الساعة الثانية زوالا للسهر على تبايل الزنارن. عم السخط لأن العبيدين رفضوا مغادرة زنارتهم التي ارتبطوا بها. ولسائل ان يسأل: كيف لعنقل ان يولي كل هذه الاهمية لجزئية من هذا القليل، كيف له ان يرتبط بقبوء المهين لوفاته والإصرار على مكان لا مرق بينه وبين آخر، والحق ان هذه الجزئية مهما صغرت لها اهمية قصوى في المعيش اليومي للمعتقل، ذلك ان الإقامة من طول العزلة في ذات النيكور، كان لها تأثير قوي في انفسنا وخيالنا. لقد رفضنا تغيير المنازل لأننا لاشعوريا اصبحنا من انصار الاستمرارية. إن مطالبة سجين بتغيير زنارته تشبه مطالبة لاعب بوكير بتغيير المكان الذي حالله الحظ فيه: لهذا احتج العديد من المعتقلين على هذا القرار لأن الأسر لم يكن يعنصر على رحيل في المكان بلقر ما كان تشويشا نهنيا. وشخصيا كنت احس بالرضى والراحة في زنارتي والتواجد في مكان آخر سيسبب لي النشطاء لطالما انتابني الإحساس باننا متفاهمان، انا وهي لأننا خلفنا

لبعضيتها. فهي المكان الذي كنت أحس فيه بطعم الفرح والإحباطات معا. لحظات اليأس وسراب الأمل. لقد كان من الصعب فعلا تغيير مكان صار البعا، وشخصيا مثل صندوق فولاني (كوفرفور) وهذا التحول لم يكن ليحسن من الأمور، ولقد وجد البعض انه سينتضر إذا بالرغم من كتابة السجن ككل، فإن بعض الزنازن كانت لها ميزات معينة مقابل سلبيات زنازن أخرى هناك أولا، المواقع. فالإلبية الموجودة في الجهة الشمالية

كانت رطبة وباردة ومنظمة على الدوام لأن دورة الشمس لم تنصفها. مقابل ذلك كانت زنازن الجهة الجنوبية تتعرض للأشعة من الخارج. وعندما تكون الشمس في كبد السماء يتسرب شعاع من قلب السقف.

يخفف من عتمة المكان ولو أن ذلك لم يكن بيوم سوى ساعة أو ساعتين حسب الفصول. أما الزنازن الوسطى الواقعة قرب الباب الكبير، بعد كانت الظل تلوها وأكثر تهوية من زنازن الداخل العتمة والظل نهوية من الإخريات.

ومن ناحية أخرى، كانت هناك زنازن مشؤومة، مات فيها رفيق أو اثنين، دون الحديث عن الزنازن المليخة بالدمى أو تلك التي حولتها العقارب إلى ماوى أو الإلاعي إلى حلال لإصطياد الطران.

أما زنازتي فقد كانت تتوفر على بعض الإمتيازات لأنها كانت في الوسط في الجهة المقابلة للباب الرئيسي تقريبا. ولعلها هبة رباتية في تازمامارت أن ترى السماء الزرقاء ثلاث مرات في اليوم أثناء توزيع الطعام، حتى ولو كانت مجرد إطلالة عابرة. والقول بالمناسبة انه لم يسبق لي أن تلميت بجمال السماء وأعجبت بروعة النجوم في الثانية صباحا وقت السحور، واستنشقت بلذة وعمق لحة الهواء النقي. كما فعلت في تازمامارت. لقد كان لزاما أن أحرم هذا كله لكي أحس بليمته. هناك أيضا شيء آخر مرتبط بحب الاستطلاع والرغبة لدي، إذ كان موفقي يسمح لي بمشاهدة كل ما يجري وينور ومتابعة برمرشات الحراس واحكيها فيما بعد لرفائي الذين لم يكونوا يرون شيئا أو يسمعون مجرد وشوشات بعيدة، بفضلني كان الرفاق يعلمون كل شيء. بما في ذلك ثمن الطعام في السوق إلى درجة أنهم سموني وكألة رويتر.

وعازلت انكر الحديث الذي جرى ذات يوم من أيام يناير 1984 بعد الأحداث التي عرفتها الناظور، الحسيمة ونظوان ومراكش، وهو الحديث الذي دار بين مولاي علي وبن تريس. إذ سال الأول الثاني:

- مون لاجودان، علاش الناس المتدينين كيديروا الفوضى، اش بالمين بالضبط؟

- علاقتاش ما عندهومش ماياكلو، العيشة غلات والعمال طربوهم وعلى ود هاد الشئ كيديرو الفوضى ويخربوا كعاش التي جات في طربلهم.

- اش غادي يوقع لو ما كيضربوهومش وبقيو على الفوضى؟
- غادي يوقع الكارثة والفوضى لكبيرة كيما وقع في الكونغو عام 1964 وأنا حضرت هاد الشئ.

- وما كايبنش غير الخدمة كايين بول الطلبة والصفار.
- هاد قضية اخرى هانوك راسهم سخون، كانوا بالمين التي بغاو، هادوا في الحبس.
- وايلا وقع لآخر الله وجاو لتازامارت اش مصيرنا؟
- انتن ايلا يحبسونا.

طاطا مولاي علي راسه، اطرق عليا لبل ان يجيب، ايلا وقع ما وقع انتمعي تكون في الزنزانة 14 (زنزانتني) وانت في 15 (الطويل) هانوك على الاقل فيهم شوية لهوا والضوء.

انتفض بن بريس وهو غاضب ونهى صديقه طائر الشؤم على هذا الحديث (...).

جاء الحراس في الثانية زوالا واصرونا ببده الرحيل، مر كل شيء في رمشة عين فيما أنا واقف امام باب الزنزانة، جاء الشاوي عبد الكريم للإقامة في زنزانتني، لكن زنزانتني نخلها صملي الذي رفض تسليمها لي، فرفضت بيوري مغارة مكاني، نخل، الحمامة، والسم لي همسا بان الوضع مؤقت لأن الإخراج عنا سيكون بعد شهرين. ساعدني الشاوي على الانتقال إلى الزنزانة (2) زنزانة المرحوم لفلو، التي رفض الجميع دخولها، لكن قبلتها لعدم إيماني بقضية الأشباح، لم اصديق القوال، الحمامة، أيضا لكنني لم ارد وضع الحراس موضع الحرج وإن عانيتهم بالقول إن كان عليهم ان يقرروا في الامر ويسهروا على حسن تنفيذ.

تدخل ميمون لطيفك:

- ماذا تقصد بتكويحك هذا؟

عوض الجواب طرحت عليه السؤال:

- لئ لي من فضلك ما هو الامر الذي اصدرته؟

لقد امرنا الطويل باخباركم بتعديل الاماكن، على اساس ان يكون الطيارون في جهة والمثابة في جهة اخرى.
، إن لم تحددوا الجهة .. المهم هو الفصل بيننا.
اي نعم.

تدخل الحمامة، بالقول: لم يكن لنا ان نحدد المكان بل تنفيذ اوامر المدير الذي امر بوضع اصحاب الصخيرات في جهة واصحاب الطائرة في جهة اخرى. لكن اين الخلاف.

اخذت الكلمة وتحدثت بهدوء لأكظم عيظي
كنت الفضل اشراككم على العملية. كان ذلك الفضل.
، لم افهمها

- ساشرح لك سبب غضبي لقد اخذ الطويل المبادرة وامر بان ينقل اصحاب الصخيرات الى الجهة الشمالية والطيارون الى الجنوبية او تدري لماذا، لكي يحافظ على زوازته وما لا تعرفونه هو ان الجهة الجنوبية اكثر رطوبة.
، لكن ماهمك من هذا؟ صدق ما قلته لك.

لما رايت ابتسامته الساخنة بانلته إياها وعظيت، هنا مثال امازيغي يقول: ما تقول بيس (لا) حتى تجي في التليس، او كما يقول المثال الفرنسي يجب الاتبع فرو الدب قبل نفسه.

ما الغضبي يوما هو خيانة الطويل وانانية صغلي الذي استولى عنوة على زوازنة الشاوي التي تعود إلي، لكن الحمامة، ربت على كتفي وتطوع رفيفان بتنظيف زوازنة المرحوم لظلو من الدم والأوساخ، لانني كنت اتحرك بصعوبة بسبب الام الروماتيزم التي اجبرتني على الابتكاه على مكتسة دائما، لقد مضى ذلك العهد الذي كنت فيه المدرس الرياضي، المشاء الكبير، المنطوع الدائم في الجولات للثايبية.

طوي اللطف وبدات الاسئلة تتناسل: لماذا كل هذه الحركة، لماذا فضلونا عن بعضنا البعض؟ هل هي ماعمة ترحيل قادم لوضع الطيارين في سجن يختلف عن سجننا؟ ربما ارانوا نثقيلنا الى حيث يصفوننا جسديا بعد الشائعات والرسائل المنشورة. ربما مازال فيل عفة يحفر قبرا في مكان اخر.

استولت علينا الحيرة بسبب هذا الامر الطارئ، نولعنا الاسوا. ومن حسن الحظ ان الحمامة، كان الل تكتمنا من زملائه، إذ اخبرنا بان المدير استدعي على جناح السرعة الى الرباط وبمجرد ان عاد، دعا الى

اجتماع الحراس واخبرهم بان لجنة رسمية ستزور السجن قريبا للإطلاع على وضعية السجناء وتغيير النظام السجني، واضاف بان الرفاق الأربعة الذين مازالوا احياء في البناية الثانية سينقلون للإقامة في بنايتنا، وان الإخوة بوريكات وحدهم سيبتلون هناك.

فوجدنا بعودة رفاقنا بقرنا فرحنا لها، حاولت في انتظار وصولهم ان استرجع ملاحهم القديمة، هيالهم، بل خلت انني اسمع اصواتهم المميزة .. انتظرتهم على احر من الجمر، وعلمنا فيما بعد انهم كانوا كذلك بعد ان اخبروا بترحيلهم، تلهفوا للقبان لأن الخروج من جحيمهم الخاص، رغم بقائهم في تازمامارت، كان بمثابة هبة من السماء وبصيص امل، صاح احد الحراس: هاهم القامون! اقتحوا ابواب الزنازن، ثم دخل حمار القبور، بن طالب حاملا متاع سجين خلفه، لم يستطع هذا الأخير صعود الأتراج، فهب بعضنا لمساعدته على ذلك، كان يعشي الهويني، بصعوبة واضحة للعين، جسده منفي وبداء تتأرجحان كما لو ان جسده مفكك، لا تنسيق في حركاته اوضبط تجشم عناء كبيرا في المشي، فببت مشيته شبيهة بدميب او حركة جعل منهك، وكلما خطا خطوة ترافس جسده رقصة مجنونة، يقوم فيها جزؤه الأيسر بحركة دائرية تارة، وتارة اخرى يتأرجح الى الامام والخلف، فيما اطرافه الساقى، تتقاذف بلا توقف، عندما يتوقف مثل سحلية، لقد تشبوه جسده بفعل سوء التغذية والجمود، ونقص طوله بعدة سنتمترات، كان مندبوغ الجلد، لحيته كثة وشعر راسه مسدل، مرتديا قميصا منسجا و-شورت، كله ثوب، حالي القميص، يكاد يشبه القميص، جسده نحيل نحالة هيكل عظمي، عيانه جاحظتان من شدة تحببته في الظلمة، كان منظره فظيحا باستثناء ملامح وجهه التي احتفظت بجمالها مثلها في ذلك مثل الإبتسامة، رغم محنته وجد القفرة على الإبتسام، لم اكن اعرفه لأنه طيار، لكن حدثوني عنه طويلا وللأسف لم يكن هناك وجه للمقارنة بين ما سمعت وما رايت، كان في السابق طويل القامة، قوي العضلات، مثل رياضي، اتيق، فحولوه الى كائن مشوه، متسخ، ونعيم، نصف ممسوس، نخر على رفاقه انفسهم التعرف عليه، المزعني هذا المشهد الجدير باللام الرب وسالت بوحيدة عن اسم رفيقه فاجابني والدمع في عاقيه: إنه بوشعيب سكيبة او ما تبلي منه ...، وهو من مواليد 1947 بالدار البيضاء، ابن بـ 3 سنوات سجنا سنة 1972، رغم تعليمات الحراس سارع العبد لمصالحته وعناقه مرحبين بمطمة.

هَوَلٌ، هَدْبَةٌ وَزَفَارِيدٌ

رجل رفيعنا للإقامة معنا في البناية، ولكن أول من وصل منهم هو سكبكية الذي أودع الزنزانة 23 التي توفي فيها المرحوم نيك سنة 1980، تلاء سجين أبشع منظرا من الأول، كما أن جسده تلقى هزات زلزالية مشيئة تشبه مشية روبو، ملكك الأوصال. جسده بلغ به التشوه أن انطوى نصفين وللهرت على الظهر حبة وبدا يمشي كعجوز مكته على عصا. هذه السنوات الكابوسية الفاتحة أسنانه وشعره وأصابه الحول. لفراته المتكومة وجسده المتكلس جعلاه يبدو كقرم يمشي متذبذبا مثل حرف «s» - عمويا. شاب شعر رأسه نحل جسمه وتجدد جلده وشحبه. هكذا أصبح الليوتنان الداودي عبد العزيز المحكوم عليه بـ 10 سنوات في قضية الصخيرات. هب الجميع للقائه ومعاينته وشرع الذين يعرفونه في معازحته. عندما حان نوري عاتقه عنقا طويلا، ابتسم وهو ينظر إلى صامتا، شعرت أنه لم يعد ينكرني لأنني تغيرت كثيرا ولا شك لخاطبتة.

- دا-وودا-وو الم تعرف علي؟

- لا.. حلق في كثيرا ثم أكد نغبه وأضاف معتذرا «هذا علما أن ذاكرتي كانت ثاقبة في ما سلف من الأيام وريدت علي مسامحة عبارة سرية اعتدناها في ما بيننا وسرعان ما صاح مهللا: «اه لقد عرفت من أنت. جي كي كا. كيف حالك يا عزيزي؟ لقد تغيرت كثيرا، تبايلنا بعض الكلمات ثم أودعوه الزنزانة رقم 1 إلى جانب زنزانتي. في تلك الإثناء كان الناجي الثالث قد لاح في عتبة الباب الكبير، عندما نظرت إليه المشعر بني لأنني لم التصور أبدا أن أراه على هذه الحال. يمثل هذا التشوه، وقد احنوب ظهره وأمسك بعصا في كل يد، جدهه وقدماه متعامدان، يجر بصعوبة الدمية الرخوتين الهزيلتين تكاد تكونان جامتين. نظر إلينا بأسما و هو يبحث عن معارفه. عيناه الضاحكتان عارفتان في حاجبين كثرين، تأملت الوجوه المختلطة، ثم تعالي صوته «اه منعت صغريوي سعودي، يا للمفاجأة، استقبل بنفس الحفاوة و الحب اللذين استقبل بهما الآخرون، ثم حدد له أحد الحراس الزنزانة

رقم 7 التي توفي فيها شجاعى سنة 1979 . همس لى سعودي صاحب النظرات الفاحصة الفضولية لا اصنق ما ارى، لم التخليل ابدا اننى سارى بين بين على هذا النحو. لقد كان من كبار الممارسين للرياضة واكثر المراد فوجنا حيوية وبنامية، لا يكل فى «المارش، الثانىبى. انظر الى مشيته التي تشبه مشية عائد من الجحيم. اتساع هل هو بين بين ام شخص آخر، رغم اننى كنت احس بذات الضيق والاشتمزاز لقد اخطيت دعوى حتى لا احط من معنوياته، وقد شاهدت العديد منا والدموع فى عاقبتهم لهذه الفطاعة. وبين بين عبد العزيز الملعب ببانبان من مواليد 1910 بمراكش من عائلة برجاوزية معروفة فى المدينة. استنكر ابوه فعلته عندما علم بانه مشارك فى الصغيرات ورفض اى لقاء به. اما امه، الحنون الراضة التي احمى عليها فى المحكمة عندما استمعت الحكم الذي ادان ابنها ب... سنوات سجنا، فقد كانت إنسانة منقطعة مرابطة مالية. لهذا تلقى الابن تربية عصرية تالار باجوالها منذ نعومة اظفارهم. كان بين بين منطليا مثل الولدي بحب الرياضة وحياة الحانات، وبما انه كان جميلا وانظما فقد حاله الحظ مع النساء، حولته الظروف الحالية الى شخص اخر باسمال رثة وجسم مشوه يعشي ببطه كالحظرون.

جيه باخر الرفاق الأربعة الناجين من البنايكة، وقد استند الى احد الحراس يساعده علي صعود الامراج، فيما اتكا هو على «عكازته، يجر رجليه، كان الرابع هو عاضي عاشور اكبر المعتقلين سنا. وقد تعرفت عليه بسرعة لأن الشيخوخة لم تكل منه كثيرا رغم ظروف المعتقل الرهيبة شعره بالكاد وخطه الشيب. كما ان التسوس لم يمس اسنانه. بدا عاشور الاسمر منتفخ الجسم بفعل البرد والروماتيزم لا تظهر عليه تشوهات كبيرة وإن علمت فيما بعد انه ملتحن بالامراض الباطنية ويعانى نفسيا، وضع يده العليا فوق جبينه ليميز المتارين عليه، لم يتذكر بعضنا وخط بين اسماء آخرين، تحدث هناك شخص بهذي ونظرانه نالها وقد ابهته هذا الترحيل المفاجئ.

عاشور من اصل امازيغي من زمور، عاش فى البابية برعى الغنم الى ان بلغ سن العشرين وانخرط فى صفوف الجيش الفرنسي، شارك فى حرب الهند الصينية قبل ان يفر ويلتحق بجيش التحرير ثم ينضم فى القوات المسلحة الملكية، كان سائلا مجموعته قبل ان يصبح ضابط صف. وقد نسي المسؤولون والجنود انه كان سائلا وهذه جزئية ستكون لها اهمية كبيرة فيما بعد تجعل من قصة «عاشور، قضية غريبة.

عندما كان اعبابو يهيء للانقلاب لم يفكر احد في هذا المعنقل رغم حاجته الى سائق إضافي، وعاشور دفعه حبه للاستطلاع إلا ان يطرح السؤال الى اين ستوجهون بكل هذه السيارات والشاحنات فاجابوه: إننا نذهبون من اجل مناورة بين سطيمان بالقرب من الدار البيضاء.

توجه عاشور مباشرة الى لاجودان شاف نيك المشرف على الراب ليعرض عليه خدمته. فاجابه نيك: هذا جيد لانا اريد سائقا بارعا ولعله حسن الحظ الذي جاء بك، انت هبة سقطت علي من السماء. لقد نسيتك تماما.

. انا ايضا اود السفر والتجول لانني اختلف في هذه القرية التي نتعم فيها الملاهي.

هكذا وجد نيك سائقه ووجد عاشور فرصته للتجول.

ولو ان عاشور، في الصغيرات، التزم بدوره كسائق ووضع يديه على الملود في انتظار العودة لوفر على امه وزوجته وابنائها الخمسة الصغار عشرين من المساء والشقاء: لكن الرشقات الرصاصية والانفجارات والصراخ والايامر، كل هذا ايلظفيه نزوعات حرب الهند الصينية، فلفز من سيارة «الجيب»، ثم امسك بالرشاش 9:19. ولقد عطا بحيث وضع الخراطيش على صدره مثل زاباطا المكسيكي ولزم العملاق عطا مثل ظله. في ما بعد عندما ارخى الليل سدوله على مقر القيادة العامة ووقعت المواجهة بين الجنرال بشير البوهالي وعدوه اللود الكولونيل اعبابو، اعطى كل منهما الاوامر باطلاق الرصاص. توفي على الفور الجنرال على اثر تلك ولحق به اعبابو كما هو معروف. امام المحكمة نفى كل من عطا وعاشور تهمة اغتيال الجنرال، وبين التشريع ان الرصاصات القاتلة اطلقت من رشاش 9:19 الذي كان بحوزة كل منهما. كما انهما كانا الى جانب الكولونيل الانقلابي، فادانتهم المحكمة العسكرية بالقتل بالمويد، لك اننا معا لاجل نفس التهمة.

الهم ان عطا شارك في الحرب العالمية الثانية والحرب الصينية، وشح مرات عديدة لشاركته في المواجهات الشرسة لجبل كاسيف بايطاليا وفي هانوي، شارك شخصيا في القبض على الرجل صاحب الفاس، البطل النائر الذي نعتته الصحافة الاستعمارية ب «قاتل تاتلة، البطل الحنصالي وكلف بحراسته خلال ترحيله، كما شارك في قمع انتفاضة كاربان سنطرال، بالبيضاء سنة 1955 وايمان عن طاعة خاصة في قمع المقاومة المغربية باعتباره ضابطا في «الكوم»، والهم انه كان الذراع

الايمان لاعبابو. لكن ماذا عن عاشور؟ الم تكن مهمته هي السيفاية، وحسب رأيي، لجان هدفه الوحيد وامنيته الوحيدة كانت هي تغيير الاجواء وزيارة البيضضاء إذا أمكن لكن القمر اراد غير ذلك وماهو مكتوب: لابد ان يقع.

الآن اراء امامي يعني على سهل، يبتسم ويحدث البعض ويمزح البعض الاخر ويربت على كتف طرف ثالث. كان يعتمر عمامة على الطريقة الامازيغية وصدرية مرتقة وينظون لصير يصل الي ركبته مثل سراويل قراصة اعالي البحار، وقد كان عاشور قرصانا حقيقيًا. ولف امامي مبتسما وقال: كيف تجدني يا صابر؟ (كان صابر الاسم العائلي الاول).

اجبتة: اراك مثل زباطا بلباس لاعب هوكي، لم يفهم ما قلته لكنه ابتسم.

بعد توزيع الطعام والحلاق الابوابه رجل الحراس وتركونا وحيدين نجسنا اطراف الحديث طوال الليل. حدثونا عن مساساتكم واطلنا الحديث حول الاخوة بوريكات ومضامراتهم، كما حدثناهم عن كل مجريات العالم ولزمتنا عدة اسابيع والحق أنهم كانوا معزولين اكثر منا. شبه ما يكونون باهل الكهف كما بلوح ذلك من خلال اندهاشهم لرؤية الأوراق النقدية الجديدة.

وهبتناهم ايضا اجهزة المنياح ليستأنسوا بالأخبار والموسيقى. بعد ان حدثناهم عن منجزات الفريق الوطني في مونديال ٨٠ بالمكسيك وعن الثورة الخمينية والحرب الاهلية بلبنان وعن الرؤساء الذين ماتوا وحرب الخليج وصدام حسين والسيدة الحديدية وموت نيتو واطفال الحجارة وحدثناهم مطولا عن تلسون مانديلا والابرتايد والاحداث الوطنية. اکتفى المساكين بالانصات وكل يوم كانت بهشتهم تزداد.

يسعدني جدا هنا ان احكي عن الاکتخاب الإضافي لصالحهم الذي شارك فيه الجميع على مستوى البناية. بكل روح تعاونية وتعاطفية. ولعل ما هو اروع هي مشاركة الاكثر تضررا الذين انقسموا معهم راسمالمهم الهزيل لابد للمرء من المرور بنازمامارت لكي يختبر نفسه ونبله، وإذا كان التضامن فضيلة تولد مع الإنسان فإنه ايضا شيء يتعلمه المرء عندما يكون قد قضى اياما صعبة وسنوات شقاء طويلة يرجو فيها المساعدة نون ان يجد من يساعده، وهذا الإحساس بالتخلي والنسيان والصرخة المرة التي تطلب الانقاذ يطغىها الكبرياء.

استنسخناه لدى رفاقنا ولهمناه دون ان يعبروا عنه، ودون ان يطلبوا
بشيء ليعينا ما جال في خاطرهم.

منذ اليوم الأول لوصولهم انضم معهم الطويل طعامه المميز وابتعنا
لهم الانوية والقويات. عندما سلمنا الحارس المرسول طلباتنا مع
الإلحاح على استعجاليتها بعبارة «من اجل الرفاق» استجاب سيرفير
بسرعة غير معهودة، بل انتشر وخاطبنا: «ما دمتم قد فكرتم في هؤلاء
النساء ساقوم انا بنوري بتلبية الطلب بسرعة البرق .. انا ايضا اريد
ان اجازي بالجنة .. انتم فعلا راعون». ولم تمض إلا بضعة ايام حتى
بدا بين وبين داودي يتقلان إلينا الأخبار التي التقطاها، وكانا يعلنان
ذلك بلفظنا الرموزة «سليكس» *Slicks*. نجحنا في استمالة الحراس
الذين تساهلوا معنا وتركونا نتجول في الكولوار، ومن حسن الحظ ان
فريقين منهم كانا يتناوبان على الحراسة، وكان كل فريق يطلب منا
النتكس على ما يقوم به وعدم إخبار الثاني، فاستغلناها فرصة واستغلنا
منهما معا.

تميز شهر يوليو بقرائح شامل للحراس، كما انه كان حارفا، حرارة
واحدنا حيث عرف النهي لزيارة قريبة للجنة، فقام الحراس بمساعدة
بعض المعتقلين بتنظيف المكان مستعملين مواد التنظيف المعروفة
للنساء على الرائحة الكريهة المنبعثة منه، كما وزعوا علينا قطعا
صغيرة من الصابون للتنظيف اوساخنا.

تغلبت الساحة من الاعشاب والإصلاحات هنا وهناك وتنظيف الطاجر
تنظيفا حقيقيا، كانت كلها اعمال تجعلنا نعتقد بان الشائعات الرائجة
صحيحة: مما زاد من تفاؤلنا تلك الأخبار التي كانت تاد علينا كل لحظة،
إضافة الي ما ياتي به الحارس سيرفير، ما انك الرفاق من السانسة
صباحا إلى العاشرة ليلا يتناوبون على اخبارنا بعد قطع ترشاتنا:
«كك ليكيس» جاءتنا بعض العنور من ضيعة باطا تخص بوطاغاز ...
البح. وكبك - ليكيس رمز متعارف عليه لأخذ الكلمة وفرض الصمت
وإثارة الانتباه، وقد اخفنا من النطق الخاطي لأحد المسؤولين للعبارة
الاستفهامية ما هذا (*Qu'est ce que c'est que ça*)، إذا فكنا الشفرة
فالعبارة تعني: «انصتوا جيدا، لقد التقطنا بعض الأخبار من إذاعة
سويسرا تخص نازمامارت .. او عبارة اخرى: «كك - ليكيس، ليكم
بعض هنيئيات معدة في فرن الريفية» (إذاعة فرنسا النولية «إر إي في»
RFI) او ميني جيب (انجلترا) او با سيدي با «بي جي سي» *PGS*: او

زبيدا والمقصود بها هولندا ... إلخ. والمهم الآن لماذا كان الحراس يعتقدون باننا مجانين. وقد كنا قاب قوسين أو أدنى من التحقق فعلا بعد كل سنوات العزلة والظلمة والعذاب. ومازلت أنكر ليلة وصول رفاقنا، كنت ليلتها وحيدا الفكر في حالتنا وفي مواكب الرعب تتوالى أمام عيني. ولعل ما اتذكرني أكثر هي الحالة النفسية لبعضنا، صباح اليوم الموالي مثلا. استيقظت سكببة مبكرا ليرتل القرآن بصوت مرتفع غير عابئ بالنيام وبون ان يتعمد ذلك طبعاً. وبعد القرآن انطلق يغني الغاني شعبية ختمناها بزغاريد ولا زغاريد النساء لقد كان ذلك مؤلماً للغاية وبخبر الاستمزاز. عاشور نفسه كان يحكي الأشياء خيالية يعتقد انها والعبء. اما بين وبين وداودي فقد حافظا على انفتهما السابقة لكن تشوهات جسديهما جعلتهما عتيبين. لانهما صممتما. لقد احتفظ رفاقنا الاربعة. الفاجون الوحيدون من جحيم البناية ! بعض اثار الفزع والبأس. لانهم ظلوا بمحاذاة الموت طويلا ولأن الخوف نسج شباكه في اعماقهم. لاحظنا جميعا عنانهم. لهذا قررنا عدم معاكستهم ابدا. حتى عندما طلب المتطوعون منا من الداودي وبين وبين تسليمهما غطاءاتهما قصد نصبيتهما رفضا بدعوى انهما لائران على ذلك. والواقع انهما كانا جد منتهين. وعلى الغطاءات كان الرفاق المحتضرون يتوسلون للحراس تسليم الغطينهم بعد موتهم للرفاق الأكثر تضروا من البرد لعلها تنقذ عظامهم. وباله من فعل إنساني رفيع لأناس مشرفين على الموت لقد رحلوا بعد ان قاموا بفعله نبيلة ان تمنحي من الذاكرة.

انكر ان غسل غطاء عاشور تطلب مجهودات في متطوعين بكوه على فترات! ولعل عمليات النظافة في نازمامارت كانت من اصعب الانشغال لعل حالة بوشعيب اسكيبية كانت الحرب الحالات الأربع لرفاقنا الجدد. إذ رفض. رغم إلحاح كل المعتقلين أن يخلق لحينه الكثة او شعره الطويل. كما اصر على ارتداء قميصه وشورتته. الكاكي. شماء وصيفا.

كان يفضل المشي حافي القدمين رغبة في الاحساس بالآلم وممارسة اليوغا. من اجل التركيز وراحة النفس. كان يفعل ذلك بتكرار ذات او هذا ما كان الاصغاء يعتقدون. لكن الحقيقة هي التي اكتشفتها ذات يوم لما طلبت منه بابب. انصت إلي، انت انسان طيب جد مهذب. لكن ما لا يعجبني هو هذا الاهمال التام من جهتك. انظر الي الرفاق. كلهم يرتدون بنطلونات وسترات ونعالا. إن العمل مثلهم واحلق شعر راسك ولحيتك

واننعل نعالاً.

اجابني بهدوء وقد اطلق مطلقاً: «اعرف انك على حق، لكن «الأخر» برفض. ويعنني من القيام بما تقول، وأشار بيده إلى الزنزانة ثم اضاف: «انه لا يريد ذلك وهو يتفككني، تركني وتوجه الى مكانه بؤرجح نراعيه نحو الامام منحني الراس مائلاً قليلاً نحو اليسار. وقد نسي ولانك محادثتنا. تسمرت في مكاني منهولاً غير فاهم. تنخل رفيق ثالث وطرح علي السؤال التالي:

هل فهمت ما قال

لا، لا ابداً

فعلب قائلاً:

انا بنوري فانحتة في الموضوع ورد علي نفس الرد. الححت عليه بالشرح فقال بان «الأخر» هو «الجني» الذي تعقبه إلى هنا وامره بان يظل علي حاله كشرط ليلهمه حكمة البونيين. لم اجد جواباً. والتزمت الصمت الفكر في المصير المؤلم لبوشعيب الغنى الطيب، فيما واصل محدثي كلامه.

صراحة، إن رفائقا في البناية 2 كلهم غريبو الأطوار.

اما انا فقد شررد ذهني وتراعى لي موكب الجنان الذين مروا بالمعتقل. بعد محاولات عديدة وإصرار قوي من طرفنا قبل ان يفعل ما طلبنا منه مضيها: «انا موافق لكن إذا ما غضب» الآخر عليكم ان تتدبروا الامر معه. انتم المسؤولون عن مسائتي» ثم اثار باصبعه إلى الزنزانة: «انهبوا وسواوا الامر مع الآخر».

ذات صباح من ايام آخر اسبوع شهر يوليو اخبرنا رفيق كان يستمع لبرنامج إذاعة فرنسا الدولية بانه في هذا اليوم، في الساعة الثانية عشرة والنصف زوالاً، ستحل إلهام الرئيس ضيفة اليوم. انتظرنا تلك اللحظة بفارغ الصبر، بعد توزيع الغذاء ورحيل الحراس اصفي كل الرفاق باهتمام. من جهتي انتظرت اللحظة التي ساسمع فيها صوت ابنتي لأول مرة منذ 7 أغسطس 1973، ونهني شاردي بحلم ويسترجع الماضي البعيد بعد ان مرزه النسيان. فالتمع وجه ابنتي الملائكي تبعاً لمرحل نموها، تراعت لي بشعرها الكسندالي المجعد وبشرتها السمراء، باسمة دائمة الثورية وبسيطة وتلقائية.

كان عمرها 8 سنوات ساعة اعتقالي، ورغم صغر سنها وقتها كانت تبدو ناضجة الفكر تحب مناقشة الاشياء الجدية. كانت تتعلق برافيتي

قبل ان تقبلني قبيلات طويلة. كل صباح تقول انها رائتي في احلامها الطفولية ... تحبني وانا احبها.

شريت في الحنين والذكريات الراسخة في الذاكرة. إلى ان نبهتني موسيقى البرنامج، لبينا الحوار. كانت ميراي يوميو نسال وإلهام نجيب، متوترة تارة وهادئة متفائلة تارة اخرى. لم اعرف على صوتها، لانه صوت امرأة وليس صوت الصغيرة التي عرفت. كانت تتحدث وقلبي ينفض بشدة وسرت في جسدي لشعريرة سيبب لي الدوار. انفضض جبني الابوي فويا ولم اتعالك نفسي فانهمرت بموع حري على خذي المجعد، اهتز كياني كله ويدات ارتعد كورقة، ضاعت كلمات عديدة لم اسمعها لانني كنت انتحبه واهذي تحببني جمع بين فرحة الإنصات لإبنتي والحرز. كنت انصت وابكي لتلك الرحالة التي كانت إلهام تتحدث بها والتي كانت تنفذ إلى قلبي. كنت اسمع انفاسها، تريدها وهي تبحث عن الكلمة المناسبة، تنهداتها المفعمة بالآسى. لما سمعتها تقول بانها قامت بكل شيء لإنقاذي وانها مستعدة للتضحية بنفسها لتحقيق حلمها، احسست بخوثر شديد اصابني بالدوار. احسست بان موجة عانية تحملني نحو العدم، لم اعد انصت واضحى كل شيء امامي ضبابيا والحى على مدة من الزمن تون ان انتبه.

حكى لي الرفاق فيما بعد كل تفاصيل الحوار وتاثر كل الرفاق لما وقع لي بل إن بعضهم بكى لبكائي ومعا رواه لي الرفاق ان الجميع هزل بعد انتهاء البرنامج وبدأوا يتكلمون عليّ لتهنئتي، لكنني لم ارد لانني كنت في .. السحاب. ولما استعنت انفاسي كان الصمت مخيما على البداية لان الوقت وقت قبولة رغم انني كنت مثلكم بالآ احد نائم.

مساء نفس اليوم جرت مناقشات جيدة فلرنا، لاسباب امنية، اخفاء كل انبيائنا التي قد تفضحنا، وقد كنا هيانا اماكن لاخطائنا، والحال انني شخصيا، اي الهدف رقم 1 الاكثر توترا في القضية. لم اكن اتوفر على مخبا لجهاز الترانزستور والانوية والرسائل والصور العائلية والنفود. كان الامر خطيرا على الجميع، لهذا قبل بعض المتطوعين اخفاء انبيائي.

تحدثت إلهام مرتين على امواج إذاعة فرنسا و..بي.جي.سي. ورامبو سويسرا ولحقت مرات عديدة إلى جنود الاتصالات السرية بإعطاء اكبر ما يمكن من التفاصيل حول ظروفنا وامراضنا وموتانا، مما يسبب الحمى الصفراء للمسؤولين والسكنة الطبية لمدير السجن.

تعبير الحراس واصبحوا اكثر حذرا وانطواء وعدوانيين احبانا
واصبحت مثل مصاب بالجدام بينبذني الجميع، وتفادى الحراس
الانقزاب مني او الحديث إلي، خوفا من ان اشي بهم في حالة التحقيق،
خاف البارونات، و«الفراعنة» في البداية من استغلالني للحايلة
والانقسام عنهم بتوريطهم معي واتهامهم بكل ما وقع. وخدم «المعوزون»
صفوا لمباراة إلهام وقد تجرا الطويل ولاحظ بوضوح:

لقد المسيت ابنتك كل ما بنيناه وسنضيع جميعها. ليس من
مصلحتنا ان تكشف كل ما تعرف لانها كشفت عدة اسرار. ولانك ان
انصالاتنا سنقطع وتكون عرضة للانتقام.

اجبت:

• لايمكنك ان تلقى البيض دون تكسيره.

لم يكن عليها ان تكشف كل الجزئيات لان ذلك ضار بنا وبك.

• انا لم اكن معها لامنحها من فعل ذلك. وعلى كل لقد سبق السيف

العنل

لماذا انت عنيف في حوارك نحن نتناقش فقط

• السبب ان كل واحد منا يبحث عن انقاذ نفسه دون الاهتمام
بالآخرين، ولانك ان زوجتك تحدثت عن حالتك فقط اما إلهام ابنتي
فقد تحدثت معنا جميعا، ولعله الحل الوحيد لإنقاذنا، وانت تعرف ان
المعركة استنزاف ضد الموت لم تعد تجدي لاننا نفقد كل سنة أ رفاق،
ماذا نفعل، هل ننتظر دورنا، وختاما ساقول لك عبارة بالدرجة لانك
انك تعرفها «التي كاتشطح ما برق وجهها» لعابرني الطويل دون ان
يجيب تقابيا للمواجهة معي، ولم يفتا العديد من الرفاق يطرحون
السؤال حول تعاملني مع المحققين إذا ما ارتلوا معرفة طريقة الصافي.
احسست بان هذه القضية تشظهم إلى درجة الازعاج فكشفت لهم عما
يدور في خلدي.

انصتوا جيدا، لانحزنوا لانه سبق وفكرت في الامر بردا لكل
الاحتمالات، مادام ابن إبريس قد توفي بعد ربطنا للاتصالات ساقول لهم
بانه هو الذي كان يقوم بذلك منذ مدة، والحراس كلهم يعرفون باننا
نعرف بعضها منذ 1958، وعليه فهو صديق لي ولا أحد سيكتب ما
المول لان الموتى لايتكلمون، والعائلة نفسها لاتعرف المبعوث لان الاتصال
يتم ليلا بواسطة شخص نكرة» رضي الجميع بالجواب ومرت الأيام بلا
خوف او احداث وخفت حدة التوتر. بعد اسبوعين تابى المرصون على

زبارتنا بانتظام، وظل سيرفير يخدمنا كالمعتاد بحبر ايه بما قد يجز عليه ذلك، كما كنا نتابع كل ما يحدث في العالم، من قبيل نفوة جنيف حول حقوق الإنسان (وقد علمت فيما بعد ان إلهام ابنتي حضرتها للدفاع عني)، والكشف عن وجود المعتقل السري من طرف مدام كريستين نور السرفاتي وتقلباتها في كل مكان بغاغا عن الضميتنا، تصريحاتها الجريئة ضد الظلم، كنا نصلق بحرارة لشجاعتها ونضالها لتلك الطوق عنا، وتائرنا كثيرا لمحركتها واصبح اسمها كالنار على علم مما زاد من اعجابنا، والحق القول إنها تستحق كل التقدير كبطلة لأنها كانت سندا معنويا كبيرا لنا في اللحظات الصعبة التي يخبو فيها الأمل، مرات عديدة جرفنا اليأس لكن مساعيها كانت تبعثنا من الرقاد مثل طائر العنق، لقد بذلت كل ما في وسعها لإنقاذنا ونجحت في ذلك لقد قامت بما عجز العديون عن القيام به نحن مدينون لها بالحياة لن ننكر جميلها وسيظل اسمها منحوتا في ذاكرتنا الى الأبد، الف الف شكر لها، بفضل الضجة الإعلامية والحملة المناهضة للمعتقل بدأ السجانون يفكرون في الاستقلال.

ذات صباح من الأيام الأولى لشهر غشت جاؤوا مبكرا وفتحوا الأبواب وطلبوا منا بمحض ارادتهم الاقتراب من الباب الكبير لاستنشاق الهواء الصافي الذي حرمونا منه منذ غشت 71، ورؤية الشمس. بعد ذلك حدث مرارا ان سمح لنا الحراس بالجلوس على الأراج لمدة عشر دقائق للاستمتاع بالشمس (حمام شمس) والتعلي بزرق السماء والإحساس بالضوء والدفء الطبيعيين. ولذتها، لم أر جلدا شاحبا مثل جلوتنا ومجعدا مثل جلوتنا، من رانا يظن اننا نعبد، فيبوس، والحال ان الشمس والهواء، إلى إشعار آخر، كانا دائما بالمجان، لماذا حرمنا منهما كل هذه السنين والكثير مشهورة سياحيا بانها مدينة لـ 4N1 يوم نفس.

بخصوص الإخوة بوريكات، كنا نراهم جالسين بنورهم امام بنايتهم، كنا نتبادل الإشارات الودية عن بعد، إشارات فيها الكثير من التعاطف والود، نتواصي بواسطتها بالصبر والشجاعة.

ذات صباح صيفي سمح لي ميمون لطيف بالخروج امام الباب للشمس، فالتحق بي كل من اعكاو والمالموتي. راينا فوق الجبل الذي يطل على المعتقل على بعد 4N1 متر طيف شخص ما والفا وقد امسك بيده شيئا لاسعا. لاحظ المالموتي الذي كان طيارا وظل محتفظا بحدته

بصره ان الشخص المعني ابيض البشرة طويل القامة، يرتدي قميصا
ازرق وينطالونا فاتح اللون. اما الشيء الذي يلتصق من البعيد، فقد كان
الـة تصوير. لاحظ الحارس ميمون ذات الشخص المجهول الذي غامر
بالاقتراب من البناء خارقا التعليمات وملثما على الحراسة الدقيقة.
فطلب منا الحارس العودة الى اماكننا ثم اسرع بإخبار المدير. وقد علمت
فيما بعد بأنه صحفي فرنسي كبير جاء الى عين المكان بحثا عن الحقيقة
وخاطر بحياته ليلتقط صورة للمعتقل عن قرب. عندما علم رفاقنا بالامر،
سرت فيهم الحمى وسعدوا بالامر، لان ذلك يعني اننا لم نغرق في
النسيان، لان اناسا ما يهتمون بنا.

زادت حرارة الصيف وانبات حرارة الامل قلوبنا التي اعيهاها الملل
وانتظار الحرية... تهطلت الانبياء المسارة من كل حذب وصوب
واعترنا رعشة الامل الكبيرة، ونفذ صبرنا في انتظار الشجاع الذي
سيهزق سدف الليل. امطرنا الحارس سيرفير بالاسئلة عن اللجنة
المنتظر وصولها. حسنت بما يشبه اليقين بان جديدا ما سيحصل بعد
ان اطلعنا على خير اطلاق سراح 14 معتقل راي منتمين الى منظمة، إلى
الإمام، التي سبق لها ان أصدرت بيانا يطالب بإطلاق سراحنا، ويوم 1
سنتمبر 1971، بثت كل محطات العالم النبا الذي تبيننا بواسطته بان
بورنا بنبو بخفي حثيثة. كان النبا نبا إطلاق سراح ابراهيم السرفاتي
الذي رفع معنوياتنا.

بعد ذلك استطاع الطويل الذي نال تعاطف الحراس ان ياتينا بنبا
اكثر سرورا، إذ دخل علينا البنابة، وطلب منا التكرم على ما سيقوله قبل
ان يكشف لنا اننا سنغادر نازمامارت قريبا.

مغامرة الجحيم

أخبرنا الطويل بمغامرتنا لتأزمآمارت قريبا، لم تصدق الخبر من فرط ما كان خبرا مفرحا وجميلا، لكن الولايع الملموسة كانت امام اعيننا، لأن كل هذه الضجة العالمية لا يمكن أن تذهب هرا. عم فرح لا يوصف وانتشينا انتشاء لا مثيل له. بعد أن عاد الهدوء توجهت الى غلول بالقول، بعد أن طلبت صمت الجميع، «ايها الصديق العزيز أريد منك أن تزور عالمتي بالرباط وتواسي اسرتي. سلم على والدي وزوجتي وابنائي وقل لهم بانني مازلت حيا أرق، ومعنوياتي مرتفعة قل لهم انني افكر فيهم يوما واحيم كثيرا وربما سيائن الله لنا باللقاء يوما ماء تعالت الاحتجاجات وسخط البعض وصاح لي آخرون غاضبين «سنخرج جميعها، فلا تكن متشالما، اجبتهم: اعتقد ذلك هل نسيت قضية إلهام؟ إن المخزن ينتظرني في اول منعطف وسيكون انتقامه قاسيا.

يوم 14 شتنبر كان يوما مثل كل الأيام، بنفس الطقوس والأحداث. مساء ذلك اليوم، كان المعتقلون يعلقون على الأخبار او يرتلون القرآن الكريم. جفاني النوم، بسبب التاموس والبق، هاجمت هذه الحشرات عفتي ويدي طيلة الليل فحرمتني من النوم، في السابق كان طرفها سهلا. أما اليوم أصبحنا نستعمل لهب الشموع لطرفها، قضيت الليل في مطارتها في كل ركن وإحراقها لعلي أنام قليلا في الليلة الموالية. صباح يوم الأحد 15 شتنبر 1991 كنا ننتظر يوما عابيا. أي نستيقظ فنتناول قهوتنا، نسمع الأخبار، نعلق عليها وننتظر ما ننتظره منذ 18 سنة و39 يوما. نحن أصبحنا متسولي المعجزة ويتامى الأمل ومنسي العالم ذات يوم، بعد توزيع الماء والقهوة كان الحراس على أهبة إغلاق الأبواب عندما جاء لاجودان شاف مزيان نائب المدير المعارف بخبايا الأمور، وأمرهم بترك الأبواب مشرعة، ثم توجه إلينا بالقول: «انصتوا جيدا. سنوزع عليكم الصابون للتسلوا ثم سنسلمكم سترات وينظونات (عسكرية) والميمسا كاكيا وأحذية رياضية جديدة، لترتوها عوضا عن اسمالكم التي سنجمعها ونحرقها. ثم سنضعون في الزنازن الفارغة كل بلوه وأشياء غير القابلة للاستعمال. يجب أن تفرغوا زنازكم مما فيها بما في ذلك

الاطية التي تستعمل النار فيها في الساحة. اسرعوا إن لنا في عجلة من امرنا. امطروء بالأسئلة لكنه ظل يردد: «ليس في وسعي اخباركم بأي شيء في الوقت الراهن. الح بعضنا: لماذا إن، هل هناك جديد؟ هل تستعمل اللجنة اليوم، اجابنا، لاعلم لي. لكن صدقوني هذا الأمر فيه خير لكم وستحل قضيتكم اليوم بالذات والكل مرتبط بمواقفكم واجوبتكم. لم يقل شيئا محددًا وظلت اجوبته فضفاضة. وبمعضة وإن كان نفاذله وابتناسنه بلعلا على حسن الطالع. لم يصدقه البعض منا. مع تلكه ولما لاحظ هذا الأمر طماننا بان اللجنة تستعمل وان هناك احتمالا كبيرا باننا سترحل من هنا، وطرح كل واحد منا على نفسه الأسئلة التالية: الى اين سنذهب الى بيوتنا ام الى سجن آخر؟ البست هذه لعبة جديدة لأخفاء هذه الأسطورة». ظلت اسئلتنا عالقة، لكنهم وزعوا علينا الصابون والملابس وشفرات الحلاقة، كنا نسابق الساعة وحراسنا اكثر عجلة منا واكثر ثورا، الفنا ان الزمن لايمه له في تازمامارت، والحال ان الجميع اليوم صار عبدا له. منذ عقدين والزمن ملكا لنا، كان امامنا الوقت الكافي لننخف ونموت ببطة، والان علينا ان نسرع.

خلعنا اسماطنا وانحسنا وليسنا الملابس الجديدة وجعلنا اشياطنا، الى الزنازن الفارغة. كانت هناك ١٢ زنزانا ونحن ٢٢ معتقلا حيا من اصل ١٢ سجنا في تحت ١٩٦١. مرت الصبيحة وسط ضجيج لايطاق وحركة دائمة. والاستعداد لشيء لانعرف مغزاه.

وخلالا لكل الوجبات التي كنا نتناولها في السابق جيه لنا وقت الغذاء سلاطة متنوعة، ولحم الضان بالسفرجل (الذي نسيبت انه موجود) ويرتقالة. امر لا يصنق، ختموه بالشاي المنعق!

في الساعة الثانية زوالا، جاء الحراس وجمعوا المطبينا ليحرقوها في الساحة. رفضنا من قبل ارتداء الملابس الجديدة التي لا تليقنا البارد، وطلبنا ان نأخذ اشياء نستشفى بها، رفضوا رفضا قاطعا ونكروا لنا باننا سنخضع للتفتيش قبل الرحيل. اصبر احبنا على مولفه، انا ارفض هذه الملابس ولن أخدع مرة أخرى بما حدث في ١٩٦١، مانعنا سترحل الى سجن آخر من الافضل ان نتركوا لنا مرفقاء رد عليه لاجودان مزيان

من قال بانكم سترحلون الى سجن آخر؟ القسم لكم بانكم ستنقلون الى مستشفى لأجل العلاج. فهل انتم راضون الآن؟ إن اخلعوا كل ملابكم الداخلية المتسخة، الا ترون بانكم اشبه برواد الفضاء، ضح المكان بالضحكة الذي زاد بسبب النبا السار. انصاع الجميع باستثناء بلكبير

لانه لم يعد يلقى في اي كان بالرغم من ان مزيان اخبره وكان الوحيد الذي اخبره باننا سنذهب الي منازلنا.

انفرت الزنازن قبل الساعة مساء والحرفات الاطبية وبفن رمانها هي لا تشهد على ما عانينا. لم يعد هناك اننى ليل على ما وقع باستثنائنا نحن واثار النوب علينا. تم تنظيف الزنازن من اثار الدم والقبح وسويت الساحة، فغابت الشواهد على ما وقع، حتى شهادات المعتقلين سيكون التهيد كاليا لاسكانها.

مكثنا في زنازنا وحيدين كما في اليوم الاول لدخولنا. كنا نجعل الهدف من الترحيل، لم تكن نعرف بالضبط وجهة اذا السفر الليلي مع حلول الليل جيه بثلاثة محاسبين لإتارة الكولوار المظلم، وبدا الانتظار الفناك الذي زالت حفته بفعل الصمت المطبق، حوالي الثامنة ليلا سمعنا اصواتنا في الساحة، كلما كانت تقترب كان نبض القلب يزداد عنفوانا، وباليها من تجربة مرة يختلط فيها الخوف بالثقة. سمعنا وقع خطوات سريعة وحازمة تقترب، ففتح الباب واتنسخه زولنا الغامضون. كان كل المعتقلين والفقير خلف الابواب مثلي، يتلصصون على ما يقع، مصيحين السمع لاننى همسة. لاح لنا الكولونيل (اب) المشرف على عملية فلورانس مرتديا لباس، عفرينة، زرقاء (سالوبيت) ويعتمر قبعة، غولف، بنفس اللون، ويديه لائحة أسماء، ظهر قوي البنية رغم تجارزه سن السنين، محافظا على ذات النعناعية والحيوية. سال بلهجة الامر: اين زنازنا بلكبيري - اجابه الحارس بانها الزنازنا رقم ١٠٠. قابوه اليها فامرهم بفتحها.

نقد السارجان بوكيش الامر، كان (اب) يعرف بلكبيري جيدا، إذ كان برتبة لاجودان شاف عندهما كان المعتقل برتبة ليونتان، لم يجد امامه الرجل الوسيم العملاق والانيق الذي كان يداوم على العدو والتنس بل وجد مجورا احنوب ظهره بالكاد يحرك لعميه. ساله:

ما اسمك؟

عبد اللطيف بلكبيري، اجاب الآخر بصوت هادئ وواثق.

استدار الزائر المسؤول نحو رؤوسه وصرخ فيهم:

لماذا يرتدي جوارب مبنية؟ انزعوا عنه تلك، ما هذا الذي ترتديه تحت

القميص؟

اجاب بلكبيري غير ابه بالسؤال.

اسأل الي بها نفسي من البرد.

أخضعها، ثم استدار نحو الحراس، لم تقولوا بواجبكم لهذا
سعاليون، لقد قلت لكم بعدم إخراج أي شيء من هنا ولو كان متبلا، ثم
التفت إلى السجين.

ماذا في جيبك؟

بعض الفرائس الأسيرين وغاندان ومرهم مضاد للاكزيما.

سلم كل ذلك للحارس، لأن تحتاجها بعد اليوم أبداً.

على جانب الكولونيل (ف) وقف رجل طويل القامة، قوي البنية عمره
ربو على الـ ١١ سنة يرتدي وزرة بيضاء وببده قبعة حمراء. تنخل بصوت
هادئ ليوضح كلام التركي الذي حيرنا جميعاً خصوصاً وقد ذكرنا بما
وقع منذ عشرين عند ما طلب أحد المعتقلين نظاراته، فاجابه المسؤول: لمن
تحتاج نظراً أو حياة بعد الآن؟ شرح الوالط الذي تبين أنه طبيب
عسكري برتبة كومندان، كلام (ف):

لا تحزن للامر، ستذهبون إلى مكان تتلقون فيه احسن علاج وستنولى
امركنا.

لاحظ الكولونيل (ف) بان بلكبير يتباطئ قطعة خبز، فنهزه بقوله: هل
تعتقد انك ستتموت جوعاً، سلمه للحارس.

بعدما تقدم ضابط ابيض البشرة عريض المنكبين يرتدي نفس اللباس
الذي يرتديه رئيسه والترى من السجين ويلطف شديد وحركات مدروسة
وضع قطعة فطن على كل عين ثم وضع عصابة سوداء قبل ان يضع في
الاخير نظارات سوداء كبيرة يشعها خيط بلاستيكي جهة العنق، ثم طلب
منه الخروج من الزنزانة ومغادرة الكولوار.

منى بلكبير كيف ما اتفق وهو مستند على الجدار، في منتصف
الطريق نولاه آخر والبسه جلباباً غلي، وجهه، في الخارج كانت
ساحنات مصفحة تنتظرننا وبما ان الكولونيل كان على علم بشهور
حالتنا الصحية فقد هيا لنا نظاماً معيناً للركوب ويتجلى في سلم على
شكل لا معكوس بانرج للصعود واخرى للهبوط تطلب الامر مساعدة
ركيبن لوضع بلكبير في مكانه.

بعد بلكبير جاء نور لول، وهكذا نواليك الى ان جاء نور القبطانين
حساد والواطي، شك الكولونيل في هويتهما، ففحص لالحتة مجدداً ثم
طلب منهما تزييد اسميهما، بعد ان اطمأن، بدأ يتاملهما وقد افترق اخره
عن ابسامة تكاد لا ترى، لقد عرفهما سنة ١٩٧٢، وكان مسؤولاً عنهما منذ
اعتقالهما الى ان رحلا الى تازمامارت ولم يرهما منذ ٧ عشت ١٩٧٤.

قبل أن يسلمهما لمروسة ثبائل معهما كلاما عابيا، ثم تركهما يتوجهان إلى الشاحنة توصلت العملية الولحد تلو الآخر. بدأ بالأعلى رتبة إلى الأقل رتبة من الضباط إلى ضباط الصف. عندما ما جاء دوري فتح الحارس باب زنزانتي ووجدت نفسي وجها لوجه مع الرجل الموسم صاحب المنكب العريض الذي قابطني بابتسامة مفعمة بالتعاطف. قبل أن يشرع في عمله بكل لطف وعناية، أبايت أنه ولا شك متعود عليها لأنه كان يقوم بها بدون تعجل مثلما. يفعل حلاق مرز. قبل ذلك كان الكولونيل قد سألتني عن اسمي الشخصي والعائلي، لما أجبته استدار نحو الطبيب ثم همس له بشيء ما، فعادا قال له بالضبط لماذا نظرا إلى تلك النظرات؟ هل قال له هاهو ذا المحكوم بالاعدام من طرف المحكمة لم يطلع النظام الجهني لتزاممات في القضاء عليه، أم تراه قال له هذا هو الوغد الذي نجح في إرسال اسرار تازمامارت إلى ابنته التي تكلم كل هذه الضجة في الإعلام العالمي؟ كنت مازلت غارفا في فك هذا اللغز عندما وجدت نفسي في الشاحنة بعد أن رفعتني أربعة تركيين ووضعوني بلفظ مثل طرد كتب عليه سريع العطب. لم أهتم لماذا لم يتركوني اصعد الأبراج، ربما كان ذلك بسبب قلمي المتفتحتين اللتين جعلتا حركتي متباطئة قيد معصمي الأيسر التي معصم أحد التركيين والأيمن التي يجري المعتقل. منعنا الكولونيل من انفي نامة ولو كانت اثينا، بعد ذلك جاء شخصيا لإعطاء التعليمات الأخيرة. بعد أن أركب معتقلي البناية / انتقلوا إلى الإخوة بوريكات بالبناية رقم 2. وقد كان التعب قد نال منهم فجاء لهم بالة خاصة لنقلهم بعد أن وضع مسحت على آلة حديدية تم الحلاق الجباب من الخارج. كانت الساعة تشير إلى حوالي التاسعة لأن المؤذن كان قد أذن لصلاة العشاء. بعدها مزقت السفارة الصمت الرهيب وانطلق هدير المحركات وغارت الشاحنات معقل المؤن الواحدة تلو الأخرى - وبدأت الرحلة الكبرى نحو المجهول نحو وجهة أخرى ولغز آخر.

النوم على سرير ناعم

سارت الشاحنات بسرعة محدودة على طريق غير معبدة لمدة طويلة قبل أن تصل إلى طريق المضل. وطوال هذه الرحلة الشاقة توقفت القافلة مرات عديدة، كان الصمت الرهيب والانتظار يزيدان

من قللنا. فيما بعد أخبرنا العديد من الرفاق انه كلما كانت الشاحنات تتوقف ويسمع صوت الاسلحة، كانوا يعتقدون بأنه الإعدام الشامل.

والحال ان هذه الأسئراحات كانت لأسباب أمنية واسلك طريق ثانوية، كما يبدو من الاهتزازات المتواصلة طوال السفر، مما زاد من الحنا وبلغنا الى الآتين والزنجرة رغم التعليمات الصارمة. شخصيا المتني مفاصلي وزاد الحما فلم يغمض لي جفن وشرد ذهني، لم استطع التركيز في ما سيأتي وإن التفتعت بلاجدوى ذلك. فما وقع قد وقع ومهما تكون الوجهة الجديدة ستكون الفضل من تازامارت، حتى المقبرة ستكون أحسن. وهذا مؤكد، لأن الكولونيل (ف) فاجا دلموغي وهو يزمر احتجاجا على الوضع المتعب لرحلته بسبب الحنبة في ظهره، فهدده بإرجاعه الى تازامارت إذا هو ظل على حاله. ويتضح من هذا ان (ف) الخبير بالامكنة يعلم انه لا وجود لمكان ايشع وانن من تازامارت.

عند منتصف الطريق اراد مدحت بوريكات ان يتبول فطلب الإن من الحراس لرفضوا. وبعد ان تعب من التوسل والآتين والاحتجاج والصراخ، لأن مشانته كانت على وشك الانفجار قرر ان يبول في الشاحنة، وعندما كان يحاول فتح سلسلة السروال حذره الحراس. وبما انه كان ممدا فبالتي فقد نهته الى انه قد يمسنى ببوله. قائلا: «حاول ان تجد طريقة أخرى، فقد مر عدان وهم يبولون علي». وقد فعت بهذا عمدا لإجبار الحراس على التصرف. وسرعان ما صاح به التركي «انتظر ساعطيك قنينة فارغة». احتج آخر، «إنها قنينةنا نتبول فيها، فاجابه الأول:

«لو تركناه يبول على الأرضية فسنزكعنا رائحة بوله. وعلى كل لقد احتج احد رفاقه، ولما سلمناه القنينة علق احدهما «انا متأكد ان بوله اكثر نكارة من بول ثعلب».

سار الموكب طوال الليل ولم يصل قبل فجر اليوم الموالي الى المكان المقصود الذي عصبوا اعيننا كي لا نراه ويظل مجهولا. كنا صباح يوم الآتين ١٠ شنتير، وكنت اقله للفزول لأنني كنت آخر من وصل بوره. اعطيت الأوامر لرفع القنود. ولما اطلقت يدي تنفست الصعداء، لقد تزامن رحيلنا مع اذن المؤذن وصاف وصولنا صباح الديكة، فقلت في نفسي «لعلها بداية طيبة».

امسك بركي بذراعي بلطف وخاطبني باناب جم: الآن جاء نورك ،
قف بهدوء ولا تخشى السقوط لانني بجانبك في الواقع كان هو
الذي حملني لان الارتجاج هديني . كان كل مرة يطلب مني رفع قدمي
ويعدد الاتراج التي ساصعد: يدانا يدرجين ، كلاهما مكان منبسط
قطعناه في خطوات قليلة ثم صعنا برجين آخرين ثم مشينا قبل
ان تصعد عشرة اتراج اخرى: كان ذلك هو الطابق الاول، تعالى صوت

فـ. الرهيب يشق الصمت الصباحي:

. ما اسعدنا

. الرايس محمد . وقد انطلقت انفاسي بسبب الجهد المبذول في هذه
المنقلات.

. صعود في الغرفة 1/2 .

قلت في نفسي هذا قال حسن، لانه قال .الغرفة، ولم يقل .الزناينة،
وما من شك انه مستشفي. طلب مني الحراس ان ابذل مجهودا
صغيرا وحدث الخطي، لكنني كنت ازحف مثل حلزون فاضطروا الي
حملي ووضعوني فوق سرير في غرفتي الجديدة. احسست بيدين
تفكان العقدة خلف عنقي لرفع النظارات السوداء الكبيرة، ثم تفكان
العصابة ونزعان قطعتي اللطن. لما فتحت عيني وجئت الرجل
الوسيم صاحب المنكين العريضين يبتسم في وجهي، ابتسامه
صادقة. خلفه واقف رجل كهل. ابيض البشرة يضع نظارات طبية وقد
سبك يديه خلف ظهره وراح يمعن النظر في بون ان ينبس بظلمة. كان
يرتدي بذلة برجوازية ويعطي الانطباع بانه رجل متعبا اعتقدت
انه الطبيب الرئيسي والحال انه كان .حسب ما قيل . الكولونيل
(س) المشرف على عملية الترحيل. انصرف، ولم اره منذئذ، وبعد
انصرافه حدثني الرجل الوسيم بقوله. هنا تحير المكان الذي كنتم
فيه. واحموا الله ان انقتم. ستلقون هنا علاجا جيدا وتغذية لائقة.
هناك كان الجحيم لقد كانت هذه المرة الاولى التي اراه فيها والحق
بـرافو : للمقاومة. سادك تراج . الى اللقاء. وكان ذلك بالاحرى
وداعا بل لقاء لانني لم اره بعدها.

بعد إغلاق الباب وجئت نفسي وحيدا في غرفة طولها 4 امتار
وعرضها 4 امتار. مهواة ومضاءة جيدا، مطلية بطلاء اصفر شاحب،
بعضباحين في السقف وصنوبرين ومرحاض وثلاث نوافذ تطل
على البهو وكوة دائرية قطرها 10). سنتمترا على الجدار المقابل من

اجل التيار الهوائي.

ولعل ما اثارني اكثر هو السرير الناعم الذي وضع فوقه لحافان جديدان ولغطايمان جديدان ايضا إضافة الى الوسادة التي حرمت منها في نازماتارت.

بعد ثعب السفر ووعذائه، تعددت على السرير لانام واننوق طعم الراحة. دون تفكير في الحاضر او المستقبل، تعددت واسترخت عضلاتي فاحسست بانني اركب موجة تحطني نحو الافق اللازوردي. احسست احساس صبي في مهده او شخص طال انتظاره لامينته. نمت نوما عميقا، ولانك لآن شعاع الشمس عمر عرفتني، لاحظت ايضا ان المصابيح ظلت مضاءة لانني لم اقم باطفائها بسبب انقطاعي عن هذه العادة لمدة عشرين من الزمن. بعد لحظات فتح الباب الذي لاحظت فيما بعد بانه بدون مقيض من الداخل ويقفل من الخارج بواسطة قفل وقد تم تلاؤه فظهر مثل باب غرفة فندقية.

دخل رجل يحمل طبقا في يده، كان شايا طويل القامة وسيما يرتدي وزرة زرقاء. وضع الطبق فوق الطاولة وخاطبني خذ فطورك. كنت اصاب بالغبوبية او اطلق صرخة هذا مستحيل، لا يصنق، فطوري كان يشمل كاس قهوة بالحليب، وقطعة خبز جيد وزبدة ومرسي وقطعة فروماج (البقرة الضاحكة) بعد ان التهمتته كله. نمت على الفور. مع بداية الزوال تكرر السيناريو ذاته حيث وضع الشخص نفسه طبقا يضم اكلا لم اصنق عيني عندما رايتنه. نسيت وضعي وخلصت نفسي في مطعم فخم، فارتيمت على الوجبة دون غسل يدي، ليس فقط لاني كنت جوعانا طاوي البطن بل لانني كنت نسيت غسل يدي منذ زمان بعد ان صارت الاظافر مثل شجيرات عروق نبتة. بعد ان تناولت السلطة انغمست مثل اكل لحوم والتهمت قطعة لحم البقر ثم الخضسر من بطاطس وجزر وجلبان ثم جاء نور الجبنة والباغورت والاجاص. لقد مضى علي عقد ان لم اشف لجليلي بهذا الشكل. لقد اكلت بسرعة مثل انسان بدائي لانهم ارابوني كذلك. عاد النامل، واخذ الطبق. اما انا فاستغرقت في النوم مجددا! كنت تعبنا لا محالة، لكني ايضا كنت اتفادي اي تفكير او تركيز، مستسلعا لتيار هائل يجرفني، حوالي الساعة الرابعة بعد الزوال جيء لي بقطعة خبز وبيضة مسلوقة وكاس شاي. بعد ان صليت وقرات القران حمدت الله حمدا كثيرا لانه انقذني من المعتل والماض علي من

بعمه. كان الوقت لحروبا عندهما بخل احد البركيتين وضغط على الزر
فانلأ والابنسامة تغلو محياه. الا تحب النور؟ اي لذة نجد في
الظلمة؟

بلى انا احب النور لكنني نسيتُه منذ مدقا
رد علي بقوله: ائن المعتمةا فرصة. وعندما تذهب الي النوم اضغط
عليه مجددا. ثم الخلق الباب. المعتمة الفرصة لكي امشي قليلا
مسنندا الي الجدار واستانس بنور الكهرباء. كنت اري الاشياء
مضبية وكانت نطق سوداء تفرالص امام عيني كما لو انها سابحة
في الهواء. كنت انتقل بصعوبة. تسارع لهائي فكنت استريح بين
الخطوة والاخرى لانهلى بلعم الاشجار وراء الزجاج سبحان مبدل
الاحوال! اذ ان الديكور هنا. خلافا لتزامماتر حيث كل شيء و سخ
ومظلم ومقرز. بيكور نظيف ولاع اضافة الي نهوية وانارة راعنين.
طوال مقامنا كان الحراس نزيهين لا يشي سلوكهم باية عدوانية.
لكنني لم اكن مطمئنا واحشاط من كل شيء. فصايخ السمع لكل
الاصداء والاصوات في الخارج. كنت انمسي وانا الكرفي كل
الاحتمالات والمفاجات غير السارة التي قد تكون في انتظارني. او كنت
ارتاح وانا افكر في هذه الحرية غير المؤكدة. فاذا بالمؤنن بخرجني
من شرودي. كانت الصلاة صلاة العشاء ومعنى تلك ان الوقت متأخر
وربما لن يكون هناك عشاء. ومن الاضل ان انهب للنوم. ابيت
الصلاة واطقات النور واسرعت نحو السرير. تلك اول ليلة لا انام
فيها على البلاطة. وقد مرت عشرون سنة حرمت فيها من احساس
مثل هذا. تمددت ووضعت راسي على الوسادة القطنية الناعمة فكنت
اسكي. ومثل طفل كنت اتقلب لالتذذ بطعم الغطاءات الناعمة على
جلدي المتجعد! اه لو كان لي مثل هذين الغطاءين بتزامماتر. لكنت
قاومت اكثر وتمعتت عذايا الل.

احسست بانفعاش وبفء الالطية الناعمة. فاستغرقت في نوم عميق.
كنت متاكدا اني لن اري كوابيس هذه الليلة لكنني استيقظت بالرغم
عني. عندما فتح الباب واشعل الضوء. كان لي، والفا امامي يلحمة
وبمه. مرتديا بيجاما وماسكا بين اصابعه سيجارا طويلا نظر إلي
وقال هل نعت بهذه السرعة؟ طيب استيقظ واخلع كل هذه الملابس.
سوف نعطيك غيرها. ستبلى عاريا وسنعطيك جلابة لتستر عورتك.
استعد إذا للاستحمام.

احد رجال الدرك المرافقين له، ساعدني في خلع ملابسني والبسني الاخر الجلابية، بعدها طلب مني التوجه الى غرف الاستحمام حيث ساعدوني على خلع الجلابة. الطبيب «مبروك» راقب بنفسه حرارة الماء، فيما سارع ممرضان اجلساني فوق كرسي، حيث اخذا في دعكي بالماء والصابون وغسلا شعري بالشامبو، بعد ان انهيا عملهما ساعداني على تجفيف جسعي بالهوطة البسني التركيزان الجلابة وطلبنا مني الاسراع بالتوجه الى غرفتي حتى لا اصاب بنزلة برد.

سألني تركي اخرا، الا الفضل ان يحملاني الى هناك مضيغا، سيكون ذلك اسرع، بشرط ان لا يسبب لك اي اذى، قبلت الاقتراحهما فحملاني على اترعهما القوية، واسرعا الى الغرفة هناك، كان بانتظارني سكرتير «ف» كان في العقد الرابع من عمره، طويلا، نحيفا ومائلا للسمنة، وكانت عيناه العسليتان الصغيرتان تفلت شرارة وقسوة، اشار الى السرير قائلا: هذه ملابسك ارتديها بسرعة، وساعدو بعد قليل فوق السرير وجدت جميع تلك الاثيياء التي كانت ممنوعة في تازمامارت، بيجامتين واحدة زرقاء والاخرى حمراء، فوطاة، شيشب صابونة صغيرة، معجون اسنان وفروشاة، تذكرت سعودي الذي كان يقول لي: «الشيء الوحيد الذي اتمناه عندما اصبح حرا ان انتلف اسناني بمعجون اسنان، كما وجدت طاوية لتلقي راسي من البرد، تلك لان اغلب الرفاق كانوا قد فقدوا شعرهم بعد كل هذه السنين.

عاد السكرتير، حاملا معه صندلين وتبائن ومنديلين لم استطع ان اخفي ابتساما عندما شاهدت كل ذلك، لكنها كانت ابتساما مشبوهة بالمرارة والتفرز والسخرية، ارتديت الملابس وانا اقول بصوت خافت: «الآن فقط امرتكم اننا بشر».

عندما كنت اتاهب للإسترخاء فوق السرير الناعم، هل «ف» فجأة والقي نظرة على المكان للتأكد ان كل شيء على احسن ما يرام وسألني: هل استحممت؟ نعم سيدي، اجيبته بطريقة متعمدة كأنني لم اعرف انه تركي، وان كل هؤلاء الرجال الذين كانوا يرتدون سراويل «سالوبيط» زرقاء والذين كانوا كلهم من قوات الدرك مجهولين بالنسبة لي.

طيب، اضف «ف» لحدا سيزورك الطبيب والحلاق، لكن لانتم الآن سناني لك بالعشاء، بالمناسبة كيف وجدت وجبة الغداء هل رافقت؟ اجيبته بصراحة: اجل لك كانت جيدة، غامر الغرفة وبعد لحظة سمعته يعطي بعض الاوامر، ولم تمر سوى لحظات قليلة عندما تم احضار

وجبة العشاء التي لم تكن تفل جوية عن وجبة الغداء. طاجين بلحم العجل. قطعة من الجبنة، دائون، قطعة موز، وكان الخبز مصنوعاً من الدقيق الممتاز.

كما متلليين وساعلم بعدها ان «له» كان يتناول نفس الوجبة، وكذلك الأطباء ورجال العرك منذ ان التحقت بالجيش، كانت المرة الأولى التي ارى فيها عونا صغيراً يأكل من نفس الطعام الذي يتناوله كولونيل كما كانت تلك المرة الأولى التي افضي فيها ليلة، نون كوايبس مرعبة. في نازامارت كنت ارى نفسي وقد تحولت الى عصفور صغير نظاره مجموعة من الحيوانات المفترسة او الماعى الكوبرا، وغالباً ما كنت اصحو في منتصف الليل مرعوباً والعرق ينصبب منى. معتقدا اننى سجات باعجوبة من نجابة كانت ستوسنى.

في نازامارت وخصوصاً خلال فصل الشتاء كنت اضطر للاستيقاظ مرات عديدة في الليلة الواحدة للتبول في المراض او في قنينة بلاستيكية لكن هذه المرة نمت مله جفنى ولم استيقظ إلا بعد ان طلع الصبح.

في ذلك اليوم 17 ستمبر، ولأول مرة منذ تلك الثلاثة البعيد. 7 غشت 1971 نظفت لأول مرة اسناني بمعجون الأسنان والفرشاة، وانا افكر في كل هذه المدة التي ضاعت منى هباء. وابتداء من ذلك اليوم اصيحنا نحصل في وجبة الفطور على جبانية من الشوكولاتة، بيضة مسلوقة وقطعة من الخبز، بعد ذلك وفي الساعة التاسعة

بالفرقة طبيبان مرفولين باربعة مرضين مجهزين بجميع الأدوات التي يحتاجون إليها وذلك للفحصي. كان الليوتنان - الطبيب المساعد للقبطان الطبيب «م» شاباً في مقتبل العمر، نحيفاً، اسمر البشرة ويجعل نظارات طبية. اثار انتباهي طبيوبته وإنسانيته ولباقتة. كما كانت طريفته في التحدث تعكس حساسيته المفرطة رغم محاولته إخفاء ذلك.

بعد ان طلب منى خلع جميع ملابسى والتعمد فوق الطاولة، بدأ الفريق الطبي في مباشرة مهمته النبيلة. احدهم الذي فحص الضغط لم يستطع ان يكتم استغرابه وحيرته: كان الضغط جد مرتفع: 2.1 - لم يصدق المرضي ذلك فاعاد نفس العملية، لكن النتيجة كانت نفسها. بعدها تم فحص درجة الحرارة: 38.7. واصلاً عملهما بفحص جميع اجزاء جسدي. الرئتان - القلب وما بين الإليتين، واستمر ذلك ساعتين كاملتين قبل ان يعطى الطبيب «م» توجيهاًه لأحد المرضين بصوت

مرتفع والذي سجل المعلومات التالية: ضغط جد مرتفع: 23 ثلاث حبات من ادالات في اليوم. إتهاب رئوي حافتين من المضاد الحيوي فلوكسابين كل يوم صباحا ومساء. نبض سريع: حبة من رسيوردان 11 ملغ توضع تحت اللسان. بالنسبة للجهاز الهضمي، كيس اكتابولجيت في الصباح واخر في المساء. بالإضافة إلى كيس فوسفالوجيل في الظهيرة. اما بالنسبة للروماتيزم، حصة يومية من التليك بواسطة مرهم الجوبان، والأشعة ما تحت الحمراء وبالنسبة للعينين، قطرة في الصباح والأخرى في المساء. ومن الضروري إجراء عملية جراحية لاستئصال الغدة الدرقية.

اعطى الطبيب تعليمات أخرى تلقي بوضع تقرير عام عن حالتي الصحية. تحاليل للدم والبول وفحص بواسطة الأشعة. كما اعطى تعليمات دقيقة لأخضع لنظام حمية خاصة وعدم تناول الملح. وبعد ذلك في الساعة الحادية عشرة، غادر الفريق الطبي الغرفة لواصله جولته على باقي الغرف.

كنت استطيع ان اخمن مدى استغراب واندهاش الفريق الطبي عندما سبقوم بفحص بعض الرفاق الذين اصيحت اجسامهم في حالة يعجز اللسان عن وصفها. في الثانية عشر زوالا قموا لي وجبة بدون ملح وابتداء من 18 شتنبر 1971، اصبحنا جميعا تحت المراقبة الطبية. كان الاطباء قبل كل وجبة اكل، يراقبون حرارة وضغط كل واحد منا قبل ان يوزعوا علينا الانوية التي كانت تختلف حسب كل حالة وسقويات وفيتامينات متشابهة بالنسبة للجميع. ثم اخذ عينات من الدم وارسلوها بسرعة إلى مختبرات التحاليل بالرياض. ويوم الخميس 19 شتنبر سيزورني الحلاق، الذي على عكس عادة الحلاقين، لم يكن ثرثارا، لانه كان ايضا تركيا. وفي اليوم التالي سياتخذ النظام طابعه الروتيني. فقد ظلت وجبات الأكل اللطيفة إلينا جيدة، وكان الاطباء يتكلمون بإعطاء التوجيهات اللازمة لتقديم وجبات صحية ولذيذة. وفيما قل ،ف، يمر على الغرفة مرتين في اليوم ليراقب سير الأمور. كان مطلعا على كل ما يحدث، حيث سألني في نفس اليوم:

لماذا انت الوحيد الذي له ضغط مرتفع؟ لا اعرف سيدي، لكني الوحيد الذي اعاني من وجود غدة درقية، ربما كان هذا هو السبب، اجبتة. بالنسبة للغدة الدرقية، ستجرى لك عملية جراحية فيما بعد. لقد اضبرني المعرض المكلف بالتدليك بانك لا تستطيع الفرغصاء ولا

الجلوس، فكيف كنت تفعل هناك؟

هناك قضيت العشر سنوات الأخيرة، إما ممدداً فوق البلاطة التي كانت بعلو 111 سنتيمتراً، أو كنت ألقاها وألقاها. فلم أكن أستطيع أن اجلس أو اتعد على الأرض، وكنت الضي حاجتي وألقاها.

عندما سمع ذلك توجه إلى الدركي الذي كان يرافقه والذي كان يشبه هرقل، انهب وات بمقعد ليقضي حاجته في المراض مرتاحاً وبسرعة ذهب العملاق فاحضر كرسيًا خشبياً ووضعهُ فوق كرسي المراض. طلب مني «له القيام بتجربة للتأكد من أن كل شيء على ما يرام، بعد ذلك سألني إن كنت محتاجاً لشيء آخر، فاجبته على الذو اني اريد نسخة من القرآن من الحجم الكبير. في اليوم التالي عاد محملاً بثمانين وعشرين نسخة ووزعها على الجميع.

يوم السبت 21 سبتمبر، قررت القيام بعملية استكشاف للمكان. منذ اليوم الأول لوصولي، حاولت أن اتعرف على المكان الذي حملونا إليه، وتلك بالنظر إلى زجاج النوافذ، لكن للأسف لم أر سوى صفوف حمرات لبعض المنازل باتجاه الشمال - الشرقي، أما باتجاه الشمال فقد كانت أشجار باسفة تحجب الرؤية. فلم تلتق سوى الجهة الجنوبية. لكن للأسف لم يكن هناك سوى ثقب صغير خاص بالتهوية في الركن الأعلى من الحائط وضعت الكرسي الخشبي فوق المنضدة، واعتمدت على المغسل للتسلق. وعندما جلت بنظري رأيت بانورا ما معتادة. بما انني كنت اناوجد بالطابق الثاني، كانت زاوية النظر تتيح لي إمكانية تحديد الموقع. فتأكدت اننا كنا نتواجد بالمدرسة العسكرية السابقة باهرمومو، والتي أصبحت «رباط الخير» منذ 1973، اي المدرسة التي كنت قد درست فيها مدة طويلة. لقد كنت اعرف المنطقة جيداً ولا يستطيع احد حتى لو كان «له» نفسه ان يؤكد عكس ذلك. بعد أن تركت موقع الرؤية، توجهت صوب النوافذ لمشاهدة القرميد الأحمر الذي يغطي البناية «أ» لقد كنا إنن مستواجدين بالبناية «ب» التي كانت تطل على «وادي زلول» المرتفعات المشجرة لـ «العزيب» و «البرج» امام قمة «بو إبلان» بالأطلس المتوسط بالمنطقة التي تقيم بها قبائل «بني وراين» و «بيت شفروش» و الذين شاركوا رفقة المارشال «جوان» والمارشال «جيوم» في معركة «مونتكاسينو» بإيطاليا.

عندما جازوا بنا إلى هنا، كانت رائحة الصباغة تملأ المكان، وعمليات تغيير حديقة مست هنسسته. وبعد أن تأكدت اننا كنا باهرمومو، ارتك

ان العنابر تم تحويلها الى غرف صغيرة. ولهذا السبب كانت هذه الغرف اطول والى عرضا من المعتاد، وكانت العنابر تحدد الكثير من الضجيج. كان واضحا ان العمل قد تم إنجازه بسرعة من اجل هدف خاص. فتذكرت ما حدث بتازمامارت ثلاثة اشهر قبل ذلك منها عزل الطيارين عن المشاة وترحيل اربعة ناجين من البناية الأخرى. وهكذا لقد تاخر ترحيلنا الى اهرموغو نظرا لأن الاطفال لم تكن قد اكتملت بها بعد. في تلك اللحظة عانت بي الذاكرة الى الوراء قبل 20 سنة وشهرين وخمسة ايام، عندما غابرت هذا المكان في صبح صيفي جميل شابا وسيما مليئا بالحياة والامل، لاعود إليه وقد هزمت قبل الاوان والامراض تنخر جسدي بدون امل بدون مستقبل وبدون حرية. والحقيقة لقد كنت الى حدود تلك اللحظة اجهل ما ستأتي به الأيام القادمة. كنت متاكدا فقط من شيء واحد، اننا كنا كبضاعة معروضة للبيع، تنتظر نتائج المفاوضات ليتم تسليمها او الاحتفاظ بها لوقت اطول او تخزينها الى الأبد.

كان للخريف تأثيره الواضح على احاسيسي واصبحت رومانسيا. كنت افضي النهار في مشاهدة الاتجار الباسقة عبر النافذة، واطل عبر التوابع الذي اكتشفته لرؤية السماء الزرقاء ورحلات السحب التي لا تنتهي، كما كنت اشاهد نوار العزيب، والقرية سيدي يحيى، التي تحيط بها اشجار الزيتون من كل جانب فيما كانت المناطق المحيطة بولدي مزلول، تسيطر لدي تكريات مؤلمة. عندما كنا في ذلك الزمن نقوم بالمنورات. من هناك كنت ارى تلك الأماكن التي كنا نقضي فيها اولقاتنا ومجاري الماء التي كنا نرتوي منها... كل تلك التكريات التي محتها سنوات تازمامارت الطويلة عانت هكذا فجأة وشكلت بالنسبة لي فرصة للاستمتاع بأحلام سعيدة، لأن وجود طء كان يعني اتخاذ البحر الكافي والاستعداد للكوابيس.

كان كل شيء طبيعيا، ولم يطرا اي تغيير على وجبات الاكل والعلاج، وكان سلوك رجال التمك معنا عاديا. لكن طء ظل محافظا على مسافة بينه وبيننا، وكان من الصعب معرفة اي خبر عن طريقه.

منذ أن جازوا بنا الى هنا، ظل نفس الشخص يقدم لنا وجبات الاكل، فيما كان رجال التمك يواصلون دوريات المراقبة بركان الممرات. بينما الآخرون الذين يحملون رتبا اعلى، كانوا طوال الوقت يعرون بالقرب من الغرف. كان «النابل، الطويل القامة والوسيم واللبق هو الوحيد الذي

يمك إننا بالاقتراب منا، كان يلبس بذلة زرقاء وحذاء من الجلد وساعة يدوية ثمينة وخاتمًا جميلًا. وهو ما الأثري. وعلى الخصوص من سلوكه الذي كان ينبغي أنه يقوم بعمل لا يرتاح له، كنت كلما حل بالرفة، أتل أراقب تصرفاته مما كان يزججه، وكنت أستغل أية فرصة لتبادل الحديث معه وكان يرحب بذلك، وقد فكرت أنه جاء أصلا من أجل هذه المهمة: التحدث إلينا.

يوم السبت 21 ستمبر، بعد أن قدم لي وجبة الأكل، بانر بالتحدث إلي، وجه إلي سؤالًا «تريكم، بعد أن صوب نحو ن ظرات حادة» إن لك طريقة غريبة في النظر إلى الناس، لقد لاحظت أنك تنظر تراليني طوال الوقت كما لو كنت تعرفني قبل الآن أو أنك تريد أن تبوح بشيء يزججه. اجبته بهدوء وأنا أنظر في عينيه: أنت في الحقيقة ضابط وتختفي في زي نابل.

. يبدو أنك مفرم بالروايات البوليسية، هل أنت من هواة التشويق؟

. لا، لكن لي حاسة سادسة قوية.

. لقد خانتك هذه المرة. أراك لثلاثا.

الكرسي المتحرك ..

الغرب عيد الميلاد النبوي، وأصبح الانتظار مطلقا أكثر فأكثر. وكما انفتح بابي، أرى رجلا يرتدي لباسا أزرق يشير بإشارات ودية ويبتسم لي. هذا الأحد، 22 ستمبر، فعل كل ما يوسعه ليصير لي رسالة ميمية. وضع أصبعيه على كتفه، ثم رفع ذراعه ليشير إلى إدارة الغرب أي الرباط فهمت أن أحد الليونونونات ذهب إلى الغرب فيما بعد فهمت أنه يريد أن يقول لي أن الليونونان الطويل ذهب إلى الرباط أي تم إطلاق سراحه يوم الأحد، تماما قبل نهاب الملك إلى الولايات المتحدة الأمريكية في زيارة رسمية.

يوهان بعد ذلك علمت أنه تم تحويل زوج الأمريكية، أولا إلى السجن المركزي بالقنيطرة ليقتضي الليل هناك من 22 إلى 23 ستمبر على فراش وضع عمدا في القهوه أمام مكتب المدير. في اليوم التالي، أعلنوا إليه العفو الملكي، ثم التناوه إلى عامل الضميسات حاملا في يده بيان

الخروج الذي كتب فيه المدير «اطلق سراحه بعفو ملكي يوم ١٢ شتبر ١٩٦١» كان المعتقل لم يفتار هذا السجن منذ تونبر ١٩٦٢. إنن، لم يكن معتقل نازامارت سوى شيخ جحيم عنمش في ارواح مليلة بالهنيان. المدير محمد شبت يوقع على تصريح بالإفراج عن شيخ لم يعرفه ابدا. ترك الطويل هذا المسمى سجننا محاطا برجال الدرك. ثم التحق بعائلته عن طريق السلطات المحلية التي اعطته اوامرها الصارمة بعدم مغادرة الحدود الترابية للالقيم. اما بالنسبة لجواز السفر الذي سيسمح له باستعادة زوجته وابنه في الولايات المتحدة الأمريكية، فبتلك القضية اخرى. المخزن يحب كثيرا الكتمان. عيد المولد النبوي يمر بشكل عاد. وقد جعلوا إلي لحافا ثالثا لأن «ف» لاحظ اثناء لحظات سروره، انفي اسهل بقوة بالرغم من المضادات الحيوية. انزلوني الي الطابق السفلي ثلاث مرات وعرضوني على جهاز فحص المرئتين لأن النهابي الشعبي كان حادا جدا.

الطفس الرتيب لحياتنا اليومية كان يتابع سيره العادي بعد العطور، والملاجات، وتنظيف الامتعة من طرف رجال الدرك، بعض الرفاق ينشون الاحيان، والبعض الآخر يرقل الغران، اما انا، فابدا في تعريباتي الرياضية الصعبة لانفا قبل قدوم الملك، فجاءت. بداوا في منح ابوابنا، الامر الذي لم يكن عاديا الا في لحظات الاكل. كان الصمت مطيفا. اصغت السمع لأعرف من اين تأتي كل هذه الاصوات الغريبة التي تحدث كثيرا من الضوضاء. كان كلاما مقطوعا بموجات من الضحك، غرباء يتحملون ويمزحون. لم الفهم ماذا كانوا يقولون، ولكنهم كانوا فرحين. دخلوا الي الغرفة رقم ١٠٠، التي كان فيها علي بوريكات. خمس دقائق بعد ذلك خرجوا ليدخلوا الي جاري غاني عاشور، ظلوا هناك بضع دقائق. ولم استطع ان اكشف رموز هذه المحادثة.

كنت مستعجلا لمعرفة هدف هذه الزيارة المبالغتة. واخيرا جاء دوري. اول من دخل هو «ف». السيكار في اليد وعلامات المرح يابية عليه. كان يبتسم ويمزح مع احدهم، ثم تبعه ستة اشخاص، من بينهم اثنان كنت اعرفهما من قبل، الطبيب مبروك ومساعده. بعد استراحة قصيرة، كانوا يحاولون فيها التركيز وانتظار المتأخرين، فنبطني «ف» بأسئلة قبل ان يطلعني على الهدف الرئيسي لهذه الزيارة المبالغتة. «إنن، كيف الحال؟ هل تاكل جيدا؟ هل تنام جيدا؟ هل تعالج جيدا؟» .

«نعم ياسيدي». اجبت حزنا. «هل حصلت على المصحف الكريم،

ولحاف إضافي". نعم يا سيدي، أجبته.

«ترسي المرحاض مريح»، «نعم ياسيدي»، «طيب». قال متابعا. الآن انصت الي جيدا، لقد عفا عنكم كلكم صاحب الجلالة نصره الله بمناسبة عيد الولد النبوي. ملكتنا متسامح، وقد سامحكم كلكم، وبدما من هذه اللحظة، اعتبر نفسك ضيفا، لم تعد سجيننا. انس محنتك، لقد اعطيت او امري للظل الابواب مفتوحة بشكل دائم. لم يعد لدينا الحق لحبسكم. اننا نستطيعك هنا للسهر على علاجكم. لقد ارسل لكم سيدينا حفظه الله اطباء مختصين لعلاجكم. ما اطلبه منك هو ان تنسى الماضي، وان لا تفكر سوى في الاكل والنوم والعلاج لتخرج في اسرع وقت ممكن. خروجك من هنا يرتبط بسرعة شفائك. فلما إن تشفى حتى «اطلك لتلتحق بمنزلك. لاتنس ان اطفالك ينتظرونك...»

بينما كان «ف» يتحدث كنت كالنوم، انصت بون انتباه. احسق في الفراغ بون ان اري لا محدثي ولا المساعدين الاخرين. كنت مصعوقا بهذه الكلمات المنغمة التي تعطرق بيون انقطاع مخي. لم اكن انتظرها. فاجاني «ف». لم اكن مستعدا لهذا النوع من المفاجآت. لم يكن وجهي يحمل اي تعبير عن الفرح، سحنتي الكلبية ظلت كما هي بعد إعلان العفو. لاحظت الكل غياب رد الفعل من طرفي. كان يمكن لرجل عاد ان يظهر لا شعوريا علامات الرضى. بقيت جامدا، لانني لم اصبح بعد رجلا عاديا. لايفكر الهارب او الفرار من الجحيم في البداية سوى في شيء واحد: ان لايعود الي هذا الجحيم، ولايهم بعدها ان يكون حرا او لا. وقد عرفت ذلك اياما بعدها بواسطة الطبيب النفسي الذي كان حاضرا اثناء المحاكمة، والذي كان يسألني بيون انقطاع اثناء كشوفاته وزيارته الليلية عن السبب لم بقائي غير مبال وغير مهتم في اليوم الذي اطلقني «ف» عن نهاية شد الي؛ لم اجه بصراحة. وهو، للاسف، لم يصدمني مطلقا. تحدثت عن نا ، بتفصيل فيما بعد.

عندما اعلن «ف» العفو الما، ي، كان ينتظر ربما ان انقوه بوضع كلمات. وحين لاحظ تصرفي الغريب ؛تهولي، انصرف متبوعا بمساعديه. وفي اللحظة بالذات رايت - في حديث ودي مع المكلف بالاعتناء بنا الذي كان يرتدي هو الآخر ربا مدينا، كان الامر يتعلق باللوثان حليمي، الرجل المساعد الذي كان يحظى بثقة «ف» الرهيب. وقد تاكدت من هذا الامر عندما سألت مرؤوسيه. كانت مهمته هي ان يتألف معنا وان ينجح في كسب ثقتنا وسودتنا من اجل الحصول على معلومات تخص

اتصالاتنا السرية من داخل نازعاتنا.

ومع مرور الوقت ، كان مستعدا لضماننا من أجل كشف علاقاتنا الضيقة التي كانت تربطنا بعائلاتنا.

وقد وضع العفو الملكي الآن حدا لمهمته. ثم انه في منتصف النهار، عندما كان احد التركيين يأخذ مكان تركي آخر، كان هو قد شرع في إعطاء الأوامر لبعض التركيين المساعدين. وفي اليوم الموالي بدأ المتخصصون في القيام بزياراتهم الطبية. تقدم مني لبطان اسمر اللون ونو شعر نهبى مختص في امراض القلب. فحصني بعناية وكذب لي وصفة بواء طويلة. تلاء لبطان آخر طلب مني ان اطلع ملابسي ثم فحص صدري وظهري وطلب مني ان اسعل بقوة. في النهاية اخبرني بانني اعاني من التهاب صدري مزمن. وامر رئيس المرضيخ بان يحقنني مرتين في اليوم طيلة شهر. وقدم لي كميات كبيرة من المضادات الحيوية. وقد كانت كل تغلاتنا الي الدوش والى إجراء التحليلات او الي طبيب العيون او طبيب الاسنان تجري بنوع من السرية التامة ومحاطة بتدابير أمنية مشددة. كنا دائما نرتدي جلابيبنا ونغطي وجوهنا حتى لا نرى شيئا ولا يرانا احد. كنت انتقل بواسطة كرسي متحرك يحمله اربعة تركيين بصعوبة بالغة صعودا او نزولا. وخلال عرضنا على الأطباء كانت نلقل جميع ابواء المر ويثم التاكيد من عطائنا بواسطة رجال الدرك. ورغم ان ابواب إقامتنا كانت مشرعة على الدوام، غير انهم كانوا يمنعون عنا منعا كليا الاقتراب منها. وكانوا يفحصون وزننا على رأس كل اسبوع.

وبالفعل، كان وزننا يتزايد بسرعة كل يوم. كان مفه بملك قوة سحرية تجعله يهزل او يسهن الناس بسرعة مذهلة في زمن قياسي.

وحين تم عرضي على الطبيب المختص في الروماتيزم، وفحصني بدقة بالغة، لاحظ وجود تورم حاد في المفاصل والعضلات، وانغفاخا للمناطق الحساسة، كما لاحظ ان اصابع الرجلين شبه مشوهة فضلا عن تورم المفاصل والركبتين والرجلين، ولسر ذلك بانني حين كنت ممدا لدة طويلة ، لم اكن استطيع رفع ساقي. وهكذا طلب مني ان اجلس صريعا، على الأرض الشيء الذي كان مستحيلا تماما بالنسبة لي. وعندما حاولت ذلك بقيت محصورا وعاجزا عن التحكم في بعض اعضائي. وهكذا قرر الطبيب اخذ بعض الصور للركبتين ولحوض ظهري وامر بوضعي فوق الكرسي المتنقل نظرا لإصابتي الشديدة

بالرمانيزم. فقد كنت امشي مقوسا مثل غوريلا هرم لم يعد يصلح لشيء، او مثل دب مصاب بتعفن كلوي. وكنت انقل بالكروسي المتحرك لإجراء حصص التليك بالاشعة ما تحت الحمراء، او لإجراء الفحوص الطبية والتحليلات. وشيئا فشيئا أصبحت زيارات الأطباء المتخصصين امرا مألوما. وقبل كل وجبة كان المرضون يوزعون علينا الاقوية والمقويات و الفيتامينات بكميات كبيرة. وقد كانوا يتخموننا بعادة الكورتيزون حتى تنتفخ وتنبو بمظهر مقبول وبالفضل. فان الكورتيزون فعل فعله، فضلا عن التغذية الجيدة التي ربت الينا تقاهنا المتقلدة في جحيم السجن. وقد نالت الوجبات التي كانت تعد لنا إعجابنا وكنا نتناولها باشتهاء. ومن حين لآخر، كان يزورنا الحلاق لخلق لدينا، ورغم تدخل «ف» فقد ابي رهيقتنا المتعصب مجوطي ان يخلق لحيته الجميلة محتجا بكون الاسلام يفرض ذلك، وانه من واجب كل مسلم حقيقي ان يحافظ على لحيته. وكان الليونتان بوعبيد، طبيب الاسنان، وهو رجل اشقر نو قامة قصيرة وعينين صغيرتين ضاحكتين وويوتين، يمر في مناسبات عديدة لخص اسناننا التي اكلها النسوس. كما وضع لائحة تضم اسماء الذين يتعين عليهم وضع طاقم للأسنان، او الذين عليهم فقط طع بعض الاسنان ومواصلة الدواء. وقد حاول اطباؤنا، الذين كانوا واعين بشهور صحتنا ونفسياتنا ومعنوياتنا، إنقاذ ما يمكن إنقاذه في الرب وقت ممكن. حاولوا اصلاح ما لا يمكن اصلاحه. وقد بنلوا فعلا جهودا جبارة في هذا الاتجاه. ونتيجة لارتفاع ضغطي، لم يستطع طبيب الاسنان الفتاح الاسنان الفاسدة، علاوة على الحمى التي دامت لمدة طويلة. بعد ذلك جاء نور التحليل النفسي الذي تكلف به الكومندان فجري. ولم تكترم زيارته بوقت محمد لكي لا يربكنا. وكان في الغلب الاحيان ينتهز فرصة مرور «ف» لمراقبته. لكنه جاء في احد الايام مساء بمفرده ليتجانب اطراف الحديث معي بهدوء:

مساء الخير، ألم نتم بعد؟

لا ياكتور. لم اعتد بعد على هذا النظام الجديد. يلزمي بعض الوقت لضبط استعمال الزمن اليومي

هل كنت تعيش لحظات من الأرق هناك؟

لقد أحدث السهر الكثير، خلخلة في طريقة نمومي

هل كنت تقوم بأحلام مزعجة او كوابيس؟

نعم، في مناسبات كثيرة

ثم طلب مني ان احكي له احد هذه التوابيس، فروييت له اكثرها ترمدا:
كنت ارى دائما في احلامي انواعا من الحيات الخطيرة والوحوش
الضارية كما كنت اراي مقطوع الراس، وراسي وحدها تمشي على
الطوار بجانب الطريق. وحلمت انني اغرق لو ارسي داخل صحراء. وفي
غالب الاحيان كنت احلم انني اخلق عاليا او اعرب من جحيم السجن
منحديا جميع العظبات والحراس..

حدثني عن الفطع كوابيسك

كنت مقيدا من طرف مجهولين الخلونى ورموني داخل حفرة مليئة
بالحيوانات المتوحشة. وعندما احسست انيابها تعرق جلدي، ارتعدت
فرائصي، واقمت مذعورا اصرخ وانا اتصيب عرقا.
هل هناك احلام احزنئك

نعم، كل الاحلام التي كنت ارى فيها اسرتي وابنائي. وقد حدث ان
استيقظت في منتصف الليل، وحين اكتشف انني وحيد داخل زنزانتي
وبعيد عن ابنائي، كنت ابكي في صمت الى الفجر.

اعتقد الآن انك لا تقوم باحلام مزعجة.

لا يانكتور.

الاحظ انك حزين، لقد انتهت معاناتكم الآن بفضل العفو الملكي.
ينبغي ان تفرح وتنسى الماضي، لكنني سرعان ما اجبت:

لا يانكتور، لقد اصبح الماضي جزءا لا يتجزأ من وجودي، لا
يمكنني ان انكره، والا سوف المنطع جزءا مني ولطعة من جسمي.
الفضل المعانة على ان البلى يتشويه حياتي. فداخل هذا الماضي الحزين،
هناك مرحلة شباب ضائعة الى الابد. اجد فيها الحنين اليه، كما ان هناك
منوارا محطما بسخافة. وفي هذا الماضي نفسه يوجد مستقبل غامض،
واقبه مصدر توملاتي و ملائي.

بعد ذلك اضاف الكومندان فجري قائلا:

ازيد ان اطرح عليك سؤالا محمدا، لاحظت ان خبر العفو الملكي لم
يحرك فيك شيئا، بلقيت غير مكترث ولا مبال . ترى ما هو السبب،

ستعتبرني رجلا ،احمق، ومع ذلك سوف اجيبك، لقد كان اصغبي
الصغير، كما يقولون الفرنسيون بخيرتي . بانني لست مغنيا بهذا
العفو الملكي، فانا مازلت معتقلا ولن يفرج عني.

انا متأكد من ان مخاطبي قد انهله جوابي، غير انه تصرف كما

بتصرف عالم نفس حكيم، وتظاهر بعدم الانتعاش وبعدم الاكتراث لما أقول. ثم واصل أسئلته قائلاً:

• أرى أنك تتكلم بنوع من اليقينية والثقة في النفس. أمازلت والقها تحت تأثير هذه الكوابيس التي ترى فيها نفسك وأنت تطير دون أن تصل إلى وجهة محددة، أم لأنك محكوم بالمؤبد؟

كلا، كلا، ليست هذه هي الأسباب الحقيقية، لكن ما يمكنني قوله لك هو أن المخزن لا ينسى أبداً ولا يفعل أي شيء، وسرعان ما غير مجرى الحديث قائلاً:

• كيف حال رجلتك؟

• في تحسن مزايده.

• أمازلت تسعل كثيراً؟

• لا. قلص الأمر عما كان عليه في السابق.

• حسناً، سأودعك الآن وسأعود بعد أسبوع، لكن لا أحب أن أراك جالسا فوق هذا الكرسي، هل تعني؟

• عليك بكتور، ليلة سعيدة.

فعل أن يخرج التفت قائلاً:

أه، فعل أن اتسي، غدا سأبحث لك بنوعين من الدواء المرص تقتاولها في الصباح، وقلطرات في المساء قبل النوم. تصبح على خير.

وحين عاد فيما بعد لم يجد الكرسي المتحرك بالفعل، لكنني كنت اعتمد على عكازين، أنه تحسن ملحوظ، وقد كانوا ينظفون ملابسنا كل أسبوع في المصينة، ويغيرون الخطية السرير كذلك. زارنا «ف» رفلة كاتبه ليطلب منا عناوين أهلنا، وذلك لأن البلاد، حسب قوله، تغيرت كثيراً، وأصبحت القرى منا كبيرة. ولهذا فإننا قد نثبه إذا خرجنا لوحدها. فمن اللازم أن يحضر أحد من أفراد عائلتنا لصاحبنا يوم مغادرتنا. بعد ذلك بايام قليلة جاء الخياط ليأخذ مقاساتنا، من أجل صنع معاطف وسراويل لنا، كما نكلف السكرتير بأخذ مقاسات الأحنية. وفي الصباح جاء نور المصور من أجل إعداد صور لأغراض إدارية.

وقبل سجن المصور، وزعت علينا بدلات رياضية متشابهة. كنا في الأسبوع الثاني من شهر أكتوبر، عندما بذل علي «ف» في الصباح رفلة سكرتيره. وبعد أن وجه إلي أسئلة كثيرة حول وضعيتي العائلية وحول بعض المعلومات المختلفة، بذل في الموضوع. وقال لي:

• سنلتحق قريباً ببيتك لتعيش في سلام وطمأنينة بين أهلك ونوبك.

وبطبيعة الحال سوف يأتي الناس لزيارتك وسوف يطرحون عليك العديد من الأسئلة عن المعتقل لا تقل لهم شيئا، وبالأخص أولئك الذين لا ينتمون لعائلتك. قل لي أ الرئيس، ما اسم المكان الذي كنت فيه؟ كنت معتقلا في سجن نازمامارت أسدي.

حسنا، ابتداء من هذه اللحظة انس هذا الزمر لأنك اذا بدأت في الحديث عنه، سوف تجد نفسك مرة أخرى داخل زمرة حقيقي. احذر الاجانب و احذر بصفة خاصة رجال الصحافة، فهم ماکرون يحملون في جيوبهم ميكروفونات صغيرة، والآت تصوير صغيرة في خواتمهم، كما يحملون معهم افلاما وساعات بنوية، مخدماء، ومثاقنة لتسجيل العديد من الامور.

وكانت ابوابنا مفتوحة على النوايا ورجال الترك يقومون بحراسة المعسر. ومن حين لآخر، حين كانوا يعلمون بان تون ليتجانبوا اطراف الحديث معنا، او لاخذ معلومات عن المعتقل، وفي احد الأيام سألني احد الدركيين:

هل انت بالفعل هو الرئيس، فاجبته:

هذا ما تبلي من الرئيس، ثم اضاف قائلا:

اعرف انهم اهلكوكم هناك، فهل تعرف الآن هذا المكان؟

نعم، انا في الهرمومو،

فقال منهننا: كيف عرفت ذلك مع ان رفاقك يجهلون؟

اجبته: لقد كنت مديرا عسكريا هنا طيلة سنوات.

بعد مرور بضعة ايام عاد ف، من الرباط وقام بجولته المعتادة حيث زارنا بعد تناول العشاء. اخبرنا بان الدولة ستدفع لكم جميعا تعويضات و ستمنحكم ايضا معاشات وعملا في الولاية، وسيتم اخبار كل الولاة والعمال المعنيين عندما يحين الوقت المناسب لاستدعائكم وتوظيفكم. الآن انصحكم بالراحة، ستحصلون على كل حقوقكم وقد عفا عنكم، سيينا، وصفح عن اخطائكم.

تضاعفت الفحوصات الطبية وازدانت، واضحي طبيب الاسنان يعمل ليل نهار لانها مهمته، كما ازدانت جلسات التدليك وطالت مدتها اكثر فاكتر، كما افام طبيب العيون مكتبه في الطابق الاول وبالضبط في غرفة الطويل السابقة، وقد وصف لنا نظارات لكل واحد منا وعصا ف، بشرائنا ولم يف بوعده حتى رجفنا، وقد المقتنم الكومندان سجري زيارتنا لطبيب العيون واخضعنا لجلسات نفسية وطبناسية، بحضور

الطبيب. عندما جاء نوري ابتسم قائلا: «اه هاهو، الفينومين، الظاهرة.
كيف حالك؟»

اجبته: كيف ما اتلق..

فعلبت قائلا: كيف الستم في حال جيد ناكلون جيدا ونثلقون علاجا
جيدا وقريبا سيرج عنكم. فجاء ردي على الشكل التالي:
اننا نتناول غذاء جيدا بعد تجويع دام سنين طويلة وكيف يمكن
الحديث عن العلاج وحسبتي مازالت متدهورة ومازالت احمل ثوب
التعذيب النفسي والجسدي. والنوم على سرير مدة شهر ونصف لن
يعوض ابدا عطين من النوم على البلاطة الباردة. اما الحرية فتلك قصة
اخرى..

افصح من فضك

في حالة الافراج عني سألضي حياتي غربيا فوق هذه الارض.
ساعيش في وسط اخر، لانني نسيت كل شيء بعد 18 سنة وشهرين من
العزلة وعلى ان ابدا من الصفر والتعلم من جديد للاندماج في مجتمع
كان مجتمعي. والمساة في تازمامات التي تضاف الى التعذيب النفسي
والجسدي هي الجهل لأن من لا يتقدم يتراجع. وفي كل سجون المملطة
يتعلم السجناء ويتدربون على المهنة، اما في تازمامات فيلقون بك في
عيابب الظلمة الى ان تصبح بداليا..

تدخل الطبيب النفسي قائلا: «نعم، لكنكم سرعان ما ستندمجون
والمسالة مسألة إرادة»

لكن الاندماج يتطلب الوسائل

هذه الامور تاتي من بعد وليست ضرورية للغاية

الامر لاينطبق علي. فانا لمقت ثلث حياتي كما انه لم تعد لدي
الرغبة في حياة اصطناعية.

ماذا تقصد بهذا؟

اجبته يهدوء وبصوت يشوبه الاسى:

المصد بذلك الوجود الجديد الذي يريد الناس فرض علي بعد
سجنى. لانني لن اعود تلك الشخص الذي كان من المفروض ان يكونه
لولا تازمامات.

اتمنى انك لا تقصد انك يانس

لا، بل محبط

انبهر مخاطبي وثلثت جهة طبيب العيون الذي لم يكف عن مرابيتي

بانتهاء.

تبادل الرجلان النظرات بون حديث. وقام كل منهما بحركات تشي برغبتها في الاستماع الى المزيد. فواصلت الشرح.
لقد خاب ظني من شراسة اشباهي ومعاملتهم المتوحشة واحساسهم اللانساني واللذة التي يجنونها في تعذيب اخوانهم والانشاء الذي يمنح من عذابات الآخرين. نعم انا محبط بفعل هذا الماضي الكئيب الذي لم يرحمني وهانذا الآن مثل مومياء. بلا نسغ حياة. جافة احاسيسي. فاين النغمة الروحي لكي احب الحياة كما كنت احبها في السابق. لقد نزعوه مني.

عقب الكومندان فجري على الفور:

ما وقع قد وقع وعليك ان تنسى الماضي اعترف ان الامر صعب نوعا ما لكن عليك طي الصفحة والشروع في حياة جديدة.

لكنني اخبرتك ياكتور بانتي غير انه بالمستقبل الغامض الذي ليس في ملكي بل مفروض علي. ليس هو المستقبل الذي كان من المفروض ان يكون استمرارا لماضي قبل تازمامارت. حيث ان المعتقل الآن هوة سحيقة تفصل بينهما. بكلام اوضح فان المستقبل الذي تحببني عنه ياكتور اصطناعي وسطحي لان جنوره في الفراغ والفراغ هنا هو تازمامارت.

لكن الحياة استمرارية ومتوالية من الفرح والترح. هناك ما يسمى بحوائث الطريق وعلى الانسان ان يتحداها. وسقوط العداة خلال مسابقة ما لا يعني انه خسر السباق. لا يكلي السقوط بل على الانسان ان يعلم النهوض المهمتي.

نعم ياكتور. لكنني لم اسقط بل اسقطت عمدا.

ساد الصمت وظل الاثنان يراعيانني باهتمام بالغ. وهما واعيان بالصيغة العضال التي اصابتني والجروح الذي لم تتكلم وهذا التمزق اللا يعالج. ثم اضفت قائلا كما لو انني احدث نفسي ليعطوني الوسائل لتحريرني لان الافراج عني غير كاف بل يجب مساعدتي على الاندماج في المجتمع.

اخذ الكومندان فجري الكلمة ووضع حدا للدرشة اعلمد اننا نرلرنا بما يكفي. ساراك مرة اخرى قبل رحيلي. والحال انه لم يرضي ابدا فيما بعد. وقد كان الاختصاصيون قد بداوا الرجيل ولم يبق معنا سوى مساعد مبروك الذي مكث بيئنا للاشراف على العلاج. اخرج بعض الرفاق الى الساحة ليستانسوا بالمشي العادي والتشمس. فاصابتهم

ضربة شمس انت الى إغماء بعضهم، فالغيت العميلة. بعد مضي ايام
علمنا بان وف، ذهب الي الرباط لتتبرع الدم، فتم توزيع البذلات
والقمصان والاحذية والجوارب من طرف سكرتيره. وقد انفجرت يومها
ضاحكا عندما سمعت جاري في الغرفة 11 انريس شريفيق (زنانته في
نازماسارت كانت تحمل نفس الرقم. يا للمصانفة) يطلب من الدركيين
تغيير بذلته. شافه من فضلكه اريد تغيير بذلتي.

هل تريد قياسا اطول ام القصر

لا البذلة على اللباس وما اريد تغييره هو اللون فاننا الفضل البني
عوض الرمادي.

قلت لنفسني -ايها الظاهره، انت لم تتغير حتى نازماسارت لم تغل منك،
لقد نسيت جاري بسرعه اسماله التي رنقت مرات لا تحصى ولا تعد وبلا
لون سوى لون الوسخ.

ظلت الحال على ما هي عليه رغم الغياب الطويل ل وف، ورحيل
الاخصاصيين ونولي امورنا الليونتان حليمي الذي جاء صباح ذات
يوم الي غرفتي مصحوبا بالحلاق. كان مرتديا قميصا جميلا اخر
صبيحة وسروال جينز وحذاء رياضيا ثمينا، سألني بلباله، هل انت
ستعد لحلق اللحية، فالحلاق موجود.

نعم مون ليونتان

لم تند عنه اية حركة لكنه ابتسم ابتسامه ماعرة

يوم الأحد 12 أكتوبر 1971 تكثر مزاجي وتوترت اعصابي نون ان اعرف
السبب. جس المرض الرئيسي النبض والضغط فصاح منتعشا، هذا
مريب لقد بلغ ضغطك اليوم 120 درجة. ماذا هناك هل تواجه متاعب او
منعصات بعد ان اخطر الطبيب جاء حالا ولاحظ توترتي وعصبتي
الظاهرة سألني.

ما الذي يشغلك لقد ليل لي بان ضغطك ارتفع

لست البري ياكتور. لكن حسنا ما ينبغي باننا سنرحل الي مكان
اخر اكثر فطاعة من نازماسارت.

انت احمق. الا تعلم بان العالم كله علم باطلاق سراخكم وان جلالة
الملك قد عفا عنكم لا تشغل بالك تقريبا سنذهب الي بيتنا.

احينه بصفتك انا اصداك لانك طبيب لكن سلوك الحراس اثار حيرتي.

يوم الاثنين 13 أكتوبر جمعوا ملابسنا لتصبينها و غير ذلك مر اليوم
عاديا او تقريبا لولا الحركة الدائبة في الكونوار طول الليل.

فجر يوم الثلاثاء ١٠ أكتوبر أيقظني هدير المحركات اسفل النافذة تلتها خطوات حازمة في البهو اعتدنا سماعها عندما يمضي الدركيون الشبان، وما انارني اكثر هو صدى خطوات متباطئة واخرى يجرها اصحابها جرا، وحسنت من هذه الاصوات بان الامر يتعلق برحيل مفاجيء وسري. خلعت انني سمعت صوتا غير غريب عني، ثم صوتا اخر زاد من بعيني. فارتجف قلبي لسماع اصوات اسفلائي وخطواتهم. لم ابر الى اين يقوونهم، هل يرحلون الى منازلهم ام الى اللانهائي، سمعت خطواتهم وهم متجهون نحو باب الخروج. وكنت متاكدا من ان العصابات على اعينهم والحراسة مشددة عليهم، لكن ما لم اعرفه هو هل كانوا يعملون كناس احرار ام كانوا ينفعون بلعا مثل مجرمين. وهذا ما قل يشغلني طوال الزوال الى ان القسم لي احد الدركيين الطيبين بان رفاقنا قد اخرج عنهم، وواساني بان نور البالي سيحين غدا زوالا. فتشابكت الافكار في راسي واختلطت الامور علي فما تربت ان كان علي ان اصق ام اكتب.

تناولت نوالتي واستغرقت في النوم، ويوم الغد الأربعاء ١١ أكتوبر بعد ان تناولت كأس الشوكولاتة وبيضضة مسلوقة جاء المرضان للعلاج. وطلب مني المكلف بالتخليك ان اتبعه الى الطابق السفلي من اجل الترويض الطبي، المتنعت الفرصة ورفعت القلب، قليلا ورايت ابواب رفاقنا الطيارين مغلقة بالظلال، مما يعني انها فارغة وان ترحيلا ليليا قد حصل في منتصف النهار، تناولت غذائي وبعده بلحظات جاء الدركي الذي اعتاد التريشة معي خلال حراسته وسألني عما افعل اجيبته بود: «ها انت ترى بانني استبعد للقبيلولة فلا تعول علي ان كنت تريد تجانب اطراف الحديث».

لا داعي لذلك. قال - لانكم ستفخرون المكان في الرابعة بعد الزوال

انا متيقن انها دعابة.

لا هو الامر الحق وانا احثك بمنتهى الجدية وانا على علم بانك تعرف ان رفاقك الآخرين رحلوا، واناك الحرب شخص عرفتة.

فضينا لحظة زمنية نتبادل الحديث فسألته:

هل انت متأكد باننا فرنا بالعلو؟

اجابني باندهاش: «يا له من سؤال. لقد عمنا عنكم جلالة الملك بل الاكثر من هذا انه صلح عنكم لأن الدريس البصري شخصا جاء ليؤكد

من حسن العلاج والتغذية. وقد راجت عدة إشاعات تقول بانكم كنتم ستدخلون الى الخارج لصد العلاج لكن اطباءنا العسكريين طعمنا الوزير واتقوا له اهلينهم للقيام بذات المهمة. وقد علمت فيما بعد من مصدر موثوق بان التركي قال الحق وبان سوء تفاهم وقع بينه وبين الاطباء حول الاتصالاتهم معنا. وقد كان الكولونيل يريد ان يكتفي الاطباء بعملهم بون طرح الاسئلة لكن الكومندان الطبيب فجري عارض هذه التعليمات. فجاءه طلب مني التركي الابتعاد عن الباب لانه سمع اصواتنا تقترب. وقد جاء فعلا الليوتنانت حلبي مصحوبا بمساعدة الحلاق كريم، ودخلوا الغرفة جميعا. وكانت تلك اول مرة يخاطبني فيها باسمي: الرئيس شيء نفسك للرجيل. هاهو ذا الحلاق سيحلق بك. بعينها ارتد ملابسك وضع اشياءك الخاصة في هذا الجراب. اسرع لان الوقت لايرحم.

بعد ساعة كنت مستعدا. انتظر ساعة الرجيل لاهرب من هذا المكان. عاد الضابط فيما بعد للمراقبة والتفتيش. واطلق الباب فحيرتني هذه الفعلة وتغابيا للتفكير بدأت ابدن بصوت خفيض وانا اترق الغرفة. فتح الباب وظهر المروض الصحي الذي جاء لاستعادة العكازتين خاطبني قائلا: لقد جئت لاستعادتهما لانك لن تحتاجهما بعد الآن. لكني انصحك بشيئين: الثمن المشي والحمام البلدي. جاء الليوتنانت الطبيب بدوره وسلمني قرصين: خذ هذين القرصين ضد الية خلال السفر. تناولهما الآن. ثم اضاف بنبرة حبيبة متعاطفة: هاه انت ترى الان بانه لا مجال للشك في انك ستعود الى بيتك الآن. هل انت راض الآن.

. اجبت: لا احير جوابا عانت لم اعد الى بيتي. وبكل صراحة مازلت منيدا.

• ابن انت لا تصفني ولا تثلق بي.

لما لاحظت بانني لم اجبه، هز كتفيه وهو ينظر الي عليا ثم رحل بعد ان اغلق الباب. مرت نصف ساعة قبل ان يعود حلبي متبوعا برجاله يدخل ممسكا بعصاية ونظارات سوداء. وقف امامي وخاطبني بالقول والابتسامة لا تفارق شفاهه: عندما رفعنا العصاية كنت انا اول من رايت والان انا اخر من ستراه قبل وضعها.. وضع المساعد العصاية ثم النظارات ثم ارخى علي القلب، وامسك بيدي ودعاني الى المشي. فطعت نفس الطريق الذي قطعته يوم الاثنين 10/9/10، في الاتجاه

المعاقس. ارتكبوني سيارة مصفحة بدون انراج ولا اصفاة انطلقت
السيارة في الساعة الرابعة بعد الزوال في اتجاه الرباط مد إلي التركي
الجالس الي يميني جرابا وهو يقول: أخذ شرائح اللحم والجلبان
والتفاحه والماء المعدني. طلبت منه ان يحتفظ به الا ان ينتصف
الطريق. فقبل طلبي. وهكذا صارت بيننا علاقة . وعلمت بواسطته ان
رفاهي في الرحلة هم عشور. مغوتي. وزموري وشخص رابع لايعرفه
قال مخاطبي. اعتقد اننا بفاس. هنا تركنا البارجة اصحاب الفرق ا

و. و اوانا انساا لماذا لم يستقبلكم الكولونيل انتم ايضا قبل السفر
رغم انه كان في مكتبه. وقد سمعته يقول لليونتان بانه سيلتحق بنا
فيما بعد. اثار هذا القول حيرتي وتبين انني كنت على صواب في
القلق على مصيري خصوصا لما اخبرني التركي بان الكولونيل حليمي
قد طلب منهم المرور بالقنيطرة. والحال ان الماعوتي يقطن باب تازة. في
الشمال. فما الذي جاء به الي الغرب وعاشور الذي كان من المفروض
نقله الي الخميسات لماذا اتجهوا به وجهة جديدة؟ هذا معناه ان وراء
الأكمة ماوراءها. وقد حاولت طوال مدة السفر ان اجد حلا لكن
المفروض لف كل شيء وكلما فكرت زاد اللغز سرية. لما راني التركي
تاردا مد لي الاكل وقال: اعذرني لقد كدنا نضل الي وجهتنا. كل
بسرعة. وفيما كنت النهم طعامي طرحت عليه السؤال:

. فل في هل سلطتم رفاهنا البارجة الي عائلاتهم مباشرة ؟

. لا لقد سلمناهم الي اناس لايعرفهم.

. هل هم اناس لساء. متجهون مثلا؟

. هم اناس صارمون نوعا ما.

اجاب التركي عيخ ابيه لكني القشعريرة سرت في بدني ومسني
تيار كهربائي وشلل فكري للحظة. وتاكدت شكوكي وبيدات خواطري
تجول في حلقة مفرغة. ونهت في مناعة بلا قرار. فجاء. حادث السيارة
عن الطريق الوطنية وسارت في طريق مليئة بالاحجار . سالت التركي:

. اين نحن؟

. في غابة معمورة

. كم الساعة؟

. إنها التاسعة ليلا.

بالرغم من الارتجاجات القوية واصلت السيارة طريقها مبتعدة عن
الضجيج. بعد لحظات تولفت وشلني الصعد الرهيب المطبق. فرزت

القبيلة، سمعت صوتنا نالفاً واجش يطرح الأسئلة حول هويتي وحالتي العائلية واسم الأبوين والعنوان والوظيفة. بعد لحظة كما لو أنه الصوت يسترجع انفاسه أو يفكر في ما يقول، جاء السؤال:

لقد انتت بالمؤيد، اليس كذلك؟

تدخل، ف، للتصحيح: لقد حكم عليه بالإعدام أولاً في قضية الصغيرات قبل أن يتحول إلى المؤيد بامر من جلالة الملك. استأنف الرجل، الذي لم أكن أرى وجهه، كلامه:

طيبه للمرة الثانية بيدي سيدنا عطلة عليك بمناسبة عيد المولد النبوي، إذ تحول المؤيد إلى 41 سنة سجناً، وبما أنك قضيت 12 سنة فلم يبق أمامك سوى 11 سنوات ستقضيتها هنا في السجن.

أجبت على الفور: لكن ياسيدي لقد قال لنا الكولونيل فضول منذ شهر تقريباً بالهرمومو أن جلالة الملك قد عفا عنا جميعاً وانتي ساعدتني إلى البيت بمجرد شفائي. هذا أمر لا يصدق...

نعم، هذا مضبوط لأن تحويل المؤيد إلى 41 سنة سجناً عفو، وقد استغفرت منه بعد أن تحولت عقوبتك إلى عقوبة محددة وقد يفرج عنك ذات يوم. عليك أن تشكر الله وجلالة الملك على الرأفة بك.

لأنك أنه لاحظ الحزن على أسعادت وجهي، والخيبة اللانهائية التي تحولت إلى غضب داخلي هز كيانه الذي رفض هذا الظلم:

لكن ياسيدي لقد كنت في معتقل عشرون سنة فيه بمائة عام وعذبت أكثر مما يعانيه مسجون عاد الف مرة. لقد خضعت لنظام جهنمي و علي الآن أن انتظر 10 سنوات أخرى.

أجابني الصوت الذي لا وجه له:

انصت إلي جيداً لا اعتقد أنك ستقضي عقوبتك كلها: فإذا ما انت احسنت التصرف والسلوك سأعفك بانتي سأطلب التخفيف من عقوبتك. وهذا رهين بسلوكك وانماجك مستقبلاً.

طوال هذا الحديث كنت أحس أن الأرض تعيد من نحتي. احسست نفسي اعزل محيطاً كما لو أن نواراً أضني في اعصاره نحو الهاوية. تعالكت نفسي واستجمعت كل قوتي واجبته:

لكن سيدي لست سجيناً من سجناء الحق العام لكي احتاج إلى إعادة الانماج والتكليف لست محكوماً من أجل السطو أو الرشوة. بل أنا مدان في قضية الصغيرات.. لا أقل ولا أكثر.

رد على الصوت ببرودة هائلة:

. انصت ، ربما تسرعت والحق انني حاليا لا اتوفر على اية وثيقة رسمية وكل ما لدي امر شفهي للاحتفاظ بك الى إشعار آخر. إنني اعتبر نفسك في اعتقال احتياطي.. خذوه الآن وساعطيك التعليمات غدا صباحا.

أخرجوني من المكتبة والادوني الى اخر. خلع احدهم جلبابي ورفع اخر النظارات والعصابة. لما فتحت عيني اعاني الضوء وبدا كل شيء مضيقا حيث ثرعت لي اطراف ترتدي بذلات زرقاء سماوية.

كنت لا ازال تحت تأثير الصدمة من فعل الاحداث التي جرت تلك المساء والكلمات التي سمعتها. ومكر المسؤول الذي اخلني عنى الحقيبة واوهمني بالكلام المعسول قد اشعل سعار الغضب في وريما كنت ستاحمل الصدمة بشكل افضل في لحظة اخرى غير اليوم لكنها الآن اشبه بكارثة جسدية ومعنوية عصفت بكل امالي واحلامي. وقد كنت منذ اقل من ساعة احلم بالذهاب الى الحمام بمعنى احد ابنائي لانني جسدي وادلك عضلاتي قبل التهام وجباتي المفضلة الجميلة المهياة لي خصيصا من طرف زوجتي وامى.

بدأت اتبين ما يحيط بي رويدا رويدا. وجدت نفسي في الساعة للمداومة نصب بها جهاز الاتصال والارسال الهاتفي. طاولات عليها ملفات عديدة، وكراسي عتيقة في كل ناحية. كان حارس السجن يبينلته الزرقاء يراليني بامعان ثم القرب مني قائلا: لنفسيق لي ان رايتك. انا متأكد من هذا لأن وجهك غير غريب عنى.

لم ترني اي مكان واتمنى لو انني بقيت حيث كنت حتى لا ارى احدا.

لقد اجبته بلهجة جافة وعدوانية لانني لم اكن ارجب في الدريشة، اما هو فقد غض بصره بون كلام وابتعد عنى. لقد جرحته لكنني كنت منهارا. كنت مثل نور في ساحة كوريدا اصابوه في مقتل. كانت الكوريدا مازالت سارية رغم 20 سنة من العذاب والعزلة في العنيمات. لقد خدعني اف، ونزل علي خبر العقوبة الجديدة كالصاعقة، كما ان الصوت الغامض اهانني عنما قارنتي بسجناء الحق العام وقد قضيت في نازعات ارتبشع العذابات والاهانات. هل يوجد سجين واحد في المغرب كله قاسى ما قاسيته من معاملة لا انسانية. حرم خلالها من ابسط حقوقه، حتى من الشمس والهواء المجانيين.

تضخمت مفارنتي بالثور اكثر فاكثر، فقد عانيت مثله من الضيق

والظلمة وتحملت مثله للضربات الجارحة والقاتلة. والهجمات العشوائية للمروضين. وأنا أهول الهروب أو ايجاد مخرج نحو الحرية.

لقد كان المخزن هو مروضي القائل، لجدد حيث لا الظن اني ملاقيه.
هزمت وفقدت سلاحي، وهبت نفسي للجد الذي سيكون مهما كان، احسن من ماضي الكتيب. وبدون عناء القيت نظرة سرعان ما جحظت لها عيناى وأنا ارى تازماترتي اخر جالس على كرسي، سحنه حزينه ووجهه شاحبه تعيما مثلي ومنهارة مثلي ينظر الى الفراغ نظرة زجاجية تشبه نظرة ميت. ما من شك انهم لقلوا فيه كل ما ساعده على البقاء حيا طوال عشرين: الامل. لم يعد يامل شيئا الآن لأن المخزن سلبه هذا الشعاع: كان غامبي عاشور ببطلته الرمادية والعيصه الابيض وحذاء الاسود ينظر الي منهنشأا. هز راسه وابتسم ابتسامة مليئة بالاسى والمرارة وقال:

- لقد ضعنا تماما

لجبتة بصديق

- لا، عاشور انت هنا مؤلثا، وأنا السائل لماذا احتفظوا بك ارضا اربت اضالفة شيء، لكن شخصين آخرين يرتدي كل منهما جلبابا وشبشا جاما من القاعة الاخرى القربا منا وهما يبتسمان، لجددما ربت على كتفي وخاطبني قائلا:

- اهلا الرايس هل تذكرني؟ ثم التفت نحو رفيقي.. وانت عاشور ارجو انك مازلت تذكرني؟

اجابه عاشور: لا انكره وأنا لاانكر شيئا لان ذاكرتي وهنت.
قلت من جهتي: انا اعرفك، انت حسن، حارس شاب وظفت في جنجر 72 . انت من استنوتت مستواك الدراسي الخامسة ثانوي بعد 6 اشهر من تجنيك فزت في مباراة ضبط الصف.

انفجر ضاحكا وهو يقول: برالو الرايس انت حاسوب حقيقي، وما عليك ان تعرفه الآن هو انني الآن نائب المدير بالسجن، حاصل على الاجازة في الحقوق، في الواقع لم تشيخا كثيرا كل ما تغير هو المظهر، سألني رفيقه الذي وخط الشيب شعره

- هذا عرفك وأنا؟

اجبته على الفور: لا انكر اسمك العائلي لكن اسمك الشخصي هو سي احمد وانتما معا نفس الفوج واعتقد انك من قبالة.

انتهش قائلا: لود، هذا رائع، كل هذا الوقت وما زالت ذاكرتك حية.

- أين نحن

- في السجن المركزي بالقيظرة

- هل تشغلان هنا؟

اجاب حسن: نعم، كلانا مدير، سي احمد الصوفي مدير الاعتقال وانا نائبه لقد تابعنا الدراسة العليا وانجبنا اطفالا، يدرسون في الثانوي الآن. الا ترى - الرئيس - بان الوقت يمر سريعا، مثل ميراج.

هست قائلا: نعم مثل ميراج

اخذت لهجة حسن تبرة جديدة: «طيب سيكون لدينا الوقت الكافي للذكريات. الآن ستخلعون ملابسكم وترتدون ملابس السجن، بعضها ستلاون بعض الاستعمارات المهينة من طرف المدير النهائي، وزع علينا المسؤول عن المخزن الصحون والملابس قائلا: هذه مجرد شطريات فيما بعد ستسرجعون ملابسكم العادية مثل كل المعتقلين السياسيين في القيظرة.»

التلفزيون بالألوان

دعانا المديران إلى مرافقتهما إلى مكتب الموظفين. وعند ما كنت اعبث بالساحة لاحظت أن الحال ظل على حاله وإن نمت النخيلات قليلا وحال لون النافورة التي لمعت في زمن مضى، وصارت الجدران أقل بهاء مما سبق: أما الأبواب الحديدية التي اصابها الصدأ فقد بدت أكثر كآبة و تظفيرا لمن رآها. كان رئيس المكتب قصير القامة يتجاوز عمره الخمسين سنة يضع نظاراته بدا نحيفا وشاحبا ومتوترا بلا سبب اذعن ليينا النظر لعل أن يسألنا عن الاسم والنسب ثم توجه نحو الإرشيف الكبير والعتيق. بعد لحظات قليلة عاد حاملا ملفينا ووضعهما فوق الطاولة: كانا ملقا سنة 1971، نظر إلى الصورتين ثم حملق فينا طويلا، لم يستطع إيجاد الصلة بين الأصل والصورة، طلب منا أن نرى صورنا وان نؤكد له أنها صورنا فعلا، رد عليه المديران في نفس اللحظة: «إنهما هما، ونحن نعرفهما، هز النهائي رأسه وعمقه: «يا للغرابة، كيف يفعل الزمن

بأناس ما يفعله في فترة وجيزة. لقد تغيرا كلية. بعد لحظة تأمل وجيزة
أضاف «طبيب الرايس محمد، كان رافك في سنة 1971 هو 18X61- اليس
كذلك» اجبت بالإيجاب، و«انت عاشور عبد الغني كان رافك القديم هو
18144-» أكد رفايلي بنعم حزينة وواهنة.
«طبيب ستحملون هذين الرقمين ذاتهما».

استنكر رفايلاء هذا الاستثناء، لكنه رد بالقول بأنها «تعليمات خاصة
صانعة من فوق». بعد أن انتهى العمل توجهنا نحن الأربعة نحو الباب
الكبير المفضي الي بهو واسع وطويل. أي السجن بذاته عندما كان
الحارس الليلي يفتح الباب همس الي قائلا «لا تحزن، فهنا، المكان الفضل
الف مرة من الجحيم الذي كنتم فيه. لا مقارنة بينهما، هنا سيحسون
معاملتكم. ومن حسن حظكم انكم في السجن المركزي لأنه الفضل من كل
السجون وستبقي نك بنفسك. الحمد لله الآن لأنه سبحانه انجلكم».

كان هذا الحارس انسانا طيبا، طويل القامة، شديد الشقرة، نحيفا ملقبا
بـ «العربي مريكان». اعتلقت في البداية انسانا متعبا ومحنالا. كان نك
خطا إذ علمت فيما بعد بأنه لا يضاعف أمام رشوة أو إفساد، وهو من القلة
القليلة المجددة في عملها، إنسان مستقيم يحترمه الجميع وكل المعتقلين
يمن فيهم القساة وأصحاب الجرائم، انطوائي ومستكنم، يمت الاخلاق
وحسن التربية.

دخلنا إلى السجن فانبهشت لكاتبه المكان. إذا كان البهو متسقا بشكل
مفرز. نفوح من كل جنباته روائح العفونة والجدران التي غطاهها الوسخ.
لقد كانت تعكس الإهمال وسوء النظافة. هزني هذا الديكور الكتيب وسبب
لي الغميان، تذكرت أنه قبل ترحيلي السري الي نازمامارت كان البهو
دائما يلعب نظافة مثل متحف مرابا جدرانها مطلاة باستمرار وارضيته
منظفة، نفوح في كل متر منه روائح الجاليل والصابون والتريزبل... الآن
«صفتني، رائحة حيوانية عطنة».

لبلتها كان كل شيء ذابلا وكثيبا. سألت سي حسن اين سيضعوننا.
اجابني بـ «في الطابق الثاني على اليسار، صرخت محتجا «عليكم ان
تفكروا في صحتنا المنهورة، في الرومانيزم الذي ينخرنا والدماغنا
المنفخة. شخصيا ساعجز عن الصعود والهبوط كل يوم كل هذه الأبراج،
عقد عاشور كلامي بقوله «بالنسبة لي هذا جرف، عرضت على سي حسن
ان يودعنا في زنزاننا القديمة ما نمنا نحمل ارقامنا القديمة (كما لو اننا
لم نعاثر الفئطيرة) شرح لي سي حسن كيف ان السجن ضاج بمن فيه».

مما أجبره على جمع 3 سجناء في كل زنزانة انفرادية (1) في كل غرفة. كما ان العديد منهم كانوا يقيمون في الممرات نظرا لضيق المكان. سألته: «لا يمكنك ان تجد لنا مكانا في حي «الانفرادي» او الأوراش (حي جيم وحي ا) رد علي الصوفي: «هذان الجناحان مخصصان للإسلاميين والماركسيين. والحقيقة أننا توصلنا بتعليمات لعزلكما عن المعتقلين كي لا نتحدثا عن نازمامارت».

كانت تلك هي المرة الأولى التي أمشي فيها بدون عكاز. كنت أنتحرك مثل محوريا، اصعد الأتراج خطوة خطوة وان امسك بالدرابزين مستندا إلى كتف سي حسن. رايت الحراس الليليين في كل مكان مما يشير إلى الحيلة والحذر الشديدين. علمت فيما بعد بهروب معتقلين (2) في عملية جديرة بالافتلام مثل «بابيون». انهلنتني الاصوات والصخب والموسيقى بكل أنواعها. كنت أتوقع هجوما شاملا في هذه الساعة المتأخرة من الليل. فوجدت نفسي في سيرك مفتوح، وفي لحظة ما احسست أنني اصم. بفعل كل هذا الصخب وقلت في نفسي: بعد الوسخ والعطانة هاهو ذا التلوث الصوتي. لم يكن ينقصني سوى هذا. نظرت للحظة من خلال الكوات المفتوحة فرمعت التلفزيون بالألوان. كانت تلك أول مرة أرى فيها تلفزة بالألوان في حياتي. واجهزة المنبعا والمسجلات وسجناء الحق العام ببذلات رياضية فاخرة يهينون عشاغهم. بعضهم يلعب الورق ويحتسي الشاي المنع. بعض يبخن ويريش بصوت مسموع. كانوا يضحكون يغنون. ينفرون. استنشقت أنفي الذي شحذته سنوات نازمامارت كل الروائح: بطاطا مقلية، سمك، دخان، شاي، لهوة ورائحة غريبة لم يسبق لي ان شممتها وعلمت فيما بعد أنها رائحة «الحشيش».

فتح الحارس بابنا فدخلنا فيما ظل المديران امام باب الزنزانة لأنها ضيقة طولها 3 أمتار وعرضها متران. بها سريران. واحد فوق البلاطة الاسمنتية والثاني ملقى أرضا استنكرت محتجا:

□ هل ستقيم معا في غلبة السريرين هذا؟

■ للأسف نعم، لأن عند السجناء يتزايد باستمرار.

□ لقد عشت دائما وحدي في «كاشو» وعاشور ايضا. ولم نعد قادرين على العيش وسط الجماعة.

أخذ سي حسن الكلمة لتفادي الشطآن.

■ انصت إليّ الرئيس الضيف الليلة هنا وسترى مع المدير المركز جدا وقد سبق له ان اخبرنا بانكما ستمكثان هنا بعض الوقت فقط.

خاطبني الصوفي بقوله: «هل تعرف باننا نوسلنا للسجين الذي كان هنا لكي يغادرها وتلقيا فيها مدة اسبوع» عقلت منهشما: «اتوسل لسجين ليغادر سجننا للتولة هذا ما لم يخطر على عقل بشر»

■ نعم، هذا صحيح لكن هناك بعض الاعتبارات التي لا يجب تجاهلها. اولاً هذا السجين محكوم عليه بالمؤبد قضى منه 111 سنوات هنا، ثانياً لقد اتفق مالا كثيراً الترميمها واصلاحها، انظر بنفسك..

وكتلك كان.. حيث ان السجين طلى جدرانها بالصباغة الزينية وهيا فيها خزانه وكراسي واباجورات ولصل المرحاض عن بقية الزنزانه بواسطة جدار بناء بنفسه، كانت تشبه شقة في الواقع. وقد علمت فيما بعد ان الإدارة والسجين توصلا الى تسوية ترضي الطرفين علما بانّه كان مهرباً حقيقياً

قبل ان يودعنا المديران حذرانا من الحديث الى المعتقلين السياسيين الاخرين الذين يعتبرون، في نظرهم، مجرد مدنيين ثرثارين وانتهازيين يفكرون في مصالحهم فقط لما خلفا الباب وحدث نفسي بمعية رفيق المعتبة في الزنزانه، بعد ان قضينا شهرين في ضيافة «ف» الذي اخبرنا مرارا باننا لم نعد سجناء، كان عاشور جالسا للرفصاء ورأسه مطاطا، بين العينة والاخرى ينظر إلي نظرات حزينة دون ان ينبس ببنت شفة ولزمتا الصمت طويلا الى ان جاء احد الحراس وقال: «اهلا .. إن جاركما على اليسار يسأل إن كنتما تريدان الأكل أو الشاي».

اجابه عاشور، «لقد اكلنا ونود لو هناك كاس شاي، شكرا، بعد خمس دقائق جاعنا بكاسي شاي، قضينا الليل كله نتجانب اطراف الحديث نسب عاشور محنته الى «ف» فاجبته بانّه هنا، مؤلفنا بسببي، لم يفهم قصدي فاضطرت الى التوضيح اكثر:

[] انصت إليّ، إن «ف» لا حول له ولا قوة لانه مجرد منفذ لهذه القرارات الكبرى اما انت فلقد تركوك هنا لكي يخفوا انتقامهم صدفتني سيطلق سراحك في غضون شهور قليلة في اول عيد ..

■ إننا هنا بسبب الخطأ.

[] لا، المخزن لا يخطئ، وهو مدرك لخطئه، كما يدرك بانني سررت رسائل سرية من تازماعات.

[] لست الوحيد بل هناك اخرون لكن المرج عنهم.

■ انت على صواب، لكنهم انهوا علويتهم ولم يعد الاحتفاظ بهم قانونياً، اما انا فمحكوم عليّ بالمؤبد إضافة الى ان إلهام ابنتي القامت

ضجة إعلامية كبيرة بعد أن توصلت برسائلي واكثرت من الحوارات في الإذاعات الأجنبية، وقد كشفت عن وجود تازمامارت الذي كان يجهره الكثيرون .. والمخزن لم يرق له هذا فانتقم بالاحتفاظ بنا ..
■ لكن أنا ما نفسي.

□ إذا ما احتفظوا بي وحيدا سيظهر نك للعيان ويظهر الانتقام واضحا، وربما احتج الرأي العام العالمي .. لكن بما أن من لم يته علوبته مازال سجيناً فإن العمل مشروع قانوني.

■ لكن رفائنا الطيارين المحكوم عليهم بـ 20 سنة يوم 72APW/13 لم يتموا بعد علوبتهم.

□ نعم، لكنهم استنفوا من العلو بعد أن بقيت امامهم سنة فقط

■ هذا ظلم ..

قانونيا لايمكننا ان ندينهم بشيء اللهم الاعتقال في تازمامارت .. لهذا القول لك ينفي ما قد تسمعه من فم الآخرين، لأربح ضميري ولكي لا تحقد عليّ، الفضل ان نظل اصغاء كما كنا دائما.

وتحقت رغبتي فعلا إذ مارلنا فعلا على صدقتنا، اطلنا النور لكن النوم جفانا، صباح يوم الخميس 24 في الساعة الثامنة والنصف كان الحراس يفتحون الأبواب فيبدأ الصخب يعلو وانتشر السجناء في اليهود، يترامضون يسارا ويمينا لأسباب مختلفة.

كان عاشور يرالهم من وراء الكوة منهولا، ناداني: تعال ترى مع من وضعونا - اتزاح عن مكانه فنزلت بدوري لما رايت ولتأبني الخوف من هؤلاء السجناء بصورهم العارية المشوومة وهم يتبادلون السب واللفظ والكلام التابي، بعضهم خطت النوب وجهه بعشي الخبلاء، مع ذلك نبت عني ابتساما عندما رايت شخصا عريض المنكبين وشم على صدره العبارة التالية: «يا نا يا لاشانص»، (اتراء كان يلحج الي لبحه ام الي وضعه الميؤوس منه)، كان هناك أيضا سجناء ساهعون غير مبالين بما يدور حولهم يتسكعون في الكولوار... راقت المشهد ثم همست لرفيقي: من الآن فصاعدا سنكون مكرهين على العيش مع هؤلاء يوميا، ربما سنصبح مثلهم ذات يوم، لمن يدري».

فتح السجنان باب زئزئتنا، مررفوقا بسجينين، لناولنا الفطور فنمخل جاري على اليسار قائلا: «لا تعطوهما سمك، ساتكل بالأمرة، سلم علينا ثم وضع براد شاي بالنعناع، وعسل وزبدة وزيت الزيتون والبيض الملطي وحلوى، وايضا نحن ناكل، كان نبا يخصنا قد جال في السجن وسرعان ما

امانات علينا الزنزانة واليهو بالفضوليين الذين جاؤوا لمشاهدة الفارين من الجحيم. لقد أصبحنا شيئا غريبا حتى في نظر أولئك الذين لم يعد شيء يفاجلهم؛ لتزاحموا وتذامعوا بالثناكب وطرحوا الاسئلة تلو الأخرى واستنظعوا الأخبار، أعقب تلك السخط والاستنكار، وما اثر في كثيرا هو الحزن الذي لرائته في أعين السجناء، الذين بكى العديد منهم وهم ينصتون إلى حكاياتنا باندهاش وقلق. احدهم هزأ ما سمع وراى منا فقال لي: انا اسف لما وقع لكم وعانيتم في هذا المعتقل الملعون. لقد احزنتمني فصنتمك إذ لم اكن انصور ان الإنسان قد يصل الى هذه الدرجة من السانية: انا هنا بسبب جريمة قتل سببها الحب ارتكبتها في حالة غضب عندما فاجأت زوجتي مع عشيقها. كنت اعتبر نفسي وحشا وإنسانا وضيعا، واليوم نخلصت من هذا الإحساس ومن الغم على قتل العشيق وجرح زوجتي. لم اعد اوبخ نفسي لانني ارتكبت اليوم بانني لست في مثل سانية جلايتكم الذين كانوا يستلون لعنتهم. انا قتلت واحدا فقط رغما عني، وانصرع الى الله طلبا للمغفرة أما الذين عانيتم على ايهم فمزالوا في ضلالهم يعمهون.

هؤلاء الناس الذين اخطأت في حكمهم منذ قليل ونظرت إليهم نظرة يشوبها الأزرأء، جاؤوا كلهم لمصالحتي بود وابتساماتهم نطق بالصق. منذ عشرين مضيا، كانت هذه المرة الأولى التي اسمع فيها كلمات عطف وحنان وطيوبة. كم كان حكسي خاطئا وخطئي كبيرا. فجأة وقف امامي شخص عملاق ملتحى وقال لي بلطفه إن المعتقلين السياسيين يودون مقابلتك في الرب وقت ممكن. قبلت الدعوة وتبعته إلى جناحهم. استقبلوني بحفاوة بعد ان استحضمت ووزت الحلاق، ارتديت الملابس المدنية التي منحني إيها المعتقلون السياسيون إضافة الى التلفزيون والرائيو وأنوات المطبخ والطوايع البريانية والكتب والمجلات، وهي الأشياء التي أرجعتها إلى اصحابها بعد اسبوع حتى لا تعود الرفاهية لي السجن.

قضيت الصباح كله اتجول في الساحة المشمسة، اتجامل اطراف الحديث مع الرفاق الجدد. اما فترة الزوال، فقد خصصتها للزيارة الطبية حيث جيء خصيصا بطبيب لفحصنا ووصف الدواء المناسب لنا. اخطرت زوجتي هاتفا بواسطة أخت احد المعتقلين السياسيين في نفس المساء. وبدلا من الليالي الصامتة في تازمامارت التي يتخللها بين الفينة والأخرى نعيق اليوم او عواء الثئاب، قضيت ليلة صاخبة ضاجة

بالنداءات والموسيقى والصياح. يوم الجمعة 25 أكتوبر، تناولت لطوري
وخرجت إلى الكولوار الكبير أتمشى وأراقب السجناء يتوجهون جماعات
جماعات إلى أورش التحم.

منذ ما فانتقني

زوجتي...

صباح يوم الجمعة 25 أكتوبر في الساعة 9 و 30 د نادوا عليّ لأذهب
إلى مكان الزيارة. كان الطريق طويلاً وشاقاً من الصحن السجن إلى
الصماء.. كنت أبيعاً وأترنج وقد أمسك بي شخصان. عندما وصلنا إلى
الباب الكبير سمعت صوتاً يامر مرافقي بالقيادي إلى مكتب الأرشيف.
أجابته أحدهما: «لكن زيارته في البارلوار، فرد عليه الصوت: سيقيم بها
في المكتب. هذه أوامره» انخلوني إلى مكتب تسارعت نبضات قلبي من
شدة التوتر، كنت أخطو بون تكبير، وأنا أنتظر مفاجأة مع كل خطوة.
الترب مني أحد الحراس فخاطبني:

- تشجع ولا تدع الانفعال يأخذك وإياك والضغط. فهذا امر هام ومهم،
هذه العبارة شوشت بالي، لأنني لم أكن أعرف للسبب الحقيقي: هل هي
زيارة عائلية أم استنطاق؟

تقدمت بحذر وحيطة مثل شخص وحيد في غابة. في الصحن المكتب
سيدة مرتبة بثلة قائمة، عمرها حوالي 44 سنة، شقراء وجهها يتأد
يكون مستديراً، قامتها أكبر من متوسطة. نظرت إليّ باندهاش، لأنك
أنها تساطت عمن يكون هذا الشيخ الذي يتقدم مترنحاً، تبايننا
النظرات بون أن نعرف بعضنا البعض. سبرت الحوار للذاكرة وفتشت في
تلايفها القائمة لكي أذكر وجهها اليفا وأجد له شبيهاً مع وجه هذه
السيدة المجهولة أمامي. عثرت عليه، إنها هي، نعم هي من لحم وعظم.
هي خديجة الشاوي زوجتي الجالسة أمامي بون أن تتعرف عليّ. وأنى
لها ذلك وقد تغيرت كثيراً عما كنت... بين الذي عرفته والطفيف الوائف
أمامها 20 سنة من نازمامارت.

امام هذا المشهد التراجيدي والخارق الذي لا يعرف فيه الزوج زوجته ولا هي هو، أخذ نائب المدير عبد الحق الكلمة وكسر الصمت قائلا: تقدم الرئيس وسلم على زوجتك، لم نحدث إلى زوجتي بهمس حزين، مدام الرئيس هاذا هو راجلك، فوجدت خبيجة في الأول لم نهضت وتقدمت نحوي وعيناها الجاحظتان مفروقتان بالدموع، وقد فتحت ثراعيها ثم رمت بنفسها علي حتى كانت تسطني ارضا، فتحت ثراعي الواهين وعانقتها بحرارة، احسست بجسدها يرتجف تهزه نوبات البكاء والنسيج، التصقت بي اكثر كما لو انها خائفة من ان تفلتي مرة اخرى. زاد نحيبها كلما عانقتني وندت عنها حشرات حزينة وعبارات غامضة. بذلت مجهودا كبيرا لاتمالك نفسي. وانا ازبنت بود وحنو على كنف السيدة التي عاشرتني 11 سنوات، والتي عانت ولاشك الكثير، اكثر مني بتحملها للعذاب النفسي والجسدي. واسيتها بكلام عادي لكن هيبات، كان القاتر قويا سبب لها الالام، اجلسوها على الكرسي وناولوها الماء، وانتظرنا لحظة حتى استعانت وعيها، نظرت إليها بنظرة ملؤها الحزن والاسى مبركا انها عانت وتعاني من اجلي. عندما فتحت عينيها المحترتين والمفروقتين شرعت في البكاء من جديد، فاجهشت بالنحيب بيوري

احزن المشهد نائب المدير لغامر الغرفة بعد ان خاطبني:

. علي ان انهب، سادعكما وحبيبين معا... نللتنا ننظر إلى بعضنا ونبكي. وما انفكت هي تاخذ وجهي بين راحتيها وتنظر إلي مليا وتغمرني بالقبلات على جبينتي، على خذي... ثم شبت على يدي بقوة وابتلثها مرات عديدة، ولسانها يلهج بحمد الله وشكوه، لانه لبي طلبها وحلق لها ما تمناء، ضممتها إلى صدري وحدثتها بحنو، كفي عن البكاء، لقد انشهي كل شيء الآن، لن يكون هناك كسابوس بعد الان، واشكري الله على جمعه بيننا بعد طول فراق، ربت علي وهي تنتحب .
 - لقد صليت لله عظيمين من الزمن وتضرعت إليه سبحانه لكي ينعم علينا بهذا اليوم، واخيرا استجاب لدعائي.
 . لماذا تبكين إذن؟

ابكي من شدة الفرح لرؤيتك ولشدة الحزن لحالته، لقد بصروك والموك جدا، اليس كذلك؟

. المهم انني حي.. كيف حال الابناء واممي؟

. ابناؤك في حال جيد وقد كبروا وسيزوروك في المرة القادمة، اما

والتيك لقد توليت رحمها الله في 1989، أعرف ان الصدمة قوية، لكني أسفة لهذا النيا....

ما من شك أن زوجتي واصلت مواساتها لي، لكن لم أكن انصت إليها، لقد كنت مصعولاً، لم أحر كلاماً وكنت أرتجف مثل ورقة بفعل نحببي الطويل، أما قلبي فقد غرق في ظلمات الحزن.

حكيت لي زوجتي من جهتها المحنة التي مرت بها طوال فترة إخباري، حكيت عن مساعيها لدى السلطات، بحثاً عن اخباري، وعن انتهاك حرمة البيت من طرف الشرطة، وعن اعتقالها في المخاطر وعن التهديدات المتكررة لبعض رجال الشرطة السرية، وحكيت على الخصوص عن عروض طلب الطلاق من أجل الحصول على بعض الامتيازات. تكلمت بعراة عن سنوات اليأس والحمران والنظم الاجتماعي والاحتقار. كما روت لي عن نبذ العائلة لها وتكر الصدمات الحميمة، خوفاً من تهمة التعاطف معها؛ المنى كل ما قالت وتالمت وأنا اسمع حكاياتها المتساوية.

وكلما كانت ترى الحزن على محياي تتوقف عن الحديث وتقبل يدي باكية. كنت أواسيها وامرر يدي على شعرها الأشقر وأقبل جبينها. دام لناؤنا ساعتين وقبل أن ترهل وعمدني بالعودة في الزوال لتأنيني بالاشياء والملابس التي ساحتاجها في السجن. بزت بوعدها وجاءت اللى حزناً من الصباح، دامت الزيارة ساعة كاملة حكيت لي خديجة خلالها كيف استطاعت مقابلة المرحوم الامير مولاي عبد الله والجنرال اولفير في ابريل 1972، وحكيت لي أيضاً عن مفارقتها بحياتها لرؤية المرحوم جلالة الملك الحسن الثاني في دار السلام لتطلب منه العفو، وروت أيضاً ما تعرضت له من ضرب وتكبير من طرف الشرطة عندما الحت على مقابلة المرحومة والدة جلالته رحمه الله، واخبرني كذلك بان المراد (الديستي) والاستعلامات اخبروها بالإفراج عني في بداية أكتوبر وطلبوا منها لزوم البيت في انتظارني. وقد تناوبت على ترقيبي هي والاطفال وطال الانتظار وزالت حننه عندما زارت اصديقي المخرج عنهم واكدوا لها بقائي على قيد الحياة وقرب الإفراج عني... وساورتها الشكوك لما عاد نفس الأفراد وطلبوا منها أن تقوم هي نفسها بالبحث عني في المستشفيات والسجون.

تحدثنا عن اشياء أخرى قبل ان تغادرنى، بعد ان وعدت عاشور بإخطار عائلته في ذات المساء. وقد وفت بوعدها فجاءت عائلته في اليوم الموالي. مرت نهاية الأسبوع غابية وكانت مناسبة لن لم يزرنا للمجيء.

ودعانا الإسلاميون لالتسام الشاي معهم ونظم الماركسيون حفلة صغيرة على شرفنا، في حين تطوع سجناء الحق العام لخدمتنا وتناقصوا على من يتنكف زنازنتنا او يصين ملابسنا. قضيت الايام الاولى في التجول في الساحة صباح مساء وانا اتأمل هذه الحشود التي ساعاشرتها مدة 11 سنوات كانت حشودا مختلطة جاءت من كل انحاء المغرب. يتحدث افرادها لهجات مختلفة ويتبعون عادات متباينة. كل واحد من هؤلاء السجناء له قصة خاصة واسباب خاصة بلغت الى الجريمة. لا انكر الان كل ما قيل لي، منهم القتلة المحترفون الذين ترتعد لراهم الفرائص وقد احسست بنفور حاد منهم، لاسيما منهم من يقتل الاصول او الاطفال، واشد ما كنت اكره منهم اولئك المثلثين الذين ارتكبوا الجريمة بوعي. كيف يمكنني ان امد يدي لمصالحة تلك الطبيب المختص في التوليد الذي كان يجهبض الامهات العازيات ثم يقدم الاجنة طعاما لتكليه الذي ياكلها امامه:

لقد كان يستلذ منظر الجنين الصغير والتكلم يلثمهم!! كيف لي ان اتعاطف مع من لا يخشى الله ولا يحترم ما خلقه. هذا الشخص لم احمده ابداء، والمحكوم عليهم بالإعدام انفسهم كانوا يحلمون عليه.

كان هناك ايضا القتلة عن طريق الخطا او من شدة الغضب او السكر وقد انهلنتي حكاياتهم. كما كان هناك ايضا عدد كبير من قطاع الطرق واللصوص ومجرمي السطو، ومن الشواذ جنسيا والمغتصبين ومنهم استاذنا ناضج، جدّي ولبّق، جمّ الأب والطفلة حاول مرارا ربط علاقة معي، وقد جنّفتني حديقته وحكمته. لكن ما إن علمت بأنه المتصّب ابنتيه لتلبية حاجاته الجنسية حتى نظرت منه ونسيته الى الأبد. غير ان ما اثار غيبياتي كان هو امر رجل ستبني العمر طويل ونحيف بلحية بيضاء تضفي عليه الوفاق والنقوى. كان يتحدث بحكمة ويسدي النصائح، لانه كان لطيفها يجعله كل اهل قريته ويعملون بنصائحه. حكم عليه بالمؤبد، لانه قتل بوحشية طفلا عمره 11 سنوات بعد ان اغتصبه....

سال القاضي، الذي قتل طفلا عمره 11 سنوات بعد ان اغتصبه، عاشور لماذا اتحاشاه و ارفض رد تحيته، فاجابه بان السبب هو جريمته، فرد الشيخ يهود: الخطا إنساني ولا احد معصوم منه، وان يخطئ المرء مرة في حياته ليست مأساة المهم هو الا يكرر فعلته.

يوم الاثنين 24 في الساعة التاسعة والنصف زيارتي زوجتي بمعية ابنتي الثلاثة: ادخلوني الى بهو الزيارة الذي كان ضاحكا بالزائرين.

كانت عائلكي في الطرف الآخر من الشباك. لم استطع سماع ما يقولون. اشارت خديجة الى شابين راشدين ولغاة عمرها 22 سنة قائله: هؤلاء هم ابناؤك لقد كبروا اليس كنتك

كان الصخب في اوجه مما فرض عليهم رفع اصواتهم الفاء الحديث. اما انا فلم يكن بعلقوري ان اصرخ بسبب انتفاخ الغدة (كواطر) طلبت منهم الانتظار وتوجهت نحو البهو لاحتج لدى المسؤولين. منعتي الحارس من اجتياز الغياب المؤدية الى الادارة واخبرني بان المعتقلين السياسيين وحدهم مخصص لهم بالمرور. طلبت رؤية المدير او مدير الاعتقال لانني احتاج الى زيارة عائلية مباشرة نظرا لحالتي الصحية. تدخل العميد من معتقلي الحق العام للدفاع عني. على اساس انني معتقل سياسي عسكري رد الحارس: انا لا اعرفه. وعلى كل هذا الامر لا يهتمكم. وانا انفذ التعليمات. رد عليه سجين عملاق موشوم الجسد ساخرا: انك تنفذ الاوامر لفائدة اشخاص وزعوا البيانات او كتبوا مقالات في الجرائد، اما هو فلا تعتبره معتقلا سياسيا، فوجئ الحارس بالرد فسأله: ومن اين جاء؟، رد عليه السجناء بغصة واحدا: من تازمامارت.

طلب مني السجنان ان التبعه لقائني لدى مدير الاعتقال الذي ذهب بي عند المدير. عرفت انه الصوت بلا وجه، الذي حدثني يوم 21 أكتوبر والمسمى الشط محمد، وهو رجل طويل القامة، جميل الخلق، يبدو مثل مدير بنك أكثر منه مدير سجن. لبق وجد مهذب يجيد الانصات والمساعدة على حل المشاكل بتفهم و حكمة. الفهمني بان وضعي خاص وعلى الا اعاشر معتقلي الرأي والاسلاميين. وعائلتي بدورها عليها ان تتحاشي اي اتصال مع العائلات الاخرى لاسباب امنية. تدخل السيد الصوفي الذي حضر اللقاء وطلب مني نفس الامر فاجبته: لتكني يا سيدي الفضل العيش في جزيرد معزولة على ان اعيش معزولا في هذا السجن.

تدخل المدير الحكيم من جهته لتسوية المشكل:

ما اطلبه منك هو ان تعرف موطني قديك. اتمنى ان تفهمني. اما بخصوص الزيارة المباشرة فهي لك على ان تكون في مكان خاص بعيدا عن سجناء الحق العام والسياسيين معا.

هكذا قدر لي ان اعانق لأول مرة بعد 21 سنة ابنائي الراشدين الذين تركتهم اطفالا. لقد كان لقاء كئيبا يرضخ بالبكاء و الاثين والحشرجات

التي مزقت قلبي المكثوم. وأنا انضمهم الى صديري احسست بهشاشة اجسادهم الضعيفة المرتجفة وأنا ارفقهم. است بكل حزن ويلين شروخ نظراتهم لانهم، مثل خنيفة، كانوا مصومين متآثرين برعب الماسي الناجمة عن تازمامارت، ويحملون نوبها. كان امامي ثلاثة معاقين ومرضى. فناء مصابة بداء القلب مشوهة العمود الفقري بسبب مرض في الطفولة، وابن اصم وابكم يعاني من داء الربو بعد ان عانى من حمى طويلة هنيانية، واخر يعرج ويعاني نفسيا. هي ذي نتاج تازمامارت التي لم تقتصر على إتهاننا بل تمرت عائلتنا. اين المساعدة العمومية، اين دور الاعمال الاجتماعية يا ترى؟

بالرغم من غضبي لرؤية ابنائي الثلاثة معاقين وزوجتي موشومة بالام فان هذه الزيارة الكئيبة زحمت النطفه في روحي وقوت من رغبتي في الحياة. سرى في شغف قوي بالبقاء لامرض لعائلتي مالفات بسبب الالم الماضي.

تولت ابامي الرتيبة في السجن شبيبة بالقامة في فندق من خمسة نجوم. نظرا للطرق بين السجن وتازمامارت، مما جعل السجن المركزي بالقيطرة مثل حامة للاستجمام ممنوع على اصحابها مغابرتها؛

استفاد رفيقي عاشور ايضا من الزيارة العائلية المباشرة وتبين له انه اصبح جدا دون علمه كنت حياظرا لما قدمت له زوجته وبناته الأربع الثنتان منهن متزوجات مرفوقتان بزوجيهما واطفالهما.

حضر كذلك ابنة واه وعمها انذاك 95 سنة لم يتعرف عاشور عليهم والانتكى ان شقيقه الاكبر قال بثقة بأنه ليس عاشور بل هو شخص بديل لتضليلهما اكدت له بأنه اخوه وان الظروف الجهنمية التي مر بها الثرت على جسده ونفسيته عموما. عندما عانق هذا الاخير والتمه بحرارة تذكرت امي التي لن لرها فبكت وانزلت دموعا حارة.

مرت الايام بسرعة ويدات التكيف مع وجودي الجديد. في تازمامارت قضيت 18 سنة في العزلة والتأمل العميق والخيال المجنح والاستيهام الاسود، اما هنا فقد اجبرت على العيش في الواقع وسط جمع مختلف في عالم جديد ملموس لا وجود فيه للمجرد، يدافع فيه كل واحد عن نفسه بكل الوسائل. كان هناك سجناء نزيهون يعملون في ورشات السجن لضمان عيشهم وتعلم مهنة تنفعهم بعد الخروج، وآخرون يبيعون الاثياء المهربة والحشيش (البزناسة) وما اكثرهم، اما الاغنياء لو ابناء النوات فقد كانوا قلة لكنهم يعيشون حياة مرتبة بسبب الرشوة

والاحاييل. كما ان الشنود الجنسي كان منتشرا في السجن. حيث كان
الغلمان، يبيعون اجسادهم مقابل المال. وكان «الديوتيون» يستغلون
هذه الرذائل الشيطانية لتحسين اوضاعهم في السجن. وكثيرا ما كنت
اتذكر ما قاله «الحمامة» في تازمامارت عندما كان يريد ان المال في
السجن يؤدي الى الفعار، كما تذكرت قول آخر كان يري ان المال يخلف
من المعاناة.

وجد من بين المعتقلين ايضا اللصوص الذين لم يكونوا يرعون عن
ممارسة السرقة. بل تجرأوا على سرقة عاثور عدة مرات ، والذي
سألني ، حائفا، لماذا يتكالبون عليه، فاجبته مستغزا، بان اللصوص
يعرفون ضحاياهم وانه يمثل فعلا هدفا جيدا لهم.

خلال مكامي في السجن تعلمت اشياء كثيرة كنت اجهلها واهملها
وفاقتني معايشة معتقلي الراي بانهم لم يكتفوا بالتمنييد بالنظم بل
مستعدون للتضحية بارواحهم من اجل محاربتهم. لم يكن الخوف يطالهم
ولا الندم. كانوا القوياء نفسيا وحازمين. كلهم عنيدون ونوو كبرياء. ذات
يوم سألني ماركسي عنيد من مجموعة «21».

• بعد ما عشت وعانيت في تازمامارت، ماذا تنوي فعله في المستقبل؟
• الانتقام، العين بالعين..

• لا يا الرايس، الانتقام علامة على الضعف. عليك ان تكون القوي من
الذين عنيتك.

• لقد جاء في القران الكريم ان العين بالعين والقصاص مباح.

• إنك مخطيء، فالقران الكريم يتحدث ايضا عن التسامح والعفو عند
المقدرة والصفح.. عليك الا تواجه الشر بالشر لان ذلك يزرع الحقد في
القلوب، والحقد طاعون تصيب عنواه اجيالا و اجيالا إنه شبيه بساق
متورمة على الانسان ان يبيترها ليسلم الجسم كله.

• إنن، حسب رأيك، على الانسان ان يظفر دائما لمن ظلموه؟

• لا يجب ان نعلو عما يجب العفو عنه وان تعاقب حسب القواعد
والقوانين بدون حقد ولا ضغينة.. يجب الا تستعمل الظلم ضد الظلم
الذي عانيته.

بعد ان فكرت مليا اجبته: «انت على حق، فالانسان عادة ما ينسى
العدل» كانت لي ايضا علاقات جيدة مع الاسلاميين المعتقلين منذ سنوات
في الغنيطرة، اغلبهم شباب حيوي ملهم بالنية الطيبة. وكان من بينهم
اعضاء ائقاراهم بسبب تعصبهم وتصلبهم. مقابلهم كانت الاغلبية

معتقده يدعو الرائدة الى الشريعة والعدالة الاجتماعية والحشمة، وقد نجحوا في تقويم اعوجاج العديد من المعتقلين.

وعلى كل، لقد استطعت، في ظرف سنة، التعرف على حالات عديدة ومختلف شرائح المجتمع، وبالرغم من منع الإدارة السجنية لمقابلة اصحاب الراي والإسلاميين فقد كنت افضي ايامي معهم، اتعلم منهم لأن هؤلاء المفلّطين كانت لهم آراء نبيلة ومبادئ راقية، جذبتني سلوكياتهم النزيهة والكارههم الفاضلة مثل مفنطيس. وخلالها لما يعتقد العديد من الناس، لم تكن لديهم افكار تكناتورية وجاهزة، بل يفضلون الحوار والتبصر. وطالما نهضت المسؤولون ايضا عن الاثتراب من سجناء الحق العام فكنت اصر على معايشرة هذه الفئة المستهجنة لمعرفة امراض المجتمع معرفة جيدة. كنت استمع بشغف الى حكاياتهم المليئة بالرعب والسادية واحاول ان افهم نوافعهم. هؤلاء الناس كانوا يحكون لي قصصهم الحقيقية بما فيها الحقائق التي لم تطلع عليها العدالة ولم يدانوا فيها. كانوا يحكونني لثقتهم في ولعرفتهم ان الهارب من الجحيم لن يفشي السر او يخون لأن الشيطان نفسه لن يرشيه كانوا يعرفون انني محايدا لا معهم ولا مع المخزن، كنت استمع بلا تعليق، ولعلي استطعت كتابة رواية ضخمة عن فظاعاتهم التي كان مجرد التفكير فيها يسبب لي الغليان.

كنت اتساءل لماذا يبمدون حياتهم من اجل التوافه وكيف لي الا اصاب بالبوخة وانا الفكر في الطبيب الذي قدم الاجنة لكليه، الاستاذ الذي المنصب ابنتيه والطيه الذي المنصب ولقتل طفلا، او الافطع من كل هذا، قصة تلك المعرض الذي كان يتناول امه الاراضا منومة، كلما الم بها صداع او مخص وعندما ياخذ النوم، يباشرها مباشرة الزوج لزوجته. وظل على هذا الحال الى ان حيلت، فعميت، بناء على نصيحة جارتها، الى نصب فخ لابنها الشيطاني حيث تظاهرت بالنوم ولما تكبس بالجرم اخبرت به بلا تردد. وبعد بضعة شهور اتجيت المفلل.

حكمت على الابن بـ 2 سنة سجنا ولعل الافطع هو عندما كانت امه تاتي لزيارته، من وقت لآخر، مصحوبة بـ، الابن، يا له من جنون! لقد ضعف الاستاذ والمعرض امام الجمال ونسيا قرابة الدم، وانهما الشيطان، معتبرين انهما من ضحايا، شخصيا، وبالرغم من كون الآخرين لم يكونوا يعتبرونهما مجرمين، كنت اعتبرهما الفلح من الفلح الجرمين وكنت اتبينهما اكثر من الطبيب واللقية...

قضيت بمعية عاشور الشهر الأخرى قبل اطلاق سراحى في مصحة السجن حيث صادفت المجانين والعصابيين والتمنين على المضطرب والمرضى المتخلى عنهم. كانوا متسخين نثنين المجانين منهم يقضون الوقت في الصراخ كلما أصابتهم النبوة اويقلون القمل بالتحدث إليها والعصابيون يتشاجرون باستمرار ويجذفون بلا انقطاع، اما التمننون فقد كانوا يجرحون انفسهم بشفرات او قطع الزجاج عندما ينقضهم المخدر. وقد كان الطبيب النفسى يزورهم صباح كل خميس ويحاولهم الحصة الأسبوعية من الطاليوم والمهندات الأخرى. ولعل الأكثر مدعاة للتفرز هو وضع المرضى المتخلى عنهم الذين يحضرون ببطء بدون علاج او إنعاش. والحال ان الأطباء الاختصاصيين كانوا، نظريا، يزورون المرضى يوميا. للأسف كان المحظوظون هم المستفيين وقد حدث ان حلت لجنة تفديش وزارة العدل للتحقيق في تهريب الأوبئة. ولاحظت بسرعة سوء التمييز بين المرضى والحراس والمرضى الوهميين.

كان للسجن سيارتان مخصصتان لنقل المرضى إلى الرباط من اجل الخضوع للفحص من طرف البروفيسورات او الفحص بالاشعة والخضوع للتحاليل. والحال ان نفس السجناء هم الذين ينقلون لأسباب محيرة. عوض المرضى الحقيقين. نظرا للتواصل بين المرضى الرئيسى وسكرتيريه والسجناء اصحاب المال. ظاهريا كان كل شيء يبدو سليما والحق ان الكل مزور. ومخدوم، فمن غير المعقول ان ينقل السجن نفسه مرتين في الأسبوع الى الرباط من اجل العلاج، في حين ان جسمه جسم جاموس في حين يظل المريض الحقيقي منبوتا في ركن من المصحة بلا علاج.

كنت اشاهد هذا يوميا وكنت شاهد عيان عاجز عن فعل اي شيء. كنت متأكدا من وجود الرشوة والتلاعب الإداري. ولم يخن حسنى ذلك ان لجنة خاصة حلت في ربيع 1992 بالسجن وأجرت تحليلا دقيقا احالت على إثره، كل المنتهين على المحكمة مرهوقين بوصفات طبية وهمية وطلبات مزورة وادوية باهظة الثمن لعائلة عائلات الحراس. وقد جاءت العلويات لتسية ولعلها كانت ستكون النصى لو ان اللجنة علمت ان بعض سجناء الحق العام المحظوظين كانوا يرحلون كثيرا الى الرباط لشراء الحشيش وإعادة بيعه لرفاقهم باثمنة باهضة. او للقاء بزوجاتهم سرا.

كما ان العزاب انفسهم كانوا يلتقون بفتيات الهوى بعد موعد مسبق

يمكنني أن أسهب في ما رايت وعشت. ومن يدري لعلني سأكتب ذلك يوماً ما؟ وعلي كل ما عشت في المصحة ماساة لا تفلتر، وقد سألت عاشور ذات يوم:

- ما هي الماساة الحقيقية في تازمامارت؟ اجابني عاشور:
- المعاملة الجهنمية، غياب العلاج، والشمس والنظافة وسوء التغذية أي انتهاك حقوق الإنسان.

- هذا صحيح، لكن ما يؤسف له أكثر هو الجهل والانقطاع عن الثقافة والتعلم والحرمان من تعلم حرفة ما.. وفي هذا المجال راكعنا 20 سنة من التخلف...

فأطعني عاشور بالقول:

- لكن أنا أمي ولم أضيع شيئاً علي هذا الأساس.
- بلى، أنت ضحية أيضاً، لو لم تنقل سنة 1973 لتعلمت مهنة أو عدة مهن. الآن نحن شداد الحاق وعالات وبقايا أمية مريضة. نامل العالم حولك في ظرف 10 سنوات نجاح المعتقلون السياسيون في الحصول على عدة شهادات، والعديد من سجناء الحق العام حصلوا على شواهد مهنية ستمكثهم لعدا من إيجاد شغل بسهولة، أما نحن فلا نصلح للخير التسول.. لعلنا سنكون متسولين سيئين.

- نعم أنت على حق، لعدا سنواجه الحياة كالثاغب الي الحرب بغير سلاح...

وجدنا معاً صعوبة جمة في تلقي للعلاج خارج السجن، إذ أن المسؤولين مانعوا في ذلك لأسباب أمنية، لكن الضغوط الخارجية ومطالب أمنيستي واحتجاجات المنظمات الإنسانية مكثني من دخول المستشفى بالرباط وإجراء عملية علي الفدة القراقية قضيت 3 اشهر في مستشفى ابن سينا من 91/12/25 إلى 92/3/6 من أجل فحص شامل ثم من 92/4/13 إلى 92/5/16 من أجل الجراحة.

طعام نوبير الأموي..

كانت فترة مقامي بالمستشفى فترة زاهية تميزت بالسلوك الجيد الذي أبان عنه الأطباء والممرضون حيالي، حيث ظلوا في إطار مهنتهم وواجبهم ولم يلبثوا الضحية الصغيرات ولا ظروف تازمامارت، وقد

دفعهم ضميرهم المهني وحالتي الصحية الى الاعتناء بي بما يتطلب ذلك من جدية باستنفاء اختصاصي الجلد «بن س» في مستشفى العياشي بسلا، فقد فحصني هذا الطبيب وتبين له انني اعاني من روماتيزم يتطلب علاجاً طويلاً ومنظماً، شرحت له كيف انني امشي بصعوبة واعاني باستمرار، وسألته إن كان من الممكن أن ادخل المستشفى أو على الأقل أزوره مرة في الأسبوع بسلا لممارسة التمارين الترويضية للتخفيف من حدة الآلام، خصوصا وأن علي قضاء 10 سنوات أخرى في اجواء سجن القنيطرة الرطبة، اجابني جواب السياسي ونسي مهنته النبيلة: «ماذا غشني ان العقل، لقد اصبت بالداء في تازمامارت وأنا اعرف ان الجو هناك قاس والنظام السجني جهنمي، لكن كان عليك ان تفكر في هذا قبل ان تنهب للثبورية، في القصر الملكي بالصغيرات، لقد قامتم وخسرتهم، وعليكم ان تلبوا بالفر كما هو الآن، السجن وجد للمعانة، ولا تنسوا بان الضحايا تعذبوا قبل موتهم، لا تخف فالروماتيزم لا يقتل» ثم فتح الباب في الحال ووضعني رهن إشارة الشرطيين المكلفين بحراستي. ومن حسن الحظ ان الدكتور الاختصاصي في القلب بنعبد السلام فهم موقف زميله الغريب والمتم بخولي المستشفى من اجل النصف على القلب والسرطان بان سينا فاتخذ المبادرة بالسماح لي بمناجعة علاج يومي لمدة 45 يوما في مصلحة الترويض الطبي، حيث خضعت للتدليك بالأشعة ما تحت الحمراء كما في الهرمومو، كان بودي ان انكر الدكتور «بن س» بالعبارة الشهيرة لباستور، ان اسالك عن اسمك ولا عن بلدك ولا عن دينك ساسالك فقط عن الملك، لقد اجح الالم وترك الجرح يفرقه كان بودي ان اسأل له بان الوقت الآن وقت النسيان والإصلاح وإعادة البناء وليس الهدم لأن الدفاع عن قضية ما يتطلب ان يعطي الإنسان القوة.

ذات يوم، سألني منظمة من منظمات المستشفى بهاء مستفز:

الرئيس، نقول الإتاعات في المستشفى بانك قضيت 20 سنة في تازمامارت.

نعم.

هل كان ذلك بسبب قضية الصغيرات ام الطائرة الملكية؟

قضية الصغيرات.

ما لعمم به لم يكن طبييا ولا قانونيا، لماذا اربتم الخيال جلالة الملك؟

بماذا اساء إليكم؟ رغم انكم كنتم من المحظوظين ..

• من قال لك باننا كنا نريد لقل جلالته

لماذا فعلتم ما فعلتم؟

• لقد قال رؤسائنا بانهم ناروا ضد المسؤولين الذين كانوا مشرفين على الامور. معتمدين الزبونية والرشوة والنظم. دون ان يكون جلالته الملك على علم بذلك. لقد اخفوا عنه الحقائق في حين كانت له فيهم ثقة كبيرة. نعم. كانت هناك اطر نزيهة ومسؤولون اوفياء للاسف كانوا قلده. وساعطيك مثالا صغيرا على ذلك قبل ان نغادر المعتقل كان جلالته قد اعطى الاوامر بان نعالج احسن علاج ونعامل معاملة خاصة الي ان نشفى تماما. وما انت تترين انني مازلت منهكا. كان من المفروض ان نسلم لي نظارات وطاقم اسنان واجراء عمليات جراحية. كما ان المسؤولين اعطونا «الخورية» عوض ملابس لائقة.

إنن لم يكن يعلم بكل ما يجري؟

• من المستحيل ذلك. فالحل مسؤول لايمكنه ان يعلم كل ما يجري في

الحي.

لهذا السبب نجد الأكل هنا غير صحي ومواد النظافة غير كافية. لأن صغار المسؤولين يستغلون الوضعية مستغلين ثقة رؤسائهم. وتحذرتنا ايضا عن الاطباء اصحاب الضمير والعاملين بجد ونكران ذات وعن بعض موظفي المستشفى الصغار المرتشقين. والذين «يلطخون سمعة المستشفى ويتسببون في الأذى للأطباء».

بعد اجراء عملية الفدة. نقلت مؤقتا الى المركب السجني بسلا في انتظار العودة الى القنيطرة. فرحت لمخاترة هذا المستشفى الذي لولا مؤونة زوجتي لمت فيه جوعا. والذي رايت فيه بام عيني طبيبا يصنع شيئا عمره 72 سنة عدة مرات بعد ثلاثة ايام على خضوعه لعملية جراحية. بدأت هذه الحكاية الشنيعة بملاحظة وجهتها سيده عاملة الى سجين مريض يدعى لزيط الكبير طالبة منه جمع مناعه الشخصي فاجابها:

«لقد خضعت لعملية جراحية حديثة ولا استطيع الحركة. فومي بذلك بدلي لانك تتكلمين اجرة من اجل ذلك. اصابتها هذه الكلمات في خبرياتها فاطلعت الطبيب في الحال الذي جاء لتقريبه ونائبه قائلا: «انت هو الجليد الذي رفض ترتيب ابوائه. اجمع «أشئائنا» الضعفاء».

لزيط الذي لم يتعرف على الطبيب لأنه لم يكن الطبيب الذي اجرى له

العملية، اجابه بنفس القاموس: «الحمار هو ابكأ الحمار انتا».
احس الطبيب بالإهانة من مريض وسجين فصطعه بقوة عدة مرات
ويصق عليه وهو يصرخ «انت كالتسيتي المجرم الحمار، ما كاتعرفنيش
لعادي ثوريك شقون أنا».

في اليوم الموالي نقل لزيط الى السجن في كرسي متحركنا هذا السلوك
المشين والمجحف من لدن الطبيب، الم الحضور من معرضين ورجال امن
ومرضى: ولم يكن الطبيب يعرفه هو ان لزيط لم يكن مجرما ولا لصا، بل
يخل السجن بسبب شجار عائلي حول الإرث، اضف الى هذا انه مالك
كبير يملك 55 هكتارا، وكان بإمكانه بيع جزء منه ورفع دعوى وتوكيل
احسن المحامين لكنه لم يلم بذلك، ولعله احجم عن الامر لانه يدعي انه
لن يجد شاهدا للثابتة، وحتى انا كنت سجيننا مثله وشهادتي لن تجوز.

في سلا، اودعت مصحة السجن في انتظار تنقلي الإداري بمعية
مهربين للكيف ومهرب كوكابين ومعتقلين عن احداث 84 و 90 ولص
شهير عندما استمعت الى هذا الأخير، ومغامراته دعوته الى اللوبة
والإنابة الى الله والسلوك القويم فاجابني بانه ضحية المجتمع، وبانه
كثيرا ما عاد بخفي حنين رغم خبرته في المجال: «حدث ذات يوم، يقول
للص، ان نهدت وزميلي الى محطة السفر لسرقلة «العروبية» .. وسرعان
ما رصت فريستي، وكان شخصا حسن الملبس وضع حقيبةته وتوجه
لاستيعاب السجائر، اغتمت الفرصة لاخذها واطلقت سافى للريح، عندما
وصلنا الى «البرنوش»، وضعنا الحقيبة وبيانا نحتسي الخمر ونخن
الكيف في انتظار عودة رفالنا لتوزيع الغنيمة، عندما جاء رئيسنا اخرج
كل فريق لثيمته، عندما فتحت الحقيبة ظهر منها «كوبرا» نعلنا جميعا
باستثناء رئيسنا الذي اخذ صحننا معدنيا وبدا يقره لعله يروض
الذعبان، الذي كان شبه مخمر بفعل الكيف والخمر المراق على الأرض،
ابتسم الزملاء الآخرون فيما واصل الرئيس «العزف» خرجت مسرعا
ونهدت للقاء الشخص «المسروق» كان جالسا على كرسي يخن، عندما
راني قائما نحوه والفزع ياد علي قال مديسما: «كنت اعرف انك سناني
إلى هنا .. لقد بدائم تسرقون مروضي الذعابين».

من فضلك رافقتي وخذ ثعبانك لرفالي محاصرون.
• موافق شريطة ان تدفع لي الثعاب التنقل وتعويضاتي وإلا رفعت
دعوى ضدكم.

تدفعت له ما اراد، وهمي الوحيد هو ان يسترجع ثعبانه ولا يرفع

دعوى المعتنقت مقامي في سلا. وزرت السجن الذي كان يخضع لنظام أكثر صرامة من السجن المركزي، يمنع السجائر، الشراء، حتى لا يدخل السجناء الحشيش ويمنع زيارة من لا يحمل الاسم العائلي للسجين. كما منع المعتقلون من التلفزيون والرائيو والمطبات الكهربائية وشفرات الحلاقة والجرائد والمجلات واللحم والخضر لتهدئ طعامهم الخاص. مقابل هذا، كان لكل جناح حمام ساخن ومحل للحلاقة وساحة مشمسة، الحى المسمى، الحى الخاص، كان يضم المهريين من جنسيات مختلفة (اسبان، برتغاليون، إيطاليون، هولنديون، المانيون، ويوغوسلافيون) الى جانب المزورين والمحتالين والموظفين المرتشين ... إلخ. لكنه كان حيا نظيفا يرئدي نزلاء ملابسهم الانيقة تجعلهم محظوظين كما كانوا في الخارج. في حين كان المعتقلون الآخرون يكتفون بغرashes غير لائق والأكل كان رديئا، وكنت قد تركت مؤونتي في المستشفى لفائدة السجناء هناك، ومن حسن الحظ ان النقابي الاشتراكي الكبير توبير الاموي المحكوم عليه بستين سجنا، كان يفتسم معي طعامه طوال مقامي في هذا السجن الكتيب المخصص للمدانين بعلوية تقل عن 5 سنوات.

في الحى المخصص للعسكريين سمعت من بنادي علي باحد الاقارب التي اطلقت علي في نازمامارت، ايميك ايميك، (شوية شوية) التفت ووجدت نفسي وجها لوجه امام احد الحراس القدامى في نازمامارت مرتديا، كنفورة، حليق الراس بعد بده لمصالحتي.

اهلا، ايميك، هل تذكرني؟

بطبيعة الحال، انت السارجان علي امزيل، ما الذي جاء بك الى هنا، ها انت ترى، انا ايضا سجن لسبب يختلف عن سببك طيعا.

ماذا الترفت بذلك لانتك انه الرنى كما حدث في 1984.

لا الاسر غير ذلك، انا انتظر احالتي على المحكمة بسبب اصدار شيكات بدون رصيد، وكمبيالات غير مؤداة وعدم دفع النفقة لزوجتي التي طلقها منذ 4 سنوات ..

هوجئت لمسألته، هل طلقت بعد انجاب 7 اطفال وبعد 20 سنة من الزواج.

اجابني وهو مطاطن الراس:

كانت زوجتي السابقة كثيرة الطلب، واطفالي جد مدللين وقد اكلت من العيون.

+ هل نسيت أنك زير نساء وعبد المذلات .. الآن عليك أن ترفع الثمن -
 - قل لي ماذا حدث بعد مغادرتنا من تازمامارت.
 + جاءت لجنة في يوم الغد للتحقيق في تسرب الأخبار ثم تم هدم المعتقل في الأسبوع ذاته، أحيل بعضنا على التقاعد ونال الآخرون إلى الكابيز عندما كان العمال ينسفون المعتقل اكتشفت مخابلاتكم الرب المراهيض .. لقد خدمتم الجميع بمن فيهم بن إيريس والشاك سعيد .. عليك أن تعري أننا كنا منغلين لفظ
 - لا تخف لا أحد يعاتبك لقد كنت تكلم بعمك بدون غل ولا حقد، انصت إليّ، لقد غادرت المستشفى منذ 3 أيام لفظ وأنا لا أمك تقودا أو مؤونة لمساعدته كيف تلمي حاجياتك هنا
 + أنا أعيش مع بيزناس، كبير يدعى عياد.
 - اه عياد اعرفه جيدا لقد كان بجوازي في المستشفى ساطلب منه مساعدتك لمر المستطاع.

والد وعني عياد المحكوم بـ 4 سنوات سجنا ومليار سنتيم كذخيرة بتهمة تهريب المخدرات والفساد، بتقديم المساعدة لسجاني أحسست بالفخر وأنا أساعده بعد أن كان يطلق اللباب في وجهي ويمنع عني الأكل لمدة يوم كامل .. لقد عملت لاشعوريا بنصيحة المعتقل الصديق الماركسي من مجموعة 26، الذي يعاني ذات يوم إلى نسيان الحقد والانتقام واستعمال العنف.

جاءه بيره

عدت إلى الغنيطرة وفرحت باللقاء مجددا مع رابلي عاشور الذي كان ينتظرني على أحر من الجمر، لأنه كان يحس بأنه غريب وسط كل هؤلاء المعتقلين المختلفين معه مزاجا. مرت الأيام سريعة دون أن أنتبه إليها لانشغالاتي اليومية. كنت أعوض مالفاتي بالشمس والتجول اليومي، مما جعلني أحس بما ينقص جسدي وروحي. كنت كرجل المغارات لاسيما عندما فكر في تلك اليوم في المستشفى عندما جاعنا ممرض يستعير منا حذاء رياضيا للمشاركة في مباراة رياضية واستعدادات

الطاقم الطبي للمشاركة في عيد العرش. وكان قد نسي حذاءه في البيت، تطوعت لثلبية راجيته وخاطبته أن لاتحزن لدي المطلوب حذاء ابيض جديد. سر المعرض لكنه عندما رأى الحذاء الذي سلعه لنا «ف» في الهرموغو، انفجر ضاحكا وتبعه الحاضرون من مرضى ورجال امن، ثم اجابني ساخرا: «هل تسخر مني؟ لم يعد احد يرتدي مثل هذا الحذاء، لقد تجاوزت الوقت منذ مدة حتى الرعاة يستنكفون عن ارتدائه، اه لقد حولوك الى إنسان بدائي» تدخل شرطي مضيفا «بل قل المتسولين انفسهم، والحق انهما كان على صواب لانني كنت متخلفا عن الركب يعطين من الزمن ويصحراء ثاسعة من الجهل.

عبر ان هذا لم يؤثر في معنوياتي، وماكان يشغلني بالفعل هو وضعي الصحي، لعل دعم بعض المنظمات الإنسانية والشخصيات ساعدني معنويا واجع اعلي في إخراج قريبي او في تحسن وضعي في السجن. كنت اتلقى يوميا عشرات الرسائل تعبر عن دعم و تضامن وتعاطف اناس اغلبهم من اوربا وكانت الغلبية المرسلين من الفرنسيات إضافة الى عائلة سويسرية لان انسي ابدا ايمانها البيضاء وطيبوبتها. كما جاء العديد من الأطباء من اوربا لعلاجنا لكنهم رحلوا مما اثر في: كنت اعنى لو ان المنظمات المغربية تساهم بدورها سواء ماليا او معنويا، لكن خاب قلبي. فهل كان ذلك نسيانا ام تناسيا؟ لست اري لكن ناس المبادئ واصحاب القيم النبيلة والفضيلة والمدافعين عن حقوق الإنسان والمعارضين للتعذيب كانوا اكثر في بلدنا، ربما كانوا يخشون نعتهم بالتعاطف معنا او اصطدامهم مع المسؤولين لهذا تجنبوا الاتصال بنا، وما من شك اننا اصبحنا مثل المصابين بالجذام، انا وعاشور لبطاننا في السجن.

لقد نسئنا واهملنا بعض الأحزاب السياسية، كان عاشور واعيا بالامر وقلنا لوقوعه مما زاد في كآبته وارتيابه، فكننت اواسيه بالقول إن كل المنظمات الإنسانية تبذل مجهوداتها لتحريرنا، واخبرته ان شخصية معروفة جدا وجد محترمة ونحظى بائصات جلالة الملك تقوم بمساعيها لدى جلالته طلبا لعفوه، والامر يتعلق هنا بالسيد جاك بيرك المستشرق وعالم الاجتماع والمؤرخ المشهور الذي عمل إبان استعمار المغرب رئيس إدارة تحديث القطاع الزراعي (1947)، ثم مرافقا مبنيا في اممناوت. لقد راسلني هذا الأستاذ العظيم واخبرني بانته كاتب جلالة الملك مباشرة بطلب عفوه عنا. لم يفاجئني ما قام به لأن السيد بيرك اشتهر بعمله

النبيل والإنساني والتفاناته الفروسية. فقد ساهم في تحسين وضع الفلاح وهو الذي حول سنة 1948 جزءا كبيرا من سجن امتنانوت الى مدرسة ابتدائية واجبر الاهالي على تسجيل ابنائهم في المدارس مع سجن كل من عارض ذلك من الآباء ونسعه لزعيرة تصرف للمعلم المدرسي، وسهر ايضا على توزيع الأكل والملبس شهريا على الأطفال لتشجيعهم على الدراسة، وكل سجين يعمل في الحقل او الحديقة يمسك بنوعان كان يخط عقوبته او يطلق سراحه وهو الذي قضى على الرشوة في هذه الدائرة التي كان بعض الاغنياء يحتكرون التجارة فيها بإرشاء المرابحين السابقين او القايد. وهو الذي أمر «الشاوش» (حارس المدرسة) بضربي وسجني بعد أن هربت من الدراسة مرارا، وبما أنني كنت يتيما فقد ارسلني الى إحدى الزوايا لحفظ القرآن، وبفضله تم بناء المستشفى والطرق وازدهرت الزراعة والتجارة.

يوم الخميس 17 شتمبر 1952، تناولت فطوري ونظمت الزنزانة والملابس ونهيات للخروج الى الساحة، ولتها بخل على سي حسن لكره، الزنزانة سلم عليّ وتبادل معي بعض الكلمات قبل ان يخبرني برغبة المدير السيد الشط في لقائي، سألته بخصوص اي موضوع؟

● هل نشرت رسائل مفتوحة في الصحف الوطنية وبإذاعة فرنسا الدولية؟

■ نعم فعلت ذلك.

● اعتقد أنهم سيودعونك في القبور، قال سي حسن مازحا.

■ إذا دام ذلك 15 يوما لأبأس لأنني قضيت 18 عاما وشهرين في قبو نازمامارت.

اجابني، «أنا كما تعلم، أمارحله، أما عن سبب اللقاء فسبخبرك المدير بنفسه».

وجدت امام المكتب المدير، موظفي السجن و 1 من مفتشي شرطة الفينبطرة وفرد من النسيطي وليوتنان بركي ببخلته، طلبوا مني النحول الى المكتب الذي سمعت فيه، قبل 11 شهرا من هذا التاريخ، «الصوت بلا وجه، ينزل بي حكمه، وجدت المدير ونائبه العجوي والمفتصد، استقبلني السيد الشط بلقبالة كعادته وصافحني ثم طلب مني الجلوس على الأريكة الناعمة المخصصة عادة الى ضيوف الشرف، وخلالها لليلة 1: أكتوبر 1952، كنت بلا عصابة ولا اصفاة ولا نظارات سوداء وقبالتني الصوت بوجهه ظاهرا ينظر إليّ مبتسما:

السيد الرئيس هل تعلم لماذا استديعتك

كنت شبه متيقن بأنه سيحدثني عن الضجة الإعلامية في الصحف الخاصة بالعلاج وبخلافه مع طبيب السجن، كما فكرت في تذييله لي بسبب الرسالة المفتوحة التي بثتها إذاعة فرنسا الدولية الخاصة بمطالبي .. لكنني أجبته بالنفي استأنف حديثه قائلاً:

طبيب لقد انتهت محنتك اليوم، انت حر الآن، لأن جلالة الملك نصره الله قد أصدر عفوه عنك، لقد توصلت هذا الصباح بواسطة الفاكس بالامر من القصر الملكي، وسارفع تقريراً عن الإفراج عنك قبل منتصف النهار، والآن لم يعد امامك سوى جمع ممتلكاتك وامتنعك والعودة الى بيتك هنيئاً لله وأنا سعيد بإخبارك بنفسي، حظ سعيد ووداعاً، مد يده لمصافحتي وبألفه التحية بأحر منها قبل أن انصرفه عدت للنو الى المصححة لجمع حوائجي والنظرات الحزينة والدامعة لعاشور تلاحقني، حزنت ببوري للمشهد، كانت لحظة قاسية بالنسبة لنا معاً، لحظة فراق صعب وعنيف، كنت في اشد انفصال بسبب هذا الحدث السابق لأوانه، اعتقدت بان السيد بيرك سيتردد قبل أن يقر قراره والحال ان الأمريكان عكس ما اعتقدت، ومن جهة ثانية عاينت سي حسن لأنه لم يخبرني من قبل فاجابني باسماء يانه التسم الا يلعل ذلك مع المعتقلين السياسيين وفي مثل هذه الحالات لأنه فعل ذلك مرتين، فجاء الامر المضاد ليبلغني الإفراج فعدت الخيبة ما سبقها من أمل.

تجاوزتني اللحظة ولم استطع جمع ملايبي، فقام معتقلان اسلاميان واخران ماركسيان بذلك بدلا عني، كنت سعيداً بمفارقة السجن لكنني حزنت لفرك صديقي رفيق المحنة خلقي، لم تصدر عني اية كلمة، لأن بقاء عاشور سجيناً المنى واخرسني، كان جالساً امامي حزينا ساهياً وشاحب الوجه ينظر الى نظرات ملاوها الحزن والأسى، لم يسبق لي ابدا ان رأيت في مثل هذه التعاسة، والإنسانية على كل حال لأنني لو كنت مكانه لأحسست بذات الإحساس، كنت اعرف بأنه في حاجة الى المواساة او الى كلمة ما بعد ان عانقته طويلاً قلت له بصوت خافته العبرات وعيون مفرقة بالدموع.

● لاحتزن يا عاشور اعرف انه العظيم، لكنني اطلب منك الصبر وما من شك انك ستغادر السجن قبل نهاية السنة.

■ انت تعرف بان السجن ليس هو ما يخيفني بل العزلة، انا سعيد

كل شيء تغير من الهندسة الى السيارات مرورا باللباس وطريقة المشي
وانا اعبر وسط المدينة هالتي العديد الهائل للساحنة والسيارات
والعمارات والفنادق والمحلات اعتقدت انني في عالم اخر، للذهاب الى
حي الفتح مر سائق الطاكسي بحي القديم العكاري الذي نزل على حافة
بالواسه وازلقته المنسفة وفوجئت عندما عبرنا نورا النبع بوجود نور
الصفوح الغالدة يا للتناقض الصارخ مع الأحياء المجاورة

رقصت زوجتي وغنت

تولف الطاكسي، امام العمارة التي تطل عليها زوجتي و جدت الحبي خالبا يعمه الصمت. ولعله انسب حي لمن ينتشد الهيماء والطمأنينة. كان علي ان اصعد الى الطابق الثالث وكان ذلك امتحانا فلسفيا يشبه الصعود الي راس جبل. انقطعت انفاسي من المجهود المبذول لكنني كنت انوي مفاجأة اسرتي. وصلت امام الباب ضفطت على الجرس عدة مرات. طرقت الباب لكن لم الق جوابا. ياها كنت انوي خلق المفاجأة لغير انني الان اشخص المفاجأة. عدت اترجي في الحال لاسأل حارس العمارة الذي اخبرني بانها توجهت الي عملها كما هي العادة. وفي الساعة التاسعة جاء رجلا امن لاستطلاع انشطتها. انتابتنى الحيرة ولم ابر الي اين ايمم شطري ومن حسن الحظ ان البواب دعاني الي كاس شاي في انتظار عودة ابني رشيد. فالضيافة واجب مقدس لدى العائلات الفقيرة.

لما راني رشيد ارتدى علي بالاحضان وعانقني عناقا حارا وسألني ان كنت هربت من السجن، طماننته بانني تمتعت بالعبقو الملكي وانني اصيحت من الآن فصاعدا حرا. قبلني مرات عديدة ثم حمل مناعي وقادني الي الشقة.

لما دخلت البيت احسست بانني غريب في المكان الذي سيكون علي ان اعيش فيه. اطلقت صامتا عدة طويلة وابني ايضا لانه لم يحتر كلاما. خطرت علي فكرة مهانفة المستشفي حيث تعمل خديجة. قيل لي بان شرطيين الخادما الي الكوميسارية المركزية. تساطت لماذا استدعيت زوجتي يوم الاحراج عني وكان المفروض ان تكون في السجن لاستقبالني في الساعة الرابعة و (4) دقيقة بعد الزوال سمح لها العميد المنانز بالمغادرة دون ان يحدد لها سبب استدعائها. وبمجرد ان عانت الي مقر العمل اخبروها باطلاق سراحي ووجودي في البيت. اعتقدت في البداية، ان الامر مزحة من طرف زملائها، لكنهم الحوا عليها بالاتصال. ولقي تلك هوى في نفسها، ففعلت. كنت انا من اجابها، لم تصدق ما سمعت. كان الحديث اجمل من ان يصدق لا سيما بالنسبة لزوجتي انتظرت 21 سنة تحديق امنيتها فتحلفت فجاء. كانت معجزة وامرا لا يصدق بالنسبة لزوجتي كالتحت بعناد من اجل اهل اهل زوجها المقبور في

ظروف غامضة. وإذا به ينتظر الآن في البيت بكل هدوء. انطلقت انفعالا فويا ادى بها الى الدوخة. فلم تمتلك نفسها فخرت صريعة على كرسي. قام الزلاء بإسعافها واستعانوا وعيها.

مباشرة بعدها استقلت سيارة اجرة للقائي. ومن شدة لهفتها طلبت من السائق الزيادة في السرعة لان زوجها ينتظرها في البيت وهي متأخرة. غلب عليها سائق الطاكسي: بخمسة ريال الطابق روطار ماني سنكل. راجلك يمكن يتسنى. فاجابته بقولها: واحد وعشرين عام هادي وهو يتسنى.

عندما توقف الطاكسي امام باب العمارة. كنت والفا انتظر السيدة التي ضحكت من اجلي واضاعت زهرة شبابها في الانتظار والقلق. صعقت الأراج مهرولة. رمت بحقيبتيها اليدوية. وفتحت ذراعها كصليب وارتمت على بجسدها المرتجفة لبلنتي طويلا وهي تبكي وطال العناق. اعتقدت انها تستجمع انفاسها فإذا بها في عيبوبة بين ذراعي ساعدي رشيد لنقلناها ووضعناها فوق اريكة. عندما استقلنا انتابها فرح غامر فبدات ترقص وتغني. ثم رفعت اكف الضراعة الله تحمده وتذكره على ما اسبغه عليها من نعم اللقاء.

سنة قبل هذه اللحظة كان رفائي قد عاشوا نفس المشهد ونفس الانفعالات وما امتزج بها من بكاء. ولعل القسي ما وقع هو ان لا احد من رفائق المعتقل تعرف على اهله والعكس صحيح.

أخذ المخرن، كل احتياطاته لكي يدم الأراج عني في صمت. لكن الجميع علم به في نفس اليوم. وكان اول شخص جاء في الحال لزيارتي وتهنئتي هو الاستاذ عبد الرحمان بنعمرو. رئيس الجمعية المغربية لحقوق الانسان الذي دافع عني ايضا في ملف الصخيرات. في يناير 1972. وبينما نحن نبحثني الشاي اتصل رئيس قسم الاستعلامات العامة الذي اراد الاطلاع على ظروف وصولي والتأكد من مجرياته في احسن حال. في الساعة السابعة مساء اتصلت بي مدام كريستين السرفاني لتتأكد من الانشاعة الراجلة. وتاثررت فرحة لما علمت بصحتها. تلقيت بعدها عدة مكالمات هاتفية من الخارج. وامثلا بيت خبيجة بالزوار من بين اعضاء العائلة والصديقات والاصطفاء والجيران والمتعاطفين وجاء غير المرغوب فيهم ايضا اولئك الذين لم يطاقوا عبثة الباب ابدا بعد اعتقالي. واولئك الذين لم يسألوا عني ابدا او يساعدوا ابنائي. الجميع جاء اليوم لبحثني الشاي ويقتاول الحلوى ويردد

العبارة المعتادة في مثل هذه المناسبة. الحمد لله على سلامتكم، والحق أنني لم أكن في حاجة لكل كلامهم. لأن عبارات المواساة لن تخطف من معاناتي أو تنسيني كابوسي.

قضيت ليلة بيضاء أجيب خلالها عن الهاتف. وجاء الناس من كل صوب وحذب. واضطرت خديجة إلى اللجوء إلى صديقائها الأكثر حميمية لمساعدتها على تنظيم حفل صغير على شرفي. وبالرغم من رفضي المطلق اصرت على فكرتها والتمعني بها. فإني لي أن أرفض لهذه الزوجة التي عانت الأسيرين رغبتها في توبيخ جلدتها وشجاعتها. في يوم الغد طلبت مني الذهاب إلى الحمام «البلدي» لا تخلص من وسخ 21 سنة سجنا وارتداء ملابس جديدة انشرها ابنتنا رشيد الذي باع تراجته الهوائية لهذا الغرض. اتصلت هاتفيا بسان جوليان لأشكر السيد جاك بيراك. على مبادرته الحميدة وتصرفه الإنساني.

قضيت اسبوعا كاملا أصالح اناسا لا معرفة لي بهم وارد على مكالمات هاتفية لأشخاص لا أعرفهم. يسألون عني ويتلصقون أخباري أو يعبرون عن تضامنهم وتعاطفهم. أغلب المكالمات الهاتفية كان مصدرها فرنسا. وخصوصا منطقة الجنوب وغرونوبل. منذ اليوم الأول لأطلاق سراحي أحسست أنني أصبحت مزار فضول الزوار الذين لم يصفقوا ما راوا. لقد تغيرت كثيرا. كنت أمشي محدوب الظهر مثل عجوز بلغ التسعين من عمره. بجلد شاحب وعينين حمراوين وحركات أعمى وسحنة كئيبة. أثير شفقة الزائرين. صعب علي في الأسابيع الأولى تحمل الصخب والحياة العائلية والوجود الجماعي الذي كان يزعجني. كنت أفضل العزلة في غرفتي. كثيرا ما كانت الكوابيس توقظني عندما أرى في المنام أنني مازلت في تازمامارت التي وسعني إلى الأبد.

كنت أتبه في كل حديث وأحلق دائما في مخاطبي. ولاحظ الجميع حركاتي الغريبة وبنات لهم عيويبي. مثلا كنت أزيد الأكل قطعاً كبيرة بدون مسخ. كان مجاعة المعتقل ثابتة في. فقلت كل المبادئ الأولية للاتب واللياقة ومن العيش مثل بدائي حقيقي في القرن 21 التقدم المعتقل حسن السلوك. كثيرا ما كنت أتسى حلاقة لفتي أو تنظيف أسناني والاستحمام. لقد علمني تازمامارت تحمل وتقبل الوسخ ونسيان ما هو ضروري في هذا المجال. الشيء الذي أثار انزعاج زوجتي التي كانت تكثر من الملاحظات لتقويمي وتلقيني أسلوب الحياة الحضرية. والحال أن بيني وبين الحضارة صحراء سوداء أسماها تازمامارت. بنات

مجهودات جبارة لتقويم سلوكي. لكن هيباتها فقد أصبحت لاصح لا. فاضطرت خبيجة الى البقاء الى جانبي باستمرار واعتدت من جهتي على ملاحظتها الشهيرة: «الرايس، هاذي ما كدلرش، او هاذي ما بكتوهاش الناس» احيانا كنت اعاكسها بالقول «وفري عليّ الملاحظات ديالك واتس الناس غادي يبيوها في محاسبتي او زفزان خارج من نازمامارت».

بعد ايام من الراحة خرجت للتجول في المدينة. كنت شبيها بسائح يزور المغرب لأول مرة، بل قلّ كائنا فضالبا من المريخ. لا اعرف احدا ولا احد يعرفني. اجد نفسي مختلفا عن الآخرين الذين اصانفهم في الشارع. لاحظت ان المجتمع اصبح الّل حشمة من السابق. الفتيات يظنن بلا حرج في المقاهي، والمكاتب والحدائق العمومية، ويرتدين ملابس غريبة تبرز صفاتهن ويعلنن لذة في هز الأرداف والمشيبة المستفرجة. من حسن الحظ كانت هناك اخريات محتشمت، جديات وواعيات. وانا اتسكع في الشوارع صابغة شباننا كثيرا يرتدون سراويل الجينز والصنبريات السوداء على طريقة المسلسلات واللام التشويقي، والعديد من الشباب نكورا واناثا. كانوا يتحدثون لغة ساقطة وينصرفون تصرفا غير لائق. خاب اعلي وانا ارى شعبا منحرفا، لايفكر سوى في اللذات والمخدرات ونواها الحباة. سنحت الفرصة ليما بعد بدخول منازل فئات اجتماعية مختلفة يفتب فيها الاحترام بين الاباء والابناء. فلم احتمل مثلا ان تترزين العفاه مثل عمية وترندي سيبة متزوجة لباسا فالعا وفنطازيا. كنت اعلم ان النمو الديمغرافي مضطرب، لكني مع ذلك نهلت للحشود الهائلة. تغير كل شيء، من النطود الى طريقة العيش والتفكير فوجدت نفسي امام مجتمع كثير الطلبات، اناني، طموح ولا يرجع، لاشيء الا سي من فارق الزمن والحال انني لن اتدارك هذا التخلف. لقد حاولت بصيق ان اندمج في المجتمع، لكنني بعد محاولات عديدة كنت اجد نفسي معزولا ومهمشا ومبعدا. والحق انني لم الّلح في التكيف، لا مع الكبار الذين لايتحدثون إلا في «البرزنس»، يحذوهم البحث عن الذهب والثروة، ولا مع الشباب الذين لايفكرون سوى في اللهو، كنت الضل البقاء وحيدا، بعيدا عن الضجيج واحاديث الإلك والنفاق والثثرة. والحضور الوحيد التي كنت اتحملة هو حضور زوجتي التي كنت اجد بالقرب منها الدفء والدفقة والسلوان. كان حنانها بالنسبة لي اكسير حياة كما كانت بدورها في حاجة الى ذات الحنان والحب اللذين حرمت منهما طوال غيابي.

سكنت لي الفرصة كذلك للقاء برفاق المعتقل الذين جاء العديد منهم لزيارتي بعد الإفراج المتأخر عني، وتبين أن مسافة نازمامارت الثرت على حياتنا العائلية، فمن الإصغاء من كان متزوجا قبل الاعتقال لكنه اجبر على الطلاق بعد بضعة شهور من استرجاع الحرية لاستحالة التعايش بعد طول غياب نظرا لاختلاف النظرة إلى الحياة. لقد تطورت الزوجة مع الزمن، لكن نفس الزمن تجمد لدى الزوج منذ وقت طويل، توالف مع بداية الظلمات لقد تكيفت الزوجة مع نمط عيش أكثر تحمرا، في حين ظل الزوج تقليديا. كثيرون منا أصيبوا بالخيبة بعد وهم وحلم، لما وجدوا زوجاتهم طلبن الطلاق وبنين حياة زوجية أخرى والعزاب من بيننا فرروا بمجرد خروجهم استكمال بينهم، ربما للرنيلة والمجون، والحال ان بعضهم ارتكب خطأ كبيرا عندما القرن بفتيات عمرهن 13 سنة أي مايعادل المدة التي قضتها في السجن. لأن فاروق السن والعقلية، ووجهات النظر ورؤية المستقبل كان سببا في التضارب والاختلاف حول حياتهم الزوجية إلى جحيم فاصبح الطلاق حتميا.

شخصيا وجدت صعوبات جمة في الإنعماج في اسرتي الصغيرة، كنت يوميا أحاول التأقلم وفهم المراد العائلة وطرق تفكيرهم، واء انجح ابدا في تحقيق هدي، إذ فصلت بيني وبين ابنتي هوة سحيقة وحاجز منيع فلم يعنابوا طريقة تفكيري وحضوري بينهم، ملاحظاتي كانت تصدمهم وكانوا يعتقدون أنني لا املك أية سلطة عليهم. حيث لا ينصاعون سوى لأمرهم التي قامت لوحدها بتربيتهم ورعايتهم. وقد حدث ان اصغروهم واكثرهم صلاة رد علي ذات يوم قائلا: لقد قاست والبننا جدا وعشنا في نعاسة كبرى بسببك. أنت المسؤول عن عذابنا. فقد دفعك طموحك إلى الفخامة وبنفعا الثمن وتحملنا النتائج. كان عليك ان تفكر فينا وفي مستقبلنا، لاشك ان كلاما مثل هذا جرحني واصابني في الصميم، لكنني أحجمت عن الرد لأنني كنت اعرف انهم قاسوا كثيرا ويحتاجون، من حين إلى آخر، إلى التنفيس عن خوالجهم، زوجتي بدورها لم توفر علي كلامها الجارح، كانت تؤاخذني على تدبير حياتها وضياع شبابها في الانتظار واليأس. لقد اعتادت على تعبير شؤون البيت واتخاذ المبادرات على طريقته وهواها. واستمرت في تلك نون استشارتي. كنت احسن انني عالة، حتى ابنتي لا ينصتون لمتصالحني. بعض التريائي واصهارى وجيراني ومن كانوا اصليقاتي هجروني ونفادوني لأنني بلا مال ولا وضع قار. هؤلاء كانوا يعتقدون أنني سامة

بدي طلبا لعونهم وقد اخطأوا لأن إيماني بالله الواحد الظاهر لم يزعزع.
بعد 21 سنة من الحجز، وجدت نفسي مطلق في العالم بلا وسائل
تواجه مستقبلا غامضا: أجهل ما أنا ملأه وغير ابيه بقري. ما هما لأن
اللاحق لن يكون الملق من السابق. وما أزعجني هو موقف البعض الذين
تحاشوني مخالفة اتهامهم بالتعاطف معي رغم أنهم كانوا اصديقي. لم
نكن قضيتنا طابو، بل جبل تلج عالم يخشى الكتل الاقتراب منه.

واليوم سطعت شمس الحرية لإضاطة الزوايا المعتمة. ونتمنى ان
تلمع دائما حتى لا تبقي هناك أماكن مثل تازمامارت ولا تحدث فظاعات
مماثلة ابدا. كثيرا ما كان الناس ينصحونني بنسيان الماضي الذي
اعترف بأنه بطاريني باستمرار. إذ كيف لي ان اهرب من الذكريات
الفظيعة والرؤى الرهيبة وأنا الفكر في لغو الذي قضى 11 سنة ممددا
على جانبه الأيسر وميمون الذي تاه 1.3 سنة في مناهات الجنون، من
أين لي ان انسى العذاب الجسدي والنفسي والحرمات من الأكل والماء
والتنكيل ببعض الرفاق الهزيلين الذين ينتظرون نورهم في طابور
الموت، ونظرات المحتضرين، ونظرات الكلمة هندية، والليالي الشتوية
الطويلة واصطكاك الأسنان الموسسة وليالي الصيف الحارة وأنا اراقب
نعيانا او عقرنا دون الحديث عن البقي الذي يمتص ما تركه الأخوان من
بعضنا. هل يحق لي ان انسى 30 رفيفا ساتو بدون وجه حق بعد الام
الظبيعة وحشرجات تمزق نياط القلب وانسى أهبل علة، الذي قلب للوبنا
قبل ان يحفر الأرض. ما زلت أسمع مجانيننا يصرخون ويهنون دون ان
يعلموا انهم ماتوا قبل موتها

صحيح اننا الآن احرار، وان الاخوة بوريكات التحفظوا بفرنسا
والطويل بامريكا وال 27 الباقين ما زالوا بالمغرب لكننا اصبحنا ينتمي
الوطن وضحايا ظلم لا مبرر وبليبا إنسانية طعننا الإنسان. وصحيح
ان محنتنا انتهت لكن آثارها بالية تمزق احشائنا وتعمرننا رويدا رويدا.
كل الموتى، الاحياء في تازمامارت كانوا على شفا حفرة، بعضهم سقط
والبعض ظل على ضفة الجنون. واليوم ما زال الناجون من موت محقق
ينتظرون من بعد لهم حبل النجاة. بالأس عندما كانوا يائسين عزلا في
تازمامارت كانوا ينتظرون ما ليس منه بد، واليوم ما زالوا ياملون في
حياة الفضل، بالأس كانوا يقاتلون ضد الموت واليوم يقاتلون باناء ضد
حياة لا نرحم ومجتمع قاهر.

كثيرا ما نلتقي بعضنا البعض ونحدث عن ماسينا والحياة العابرة.

كثيرون منا اكتشفوا وفاة أبائهم وأمهاتهم، وعمار عائلاتهم، وكثيرون كانوا من فقراء تازمامارت وظلوا كذلك بعد الإفراج عنهم لأن لخونهم استولوا على املاكهم وأراضيهم لاعتقادهم بأنهم لن يعودوا أبداً، والأكثر تزاها من الإخوة، تركوا لهم بقعا صغيرة في مناطق صخرية غير خصبة عندما وزعوا التربة.

عندما فكر في السجناء المرضى، الحملى الذين تركتهم ورثني في السجن المركزي وأشاهد على الشائبة اللذابح التي يرتكبها الأقوياء ضد الضعفاء في اليوسنة والهرسك وأرى المساء الفلسطينية والمسي والحروب الأهلية والدينية والأبيولوجية القول إن العالم أضحى تازمامارت كبيرة دون أن يترك تلكا

نحن نرت الدمار

اليوم، يرتاح سجانونا المتقاعدون في جلسات الشاي العائلية باستثناء بن لريمس ومولاي علي اللذين كانا ممن طلبا القصر في تازمامارت وأخفيا لفظاعتهما خلف كتمان رميلة، واللذين أطلقا شعلة الإنسانية ورفعا لواء القتل في ساحة الحرية. القرائنهما الذين بلغوا الموتى بلا كفن في قبور جماعية بلا صلاة ولا طقوس. وأنا أكتب هذه الحكاية المعززة بذاكرة وروح جريحتين، نكروى رفالي الموتى، أحس بقلبي المنهك يتمزق، لأنني رأيت بام عيني إخوتي يموتون ويسلمون بشجاعة بعد النفس الأخير، بدون بكاء أو شكوى. وتازمامارت المعتقل اللطيف سيظل يسكنني إلى الأبد ويحفر في كبائي أخابيد عميقة أهلة بالذكريات الحزينة.

وإذا كان الزمن هنا يتعالب بموكب المخاوف والرعب فإنه الآن يسري بكرنفال من الوعود الفارغة والأراجيف التي يراد لها أن تضمد جراحنا وتحد من غلاد صبرنا. لقد اعتقلنا في اندماج سريع ومشرف في المجتمع، وللأسف كان أمنا مجرد سراب، وبالرغم من أنني اجتزت طوال السنوات السوداء محيط النسيان ورماني اليوم إلى ضفة صخرية، فإنني لم أتخلص أبداً من الضجيج الصاخب للمقابض والأفلال في ززانة القبر، ولاسيما صوت رشدي بنعيسى الصاعد من بئر، صوت من

وراء الموت الذي يولفني يوماً من النوم. كل هذه الوصفات الحقيقية والمعيشة تزكي حكايتي، التي لا أريدها سياسية ولا يتبغى لها نكاح بل الغريزة الإنسانية هي التي حفزني على الكتابة.

يمكن أن يخموا انفاصي، ولكن هل يمكن تكويم الحقيقة التي إذا اخفيها أصبحت خطيرة. والآن بالرغم من أن المسألة تشغل جزءاً لا يتجزأ من حياتي، ونظائري يوماً، أحاول بنوع من الهدوء أن أفكر في موتانا لأخطف من معاناتي هيباتنا هيباتنا كثيراً ما اسمعهم يتحدثون، يهنون ويلفظون النفس الأخير، فيكبر غضبي المكتوم في الحال ويهتريني ياس قاتل... ومع ذلك أكابر. وأحاول منذ خروجي من النفق المظلم أن أجاري التيار. أملاً في ألا يطول انتظاري كما هو الأمر في تازمامارت.

إذا كان تازمامارت قد دمر أو حول إلى مخزن تمويج فإنه سيظل أبدي الدهر في ذاكرة كل من كالجحيم والإفراج عنا من هذا الجحيم. إن مسافة تازمامارت تعس كل الإنسانية أو روحها، لأن هناك روحاً واحدة: الروح التي زرعتها الله في جسم أمي، وكل إنسان يحمل جزءاً صغيراً من الروح الكبرى المشتركة والأبدية. وعليه لم تكن أرواح الموتى الأحياء وحدها التي عانت في تازمامارت، بل أرواحكم أيضاً، أي كل الذين يمتلكون هذه الهبة.

أعتقد أن الخجل أو المركبات هي التي جعلت المعتقلين السابقين لا يتحدثون عن الجنس حتى لا يحسبون بالحيلة ورجولة الأهل منهنما لدى مخاطبتهم. وحتى وسائل الإعلام لم تجرؤ في أية لحظة من اللحظات على طرح السؤال المخرج حول الجنس حتى لا تخرجنا أو تصيب كبرياننا، لأن هذه الوسائل تعلم أنها نقطة حساسة لا تهم سوى المريض وطبيبه. والحال أن القضية لا خجل فيها، لأن المخزن هو المسؤل، وهو الذي يتحمل كامل العواقب. وربما أن الموضوع لم يثر، لأن الجميع كان يعلم أن لحولتنا وهنت بشكل كبير بعد عقدين من اللفن عرضة لسوء التغذية والحرمان من الشمس والنظافة والعلاجات وغياب الاتصال الجنسي. هل يمكنكم أن تتصوروا وضعاً مثل هذا؟ هل يمكنكم تصور شخص نزيل زنازاة انفرادية لمدة عشرين سنة بدون اتصال جنسي. بل نون أن يرى امرأة؟ إلا يبعث هذا على الجنون؟ هذا أمر لا يصدق في البداية مثلاً كنت لا أتصور أنني سأقدر على التحمل والبقاء بدون امرأة... أو سجاثر. ومع ذلك حدث هذا. هذه الغريزة الطبيعية التي لا

أحد يستطيع العيش بدونها حرمانا منها وأجبرنا المخزن على تحمل ما لا يطاق. حرمانا من الحاجة التي وجدت مع أمم ومازالت موجودة، وبسبب الجحيم الذي عشناه أصيب بعضنا بالعلم النهائي البتة التحاليل الطبية وعجز كل أنواع الدواء، فلجأوا إلى التنبؤ، باعتباره المنفذ الوحيد لبناء أسرة وصناعة للعش الزوجي.

لقد قضيت عقدين لا أرى أمامي سوى الرجال وأي رجال: ترك وضربة وجنود. في سنة 1981، عندما عدت مرة ثانية إلى السجن المركزي بالقيصرية، سئمت لي الفرصة في اليوم الموالي لوصولي بأن أرى امرأة جاءت لزيارة المعتقلين الإسلاميين. ففرت فهي وأنا أرى امرأة بعد أن غابت كل النساء عن نظري منذ ترحيلي إلى نازمامارت وانعدت لساني وجحظت عيني وأنا أرى سيدة محترمة أتتقة الهندام تقرب مني بطلب من أخيها وتصالفني وتكيل الدالح لي وتشجعني ثم تطلب مني عنوان عائلي لإخطارهم بخروجنا المعجز من نازمامارت، سمعت بسماع صوت نسوي لأول مرة بعد عشرين سنة وأرى أمامي جسد امرأة بعد أن ظل يراودني في الحلم أو في الخيال. في تلك اللحظة أحسست بالفعل بمدى تحجيري وعزلي، الروحية والجسدية، وأحسست أيضا بانبعالي...

منذ السنة الأولى للإبارةنا فهمنا بأن القوانين في حالنا وفي بلدنا تتغير حسب الظروف والأمزجة والمصالح المخزنية، فالمحكمة العسكرية لم تحكم علينا بالإبارة ولا بالنظام الجهني ولا الاعتقال اللامشروع بعد انقضاء الحكم الصابر. وهذا دليل على أن المخزن خرق القانون عمدا، لهذا قسمنا الأثق في أحد. وبعد الإفراج عنا ماقتىء هذا الحذر يتصاعد ويتزايد بسبب استمرار أساليب المخزن في مطاربتنا وتعجيزنا معنويا وماليا في الامتناع عن تعويضنا وفي نهيمشنا. أما المجتمع، فلقول بصنق، إنه خيب ظننا، لأن الإحساس الإنساني طفت عليه المانة.

لقد اعتزلناه هروبا من الوصوليين الذين لطفوه من أجل المصالح ولو القضى الأمر المرور فوق الجثث. شخصا، كتبت الفصل الإنزواء في عرافتي تؤنسني وحسني، عوض الجلوس في المقاهي والإنصات لبريشتات نثير الإشمزاز.

أذكر أنني قرأت قصة كبار متسقلي الجبال الذين وصلوا إلى قمة أيفرست في الهمالايا بعد مجهودات جبارة، جعلت هؤلاء الأبطال

يفهرون تلك الصخرة الموحشة اللاذعة للمتطلعين الغرياء. وإذا كانوا قد انقلحوا فقد دفعوا الجزية المطلوبة ذلك أنهم اضطروا الى قطع الاصابع التي تجمد الدم فيها بفعل البرودة وشلها. ونحن ايضا اشرفنا على غنية الموت ولم نملك بابها ونجونا من مصلته في اخر لحظة. وللأسف دفعنا، مثل متسقلي الجبال الثمن باهظا اكثر بكثير من هم. فإذا ما استقنينا الذين ماتوا والعدد الكبير من الحلقى المصابين بمس، عاد اغلب الناجين من تازمامارت ملتحنين بالامراض النفسية والجسدية، والائل تضريرا مازالوا يعملون الى الآن اثار السجن المطول والترتيب والعزلة القلعة مجسدة في اعراض التلف. وما زالت الماتها تعاشرنا وتشكل جزءا منا، بطارينا ويزعجنا في حياتنا اليوم. ولعل الالة الاكثر وجودا هي الشroud او التيه في التفكير دون القدرة علي التركيز والتعبير الدقيق عن الأفكار وسرعان ما ننتبه في مناهات بلا منقذ تختلط فيها الأفكار والرؤى وتلاسم التحليل. بل يحدث ما كنت اسميه بالانفلات العام، ويتعلق الامر بالشروع في مناقشة موضوع محدد سلفا يبدي كل واحد منا رايه فيه لكن ما ان يطرا طارئ ناله او تتضارب الآراء حتى يتخذ النقاش منحى اخر ونواصل الحديث دون ان نعي باننا غيرنا الموضوع. احيانا اخرى ينفرع الموضوع الى مواضيع جانبية مخالفة تماما للاصل وتحدث كل مجموعة بمعزل عن الاخرى وتعم الغوضى العارمة.

شيء اخر كان يرعبني: خيالي المجنح الذي يستبد بي احيانا ويحملني الى افاق بعيدة تتحقق فيها كل امالي وورغياتي بكل بساطة. عالم ساحر بنيته شخصيا، كل طلباتي فيه اوامر، لي وجود هادئ بلا ضجر ولا احابيل. والحال ان الواقع شيء اخر لايد للمرء فيه من الكفاح لانقاذ جلده والندافع بالهناكب للوصول الى الهدف. غير انني احس بالهشاشة ونوع من العجز عن المسيرة، لست في مستوى الثناب الذين يحيطون بي من كل جانب.

كل الذين ماتوا نلقوا مرارتهم مع النفس الاخير بخصوص بعض الاحزاب السياسية التي لم تبذل مجهودا لانقاذنا. لقد خاطبني المرحوم بنعيسى رشدي بصوت اجش ومؤثر قبيل وفاته بليام: «إذا كتب الله لك النجاة من هذا الجحيم، قل لهم بانني بريء، قل لكل الاحزاب السياسية بانني لم اقترب شيئا وانا ضحية الظلم البشري، قل لكل الأشخاص الذين كان باستطاعتهم ان ينقذونا ولم يفعلوا، انني لن اغفر لهم ذلك

وغالبا بما كانت أصوات المشرفين على الموت تتوسل اليها بان تنقل رسائلهم واشارات الاستغالة التي لا تصل، بعد ان تمزق احشائها. السنوات الكلية وسعت روحنا، حتى المستقبل امامنا الآن غامض ومعتم.. وحتى بعد خروجنا صافهنا الاحباطات والغميمات. فقد نسيتنا الاحزاب السياسية ولا سيما منها حزب وطني كبير كان يكرهنا. ومن حسن الحظ ان هناك منظمات انسانية اجنبية عضدنا ماديا ومعنويا.. (...)

انكر ان رفائي الذين الفرج عنهم قبلنا - انا وعاشور - قامهم المخزن الي عائلاتهم، فلم يتعرف عليهم الرباؤهم ولم يتعرفوا على احد. وهم كانت قاسية تلك المشاهد التي لايتعرف فيها اخ على اخيه ولا ام على ابنها. ويصبح نحن مارة مسجلة، من تازمات. واليوم يوجد من بين ماكانوا اصغر سنا في اعتقال تازمات من هم على اعتاب الخمسينيات من العمر ومازالوا عزابا نظرا لقله ذات اليد وانعدام الدخل والسكن. البعض واجه - كما سبق ذكره - مشاكل زوجية وعائلته وبمر روجه مستوى تربية الابناء.

وشملت النساء ايضا الزوجات اللواتي ترملن منذ زمان دون ان يعلمن بذلك. فقد قضين عشرين من العمر ينتظرن ويعانين بلا جدوى. في الاخير.. والآن، بعد ان جاءهم النيا المشؤوم، زادت معاناتهم لان حياة بلا امل ولا مثال سام تعد احتضارا بطيئا. ومن المخزن انني قضيت لحظات مؤلمة التفتت فيها هؤلاء الازامل كانت من تنفس لحظات حياتي. لقد جاءت السيدة عزيزة زوجة المرحوم نيك الجيلالي لزيارتي في السجن المركزي قبل اطلاق سراهي باسبوع. عندما رايتني ارتمت في احضانتي وهي تصرخ وصراخها رغب لا يقاس شل حركتي وانحسست ان جسدي يتشجج كلما سمعتها تتنحب وتردد اسم زوجها. عندما كانت ترفع راسها وتتلظر الي بعينين احمرتا من حرقة البكاء.

كنت اخفض من بصري لآحاشي نظرتها المتلومة. وقد حكيت لي عن ماسيها التي عاشتها بعد غياب زوجها، حياة بليسة اجبرت فيها على العمل لاعالة ابنائها الخمسة، فعملت في الحقول والمعامل وفي البيوت وسكنت الاكواح. همشتها عائلتها لتفكر في الموارد وهمشها المجتمع لانها زوجة خائن. فعاشت في عزلة تامة بلا سند مادي لو معنوي. هي التي سكنت قبل 1971 فيلا وسافرت في السيارة وملك

الحلي والمجوهرات وخاتمة تخمها، لتتحول الى خاتمة الآخرين بعد غياب زوجها.

الفقر ليس عيبا، وبفضل شجاعتها وإرادتها ومثابرتها الملحت في تربية ابنائها ورعايتهم.

ما زالت الأراذل ينتظرون التعويضات مع المنتظرين وقد حدث ان التفتيت بهن جميعا بمناسبة احد اللقاءات العائلية. وحكت لي كل واحدة منهن عن الماضي الكئيب. انهمشت من جهة لحكاياتهن المليئة بالخيبات والفشل والمعاناة ومن جهة أخرى اكبرت فيهن عنانهن ومواجهتهن للاستسلام. وكفاحهن ضد عوادي الزمان. وخلت في لحظة ما انني اعيش تلك العصر الذي كان للضحية فيه حضور كبير في وجود الانسان. عندما رايت زوجات شابات وجميلات ولهن لازواجهن الغائبين وانتظرن بلا كلل عودتهن. نساء مثل السيدة شمسي خديجة التي ظلت منذ 1972 وحيدة. الا من ابنتها البالغة من العمر سنتين. تنتظر عودة زوجها.

وبما انها لم تكن تمتلك مورد رزق فقد شمرت عن ساعديها وضربت في مناكب الأرض بحثا عن العمل من شركات النسيج الى المعامل. وبعد بضع سنين استاجرت محلا واصبحت خياطة الحيا. السيدة خديجة الشاوي ايضا واجهت عينا الذل لانها كانت تعيل ١٠ اطفال. وبعد ان ظلت ربة بيت منذ زواجها اجبرت بعد اعتقال زوجها على الخروج الى العمل. لان تربية ا. ابناء و ا. بنات ليس بالامر الهين لكن شجاعتها وصبرها وعنايتها مكنتها من النجاح رغم تهيمش المجتمع لها.

كثيرا ما يخطر ببالي احد رفائي اللداسي الذي كان يحدثني طوال اعتقالنا عن عائلته التي كان يحيها حبا جما. وعندما التقيد معصب العينين الى قريته تبين له انه اسرف في الاوهام الضائعة. تلك انهم عندما رفعوا العصاية عن عينيه وجد نفسه امام امراء عمرها (4١ سنة. هزيلة ومريضة. تنظر إليه باسى وهي تنتحب. وضع احد ما حدا لهذه العقدة قائلا: «هي ذي اخذك س.» والثقت نحوها وقال نفس الكلام. لم ينفعها على بعضهما لانهما تغيرا كثيرا: هي بسبب الاحزان وعوادي الزمن والاحباطات وهو بسبب ظلم الناس بعد ان كان محكوما به. سنوات لقط بعد عناق طويل يغمره البكاء والحزن معا. استفاق كمن لسعه عقرب وتساءل مغزوعا: «ابن ابي» ابن امي» طاطات اخته

الصفري رأسها وأجابته بحسرة نائحة «مات الجميع، بمن فيهم اخونا الأكبر واختنا، لقد بقيت وحيدة انتظرك بفارغ الصبر» تاء العائد في بوخة منعته من سماع العبارات التالية لأخته. فقد هرب للتو من كابوس رهيب ليسقط في أضر أكثر رعبا، وبعد أن قضى 17 سنة إضافية في المعتقل، اضحى الآن وحيدا بلا معيل ولا عائلة، وعليه إن اراد له مكانا تحت الشمس أن يجابه الحياة بقوة.

كل الذين احتجزوا في تازماسارت بدون وجه حق، تبنتهم «امنستي»، ومنحتهم بمجرد خروجهم مليون سنتيم لكل واحد منهم، كمنحة للاستجابة للطلبات الملحة والمستعجلة، اثنان منهما قضيا شهرين في الانتظار، ولم يتوصلا بشيء فكانتا المنظمة الدولية ليخبراها بعدم توصلهما بالمنحة، بعد تحقيق بقيق تبين أن الحوالات صرقت من طرف ابني عمهما يحملان نفس الاسم واللقب، طالبهما المعتقلان السابقان برد المبلغ، لكنهما امتنعا عن ذلك في الحال، وطلبا مهلة سنة لدفع المبلغ الساطا، هذان الرفيقان ابنا بـ 3 سنوات لكنهما قضيا 21 سنة سرق المخزن شبابهما وسرق ابن عميهما مالهما ومن الواضح انهما لن يثبنا أبدا لا في العدالة ولا في الناس ومعاملتهم.

مقابل هذا، كان من المعتقلين من وجدوا بعد الاعتقال عائلاتهم ولاسيما زوجاتهم اللواتي انظروهن رغم فسوة العيش والمشاكل اليومية وتهديدات المخزن الذي كان يفهمهن الى طلب الطلاق، لعل احسن مثال هو ماجرى لأحد الرفاق السابقين الذي لم يعد يأمل بعد ترحيله الى تازماسارت في رؤية زوجته من جديد، لأنها كانت شابة وجميلة وبدون اطفال، كما انهما كانا حديثي العهد بالزواج، والأمل في هذه الحالة سيكون من باب الحسوق، لأن للخضبال حدودا حتى في العصر الخرافية، والحال أنه يوم الإفراج عنه وجد زوجته التي برت بتسمها يوم الزواج، حاضرة بمعية والديها لاستقبال حبيبها الغائب، ومازالا الى يومنا هذا مجتمعين في السراء والضراء، حتى العقم لم يؤثر في علاقتهم، وقد عمدا، ملا لهذا الفراغ في حياتهم، الى تبني طفل يتيم لاشك انه سيجد مكانا آمنا وحنانا وكثيرا من الحب من بين المعتقلين ايضا من كان على وشك الزواج وقت الاعتقال لكن الفراق الاجباري شوش على مشاريعهم وقلل اي أمل في غد افضل وبعد عشرين من الزمن وجد المعتقلون المعنويون خطيباتهم لسابقات ربوات بيوت وامهات والأمر مفهوم على كل حال لأن الانتظار طال، غير ان

الطرفين حافظا على علاقة صداقة طيبة وتحوات عواطف الامل الى
اخوة.

منذ خروجنا التي بنا في المجتمع ولغا النسيان والنهضيش
وتركنا للكلر الخاص والأزراء الى حدود فبراير، وبالضبط يوم 14/12/94
17 اي شهرين قبل مؤتمر «الغات» براكش حيث استدعانا السيد عمر
عزيمان وزير حقوق الإنسان وقتها واطلعنا على التعديلات الملكية
الاخيرة ذات الصلة بحالطنا. والمنعقدة باجتماع لجنة خاصة في ظرف
اسبوعين لدراسة وتسوية ملفنا تسوية نهائية قبل شهرين من ذلك
التاريخ. وقد أكد لنا باننا سنكفي تعويضات عن الحجز غير القانوني
والمعاملات اللاإنسانية واخبرنا ايضا بالحق في العمل والسكن
والتقاعد العسكري والتطبيب المجاني وجواز السفر وتعميش عائلتنا
عن المعاناة. وخدم حديثه بالقول إننا سنكفي شهريا مبلغا ماليا مسلما
من طرف الاعمال الاجتماعية للقوات المسلحة الملكية. بعد «الغات» لم
ينفذ شيء من هذا القبيل. مرت شهور وسنوات ولم يوف باي وعد او
طلب باستثناء - حوالة الاعمال الاجتماعية. انصروا على مطالبنا
بالصبر والانتظار: انتظروا! انتظروا! ما عسانا ننتظره الطوفان؟
نهاية العالم، ام يوم الحساب ليلى كل جزاء. كلما طرقتا بابا كان
صوت المخزن يجيبنا بجفاء ان تمهلوا! اما الخبر السار الذي اعلن عنه
السيد الوزير في برنامج «وجه وحدث» فلم يتجاوز تسليم شهادات
الوفاة لعائلة المتوفين. لقد تم ترحيلنا من القنيطرة الى تازمامارت
بسرعة لكن تسوية ملفنا تعثرت وطال امها!

ادان الجميع وجود المعتقل - لكن السيد روسي ميشيل صرح
لجريدة «لوموند» (عدد 93804/11) جوابا عن مقال حول تازمامارت
كسبه الصحافي دويارن. بان هذا الأخير نسي القول بان نزلاء
تازمامارت كانوا يبركون سبب وجوبهم هناك والحق انني نطقت عند
قراءة المقال لانني لم اكن اتوقع كلاما مثل هذا من لدن إنسان فرنسي
واستاذ للقانون مفروض فيه ان يدافع عن القانون ويكف ضد اي خرق
لسير العدالة. إذ كنت ترى، ياسيدي باننا نستحق عقابا فظيحا في
معتقل الموت. وإذا قبلت فعلا بان نلتذ بحكم صادر عن المحكمة في مكان
سري غير معترف به من طرف الدولة وفي شروط وحشية. فهذا معناه
ان ضميرك فاسد وإنه لمن المؤسف ان شخصا مثلك يغير مبادئه مثلما
يغير الآخرون مبادئهم.

فوجدت أيضا بتصريح للمحامي زيان الذي نفى في جواب عن سؤال صحفي، نفيا قاطعا وجود الاختطافات. وأكد عدم وقوع أي اختطاف في المغرب. فما قولك أيها الأستاذ في محكومي قضيتي 71/71 III و 72/116 الذين اختطفوا في الثانية صباحا من يوم 7 تحت 7.1 من زنازينهم في القنيطرة ورحلوا سرا إلى تازمامارت المجهول معصوبي العين ومصفيين وظلوا محتجزين 18 سنة وشهرين في الظلام محرومين من كل حقوق الإنسان ولو كان سجيناً. هل ستجيبني بنظرة ساخرة مستهزئة قائلا بأن العملية مجرد ترحيل من سجن إلى آخر، فما هو قولك في من قضى عقوبته وظل حبس الجدران بدون حق، هل تعلم أن 70 منهم ماتوا وقد مضى على انقضاء العقوبة وقت طويل؟

بمجرد إنشاء المجلس الاستشاري لحقوق الإنسان، زارت عائلتنا أمينة العام السيد ميكو لعرض حالة تازمامارت بعد اللقاء اعترفت متعللا بأن القضية تتجاوز، والحال أن المسألة تتعلق بحقوق الإنسان سواء ما له صلة بالمفبيين أو بالمعتبين أو ضحايا الاختطاف القسري (...). والآن من كل هذا أنكم كنتم على علم بتازمامارت وفضائحاته وستكم...

كثيرون نسبوا ترحيلنا إلى تازمامارت إلى الملك الراحل رحمه الله. والحق أن الحقيقة مخالفة لهذا تماما. لأن الآخرين وما أكثرهم هم ساهموا في هذه المجزرة الرهيبة والمعاملة القروسطوية. لقد كانوا على علم بأن المرحوم أعطى أوامره بترحيلنا من سجن معني إلى سجن عسكري وحبسنا حتى إشعار آخر، فجنحوا إلى تازمامارت، الذي كان حديث البناء، وتكلف الجنرال أحمد التليمي (الكولونيل ماجور وقتها) نفسه بعملية «فلورانس» وحضر شخصيا عملية الترحيل. كما أكد لي ذلك أحد الحراس بالقنيطرة سنة 1997 وقد أخبرني أنهم أنه كان يبتول في سريره عندما رأى التليمي يحدث المدير في الثانية صباحا، وعين التليمي العفريت مديرا للمعتقل أحد اقاربه، القاضي، الذي كان الفاعل الثاني في هذه المسألة الإنسانية.

ما المني فعلا هي التصريحات الكاذبة لبعض المسؤولين حول وجود المعتقل. لقد نفى المخزن لكن الزمن والشهادات دفعته إلى الاعترافه لكن لماذا انعى بعض المسؤولين أن تازمامارت لا وجود له إلا في الأذهان والعقول الشريفة. وقد أتى السيد محمد العنصر بذات

التصريحات للأسف ومن المؤسف أيضا وغير المقبول أن تصرح السيدة حليمة الوردازي معلقة المغرب في المؤتمر العالمي لحقوق الإنسان بأنه من المؤكد أن أغلب الأشخاص المفرج عنهم بعد انتفاض العظيمة يتمتعون بإمكانية عيش حياة جديدة. والحال أن هذا يكثف تجاوز الأحداث لهذه السيدة الفاضلة لأن الناجين من الجعيم حين كانت تلك تصريحاتها، لم يتوصلوا بتعويضات ولا سكن ولا علاج للأمراض الناجمة عن العذاب الجسدي والنفسي.

شاعت سخرية الأقدار أن يعود أحد الناجين إلى بيته بعد غياب دام عقدين من الزمن فرح بلقاء زوجته التي تركها بعد سنتين من الزواج. من سوء حظها فوجيء بنيا غير سار ومنزل، إذ أن زوجته التي فقدت كل أمل في رؤيته مجددا، طلبت الطلاق بموافقة والديه. ولما حصلت على ما تريد تزوجت شقيقه الأصغرا ففر فاه أمام المشهد، عندما سارع أطفالها إلى عنقه وهم يقولون: «مرحبا بك أعني».

ابتسمت له الحياة مجددا فاستعاد لره وراحت تجارته واستعاد كل شيء لكنه فقد حبه إلى الأبد. لقد استطاع الانتماج بسرعة في الحياة المجتمعية وثنى المخزن نفسه سلوكه لأنه لم يطالبه بشيء. أما أحد رفاقنا الآخرين، فقد أعياه الانتظار ليمم وجهه شطر والي المدينة فاستقبله هذا الأخير في مكتب ومجموع مساعديه تقريبا. حاضرون بعد أن استمع حكايته المؤلمة سأل هذا المسؤول بالزبد:

«ماذا تريد الآن؟»

أجابته المعتقل السابق: «لقد كان الكولونيل طيبا، قد أخبرنا باننا سنستدعى من طرف الولا والعمال بعد شهر من خروجنا حتى يتم إيجاد شغل لنا في البداية ثم تعويضنا من بعد».

«أنت تريد العمل إذن، وماذا تملك؟ هل نجيد الفلاحة مثلا؟»

«لا يا سعادة الوالي لم أتعاظها قط»

«هل نجيد التنظيف أو الرعي مثلا؟»

«لا يا سعادة الوالي لقد كنت ضابطا حصلت على البكالوريا سنة

1967 غير المسؤول من لهجته ورفع سبابته في وجهه والرمعه: «ألا تستحيي؟ هل نسيت ما فعلت أنت وزملائك؟ لقد مستمتم بالمؤسسات وتجراتم على المؤسسات. لقد أردتم النيل من جلالته الملكة لكن الله حفظه ونجاه. الحرب عن وجهي ولا تعد مرة أخرى».

غادر المعتقل السابق المكان مهنانا مطاطا الراس. بعد أيام عاد إلى

مكتب الوالي بجمعية امه العجوز شبيه المشلوله. توسلت هذه الأخيرة الى المسؤول الولائي لتوظيف ابنها حتى يتسنى له تلبية حاجياتها وشراء بوالها. تحدث الوالي مطولا الى السيدة العجوز السنة البشوشة طرح خلال الحديث عدة أسئلة عن أصلها ونسبها وعائلتها، وتبين له بانها من نفس البلدة. فكان أن اعطى امره في الحال بتوظيف الابن باجرة التي برهه 2000 مؤداة من الصندوق الخاص للولاية. وبعد مرور سنة تم نقل الوالي الى الوزارة، فاستدعاه قبل سفره واخبره بأنه سيحتفظ بمنصبه حتى ولو كانت وضعيته مؤلمة وطلب منه الاتصال كلما دعت الضرورة الى ذلك.

عاد احد رفاقنا الى بيته فرحا بقاء عائلته واطفاله وزوجته التي احبها كثيرا. غير انها لم تكن حاضرة يومها لاستقبال زوجها لانها طلقت الطلاق منذ مدة والتزمت بشخص آخر لم تكن له شخصية ولا ثقافة ولا ثروة الغالب. لم يدم الزواج الثاني طويلا فانفصل الزوجان. فكر العائد بعد ان ضرب صلفا عن الماضي. من سوء الحظ ان هذا الزواج كان مستحيلا، لأن الزوج ظل محافظا في تفكيره المستند الى الحشمة والاحترام المتبادل والحياة المشتركة الهانئة في حين تغيرت الزوجة كثيرا ومالت الى اللهو واللذات والحياة العصرية. ذات مساء حضرا حفلة احد الاصغاء فلم تتردد في تدخين سجارة عرضها عليها احد المدعويين. بعد أن عادا الى البيت طلب منها تفسير سلوكها فاجابته ببذاءة وولاعة «انا حرة ندير اللي يعجبني وماشي انت اللي تمنعني. ايلا ما رشلتكش طلقني، لطلقها في الحال لينتهي بذلك حلم رواد طويلا مخيلة المعتقل الذي كان ينتظر الخروج من تازمامارت للعودة الى الحياة بجانب عائلته. وتضاف بذلك مأساة جديدة سببها تازمامات الذي ما لقي يدمر حياتنا وسعادتنا.

هناك ايضا قصة ناج آخر من تازمامارت الذي اثلث كاهله المشاكل العائلية منذ خروجه سببها في الأصل سوء تفاهم حصل بين الزوجة والأم منذ اللحظات الأولى لغيابه قبل ان يتحول الى حقد متبادل، دامت المشاحنات والمحاكمات بينهما الى أن جاء هو ولم يدر أي تصرف يتصرف واية جهة على حق.

زامت حدة المشاكل لأن المعتقل رفض شروط زوجته وهي رفضت مطالبه فبدأ التهديد بالطلاق. فرفضت الزوجة دون علم زوجها دعوى تطالب فيها بالتفدية طوال مدة غيابه عشرين سنة لعائلتها، وعائلة

طلبها، حكمت المحكمة لصالحها وطلب من المعتقل التعيس دفع 16 مليون سنتيم نقداً! صغى المعنى بالأمر بهذه العقوبة القاسية والغرامة التي كانت تقدمه عليه. لأنه لم يكن يتوقع فعلة بمثل هذه الضنعة من طرف سيده اعتقد أنها تحبه. استأنف الحكم لكن المحكمة زكت الحكم بالإداء لكنها استحضرت الظروف الخاصة للمعتقل وبخيرت من طريقة الدفع إذ حولتها الى الساط شهوية بقيمة 1500 درهم شهريا لمدة 9 سنوات. والحال انه كان على وزارة العدل ان تعطل الحكم الى ان يتلقى المعتقل تعويضاته من طرف الدولة. لقد راح ضحية الظلم عندما ما اعتقلته هذه الأخيرة مدة 5 أسنة، واليوم فرضت عليه قوانين البشر دفع نفقة او السجن دون الأخذ بعين الاعتبار بأنه خسر كل شيء بسبب المخزن. لقد أجبروه على إعطاء الزوجة حلقها في حين المخطوء حقه. لم تسعف وزارة حقوق الإنسان صديقنا الفارق في الديون لأن راحة تازمامارت العذبة كانت لاتزال تلوح منه؛ هذه مأساة أخرى من ماسي المعتقل إذ لو ان السجن غير المعتقل بعد قضاء المدة المحكوم بها عليه لما حصلت الأمور الى هذا الحد.

كل المعتقلين المفرج عنهم فرحوا بالعودة الى عائلاتهم او ما تبقى منها اما الذي أصيب في مقتل يومها فهو ذاك المعتقل السابق الذي وصل لريته يرالفه تركيخان وبعض رجال السلطة المحلية. وجدوا النوار خاليا لأن الرجال توجهوا الى المقبرة ولم يبق سوى النساء الفالجات اللواتي زمن من كابة الأجواء وحرزنها. عندما سألوا العائدين من المقبرة عن الطريق المؤدية الى منزل الأب اجابوهم ياسي وحرارة: إنه الميت الذي دفناه منذ قليل. فقد مات هذا الصباح، الله يرحموا، هذه الكلمات دمرت صاحبنا الذي كاد يجز. لأنه فقد أباه يوم عودته بعد ان فقد امه منذ زمان بعيد. وما هو الآن وحيد كما لو يكن من قبل. ولولا تازمامارت لفضى سنوات طوال الى جانب اهله. بعد ان فضى العقوبة.

بالنسبة للمخزن تعتبر السنوات الكثيرة والشاقة التي قضيناها في معتقل الموت شيئا عابيا، فالمخزن اعتقد أنه يتصرف حسب القانون، لأن العذاب الجسدي والنفسي والعقاب الشرس والمعاملة البشعة اشياء معلوفة لديه. كان انتقام المخزن شر انتقام... والان اعتقد انني حر والحال انني لست كذلك لأن الحرية تكون سجنا مادام هناك مطيبون ومطموعون وظلم اجتماعي فوق الأرض... لقد كان اول إحساس بنتابني

بعد ان اغلقت البوابة الحديدية لمسجن القنيطرة خلفي هو ان انني وحيد وضعيف وغريب في بلدي عندما عبرت حبي القديم فوجدت باستمرار البؤس وبقاء الاثنياء على ما كانت عليه نفس الازالة الضيقة واللوسفة نفس المصابيح والجدران المشروخة. لم الحاجا وانا الطع دنور النبع، الذي ظل على حاله مثلات البراريك والنوالات يسكنها العمال (قبل ولايتي) ومن صلح تغمرها التعاسة والبؤس والاسواح.

وانا لكتب الآن هذه الحكاية الدامية والمؤلمة لاحتفاء بنكري رفاقي في العذاب والذين اختطفوا الى الابد. احس بقلب مدمى وحزين لانهم ماتوا سدى. قبل مغادرتنا لاهرمومو كان المخزن قد وعنا عدة وعود لم يك بها قط لان رفاقنا المفرج عنهم انتظروا طويلا على امل الانتعاج الاجتماعي، لكن الامل كان كاذبا، لاننا كنا مهمشين.

مرت سنتان على الحرية. واعني لانتظار الرفاق، فقررنا الخروج عن صمتهم والمطالبة بحقوقهم كالتعويض والسكن والعلاج وجواز السفر والحقوق الاجتماعية والسياسية. فبين اننا كنا نعتبر الطابور الخامس ومساءة تازمامارت ان كل سجين في اي سجن غيره له الحق في لحظة شمس وهواء نقي، لكنهما كانا يتوقفان عند ابواب تازمامارت.. كل سجين كان له الحق في التعلم وتعلم المهنة، اما نحن فما كان لنا سوى ان نحملق في الظلام ونلقوا وننكمش ضد البرد. وبعد ان نخرت تازمامارت رمى بنا الى مجتمع لا يرحم، بدون علم ولا شهادات، ومعناه اننا محكوم علينا بالبطالة خصوصا وان الالاف من نوي الشهادات العالية عاطلون عن العمل عاجزون عن تلبية حاجياتهم، وكان شباب اخرون مجبرين على السرقة للعيش والعديد من باعة للحشيش والديطاي مهدين بالسجن بسبب التهريب وترويجه ولكنهم للأسف كانوا مجبرين على ذلك. وكما في العالم كله، كانت اقدم حرفة منتشرة بكثرة بين كل الفئات. والرشوة، هذا الداء العضال استبنت بكل العقول ونخرت كل الافئدة والفسدت الأرواح. فوجدت بانتشار الاحتيال والخديعة، مما دفعني الى الهروب من هذا العالم الذي احس فيه بالغرابة مفضلا العزلة والتأمل .

مرت ثلاث سنوات علي مغادرتنا للمعتقل الملعون، ومازال للأسف حاضرا في ذاكرتنا وارواحنا ولغتنا. سجن الموت هذا يترامى لنا يوما، في الكوابيس ونشم رائحته التي التصقت بجلدنا مثل الجذام.. الآثار ظلت موجودة دائما والذنوب حطرت مكانها. بعد خروجنا اهيل الحراس

المسنون على التقاعد ونقل الضبان منهم الى اكاكير وبدأت الانتفاخ على الطور لتحويل المكان الى خزان نموين وتم طلاء الجدران للكثيباتو إخفاء لكل الإلار المعنية ثم عرس نخلات عمرها 15 سنة مكان القبور.. ومع ذلك كان البعض الى الأيس القريبه يتساعل إن كانت تازمامارت قد وجدت فعلا ام تراه حكاية خرائبية من حكايات الف ليلة وليلة. التول: لاثت انها حكاية لا تصدق، لكنها سنة الاف ليلة و610 ليلال من العذاب والإهانة والرعب. وأؤكد أن تازمامارت وجد ما بين 1973 و1991 وأنا احد الناجين منه. لاثت أن الإشاعات تضخمت شفهييا من شخص الى اخر. لأن الكلمة كانت بمثابة طابو. ومن نوار الى نوار. ومع مرور الوقت زاد حجمها وتفرع واختلط الخيال بالواقع. لأن الناس كانوا يسألونني يوما: هل كان الطعام يلقي إليكم بواسطة الطائرات المروحية، وهل حقيقة أن الطعام كان يقدم بواسطة نظام كهربائي متحرك فوق سكة حديدية على طول نفق مظلم؟ كنت اجيبهم بكل صدق وصراحة وأحكي معنة تازمامارت بدون زيادة ولا نقصان. ومع ذلك فإن حكاياتي المسلووية بلا مروحية ولا سكة أبكى الكثيرين وأحزن الآخرين.

وبخصوص الصخيرات نفسها أضيفت الى حكايتها العديد من الاختلافات والإكنايب فقد قيل إن اعبابو كان يمسك بلوحة يتلو اسماءها بصوت جهوري ويعين من يفلت منهم. والحال انه لا وجود لاية لائحة لأن الانقلابي المتامر كان يبحث بنفسه عن ضحاياهم ويخرجهم من الصطوف.. ولعل من المؤكد هو أن اعبابو عنت له في لحظة من اللحظات فكرة التصفية الجسدية لكل الرهائن باستثناء السفراء والأجانب لكنه تراجع عن تنفيذ مخططه بعد تدخل أخيه محمد ونصيحته وتوسلاته. وبفضل محمد اعبابو عاد الرهائن الى منازلهم مساء ذلك اليوم الرهيب (...).

إن كل انقلاب في العالم الثالث لا يأتي سوى باليؤس والأزمات والمحسوبية سواء إن تم هذا الانقلاب في امريكا اللاتينية. حيث يطبق الجيش بيكتاتورية سوداء، او بعض نول اسيا التي يارض فيها الذين وصلوا الى السلطة ابيولوجياتهم بالجمع والاستبداد. او في افريقيا حيث تشبث الحكام بالحكم وارتكبوا من أجل تلك ابدات رهيبه في حق مئات الآلاف من الأشخاص (...).

وأنا لراقب كل ما يحيط بي. بعد 23 سنة من الضياع زاد الوضع صعوبة وتقلما. وإذا كان رأيي هذا شخصيا فاعتقد انه واقعي. لأنه رأي

رجل كان مقبورا يستطيع وحده ان يرصد التغيير او الاستمرار.
لانا لست بالتفائل الذي يفضعه تقاؤه الى اخفاء الحقيقة ولا
بالمتشائم الذي يضخم من الامر بهدف الانتقاد الذي يطال كل شيء بما
في تلك الايجابيات. وما اثارني بعد خروجي كان العدد الهائل من
السيارات المستوردة والواحة الاجنبية. رؤية الالف الانخاص عارضين
سلعهم المهرية على قارعة الطريق. والشباب الضائع في كل مكان.
لاحظت ايضا ان النساء الشابات يفرطن في وضع الحلي. منهم كثيرات
نالحسات حشمة وولقار. والنزهة المختطة الظاهرة للعيان لم تعد تصدم
لعدا.

وما لا يمكن التغاضي عنه. من جهة اخرى. الانجازات الجميلة
والواضحة على المستوى التقني والهنسي. وعلى مستوى السدود.
وانهضت للحواشيب والفضائيات والتلفزيون بالالوان. احسست
بالفخر والاعتزاز بعمل منظمتنا المدافعة عن حقوق الانسان التي تكافح
بكل صلابة من اجل حقوق المواطنين. لاحظت بإعجاب ايضا ان الناس
يعبرون عن ارئهم ومطالبهم اكثر من السابق. وامن شك ان المخزن
بنوره قام بخطوات الى الامام. وان كانت هناك اشياء كثيرة ما زالت
مطلوبة.

كان معتقلا تازمامارت ينتظرون القرار الخاص بهم. في حين كان
السجانون يعيشون حياتهم العادية. ولاسيما المدير الذي تابع مجرى
حياته في مكتاس. ومن سخرية الالدار ان هذا السجان كان يلقى مرار
ثلاثة من المعتقلين في احد المقاهي دون ان يتعرف عليهم. كان رفائقا
يتعمدون الجلوس بالقرب منه لمعرفة رد فعله. لكنه كان يلقى بين الفينة
والاخرى نظرة عابرة عليهم دون ان يتعرف عليهم. او يدرك بانهم
ضحايا.

وعالما ما كان يبدو عملا غارقا في مناقشات تالفة مع بنات الهوى
والساليات.

ان ما يجب ان يتغير. في شعب من الشعوب هو الذهنية وليس
الشعارات. وانا شخصيا ملئنت ليما القناع بانبعاث الارواح الفاسدة
وتحويلها الى ارواح ناضلة. والاشخاص الانانيين وتحويلهم الى
اسخياء.

انتظر ان ينهض المستعبدون ليحرروا انفسهم والانسان عموما
ليتخلص من التصنيفات الالصفة بجسده التي تجعل منه ماركة

مسجلة للاستهلاك.

ما اتناه من كل للبي، لبلدي وللعالم لجمع، ان تستعيد العلول
رشعا والقلوب طيبوبتها حتى ينسنى لنا حل مشاكلنا بلا عنف وحقد.
اتمنى ايضا الا يعرف بلدنا عنفا او تازمامارت بل ديمقراطية ومؤسسات
وعدالة واحتراما للقانون. وما دام هناك رجل واحد ووحيد تحت نير
العبودية فوق الارض لمن تكون هناك حرية حقيقية.

